علي

سيد العرب والعجم

تأليف

الشيخ عبد الجبار الرفيعي

دار الكتبي للمطبوعات

بيروت - لبنان

www.haydarya.com

علي
سيد العرب والعجم

عليّ

سيّد العرب والعجم

تأليف
الشيخ عبد الجبّار الرّبيعي

دار الكتبيّ للمطبوعات
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة للناشر

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

دار اللبيب للمطبوعات

بيروت - حارة حريك - ص.ب: ٣١٦/٢٥ - الغبيري

كلمة لا بدَّ منها

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أأعجميٌ وعربيٌ ﴾ ﴿ خلق الانسان ضعيفاً ﴾ ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ ﴿ سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ﴾.

ذكر المولى سبحانه وتعالى هذا الإنسان في عدة آيات بينات : مرةً ذكره بالضعف ، ومرةً بالوسوسة ، ومرَّة بالسعي ، ومرة ذكره بالعقل والفكر وحتى عرفه طريقه وسبيله .

ونحن نعلم ان الانسان خلق وهو مفطور على النطق بواسطة الآلة الممنوحة له وهو « اللسان » وكما فطر على النطق ايضاً فطر على التفكير والرؤية ، والنظر ، وهذا كله يتم بعد تدرّجه في الحياة من الولادة الى الطفولة ، ومن ثم ينتقل الى التفكير السليم وبما عنده من غرائز حيث المنحة التي منحت له من قبل الله عز وجل وهو العقل يبدأ يتحسس بالتفكير والرؤية الحقيقية والنظر لكل شيء امامه أو يراه متحققاً به ؛ وهنا جاءت الآية الكريمة تشير الى هذا المعنى ﴿ سنُريهم ﴾ فقد اصبح فرضاً علينا ان نتفكر في خلقه وننظر بالتأمل في آثار صنعه ونتدبر في حكمته واتقان تدبيره ، فالانسان عنده وجدان وهنده تقليد وعنده فكر يستنير به ، كما انه عنده غرائز ثلاث ، غريزة

النوع وغريزة الدين ، وغريزة البقاء أو حب البقاء . . فغريزة النوع فيها عوامل وعناصر خاصة مثل الحنان والعطف والميل الجنسي وغير ذلك مما يلحق بها . . وغريزة الدين والتدين أو التقديس كالخشوع والتقرب لشيء معين عنده . . وغريزة حب البقاء مثل التملك والحرص والطمع والأمل والطموح ، فهو إذاً يبحث عن وسائل تشبع غرائزه وحاجاته العضوية ، لأنه مادة خلق من جسد ونفس ، لذا تراه يحب الحياة ويودّ أن لا يخرج منها وهي دوماً وابداً عزيزة عليه مع آلامها وجوعها وخوفها وجورها وغضبها وحزنها وهلعها وبلائها . . فغرضه يريد اشباع غريزته أو حاجته يكتفي ويستريح ، وهذا الانسان يسمى بالانسان المادي او المادة ، أي انه من الجسد والنفس وحبه للحياة حياة مادية شديدة . . اما إذا وجدنا الانسان يسعى ويطلب الاسمى ، فتراه يكافح في سبيل حياة افضل وينشد غاية اكمل واسمى ، فهذا هو الانسان الذي قال عنه الخالق سبحانه وتعالى: ﴿ **أن ليس للإنسان إلا ما سعى** ﴾.

وهذا يعني توجيه طاقاته لأنه كله طاقات ويحتاج الى تفجيرها ولكن عليه ان يتبع الاسلوب الذي يوصله الى شاطيء السلام ويكون في سعيه مفكر لكي لا يكون سعيه عدم وعديم الفائدة وبلا نجاح وبدون جدوى وهذا يعود لسبب واحد عليه سير الحياة وقدرته ، فالانسان لديه قوة الربط بين الدماغ والاحساس والمحسوس مع جميع المعلومات السابقة ، وكل هذه العناصر في الحقيقة لا توجد في الحيوانات فالحيوان يخلو من الربط بين المعلومات السابقة والحاضرة والواقع والاحساس والدماغ ، وإذا لم يربط المعلومات السابقة ينعدم الرقي والانشاء معاً هنا، كان الفكر المستنير قاعدة الانطلاق وهذا بعد ان عرف كل شيء ، صار انساناً روحي لا مادي لأن عقله استنار وحصلت عنده قوة الايمان وطرق الايمان بالفكر المستنير ومن هنا نشأ الافتراق والانشقاق بين الانسان نفسه وهو ذلك الانسان الفرد والجنس الواحد فصار انسانين انسان روحي وانسان مادي وذكرنا آنفاً المادي والروحي ، والروحي هو الذي انتقل من عالم المادة الى عالم التفكير والرؤيا الحقيقية وهذا نقل فيه انه خرج

من الغريزة العضوية وغريزة البقاء المتمثلان بالأكل والشرب واللذات والشهوات والجنس واملاء الفراغ عنده الى غريزة الدين والتدين والتقديس ، وهذا هو الذي افرد نفسه بنفسه بقادر تقديره من التقليد والظّن والوجدان الى النور والفكر والرؤيا ، والنظر والتدبر فاستطاع ان يصل الى درجة الكمال من اخيه ، وهؤلاء هم الأنبياء والرسل والعلماء الذين شعروا ووعوا وتحسسوا انهم بشر وعليهم حقوق وتكاليف شرعية ، ولا شك ان هذا الجنس هو افضل وانبل الجنس البشري ، والجنس الآخر، من هنا الانسان ينقسم الى قسمين ما خلا القسم الأول الذي اشرنا اليه فهو والحالة هذه قد حصل لنا ثلاثة اقسام من حيث قسم الحياة ومن حيث البعث والنشور والحساب ويوم القيامة فالقسم الأول الذي قال الله سبحانه وتعالى فيه : ﴿ **رُسُلاً مُبشِّرينَ ومُنذرينَ لئلا يكونَ للنّاسِ على اللّهِ حُجّةٌ بعدَ الرُسُلِ وكانَ اللّهُ عزيزاً حكيماً** ﴾ وهم أهل الميثاق العظيم الذين قال سبحانه وتعالى فيهم ، الذي شرفهم وعظمهم هو سلوكهم وقدسيتهم ووعيهم وتفكيرهم ونظرتهم للحياة والآخرة واتزانهم في العقل ، وكيف انهم استخدموا العقل النيّر المستضيء المهتدي ، ولم يتركوه ليذهب سدى ، لأنه الرسول الباطن لكل انسان وميزانه ، والحارس الامين المدافع له من جميع الأعداء ﴿ **وإذ اخذَ الله ميثاقَ النبيّينَ لما آتيتكم منْ كتابٍ وحكمةٍ ثمَّ جاءكمْ رسولٌ مصدقٌ لما معكم لتؤمننّ به وَلَتَنْصُرُنَّهُ قال أأقررتمْ واخذتمْ على ذلكم اصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكمْ منَ الشاهدينَ** ﴾ فهم بهذا العقل الذي اطاعوا الله به صاروا قدوة وصفوة لأنهم اخلصوا وصدقوا مع الله ولم يعصوه قط ، والصنف هذا حصل على درجة الايمان المحض والجنة ستشتاق اليهم ، وسيسيرون الى الجنة بلا حساب ولا موقف كما ذكر لنا القرآن الكريم حيث قال فيهم مشعراً أصناف البشر كافة ﴿ **وسيق الذين اتقوا ربّهم الى الجنّة زُمراً حتى إذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلامٌ عليكم طبتم فادخلوها خالدين** ﴾ وكأنما الجنة بهذه الآية تفتح بدون إذن من الملائكة اشتياقاً وحباً لهم حتى تحوي فيها تلك الأرواح الزكية والأجساد الطاهرة ، ولكن يصدر الجواب على السلام الذي حصل من الملائكة ﴿ **وقالوا الحمدُ لله الذي صَدَقَنا وَعده وأورثَنا الأرض نتبوأ**

من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين ﴾ وكما شهد القرآن لهم بنصه ﴿ إنَ الذينَ آمنوا وعملوا الصالحاتِ إنّا لا نضيعُ أجرَ منْ أحسن عملاً، اولئك لهم جناتُ عدنٍ تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسونَ ثياباً خضراً من سندسٍ واستبرقٍ متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسُنت مرتفقاً ﴾ فهذه الطبقة من الناس استنارت افكارهم ، وسلمت عقولهم وعملوا بها ، واشرب في قلوبهم حب الإله وطاعته وانقادوا اليه . نعم الذين وصفهم كتاب الله بشدة الحب حيث قال جل جلاله ﴿ والذين آمنوا أشدُّ حباً لله ﴾ . واما الصنفان الباقيان فصنف مادي بحت وهذا الذي كان حظه البعد من الله ورحمته ودخلوا في حضيرة الكفر والشرك أعاذنا الله منهم ومن اتباعهم وقد اشرب الالحاد في قلوبهم وهم الذين خاطبهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وسيقَ الذينَ كفروا إلى جهنمَ زُمراً حتى إذا جاؤوها فُتِحَتْ أبوابُها وقال لهم خزنتها ألم يأتكمْ رسلٌ منكم يتلونَ عليكمْ آياتِ ربكمْ وينذرونكمْ لقاءَ يومكمْ هذا قالوا بلى ولكنْ حَقّتْ كلمةُ العذابِ على الكافرين ، قيل أدخلوا أبوابَ جهنَم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبِّرينَ ﴾ فقروا بالعذاب ، وتحقيق كلمة العذاب ، وهذا اعتراف منهم بان الرحمة قد ارتفعت عنهم وهذا كله تحصيل اعمالهم القبيحة والسيئة المشينة ، وهم اعترفوا بالرسل ورجال الاصلاح والإرشاد والوعظ إلا ان شقوتهم غلبت عليهم ولذتهم وشهواتهم وطمعهم في الحياة لأنهم أهل المادة وذكرهم القرآن الكريم وذكر أعمالهم وما كانوا يعملون في دار الدنيا ﴿ وقلِ الحقُ منْ ربكمْ فمنْ شاءَ فليؤمنْ ومنْ شاءَ فليكفرْ ﴾ حينما صار الأمر لهم ولم يسلكوا طريق الهدى والرشاد كان مصيرهم ﴿ انا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سُرادِقُها وان يستغيثوا يغاثوا بماءٍ كالمهل يشوي الوجوه بئس الشرابُ وساءت مرتفقاً ﴾ ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مُشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مالِ هذا الكتابِ لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلمُ ربكَ احداً ﴾ .

فهذا الصنف الثاني من الجنس البشري الذي هو الكافر المحض الذين

ذهبوا باعمالهم الغير صالحة عند الموت مباشرة الى جهنم بدون نظر وحساب ﴿ إنهم كانوا قبل ذلك مترفين ، وكانوا يصرون على الحنثِ العظيم ، وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنّا لمبعوثونَ ﴾ لكن لو علموا انهم يأتون يوم القيامة خاسرين لما عملوا من اعمال قبيحة في الحياة الدنيا ، ولا يعلمون انهم لا يقام لهم وزناً ، والذي لا يقام له وزن فهو ليس ببشر ولو انه خلق حشرة لكان خير له ، فقد خرجوا عن طبقة الانسانية وخاطبهم الله سبحانه وتعالى : ﴿ أولئكَ الذينَ كفروا بآياتِ ربِّهم ولقائِهِ فحبطتْ أعمالُهُمْ فلا نقيمُ لهمْ يومَ القيامةِ وزناً ، ذلك جَزاؤُهُمْ جهنمُ بما كفروا واتخذوا آياتي ورُسُلي هُزُواً ﴾ .

الانسان الذي كان يسير على سطح الأرض وهو زينة لها وهذه الصورة الجميلة المحسّنة التي صورها صانعها سبحانه المصور الخالق يأتي يوم القيامة ذليل حقير خسيس ليس له شفيع ولا نصير ولامـوال ولا قيمة ، حتى عمله القبيح يتبرىء منه فهذا هو مصير الكافر والمشرك لكفره المحض الذي كان يمحضه محضاً فإذا مات يصبح قبره شعلة من النار على جسمه المادي ونفسه الشريرة وتعرج روحه الى الملكوت الأعلى لتأخذ قرارها في جهنم وبئس المصير بعذاب شاق ليس فيه رحمة ولا شفقة ، لماذا لأنه حذر في دار الدنيا وقد أهمل نفسه وكان معرضاً عن آيات ربه ومعانداً كعناد اليهود والأديان البشرية الوضعية الأخرى .

والصنف الثاني من هذا الكائن الحي هو ليس بكافرٍ محض ولا مؤمن محض ويسمى هذا بين البين لا من الكافرين ولا من المؤمنين اولئك الذين يعملون عملاً صالحاً وطالحاً كأعمال الخير والشر وهذه الأعمال تسمى بالخلط ، اي انه يخلط عمل قبيح وعمل صالح امثال الغيبة والنميمة والبهتان والرشوة والجور والظلم واللذات والشهوات وحب الدنيا ، ومثال العطاء والسخاء ومساعدة الضعفاء والكلام الطيب . وهؤلاء وصفهم القرآن وذكرهم حيث قال : ﴿ لا أُقسم بيوم القيامة ولا أُقسم بالنفس اللوامة ﴾ وهذا يعني ان كل عمل سيء قبيح يعمله وهو مسلم مؤمن ؛ فبعد العمل يندم ويلوم نفسه

خاصةً إذا كان يخشى الله وله عقل فيأخذ باللوم والانكسار وهذا الانسان هو الذي تقوم عليه الساعة والحساب ويقف بين يدي الله يوم القيامة صاحب النفس اللوامة الذي إذا عمل الخير يفرح ويسر ، وإذا عمل غير الخير لام نفسه وندم ، وهذا الانسان هو الوسط الذي يشعر بالذلة والخيبة والذنب الكبير ، وهذا الصنف الذي يقف بين يدي المولى ولم يمر من الأصناف الأخر معه لا الكافر المحض ، ولا المؤمن المحض هذا هو الصنف الذي يقف لم يخلص منه عالم ولا جاهل ولا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا انثى ولا أمي ولا مثقف مهما وصل بعلمه وتفقهه بالدين فهو مقصر وجاهل تجاه ربه ولا بدّ من أن يحاسب حساباً عسيراً ويندم على ما فعل وما تقدم وفقد في الحياة الدنيا ، فيأخذ بالحسرات ويخاطب نفسه لماذا اصبحت شقياً ولم اكن سعيداً ؟ ولماذا تركت عمل الخير؟ ويقف في ذلك اليوم الرهيب المهول الذي تنهل منه النفوس ﴿ **وكأنهم سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد** ﴾ ذلك اليوم العسير الذي تذهل منه المرضعة وتسقط صاحبة الحمل كما يصف المولى لنا ذلك اليوم .

اجل إن هذا الانسان الضعيف الذي يتحكم به الشيطان وتتحكم به الأهواء والنفس الخبيثة الأمّارة والتي سيطرت عليه آنفاً فيكون مسكيناً ذليلاً حقيراً مستكيناً، فهو يتصور ان اعماله التي كان يعملها في دار الدنيا أنها مرضية فبدا مغروراً لقد غرته الصحة والفراغ غرور الحياة والاهمال وانه لا يشعر ان اعماله ذهبت في ادراج الرياح وخسر خسراناً مبيناً ﴿ **قل هل ننبئكم بالأخسرين اعمالاً** ﴾ من هؤلاء الذين خسروا اعمالهم وهم لا يعلمون ﴿ **الذينَ ضلّ سعيهمْ في الحياةِ الدنيا وهم يَحسبونَ انهم يُحسنونَ صُنعاً** ﴾ ولكن الصنع والخير لا وجود له ولا كيان له ، بقي عبدٌ ما احوجه الى رحمة ربه يقول يا حسرتاه على ما فاتني في دار الدنيا لماذا ولماذا لم اذهب الى المساجد ولم اعطي الفقراء ولم اذكر الله ولم أقر الضيف واكرم الرحم واقول المعروف وانهى عن المنكر ولم احج البيت وكنت أختزن الأموال الى جانب اعمالي القبيحة ولماذا صرت عبداً لمالي ودنياي واعمل المحرمات ، وهكذا يأخذ بالندم واللوم

والحسرات ويطول هذا الموقف في يوم مقداره الف سنة من سنين الآخرة أو سنين الدنيا ، يوم عصيب شديد يوم هول ومطلع وخوف ، يخرج وينضح العرق من شحمة الأذن يغور كبحر النحاس والرصاص ، تذوب فيه الأجسام والعيون شاهقة الى عنان السماء وكل واحد يصبح بذلك اليوم ينادي : يا نفسي يا روحي ، وهو اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من اتى الله بقلب سليم ، يوم حسراتوعسر،حسابه طويل .

وهناك يوم التغابن الذي ذكره الله سبحانه وتعالى: ﴿ **يومَ يجمعُكمْ ليومِ الجمعِ ذلكَ يومُ التغابنِ ومنْ يؤمنْ باللَّهِ ويعملْ صالحاً يُكفّرْ عنهُ سيآتهِ ويُدخلَهُ جناتٍ تجري منْ تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها أبداً ذلكَ الفوزُ العظيمُ** ﴾ فهو يوم السرور بين الناس ، فمن يذهب الى الجنان والأنهار برحمة المولى وبنيّة العبد وبعمله الصالح الصادق ، ومنهم من يقف بذلك اليوم الذي يئن منه أمير المؤمنين عليه السلام ويصفه يقول فيه : آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت مُحصيها فتقول خذوه ، فيا له من مأخوذٍ لا تنجيه عشيرة ولا تنفعه قبيلة ، آه من نارٍ تنضج الأكباد والكلى ، آه من نارٍ نزاعةٍ للشوى ، آه غمرة من لهبات لظى يوم حسابه يذهب بصاحبه الى عذاب شديد حارق . ومثل نار هذه عذابها وهي قد خُصصت للانسان ولا تكون إلا له،واي انسانٍ هذا هو الذي بين البين المسلم المسكين . فإذاً على هذا الانسان وهذه الطبقة ان تحمي نفسها وتعتصم بالله القوي ، وان لا تخسر ما مضى من الأيام ، وان يكونوا عبيداً لله تعالى ، وعليه ان يقف حرّاً شريفاً بين يدي ربه ، لأن احرار الآخرة هم العبيد لله سواء كانوا في الدنيا أو في الآخرة ، وهم الاسياد في الحقيقة ، وهؤلاء الذين ذكرهم القرآن الكريم وذكر ذريتهم ، قال سبحانه وتعالى بحقهم ﴿ **ووهبنا لهُ اسحاقَ ويعقوبَ كُلاًّ هدينا ونُوحاً هدينا من قبلُ ومنْ ذريتهِ داودَ وسليمانَ وايوبَ ويوسفَ وموسى وهارونَ وكذلكَ نجزي المحسنينَ ، وزكريا ويحيى وعيسى والياس كلٌّ من الصالحينَ ، واسماعيلَ واليسعَ ويونسَ ولوطاً وكلا فضّلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ، ذلك هدى الله يهدي**

به من يشاء من عباده ﴾ هذه الآيات ذكرت الافاضل الصالحين والنجباء الاتقياء والرسل والأنبياء الكرام وذرياتهم .

نعم ذكرهم انهم محسنون ، وانهم صالحون، وانهم مفضلون على كافة العالمين ، والله سبحانه وتعالى اجتباهم وهداهم الى صراطه المستقيم والطريق الواضح وسُبله القيمة بعد ان عرفهم قد شاؤا الى انفسهم الهداية والعمل الصالح ، ولذا نزههم سبحانه من الشرك والرجس حيث ذكر انهم لم يشركوا بخالقهم واهدافه وامره ونهيه ، ولو انهم لم يخلصوا لحبطت اعمالهم ، وهذا التنزيه من الخالق لهم ، وتنزيهه لنفسه لأنه لا يفرق بين عباده ، ولم يصطفي احداً على احدٍ إلا بعمله ، والعمل هو الذي يزكي صاحبه ، وبه اجتازوا مرحلة الامتحان والبلاء، والله هو العادل ، فلا يضيع اعمال الساعين للعمل النقي الصالح ، ولهذا قدم لهم ما عنده من دعم لكي يأتوا الى امهم واقوامهم بحججٍ ومعاجزٍ واهراصات وقوة خارقة كافية لدعمهم من طيش الأعداء والسفهاء والجهلاء والسذج والطغاة ، فكل واحدٍ من الصالحين العظماء جاء بمعجزة أو معجزتين او عدة معاجز ، وهذا كله حصل لنجاحهم في الامتحان والصدق ، فلما امتحنهم وجدهم صابرين اقوياء بواسل على الصبر واشداء على ملاقات المصائب ، وكان همهم الصدق والصراحة والاخلاص والنبل والشرف والغيرة والحمية والكرم والشجاعة والسخاء والعلم والحلم والورع والتقوى واليقين والزهد والايثار ، فلقد احس فيهم هذه الصفات والخصال الحميدة ووجدهم اهلٌ لها ولهم القدرة عليها ، لذا نجدهم نالوا المراتب والصفات بالاستحقاق ، والعون والدعم من الله هو اسعاف لهم ، وجعل لكل واحدٍ منهم صفةً خاصةً ، فواحدٌ صفيه ، والآخر نجيه ، والثالث خليله ، والرابع كليمه ، والخامس حكمته ، وهذا حبيبه بل كانوا بدرجة الملائكة وفوق الملائكة وافضل من جميع الملائكة ، وكانت الملائكة تخدمهم ، وحتى الملائكة المقربين وغير المقربين ، وكانوا اعواننا لهم في أعمالهم ومهماتهم ، ومعهم أين ما ذهبوا وساروا يدعمونهم بما كان يحل بهم من الطغاة والجبابرة ، وقد شاركوهم في كافة المحن والمصائب والعزلة التي كانوا يلاقوها

من الناس ، ولا شك ان جميع الأنبياء هم سادة لكل زمان ومكان وسادة الأزمنة والعصور والدهور الماضية والحاضرة والمستقبلة ولم يزالوا سادة حتى نهاية هذه الدنيا ، والناكر لواحد منهم ناكر لجميعهم ، وهو كافرٌ باجماع المسلمين ، وهم كرام سعداء في الآخرة في جناتٍ عرضها السموات والأرض ، معززون مكرمون يتنعمون في نعم الله ورضوانه وعطفه وحنانه ورحمته ، وهذا تحصيل حاصل في سنين قضت بالبذل والصبر والامتحان ، ايام انتهت في الجدل والكلام والوعظ والارشاد والنصايح بينهم وبين الطغاة والمستكبرين من الأمم والأرجاس من حثالة الحياة .

هكذا اصبحوا يشار لهم بالشأن والعز والهيبة والتعظيم والوقار ، والتاريخ خلدهم وذكرهم على مر الأجيال والعصور ويذكر احاديثهم ومواقفهم الاسلامية وطاعتهم المشرفة وسلوكهم وحلمهم وعملهم وكرمهم وزهدهم وارواحهم الخالدة العظيمة ، فمثال سيدنا ابو البشر آدم منشيء هذا البشر عليه السلام ، وسيدنا نوح ابو البشر الثاني وصاحب السفينة والطوفان ، والسادة الأنبياء هود وصالح ، وسيدنا الخليل صاحب معجزة النار التي زجرها عدو الله وعدو الخليل نمرود الذي قر برب ابراهيم عليه السلام ، وسيدنا موسى ويوسف ويعقوب واسحاق واسماعيل ، وسيدنا شعيب وعيسى وداود وسليمان وزكريا ويحيى ويونس ولوط وذو الكفل صلوات الله عليهم اجمعين . فهم بدرجة واستحقاق وهم سادة لنا ولغيرنا من الأجيال السالفة ، وهؤلاء السادة كلٌ نالها بدرجته الخاصة وسيدنا سيد الكائنات سيد الرسل والانبياء رسول الانسانية الحبيب صاحب الخلق الرفيع النبيلة ،والعلوم الغزيرة ونبراسهم الألمع على رؤوس الاشهاد، وصاحب المعجزة الكبرى الدهرية الأبدية الأزلية الخالدة والاعجازية للكل، المعجزة التي حوت جميع العلوم علوم السماوات والأرض وهو القرآن المجيد كتاب الله التدويني الذي انزله الله لحبيبه ابو القاسم محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وآله وسلم ، النبي المسدد والمؤيد ، الذي دانت له الملوك والجبابرة والطغاة وجميع الامبراطوريات شرقيها وغربيها وجنوبها وشمالها الذي امر الله سبحانه وتعالى لو يوزن بكفة الميزان

وجميع مخلوقاته بكفة اخرى لرجح سيد الرسل باخلاقه ونبله ، ولقد مدحه الله سبحانه ولم يمدح غيره اطلاقاً بقوله ﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾ لأنه كان قمة الأخلاق ، على ان جميع الأنبياء ذوو اخلاق ونبل وشرف ، ولكن عظمة اخلاق الرسول كانت اعظم ، كانت واضحة عبر الجميع لأنه سيد الجميع ، سيد الأمم وما جاء للأمم من الصالحين .

تركيبة الانسان

أما كيف حصلت هذه التركيبة ، فالانسان كائن حي يعيش على سطح الكرة الأرضية ، الانسان هذا هو صنف واحد ومخلوق واحد ، فهو مخلوق وخالقه واحد لا شريك له ، ولكن القرآن الكريم سماهم بالعجمي ، والعربي ، فالعرب مهما كثروا واصبحوا شعوباً وقبائل وطوائف وأقاليم فهم فصيلة واحدة عربٌ سواءٌ اكانوا مصريين أو سوريين أو عراقيين أو حجازيين أو مغربيين فكلهم عرب لسان واحد ونطق واحد ، والفصيلة الثانية الذين سماهم القرآن الكريم بالأعجمية والعجم هم مهما تشعبت شعوبهم وامصارهم فهم واحد اميركييهم وتركييهم وهنديهم وفارسييهم ، فكل هؤلاء يسمون بالأعاجم وهاتين الفصيلتين لا يعرفان إلا باختلاف اللغة والالسن فحسب ، وإنما العنصران هما مخلوقان من تركيبة واحدة ، وجميع العناصر الأعجمية هي عنصر واحد ، فلا فرق بين بلد وبلد ولغة ولغة ، فكل هذه اللغات تسمى بعنصر الأعجمي ، والعناصر العربية كلها تسمى بالعنصر العربي ، والفارق بين هذين العنصرين هي اللغة ، فالعرب يتكلمون لغة الضاد ، والعجم لا يستطيعون التكلم بالضاد ، وكل من هذين العنصرين يعيشون على سطح الأرض .

ونحن هنا لا يهمنا الدين والايمان ، والكفر والالحاد والشرك وغير ذلك ، ولا غرضنا الشعوب والأقاليم والدول ، ولا عدد النفوس وهذا القرن أو القرون السالفة أو الآتية ، فكلٌ يعرف ان كل قرن يعيش اهله فيه بقدر طول القرن وعمره ولعل تعداد كل قرن من النفوس يقدر باربعة مليارات نسمة ، وهذه الميارات الأربع تذهب بذهاب قرنها ، وهكذا يتجدد القرن

وتتجدد معه نفوسه ومليـاراته الأربـع ، وهذا شيء ثـابت لا جدل فيـه كل قرن يـذهب اهله معـه ، ويـأتي القـرن الثـاني فيتجـدد اهله ، وهكـذا ينتهي القـرن بـاهله وينتهون اهله بـه ، وهكذا تكـون تركيبـة المجمـوعـة البشـريـة من حيث الحيـاة ومن حيث الأقـاليم واللغـة والمـأوى والمـأكـل والمشـرب والقـوة والضعف والـظلم والاستبـداد والسيـطرة والنفـوذ ، فهم ينعـدمـون من الحيـاة بـزوال القـرن ، يموت قـرن ويحيى قرن وعـلى هذا المنـوال يزول كـل الكـائن الحي من الحيـاة لأنها دار فنـاء وبلاءوليست دار استقـرار وخلود ، وهـذا قـانـون الحيـاة وميزانها الخاص ، قانون ثابت ليس فيه خلل ولا عجـز فهو قـانون ربّـاني ، فلو كان قانون بشري وضعي قـد يحصل فيـه الخلاف والغلط، وهـذا يعطينـا اشارة ووضـوح ، فلو كان الانسـان ذو لب وشعور واحساس وفكر ورؤيـة لعـرف ربـه من هـذا القـانـون ، والميـزان ميـزان دقيق بحسـاب دقيق ، فـإذاً لا داعي ان يكـون الانسان وحش عـلى غيره وعـلى اخيه الانسـان لأنه لا بـدَّ له من الـزوال والخروج من عالم الحياة الى عالم الآخرة والنهاية .

لو سار هذا الانسان كـما يسير ضمن هـذا النظام الـدقيق الذي يسـير فيه نظام هذا الكون لعل الحيـاة والزمن والقـرن يرحمـه ولا يذهب ملعـون ممقوت ، بـل لعله يتجدد بتجـدد القرن ولا ينقـرض بانقـراضه ، لأنـه إذا عمل في العلم والخـير والاصلاح يـذكـر حتى اذا هـو ذهب في قـرنـه فيبقى مخلد الـذكـر أجـل هكذا .

التركيبة

تسير الحياة والممات ، كما ليس غرضنا الناس ومعادنهم ، فنحن إذا نظرنا الى معدن الانسان لوجدناه كمعدن الذهب والفضة ، والمعدن لا يتحول بطبيعته من نوع إلى آخر ، فالذهب ذهب لا ينقلب فضة ، والفضة فضة لا تنقلب الى حديد أو نحاس أو ذهب إلا ما شاء الله ﴿ **والبلدُ الطيبُ يخرجُ نباتُه باذنِ ربهِ والذي خبثَ لا يخرجُ الا نكدا** ﴾ ولكن نحن هنا لا ننكر ان للتربة والتربية أثراً ملموساً وكبيراً في سرعة محو المعدن أو بطئه . وفي نقائه وصفائه ، أو كدره ودرنه وهذا فقد يعرفه العارف بالتصفية ، وهنا ليست التربة وحدها كفيلة بجودة الانسان ولا التربية وحدها ضامنة لاعتدال ما تثقفه ، فالتربة والتربية معاً كفيلان بجودة المعدن أو رداءته ولولا نفاسة المعدن ما استطاع المنقي ان يجعل منه معدن خالص من معدن كان خليط ، فالفضيلة والنبل والكرم والأخلاق والشرف والغيرة والعز والسمو والرفعة والرقي والسخاء والكرم والشجاعة ، كل هذه الخصال تكون أصلها التربية والتربة والوراثة وطهارة المولد ، فالانسان يكون إنساناً بهذه العناصر ، فعنصر التربية والتربة والوراثة وطهارة المولد والحسب والنسب هي كفيلة بالانسان وصفاته وإذا تجرّد عنصر من هذه العناصر سقط هذا الانسان وسقطت جميع الخصال الحميدة معه وهو مخيّر اما ان يكون وحش وظالم ومستبد وقاتل وطايش وحاقد وخبيث كلها تكون فيه ، وأما إذا هو تجرّد من العناصر المذكورة او لم تكن فيه والانسان مهما تعددت اسماؤه فهو واحد عنصراً وجنساً وهيكلاً ولكن من حيث اللغة فهو عربي واعجمي ، وكل من العنصرين من حيث اللغة مع التفاوت القليل بينهما في العادات والتقاليد والنخوة وغيرها من الصفات

الحميدة كلها واحد ، فهنا صفات انسانية وهناك صفات انسانية إلاّ اللسان لأنه فيه فرق حيث لغة العربي غير لغة الأعجمي والقرآن ذكر هذه الصفة حيث قال ﴿ أعجميٌّ وعربيٌّ ﴾ وهذا ايضاً ما اشار اليه الرسول الأكرم (ص) قال : انني افصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش . هذا ايضاً ميزان اللغة فاذاً المجتمع البشري هو عربيٌّ واعجميٌّ حسبما جاء في كتاب الله والحديث الشريف .

وجاء في الميزان الشرعي كل من ولد في الاسلام فهو عربي ، وهنا اما من حيث المولد صار عربياً مسلماً ، أو الذي دخل في الاسلام صار عربياً والغرض من هذا الميزان انه يقوم بجميع العبادات باللغة العربية ، فالانكليزي وغيره من الأعاجم لا يستطيع إتيان العبادات إلا باللغة العربية امثال الصلاة والحج ، وغيرها ، فهو إذا لبى نداء ربه لا يلبّي بلغته الاعجمية ، بل بالعربية وكلمة لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك والتركي والهندي والفارسي وغيره من الذين لا يعرفون العربية وكل القوميات لا تستطيع ان تصلي الا في العربية، ولذا اشار الاسلام الى ان كل من ولد في الاسلام فهو عربي ، أما الذي هو كافر أو ملحدٌ ولم يدخل في الاسلام فلسنا بصدده الا انه باق في الأعجمية ، ولذا نرى العالم كله عبيد لله تعالى سواء دخل الاسلام أم لم يدخل في الاسلام ، أو دخل الايمان أو رفضه وسواء كفر بربه أو لا فهو عبدٌ رضا ام أبى ، لأنه مخلوق وكل مخلوق هو عبد لسيده الخالق فحياته وماته ونعمته وصحته ومرضه وكل شيء من خالقه ، وهو المالك وهذا الانسان قاصر مهما وصل الى درجة العلم والرقي ، وهو بحاجة لطلب الحاجات من صمد لا يحتاج الى احد وهو القادر والحاكم والمتسلط والقوي والجبار والعزيز والمصور والباسط والحليم والعالم والأزلي، والانسان الضعيف العاجز الصغير الفاني ، فنعم الرب ربنا ، وبئس العبيد نحن إلا الذين عرفوا الله من حيث لا يعصى ، فالانسان الطيب لا يخرج نباته الا طيب، والانسان الخبيث لا يخرج نباته الا نكداً .

فالطيب مكتملة فيه هذه العوامل ، عامل الوراثة وعامل التربية والتربة

وطهارة المولد والحسب والنسب، وغير الطيب النكد وهو رديء الحسب والنسب ومولده مطعون فيه وتربته خبيثة والتربية قبيحة، وهؤلاء اصحاب المولد الطاهر هم الذين وجدت فيهم الانسانية ، وهم المربون للانسانية وفخرها ورائحتهم طيبة عطرة وهم البشر الكاملون لا تلويث فيهم والانسان الكامل الذي لا شائبة فيه ومكمل للانسانية لا يكون إلا نبياً او رسولاً او صالحاً أو صادقاً أو اماماً معصوماً لأنه النقي الخالص من الرجس والدنس وهذا فعلاً قد عرف بهذه الأصناف من الناس لأنهم خدموا البشرية وخلدتهم تخليدا ابدياً وعظمتهم تعظيماً سرمدياً وشكرتهم واثنت عليهم، فهم عمروها وعمرت بهم . وأما الذين خبثوا ونكدوا قد خربوا الدنيا وعبثوا فيها واشاعوا الفساد والدمار بل خجلت الحياة منهم ولعنتهم ولعنت كل من سار عليها وسار بسيرتهم وسلك سبيلهم وسعى سعيهم فسعيهم غير ممدوح ولا مشكور، أما الامام أمير المؤمنين عليه السلام فقد حصّل جميع المكارم، فهو من هذا النمط لأن تربته خالصة نقية صافية والتربية حسنة وجميلة فتربيته تربية رسول الله (ص) الصافي النقي الذي اصطفاه ربه وأدّبه واحسن تأديبه . وحسبه ورثه من ابي طالب شيخ البطحاء وعبد المطلب شيبة الحمد صاحب الكلمة المشهورة التي قالها ولا زال التاريخ يخلدها ويعظمها حينما قال : « لهذا البيت رب يحميه » كلمة لم يجرؤ أحدٌ على مثل هذه الكلمة ولا يستطيع احد ان يقولها غير عبد المطلب ، لأنه يجد الثقة في نفسه ، والايمان الكامل ، والكلمة خرجت من قلب مؤمن مملوء ايماناً لذا تقبلها الله باحسن قبول ، لأنها حقيقة خالصة لوجه الله ، وأراد عبد المطلب ان يبرهن لعدو الله ابرهة بان الله صاحب هذا البيت وهو القوي القادر على حمايته وهو الآخذ بناصية كل مخلوق ، لذا طبقها الله وقبلها ، وانزل عذابه وهوانه باعداء الله ابرهة وجيشه حتى صعقتهم طيور الله بحجارة الله المسوّمة **﴿ الم تر كيف فعل ربك بأصحابِ الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليلٍ وأرسلَ عليهم طيراً أبابيلَ ترميهم بحجارةٍ من سجّيلٍ فجعلهم كعصفٍ مأكول ﴾** ما أعظمها من اجابة ، ما اعظمها من صرخة فم صادق مخلص صريح شريف نبيل طاهر المولد ، حسن التربية ، طيب التربة جاءت في وقتها برهن عليه ربه انت قلت هذا بصدق واخلاص ، انظر لامر ربك وجند ربك ونار ربك

كيف تقوم بقتل الأعداء فهذه الكلمة لو قالها من قالها كائناً من كان لم تتحقق اطلاقاً ، لكن عبد المطلب سليل هاشم ، وهاشم جد علي فخر الحسب والنسب الشجاع والكريم والسخي صاحب الرحلتين رحلة الشتاء والصيف ، فعلي طاهر المولد طهارة الأب والأجداد والجدات ، فهو اطهر انسان قد خدم الانسانية وحافظ عليها وكان يجب ان تخلد الانسانية وتطمئن الحياة ويطمئن كل من عاش فيها بهدوء وسكينةً وكلٌ يعرف حقه ومطلبه ، فهو عالجها خير علاج فخلدها وخلدته ، وعظمها وعظمته فبنىٰ صرحها ، وشيد معالمها وشيدت صرحه ومعالمه ، فكان خير مربٍ وخير راعٍ ، فالانسانيةُ والانسان بحاجة لمثل علي ، وعلي ذلك الرجل الذي حافظ عليها من وشي الطغاة والجبابرة رديؤا التربة والتربية ، وخسيسوا المولد والسمعة والشهرة ، وقبيحوا الحسب والوراثة الذين قتلوا الانسانية وجعلوها جحيماً لأغراضهم ومصالحهم واظهار سمعتهم واخفاء دنسهم ورجسهم ، كانوا اذلاء فظهروا عزّتهم بها، وكانوا عبيداً فظهروا حريتهم بها ، وكانوا صعاليك فظهروا سلطانهم ، وكانوا لئماء فظهروا سخائهم بها فعلي من الرعيل الأول الذين تشرفت بهم الحياة من الرسل والأنبياء والصالحين فكان خيرُ انسانٍ على سطح البريةوهو خير البرية بعد رسول الله ، ولذا صار سيداً للعرب والعجم والسيادة هذه عامة وشاملة ، فلا حاكم ولا محكوم ولا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا انثى ولا شفيع ولا وضيع ولا حر ولا عبد إلا وعلي بن ابي طالب سيده ، فساد العرب والعجم بخصاله الحميدة التي تولدت فيه وجدت عنده ولم تكن في غيره اطلاقاً ، فهو سيد العرب والعجم بالمولد والعلم والقضاء والعدل والفقه والزهد والحسب والنسب والزوجة والأبناء والشجاعة وغيرها ، وهذه الصفات لم تكن بغيره ابداً لكن كيف ولماذا ؟ .

قال في وصفها ووصفه لها

أصول المعاملات تقع على أربعة أوجه :

١ ـ معاملة الله سبحانه وتعالى وهي سبعة معاملات
٢ ـ معاملة الخلق . . وهي سبعة معاملات

٣ ـ معاملة النفس . . وهي سبعة معاملات

٤ ـ معاملة الدنيا . . وهي سبعة معاملات

اما أصول معاملة الخالق عز اسمه تعالى :

١ ـ اداء حقه . ٢ ـ حفظ حدّه . ٣ ـ شكر عطائه . ٤ ـ الرضا بقضائه . ٥ ـ الصبر على بلائه . ٦ ـ تعظيم حرمته . ٧ ـ الشوق اليه .

وأما معاملة النفس :

١ ـ الحق . ٢ ـ الجهد . ٣ ـ حمد الأذى . ٤ ـ الرياضة . ٥ ـ طلب الصدق . ٦ ـ الاخلاص منها . ٧ ـ اخراجها من محبوبها وربطها في الفقر

وأما معاملة الخلق :

١ ـ الحلم . ٢ ـ العفو . ٣ ـ التواضع . ٤ ـ السخاء . ٥ ـ الشفقة . ٦ ـ النصح . ٧ ـ العدل والإنصاف لكافة الناس وعدم الفرقة .

وأما معاملة الدنيا :

١ ـ الرضا بالدون . ٢ ـ الإيثار بالوجود . ٣ ـ ترك طلب المفقود . ٤ ـ بغض الكثرة . ٥ ـ اختيار الزهد . ٦ ـ معرفة آفاتها . ٧ ـ رفض شهواتها مع رفض الرياسة والمناصب وخصوصاً العبودية التي هي فصل من فصول السيادة له ، فلما كان عبداً لربّه حقاً وليس من عبدْ مثله أبداً ، فصار حراً عند ربّه ، والحر هو السيد على غيره ، لأن غيره لم يقدم العبودية لربّه أبداً ولا يملك الصفات التي وجدت وترعرعت بعلي . ولعل هناك من يدعي انه عبدٌ لله تعالى وهذا لا ينكر ، حيث كل مخلوقٍ هو عبد ولكن لم يطبق ولا يطبق من العبودية مادة واحدة ، لأن العبد له خصال وصفات ، والعبودية التي يريدها الله سبحانه وتعالى من عبده ليست هذه .

فالعبد الذي يرفعه الله هذا بقوله ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى** ﴾ هذا هو العبد .

والعبد الذي يقول كلمته الخالدة « لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً » هذا العبد وصفاته أي ان هذين العبدين قد عرفا الله حق معرفته وعظّماه خير تعظيم وسبّحاه أحسن تسبيح ومجّداه خير تمجيد وهللاه أكمل تهليل . . ونحن لو قلنا بالعبودية التي يريدها الله وقد أهملها الإنسان الآخر لا نعرفها ولا نقيمها ولا نقدر عليها ، فالمولى أراد العبودية من هذا الانسان وهو يحاسب عليها ويباهي بها بعض الناس ويصف عبوديته بعباده أمثال نوح وابراهيم وهود وصالح وموسى ويحيىٰ وجميع النبيين والرسل والصديقين والأبرار . وهذا يعني انه يحتاج الى شرح العبودية هل هي كما يقال الآن أنا عبد وكفىٰ أم هي هذه ؟

والعبد والعبودية وصفها أحد العباد من عباد الله الصادقين هو الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) هذا العبد بن العبد بن العبد الى سيده سيد الكائنات جدّه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم هؤلاء عباد الله الصادقون ـ بلا منازع لهم إطلاقاً وهم أسياد وأحرار بلا منازع إطلاقاً .

ثم قال العبد الصالح : إذا حصلت هذه الخصال في نفسٍ واحدة فهو من خاصة الله وعباده المقربين وأوليائه حقاً .

فقل لي بربك هل هذه الصفات توجد في إنسان أو هل في إنسان غير هؤلاء الصفوة ، وهل تحققت بإنسان اليوم أو بالأمس او غداً وهل هناك من يقدر عليها من هذا البشر ما خلا الصفوة المكرمة من عباده الصالحين في وصف العبودية ؟

الذي وصفها هو القادر عليها وعلى تطبيقها لأنه من سلالة اصطفاها الله وطهّرها وهم القادرون عليها وليس كل انسان ادعى العبودية قادر على هذه الصفات والخصال ، فهي ليست كلمة تقال بل فعل وعمل وتطبيق . إذاً هم خاصة الله وعباده وأولياؤه والمقربون له وليس غيرهم .

ثم قال : العبودية جوهر كنهها الربوبية . فما فقد من العبودية وجد في الربوبية وما فقد عن الربوبية أصيب في العبودية . ولذا جاء في الآية الكريمة

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ ولعل في الناس من لا يعرف العبودية وشرطها أصلاً من هم أهلها وأهل شرطها ومعرفتها .

ثم قال عليه السلام وهو حفيد المصطفى :

« العبودية ثلاثة حروف » « ع ب د »

فالعين علمه بالله تعالى ، والباء بونه عمن سواه ، والدال دنوه من الله بلا كيف ولا حجاب . وهذه صفاتهم وليست صفات غيرهم ، فهم العالمون بالله ، وهم لا يعرفون سوىٰ الله ، وهم المقربون اليه .

وقال جدّه أمير المؤمنين وسيد البلاغة والفصاحة ـ سيد العرب والعجم ـ

داؤك فيك وما تبصر ... وداؤك منك وما تشعر
وتزعم أنك جرمٌ صغير ... وفيك انطوىٰ العالم الاكبر
وأنت الكتاب المبين الذي ... باسطاره يظهر المضمر

* * *

لك الفُ معبودٍ مطاع أمرهُ ... دون الإله وتدعي التوحيد ؟

* * *

دُنياً إذا ما ضحكت في يومها ... أبكت غداً تعساً لها من دار
غاراتها لا تنقضي وأسرها ... لا يفتدى بعظائم الأخطار

* * *

الناس من جهة التمثال اكفاءُ ... أبوهم آدم والأمُ حواءُ
فإن يكن لهم في أصلهم شرفٌ ... يفاخرون به فالطين والماء
فالفخرُ إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاءُ
وقيمةُ المرء ما قد كان يحسنُهُ ... والجاهلون لأهل العلم أعداءُ

لذا نجد رسوم العبودية جاءت في الآية الكريمة ﴿ **وما خلقت الجنَّ والإنس إلا ليعبُدون** ﴾ فالانسان المطلوب منه القيام بوظائف العبودية خير قيام وأحسن قيام . لذا جاء في الآية الكريمة ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى** ﴾ ولم يقول في هذا المقام الذي اسرى برسوله علماً أنه أفضل الرسل وأكرم العباد على الله ، بل قال عبده حيث العبودية مفضلة على الرسالة لأنها الأصلُ ، والرسالة فرعية ، لأن وجه العبودية بين العبد وربه ، والرسالة بين الرسول والأمة أو الناس وهذا مما لا شك الشيء الذي بين المولى والعبد هو افضل الأشياء لأن المولى مولى والعبد عبد ، وفرق بين نسبة العبد وبين نسبة الرسالة والرسول والامة هي كلها عبيد لمولاها ، وهذه هي النسبة المقصودة بالذات ، واما الرسالة وما شابهها فهي نسبة كما قلنا عرضية لا ذاتية ، فالعبودية ذاتية في العبد وكل شيء غيرها عرضي ، لذا أنه عناه بنفسه اسرى بنبيه وهو الذي توجه به وبطلبه بذاتهِ سواء أكان في ذهابه أو ايابه وهذا كطلب الضيف العزيز الذي يستقبل من قبل مضيفه وهو مما يدل على تعظيم العبودية عند المعبود ، لذا يجب على المرء أن يحافظ عليها وأن لا يفرط فيها تجاه المغريات واللذّات والشهوات .

والعبودية لها صفات خاصة ، خاصةً عند العنصر والكائن الحي سواء أكان هذا العنصر عنصر الملائكة او عنصر البشر ، ويجب على الإنسان حملها حمل جميل ومعرفة شروطها العظيمة والجسيمة ، ومن شروطها : الشجاعة ، والجهاد ، والتضحية في سبيل الله ، والدفاع عنه ، وأن لا تأخذه لومة لائم في دين الله ، وان يفضل الله على نفسه وماله واهله وأولاده والحياة كلها ، وأن يقف بصمود وبسالة وبطولة تجاه الكفر والظلم والطغيان والإلحاد ، والذود والدفاع عن الشريعة المقدسة وعن موازينها وتكاملها وامرها وصلاحها وعظمتها ، لأن الجهاد يأتي بعد التوحيد بالله والإيمان بالله ، والجنة لا تنال إلا بالجهاد .

قال الأمام أمير المؤمنين علي عليه السلام : ألف قتلة بالسيف في سبيل الله خير لي من الموت على الفراش . لأن قلب الشجاع يخلد العقيدة والايمان

والعزة ويرويها بقوة الجيش ، وهذا مما يدل على بقاء الإسلام خالد الى يوم الدين ، لماذا ، لأن صاحب الرسالة المصطفى الأمجد قلبه قوي نشط أقوىٰ من في الدنيا . مملوء صبراً وحزماً وعزماً وهو أشجع إنسان على الكرة الأرضية بهذه القوة والصمود وصدقه بقاء هذا الدين ، وسيبقىٰ الدين الى الأبد ، وعليه تقوم الساعة وتنصب الموازين ليس على الأديان الأخر بل على دين الرسول ولم يبقىٰ هذا الدين بصوم وصلاة وحج هؤلاء المسلمين بل بقي برسول الله وأصحابه أهل العقيدة والايمان الراسخ ، وإنما المسلمون اليوم أصحاب عقيدة مرجرجة ، كلها زيف ومصالح ، أصحاب عقيدة هشة فالدين خلّده الرسول وعترته الكرام لأنهم تحملوا ثقله وعبئه ، والرجال الصادقون معه .

ومن بعده بقي بقوة قلب علي بن أبي طالب وقوة قلب الحسن والحسين الشهيدين ، الحسين الذين وصف هذه الحياة والموت هو العزة حيث يقول : لقتل امرىء في الله بالسيف أفضل من بقاء الحياة . لماذا لأن الأبدان لم تنشىء للحياة بل أنشئت للموت . .

وقال (ع) : إني لاأرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما . يعني ذلة .

وقال سبحانه وتعالى ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبُلنا** ﴾ .

وقال في آية ثانية : ﴿ **إن الله اشترىٰ من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتِلون في سبيل الله فيقتلونَ ويُقْتَلُونَ** ﴾ التوبة .

ومن خواصها وشروطها أي العبودية : الصدق والاخلاص والايمان واليقين والتقى والسخاء والعفة والسداد والايثار وطهارة المولد والكرم والحلم والعلم والسماحة والعدل والشرف والنبل والصلاح والعطاء والزهد والعبادة والاطاعة والانقياد والمساواة والورع وزكاة النفس والرضا بالقضاء والقدر والحكم والشهادة والكمال والبصيرة والمعرفة والتواضع والمسكنة والحب والاشتياق للقاء مع الله وتوطين النفس والصبر والتسليم والاقرار والعمل الزكي الصالح . وهذه الصفات قد تكون شبه كمالية وهذه ليست في الناس إلا انها في سيدنا

أبي القاسم والصفوة الطاهرة من الرسل والأنبياء وعند علي وأبنائه الكرام ، أبناء الزهراء البتول سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة كافة بلا شك ، ولا مقارن لها إلا اختها مريم وآسيا وأمها خديجة الكبرى ، أربعة سيدات نساء أهل الجنة « حديث شريف » .

على ان هؤلاء الرجال الذين أتصفوا بهذه الصفات هم في الحقيقة بشر ويملكون الروح الحيوانية والنباتية والشهوية والغضبية، وهم من العجم والعرب وكل ما يوجد في هذا الإنسان هو فيهم ، والفرق بينهم وبين الإنسان الآخر السالك سلوك الحياة الذي لا قدرة له على ترك المعصية والعمل بالطاعة والتسليم لأمره سبحانه . فمن منّا نال هذه الدرجة العظيمة والشرف الكبير ؟ ولذا أصبحوا قادة لهذا البشر ، وحملوا الرسالة والشريعة بقوة القدرة والإيمان والصدق ، وعملوا بأمره سبحانه ونهيه لأنهم توصلوا الى العبودية الحقيقية وتكاملت فيهم ، فهم رضوا بالله رباً ورضي بهم عبيداً رسلاً وانبياء وأئمة هداة ، ولقد صرّحهم الخالق بأكثر من آية ، ولعل لكل رسولٍ منهم سورة في كتاب الله تذكر ذلك الرسول أو النبي وقضيته وما حصل له مع قومه ، أو يذكره في عدة سور ، وعلى رغم ما يملكون من المعاجز وقدرة القوة والدعاء ،وإجابة الدعاء لهم من قبل المولى ، إلا انهم لم يحققوا ما حققه أبو القاسم من إيجاد مثل هذه الأمة .

واليوم تعيش أمة محمد بن عبد الله (ص) في المعمورة أكثر من مليار مسلم ، ويربون على ثلاثمائة مليون فوق المليار ، وكلها بجهوده . وليس لنوح هذا العدد ولا إبراهيم هذا العدد ، ولا موسى ولا لعيسى ، بل كان له (ص) هذا ، وقد فاق كافة الرسل والأنبياء بتكوين هذا الدين الحنيف ، أرساه بقوة الإرادة والصبر والعمل الدؤوب لماذا ، لأنه لم يدعو على أمته على رغم ما أصابه من بلاء وأذى بل كان صبوراً رحوماً شجاعاً قوي الجأش ، يجوع ويؤثر على نفسه غيره مع قوة القدرة معه والمعجزة ، وقادر بقوة الله ان يجمع شمل هذه الأمة بدعاء واحد وهو في مكة ، لكن أبى ذلك ، وصبر ونال بالجوع والحرب والبسالة والروية والفكر والعلم والعقل،كان سيداً عظيماً

كبيراً . سيداً للرسل والأنبياء ، سيد ولد آدم ، سيد العرب والعجم ، سيد الكائنات، سيد السماوات والأرضين وما فيهن وما تحتهن ، سيد ونبي ورسول على جميع الكائن الحي ، وعلى جميع الأجسام النامية والمطلقة والجوهر ، وعلى المياه والأفلاك ، على جميع الملائكة المقربين وغيرهم،كلهم داخل في رسالته وتحت نبوته .

وهذا السيد الكريم حبيب إله العالمين الذي تربى بحجر القدرة ، وأخذ العلم والتعلم من ربه ، حتى وصل به الأمر أنه ما كان ينطق إلا بوحي من الله ولا ينطق عن الوحي ﴿ إن هو إلاّ وحيٌ يوحىٰ ﴾ فلسانه الشريف قد تطهّر بكلامه مع الخالق وبرد الجواب على ربّه فالتّربة الربانية جعلته في عالم الملكوت الاعلىٰ اصطفاه ربه ، وأدبه أحسن تأديب . هذا التلميذ لربه زق علمه في علي ، وجعله باب مدينة علمه ، وسيد العرب والعجم من بعده ، حيث قال فيه : « يا علي أنت سيد العرب والعجم والشاك بذلك كافر » فهذا السيد الذي هو نفس الرسول لم يتولى هذه الدرجة العالية والشرف السامي الكبير شرف السيادة على كافة الناس إلا بعد دروس وعلوم وتربية في حجر رسول الإنسانية حتى إنه أصبح بعد رسول الله في الإطاعة والأمرة والولاية والصدق والشجاعة والإخلاص والمحافظة على الدين .

فكان أعلم الأمة ، وأصدق الأمة ، وأشرف الأمة ، وأنبل الأمة ، وأكرم وأشجع الأمة ، وأطيب الأمة وأفضل الأمة وأقدر وأفقه وأصبر الأمة ، وأقضاها ، وأحسنها ، وأزكاها ، وأنماها ، وأشهرها حسباً ونسباً وزوجة وديناً وأبناءاً وسلالة ، فهو سليل هاشم وعبد المطلب وعبد مناف وقصي وعدنان ويعرب وإسماعيل ، سليل إبراهيم خليل الرحمٰن ، نال هذه الدرجات بالعمل الصالح ومحاربة النفس والهوىٰ والدنيا . والشيطان ، والدفاع عن الأمة صغيرها وكبيرها ، كان يشارك الأمة بمكاره الدهر ونوائبه .

فسلام على أبي الحسن زوج البتول ، وربيب الرسول الأكرم ، الذي تزوج بالسيدة الطاهرة بضعة رسول الله ، التي ليس لها كفؤ في الناس عامة

من الأولين والآخرين ، فلا نبي ولا رسول ، ولا وصي ولا صديق ولا ولي كفؤ لفاطمة أبداً إلا علي بن أبي طالب هو الكفؤ للتي لا كفؤ لها ، ومن هنا نال شرف السيادة على العرب كافة ، أبت أم رضت وسيد على العجم أبوا أم رضوا ، فكل إنسان اليوم يعيش على هذه الأرض او عاش بالأمس أو يعيش غداً فعلي ـ سيده ، وسيد الدنيا كلها بكتاب الله وسنة رسوله الكريم وفي العقل ، وإليك النص الرباني بسيادة علي على الناس .

الفصل الأول

علي سيد العرب والعجم بنص القرآن

جاء كتاب الله العزيز بعظمته نزل معجزة لرسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم . والكتاب هو المعجزة الخالدة ، وهو الكتاب الشامل العام ، كتاب ذكر الله فيه أحداث الأولين ، ويذكر الدهور كلها والعصور ، ومنه نصر محمداً نصراً مؤزراً وعزّزه بين الأمم .

هذا الكتاب ذكر علي بن أبي طالب في عدة آيات ليعرِّف الأمة فضل علي وعظمته سواء سلّمت هذه الأمة أم لم تسلم ، فهو في كتاب الله :

١ ـ نزلت فيهم آية التطهير في قوله تعالى ﴿ **إنما يُريدُ الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ الأحزاب ٣٣ .

٢ ـ ونزلت فيهم آية الرحمة والبركة في قوله تعالى ﴿ **رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد** ﴾ هود ٧٣ .

٣ ـ وفيهم نزلت آية المباهلة في قوله تعالى ﴿ **فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وانفسكم** ﴾ال عمران٦١ .

٤ ـ وفيهم نزلت آية الإطعام في قوله تعالى ﴿**ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءاً ولا شكوراً** ﴾ الدهر ٨ ـ ٩ .

٥ ـ وفيهم نزلت آية المودّة في قوله تعالى ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القُربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حُسناً** ﴾ الشورى ٢٣ .

٦ ـ وفيهم نزلت آية النور في قوله تعالى ﴿ **الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح** ﴾ النور ٣٥ .

٧ ـ وفيهم نزلت آية الهداية في قوله تعالى ﴿ **واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى** ﴾ طه ٨٢ .

٨ ـ وفيهم نزلت آية الولاية في قوله تعالى ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون** ﴾ المائدة ٥٨ .

٩ ـ وفيهم نزلت آية الإطاعة في قوله تعالى ﴿ **يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾النساء ٥٨ .

١٠ ـ وفيهم نزلت آية النعمة في قوله تعالى ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا** ﴾ المائدة ٤ .

١١ ـ وفيهم نزلت آية الميثاق في قوله تعالى ﴿ **واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا** ﴾ المائدة ٨ . وهذه الآية يشير بها الى قصة الغدير في حجة الوداع .

١٢ ـ وفيهم نزلت آية السلام ، جاء في قوله تعالى ﴿ **سلامٌ على ال ياسين إنّا كذلك نجزي المُحسنين** ﴾ الصافات ١٣٠ .

١٣ ـ وفيهم نزلت آية الإمام في قوله تعالى ﴿ **وكلّ شيءٍ أحصيناهُ في إمامٍ مُبينٌ** ﴾ ياسين ١٢ .

١٤ ـ وفيهم نزلت آية الهدى في قوله تعالى ﴿ **إنما أنت منذر ولكل قومٍ هادٍ** ﴾ .

١٥ ـ وفيه نزلت آية الخمس في قوله تعالى ﴿ **واعلموا إنما غنمتم من شيءٍ فإن لله خُمسهُ وللرسول ولذي القُربى . . .** ﴾ الانفال ٤١ .

١٦ ـ وفيه نزلت آية النور ﴿ **فآمنوا بالله ورسُولهِ والنُورِ الذي أنزلنا والله بما تعملونَ خبيرٌ** ﴾ التغابن .

١٧ ـ وفيه نزلت آية المُؤمنين في قوله تعالى ﴿ **فإن الله هو مولاهُ وجبرئيلُ وصالح المؤمنين** ﴾ التحريم ٣ .

١٨ ـ وفيه نزلت آية البيوت في قوله تعالى ﴿ **في بيُوتٍ أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه . . .** ﴾ النور .

١٩ ـ وجاء فيه آية الشكر في قوله تعالى ﴿ **إن هذا كان لكم جزاءاً وكان سعيكم مشكوراً** ﴾ هذه الآية في سورة الدهر ولم يشكر الله قبله ولا بعده ، بل هناك من هو زجره إلاّ علي بن أبي طالب قد شكره الباري بهذه الآية الكريمة .

٢٠ ـ وفيهم نزلت آية الصادقون في قوله تعالى ﴿ **رجالٌ لا تُلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله وإقام الصلاة وايتاءِ الزكاة ، ويخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار** ﴾ سورة النور ٣٧ .

٢١ ـ وفيهم نزلت آية الصدق والصادقون في قوله تعالى ﴿ **من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه . . .** ﴾ .

٢٢ ـ وجاء في حقهم آية النذر في سورة الدهر .

٢٣ ـ وجاء فيه آية التبليغ في قوله تعالى ﴿ **يا ايها الرسوُلُ بَلّغ ما أُنزلَ اليكَ من رَبِك وان لم تفعل فما بَلّغت رسالتهُ واللهُ يَعصِمُكَ من الناس . . .** ﴾ سورة المائدة ٦٦ .وهذه الآية في الحقيقة إنذار الى الرسول بعدم التبليغ وهي تخص البيعة يوم الغدير والولاية والحكم، وهذه الآية من أعظم الآيات تنص على خلافته ، تلك الخلافة التي سرقت ، وهي بنص الكتاب والسنة وبعد البيعة والقيام بها وقد شهدوا على أنفسهم بإمرة البيعة والخلافة وكان منهم عمر وأبي بكر وغيرهم من الذين بايعوا الامام بإذن الرسول وبما أمره الله سبحانه وتعالى . .

٢٤ ـ وفيه نزلت آية المصاهرة في قوله تعالى ﴿ **وهو الذي خلق من الماءِ بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربُك قديراً** ﴾ الفرقان ٥٣ .

٢٥ ـ وفيهم نزلت آية عباد الرحمن في قوله تعالى ﴿ **وعبادُ الرحمنِ الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطَبَهُم الجاهلون قالوا سلاماً** ﴾ الفرقان ٦٢ .

٢٦ ـ وفيهم نزلت الآية في قوله تعالى ﴿ **والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً** ﴾ الفرقان ٦٣ .

٢٧ ـ وفيهم نزلت آية الإيثار في سورة الحشر ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصةٌ** ﴾ .

٢٨ ـ وفيهم نزلت آية النعمة في قوله تعالى ﴿ **يَعرِفُون نعمةَ اللهِ ثم ينكرونها واكثرهُمُ الكافرون** ﴾ سورة النحل آية ٨٢ .

٢٩ ـ وفيه نزلت آية الشهادة في قوله تعالى ﴿ **ويقُولُ الذين كفروا لستَ مُرسلاً ، قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عندهُ علم الكتاب** ﴾ آية جلية ومعروفة وواضحة قد شهد الله سبحانه في تثبيت رسالة رسوله وطلب معه شاهداً آخر وهو علي بن أبي طالب الذي عنده علم الكتاب كله .

٣٠ ـ وفيه نزلت آية المبيت على الفراش وهذه آية جلية وواضحة ليس فيها ريب ولا شك ، فهو الذي بات على فراش رسول الله (ص) يوم خروجه من مكة المكرمة الى المدينة المنورة وقد وقاه الإمام بنفسه .

٣١ ـ وفيه نزلت آية خير البرية في سورة البينة في قوله تعالى ﴿ **إنَّ الذين آمنُوا وعمِلوا الصالحات أولئك هُم خيرُ البرية** ﴾ .

٣٢ ـ وفيه نزلت آية النبأ العظيم في قوله تعالى ﴿ **عَمَّ يتساءلون عَنِ النبأ العظيم** ﴾ وهو النبأ الكبير والعظيم ، وهو الذي قرأ سورة براءة على المشركين لأنه نفس رسول الله ولا فرق بين الرسول وبينه من حيث نفسه ويقوم مقامه بالذي يكلفه الله به .

٣٣ ـ وفيه نزلت سورة كاملة يوم حرب وادي السلاسل ، سورة ﴿ **والعاديات ضبحاً والموريات قدحاً** ﴾ الى آخر السورة وقد صلى بها رسول الله (ص) في بشارة جبرئيل له في اليوم الذي أوثق فيه علي عمر بن معدي كرب الزبيدي .

٣٤ ـ وفيه نزلت آية الراسخون في قوله تعالى ﴿ **لا يعلم تأويله إلاّ الله ورسوله والراسخون في العلم** ﴾ .

٣٥ ـ وفيه نزلت آية علم الكتاب في قوله تعالى ﴿ **ومن عنده علم الكتاب** ﴾ .

٣٦ ـ وفيهم نزلت آية كنتم خير امة في قوله تعالى ﴿ **كنتُمْ خيرَ أمةٍ أُخرجت للناس تأمرُون بالمعرُوف وتنهونَ عَنِ المُنكرِ وتُومِنُون بالله** ﴾ آل عمران ١٠٩ .

٣٧ ـ وفيهم نزلت آية وآعتصموا ، جاء في قوله تعالى ﴿**واعتَصِمُوا بِحَبلِ اللهِ جميعاً ولا تُفَرَقُوا وآذكروا نعمة الله عليكُم** ﴾ الىٰ آخر الاية من آل عمران ١٠٤ .

٣٨ ـ وفيهم نزلت الآية في قوله تعالى ﴿ **بحبل من الله وحبل من الناس** ﴾ .

٣٩ ـ وفيهم نزلت آية الإقرار ، جاء في قوله تعالى ﴿ **ولتنصرنّهُ قَالَ أأقررتُم وأخذتُم على ذلكُم إصري قالوُا أقررنا . . .** ﴾ سورة آل عمران ٨١ .

٤٠ ـ وفيهم نزلت آية إن أولىٰ الناس ، جاء في قوله تعالى ﴿ **إنَّ أولىٰ النَّاس بإبراهيم لَلَّذين اتبعُوهُ ، وهذا النّبي ، والذين آمنوا والله ولي المُؤمنين** ﴾ سورة آل عمران ٦٧ .

٤١ ـ وفيه نزلت آية الإمامة في قوله تعالى ﴿ **إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين** ﴾ .

٤٢ ـ وفيهم نزلت الآية في قوله تعالى ﴿ **إنَّ الله أصطفى آدم ونُوحاً وآلَ إبراهيم وآل عمران على العالمين ذُريةً بعضُها من بعض والله سميع عليم** ﴾ آل عمران ٢٢ .

٤٣ ـ وفيهم نزلت الآية في قوله تعالى ﴿ **محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء . . .** ﴾ سورة الفتح .

٤٤ ـ وآية نزلت بحقه في سورة آل عمران في قوله تعالى ﴿ **الذيّنَ يُنفقون في السرّاء والضَرَّاء والكاظمين الغيظ والعافينَ عن الناس والله يُحبُ المُحسنين . . .** ﴾ آل عمران ١٣٤ .

٤٥ ـ وفيه نزلت الآية في قوله تعالى ﴿ **وكأيّن من نبي قاتل معَه ربيّون كثيرٌ ، فما وهنوا لِما أصابَهمُ في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يُحبُ الصابرين** ﴾ آل عمران ١٤٦ .

٤٦ ـ وجاء فيه آية الخيرة في قوله تعالى ﴿ **وربُّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة . . .** ﴾

٤٧ ـ وفيه نزلت آيات عديدة في الرجعة ، وآية دابة الأرض التي يخرجها الله بقدرته لكي يعلم الناس كافرهم من مؤمنهم .

٤٨ ـ وفيه وفيهم نزلت عدة آيات في سورة الدهر ومنها ﴿ **يشربون من كأسٍ كان مزاجها كافورا** ﴾ .

٤٩ ـ وفيه نزلت آية الحكمة ، وآية التصديق .

٥٠ ـ وفيه وفيهم نزلت الآية ﴿ **إن الله اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة** ﴾ .

لقد نزلت في علي اكثر من ثلاثمائة آية وكل آية يتقدمها ﴿ **يا أيها الذين آمنُوا** ﴾ ونحن نكتفي بهذه الآيات التي قدمناها ونأخذ من هذه الآيات المذكورة التي ذكرها كتاب الله العزيز ، هذه الآيات التي تثبت سيادته وأنه سيد كما ان أخاه محمد بن عبد الله سيد فهو أيضاً السيد والمشارك في السيادة مع محمد بن عبد الله (ص) ، وإنهما السادة لهذه الأمة ولكافة الناس كافرهم ومسلمهم عربيهم وأعجميهم ، وليس هناك شك في سيادة علي بن أبي طالب في نص الكتاب ، اللّهُمّ إلاّ الذين ضربت الذلة والمسكنة علىٰ قلوبهم وأصبحوا عبيد لبني أمية وغيرهم ، فهؤلاء لسنا معهم ، وليس لنا أن نناقشهم ، لأن هؤلاء قد باعوا أنفسهم وذريّاتهم ، عبيد لمعاوية وأتباعه من بني أمية ، ولا

يمكن أن تتفتح عيونهم وقلوبهم ، فالعيون قد عميت والقلوب أصبحت أكنة والذي يعمىٰ قلبه لا فائدة منه ، ولا يصلح ويبقىٰ على ظلالته ، ولم يقبله الهدىٰ ، وهذا ليس له إلا النار مع أسياده من بني أمية وآل مروان وآل العباس ، فأخذتهم العزة بالاثم ، قلوب عشعش فيها الشيطان وتركهم صمّ بكم عميٌ فهم لا يعقلون .

ونذكر الآيات الواضحة والجلية التي لا غبار عليها مثل آية المباهلة ، وآية المبيت على الفراش ، وآية الإطاعة وآية الولاية ، وآية القُربى ، وآية التطهير ، وآية الإطعام ، وآية الشكر ، وآية السلام وغيرها من الآيات .

١ ـ جاء في الآية الكريمة التاريخية والتي لها مقام هام وقدر كبير في الإسلام وحدث عظيم وهي قوله تعالىٰ ﴿ **فَمَنْ حَاجَّكَ فيه مِنْ بَعدِ مَا جَاءك منَ العِلمِ فقل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكُمْ ونساءنا ونساءكم وأنفُسنَا وأنفُسكُمْ ثُم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** ﴾ [1] الآية الكريمة لها حدثها الأكبر فقد ذكر المؤرخون والمفسرون : لما قَدِم وفد نصارى نجران على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقدم ثلاثة من كبارهم وهم : العاقب ومحسن والأسقف ، وجلسوا بين يدي رسول الله (ص) .

فقال الأسقف : يا أبا القاسم موسى من أبوه ؟

فقال النبي (ص) : عمران .

قال الأسقف : فداك أبي وأمي فيوسف من أبوه ؟

قال النبي (ص) يعقوب .

وقال الأسقف : فأنت من أبوك ؟

فقال النبي (ص) : عبد الله بن عبد المطلب .

وقال الأسقف يا أبا القاسم فعيسىٰ من أبوه ؟

---

(١) آل عمران (٦١)

فنزل جبرئيل على رسول الله (ص) قائلاً : هو روح الله وكلمته .

فقال الأسقف : يكون روح بلا جسد ؟

فأوحىٰ الله الى نبيّه بقوله عز وجل الاية الكريمة المذكورة .

فوثب الأسقف وثبة إعظام لعيسىٰ وأنكر من أن يقال أنه من تراب ، وقال : ما نجد هذا يا محمد في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ـ ولا نجد هذا إلا عندك .

فهم لا يقنعون بالآية ﴿ **إن مثل عيسىٰ عند الله كمثل آدم خَلقَهُ من تُراب ثم قال له كُن فيكون** ﴾ . ثم نزلت الآية وهي المباهلة .

فقال الأسقف أنصفتنا يا أبا القاسم فمتى موعدك ؟

فقال النبي (ص) بالغداة إنشاء الله . فلما صلى رسول الله (ص) صلاة الصبح أخذ بيد علي عليه السلام فجعله بين يديه ، وأخذ فاطمة عليها السلام فجعلها خلف ظهره . وأخذ الحسن والحسين عليهما السلام عن يمينه وشماله ، ثم برك لهم باركاً بأبي وأمي تلك البركة الغضبية في سبيل الحق وليتها بقت لذهاب النصارىٰ من الحياة ولم يبقى منهم أحد حتى يجذر الفساد . . وحتى . . .

نَعم فلما رأىٰ النصارى أن النبي (ص) قد فعل ذلك خافوا وفزعوا وندموا وقال كبيرهم لهم : والله إني أرىٰ وجوهاً لو أقسمت على الله على الجبال لأزالها لهم .

وقال الآخر : والله إنه لنبي ولئن باهلنا ليستجيب الله له علينا فيهلكنا ولا ينجينا شيء منه إلا أن نستقيله[1]

فأقبلوا حتى جلسوا بين يديه وقالوا : أقلنا يا أبا القاسم .

فقال (ص) : نعم قد أقلتكم أما والذي بعثني بالحق لو باهلتكم ما ترك الله علىٰ ظهر الأرض نصرانياً إلا أهلكه . ما أوسع قلبك وما أرحمه يا

(١) أي نطلب الاقالة والاعفاء .

عظيم القلب ويا واسع الرحمة ، أيها الشافع الشفيق ، يا سيدي يا ابا الزهراء ليتك قضيت على هؤلاء بالدعاء لتصبح الأرض قليلة الإلحاد والفساد لبقت اليهود وبني أمية وآل مروان من يهود الأمة ، وخلصتنا من النصارى ولكن قلبك الرحوم ، شرفك العظيم ، حبك الطاهر الطيب ، مولدك النقي الزكي ما سمح لك إبادة هؤلاء ، وليتك تنظر اليوم الى النصارى الذين جعلوا الرجل الطيب ، والرسول التقي الذي جعله من أولي العزم والبريء عما يقولون ، جعلوه رب ابن رب وهو الذي قال : ﴿ **إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً** ﴾ .

نعم لنا لقاء مع رجال بنو أمية الذين أكلوا هذه الآية وكلما أرادوا ازدراءها وبلعها تخرج من حناجرهم المنافقة الى حيز الوجود والتاريخ بدونها ، وكلما أرادوا أن يخفوها شعّ نورها وأصبحت جليّة لتراها العيون حتى عيونهم وقلوبهم التي أعماها الله وجعل مصيرها النار ﴿ **وَمَنْ كَانَ في هذه أَعْمَىٰ فَهُوَ في الاخِرَة أعمىَ وأضَلُّ سبيلاً** ﴾ الآية العظيمة في سورة آل عمران إسمها آية المباهلة وتعني المحاججة ، وهذه لإثبات الرسالة أمام حشود النصارى الذين جاءوا ليجعلوا النبي بأنه بشر ، وعيسى الرب أو إبن الرب ، فإذاً دينك ليس بصحيح وعليك ان تدخل بدين الرب أو إبن الرب ودينه خير من دينك ، وأنت لست مرسلاً ولست رسول كما تقول . هذه حجة النصارى ولكن الخالق بيّن لهؤلاء ان عيسى وغيره هم تحت قدرة الله وقوته ، فهو القادر وصاحب المشيئة بقدرته وإشاءته وحكمته يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد بعزته .

نعم ان عيسى سبق مثله من لم يكن له أب ولا أم وعيسى له أم ، وهو من قدرة الله وقوته ، والنصارى علمت وأسقط ما في أيديها من حجة واهية .

أقول لما نزل أمره سبحانه بأن يحضر لمباهلتهم في إثبات الحجة عليهم أبناءه ونساءه ونفسه يعني ثمة من أهل الإيمان وأهل الإسلام وهم بقية الله في أرضه هؤلاء بإذن من أخرجهم ؟ بإذنه أم بإذن الله ؟ ولماذا لم يخرج من المسلمين الذين معه وقد دخلوا في الإسلام ، وهناك من الصحابة من لديه

أبناء وأزواج ؟ وهو ايضاً صلوات الله عليه عنده أزواج ، لماذا ؟

لماذا لم يخرج معه أبا بكر وأبناءه ، أو عمر وأبناءه وأزواجهما ، ولماذا لم يخرج معه عثمان وأبناءه وأزواجه ، او معاوية ، أو مروان ، أو أبي عبيد ، أو سعد بن أبي وقاص ، أو خالد بن الوليد ، او المغيرة ، او أنس الذي هو خادمه ، أو أبي هريرة ، أو إبن العاص ؟ أليس كل هؤلاء من الصحابة ، ولهم السبق في الإسلام ، لماذا تخلف عنهم ولم يخرج صاحب الغار ، او الفاروق او ذو النورين أو سيف الله ؟ لماذا بربك قل أنا لا أعلم أرجو الإجابة على هذا السؤال والإستفسار ، ولكن أقول لماذا ونحن إما أن نقول ليس هناك آية في القرآن كهذه يعني أن ننفي هذه الآية ، وإذا أردنا أن ننفيها فهي تكذبنا لانها آية واضحة وجلية وسهلة حتى ليس فيها غموض ﴿**إنَّ مثلَ عيسىٰ عند الله كَمَثَلِ آدَم خلقه من تُراب ثم قال له كن فيكون**﴾ ونحن عرب واضح المثل ، والخلقة والتراب وليس عندنا غير هذا ، وكلنا يعلم أنه سبحانه وتعالى صاحب القدرة والكون ، وأمره بين الكاف والنون ، والقضية محاججة ، فالآية تقول أنا موجودة وواضحة ، فلا غموض فيها أبداً والقضية مشهورة ، فلماذا هذا الاخفاء ، وهذه الجرأة على الله وعلىٰ نبيّه لماذا أليس الصحابة فيهم من هو كفؤ لذلك ؟ لماذا خرج بعلي وفاطمة والحسن والحسين ؟ ولماذا لم يخرج بحفصة وعائشة وأم سلمة وزينب بنت جحش لماذا ؟ أليس عنده زوجات ؟

آية المباهلة لإثبات الرسالة، هنا موقف حرج جبار كبير ، موقف امتحان وابتلاء ، موقف شديد ، إما وإما، إما عيسى هو ابن الله ، او هو الله- نعوذ بالله ـ وعليه ان يدخل دين النصارى ، وهو ليس برسولٍ ، وإما هو رسول ويثبت رسالته بأي واسطة في العقل، والمحاججة لم تنجح مع النصارى صدرت الأوامر الالهية ووقفت القدرة .

وجاء الدعم الإلهي الذي أراد هذا الرسول ـ وهو الذي جاء به بعد فترة من الزمن وبعد الرسل ـ جاء أمر القدرة لتجعل هذا السيد الحاكم الزعيمَ الى جميع بني البشر ، والرسول على هذه الدنيا ، أمرته أن يحضر ويحضر معه

جميع القوة الربانية الخارقة ، بأن يخرج هو لأنه خاتم جميع الأنبياء والرسل وهو سيدهم وأفضلهم وأشرفهم بلا منازع ، فهو له الصدارة في السيادة في الحياة الدنيا . وفي الآخرة قائدهم وإمامهم ونبيهم .

ثم ليخرج معه سيد الوصيين وقائد الغر المحجلين ، سيد العرب والعجم ، والسيد بعده على هذه الدنيا ، ومن فيها وعلى أهل الآخرة وصاحب لوائه ، وساقي حوضه ، وأبو عترته ، والذي منه ذريته ونسله ، والباني لدينه ، والقابض عليه ، وصاحب العقيدة الصلدة .

وأمره ليخرج معه سيدة نساء الدنيا ، سيدة نساء العالمين ، سيدة نساء أهل الجنة ، بضعته وروحه التي بين جنبيه ، بل رأسه من جسده ، فاطمة البتول ، الزهراء الطاهرة المطهرة التي جعلها الله أمة له ، وليس لأمته كفؤ إلا علي .

ثم أصدر أمره لنبيِّه ليخرج معه السيدين الكبيرين الجليلين النورين المصباحين الشهيدين ، المحافظين على الإسلام ضد الكفر والشرك والإلحاد ، سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما سلام الله ، ريحانتيه من الدنيا ، الإمامان قاما أم قعدا ، سبطاه وحفيداه اللذين جعل الله ذريته منهما .

فأخرجهم لأنهم أسياد وليس في الدنيا سيد يعادلهم ولا يساويهم وأخرجهم لأنهم بقية الله في أرضه وهم خزّان علمه وحكمته وأمناء وحيه ومعادن أمة نبيّه وهم الذين جعلوا الناس تسجد على التراب تعظيماً وإطاعة وإجابةً لله رب العالمين ، وأخرجهم لأنهم أطهار ولم يعصوا الله طرفة عين فلا شك دعاؤهم مجاب عند الابتهال والتأمين على دعاء رسول الله فهم واحد يكمل الثاني ، حيث الدين دينهم والرسالة رسالتهم والأمانة أمانتهم ، فلا شك أنهم يحافظون عليها ويقدمون أنفسهم دونها لأنها الشعاع والمصباح المضيء لهذه الأرض فلا دنس ولا رجس ولا غضب يعرفون ، لذا أمره الله بخروجهم مع نبيه ورسوله ، أمره أن يخرجوا معه لأنهم عباد الله الذين يمشون على الأرض هوناً ، وهم إذا خاطبهم الجاهلون يقولون لهم سلاماً . أمره أن

يخرجهم لأنهم الزهّاد العبّاد الذين يُؤثرون على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصةٌ .

وبقوله تعالى ﴿ نساءنا ﴾ عبّر عنها بلفظ الجمع فليس هناك نساء غيرها سيدة ، فلما كانت هي السيدة على النساء اكتفى الخالق بهذه السيدة أن تكون للخروج عوضاً عن الباقيات ، لأنها أمهن وعظيمتهن وشريفتهن ونبراسهن وأتقاهن وأنبههن وأقبلهن عند الله .

وبقوله ﴿ أنفسنا ﴾ علي بن أبي طالب ، وهذا التشبيه والتمثيل في المنزلة وعلو القدر وإثبات الحق على المخالفين بالحجة في نفس رسول الله (ص) ، ولا يصلح أن يكون المراد بقوله ﴿ وأنفسنا ﴾ نفسه الخاصة ، وإنما يدعو غيره الى نفسه والكناية واضحة وهو نفس رسول الله (ص) ، ولقد عبّر النبي مرات ومرات أنه نفسه وقضية الطائف واضحة لما قال بعد ما طلب القوم أن يخرج عنهم يقدم وفدهم فيشترط لهم ويشترطون لأنفسهم فسار عليه السلام حتىٰ نزل مكة فقدم عليه نفر منهم باسلام قومهم ولم يذعنوا له بالصلاة ولا بالزكاة فقال (ص) : إنه لا خير في دين لا يكون فيه ركوع ولا سجود ، أما والذي نفسي بيده ليقيمن الصلاة وليؤتن الزكاة أولأبعثنَّ إليهم رجلاً هو مني كنفسي ، فليضربنّ أعناق مقاتليهم وليسبينّ ذراريهم ، هُوَ هذا ، هُوَ هذا . ثم أخذ بيد علي عليه السلام فرفعها ثم صار القوم الى اهلهم بالطائف فأخبروهم بما قال رسول الله (ص) فأقروا بالصلاة والزكاة وبما شرط عليهم .

فقال (ص) ما استعصىٰ عليَّ أهل ملّة ولا أمة إلا رميتهم بسهم الله .

قالوا : يا رسول الله وما سهم الله ؟

قال : علي بن أبي طالب .

وقعة معروفة فلا نقاش فيها ، فهو نفسه وكيانه ، وهو صاحب سورة براءة . وقوله أنا سيد البشر ، أنا سيد ولد آدَمَ ولا فخر وأمير المؤمنين يليه في رتبة الفضل وهو بعده في المنزلة . أفضل الخلق وليس يلام على ما ثبت من أنه نفس رسول الله ، فهذا الإستدلال من القُرآن بهذه الآية الكريمة أليس هو

صاحب المباهلة وأحد أصحابها ؟ لماذا عميت الأعين منه وعنه ؟ إنها الجاهلية الحاقدة على هذا الزعيم والسيد الكبير سيد العجم وسيد العرب ، أشرف العرب والعجم ، وهو قائدهم وزعيمهم أبوا أم رضوا .

ومنها سيادته في كتاب الله آية التطهير ، وهذه شهادة كبرى من الله انه مطهره ومزكيه ولم يطهر غيره من الصحابة قط ، والتطهير يدل على العصمة من جميع الاخطاء والرجس والدنس والفحشاء والمنكر وغيره ، ولا يطّهر الله سبحانه أحد ما لم يكن أعلم واعظم وأقدر على كل شيء ، ولا يطهره ما لم يكن هو سيد على غيره .

جاء في قوله تعالى ﴿ إنما يُريدُ اللهُ ليُذهِبَ عَنْكُمُ الرِجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا ﴾ فقد فكر المؤرخون والمفسرون أن رسول الله (ص) جمع أهل بيته وهم علي وفاطمة والحسن والحسين فقط تحت الكساء ، فقال :

اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وخاصتي وحامتي ، لحمهم لحمي ودمهم دمي ، يؤلمني ما يؤلمهم ، أنا حرب لمن حاربهم ، وسلم لمن سالمهم ، ووليٌ لمن والاهم ، وعدوٌ لمن عاداهم ، فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرانك عليّ وعليهم ، وأذهب عنهم الرجسَ وطهرهم تطهيراً .

فأوحى الله تعالى الى الملائكة : يا ملائكتي وسكان سماواتي إني ما خلقت سماءاً مبنيّة ، ولا أرضاً مدحية ، ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ، ولا فلكاً يدور ، ولا بحراً يجري ، ولا فُلكاً تسري إلا في محبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء .

فقال جبرائيل : يا رب ومن تحت الكساء .

قال الله عز وجل هم أهل بيت النبوة ، وموضع الرسالة ، هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها صلوات الله عليهم أجمعين .

فقال جبرئيل : يا رب أتأذن لي أن أهبط الى الأرض لأكون لهم سادساً ؟

قال : نعم .

فهبط جبرئيل الىٰ الأرض وقال : السلام عليك يا رسول الله (ص) ، السلام عليك يا من اختاره الله عز وجل ، العليّ الأعلى يُقرِؤُكَ السلام ويخصُّك بالتحية والاكرام ويقول لك وعزّتي وجلالي إني ما خلقتُ سماءاً مبنية ولا أرضاً مدحيّة ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فلكاً يدور ولا بحراً يجري ولا فلكاً يسري إلا لأجلكم ومحبتكم ، وقد أذن لي أن أدخل معكم ، فهل تأذن لي يا رسول الله ؟

فقال رسول الله (ص) : وعليك السلام يا أمين وحي الله نعم قد أذنتُ لك .

فدخل جبرائيل معنا تحت الكساء فقال لأبي قد أوحىٰ اليكم وهو يقول : ﴿**إنما يُريدُ اللهُ ليذهِبَ عنكم الرجس أهل البيت ويطَهركُمْ تطهيراً**﴾ وهكذا أكد الله سبحانه في هذه الآية طهارة أهل البيت من كل رجس وعصمتهم من كل ذنب .

قال ابن العربي في كتابه (الفتوحات المكية) في صفحة ١٩٦ : ان الله سبحانه طهَّر نبيه واهل بيته بدليل قوله تعالى ﴿ **إنما يريدُ اللهُ ليُذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ والرجس في اللغة القَذِر ولا شيء أقذر من الذنوب ، وعليه فلا يضاف لأهل البيت إلا مطهَّر مقدس ، بل هم عين الطهارة .

وورد : لا يبقى في النار موحد ممن بعُث اليه رسول الله (ص) لأن النار ترجع على الموحدّين برداً وسلاماً ببركة أهل البيت في الآخرة . فما أعظم بركة أهل البيت .

أقول : لا يخفىٰ أن النار ترجع برداً وسلاماً علىٰ محبي أهل البيت وشيعتهم لا علىٰ أعداء أهل البيت ومحاربي شيعتهم ، فتبصر بصَّرك الله تعالى ، وأنت أيها القارىء الكريم أنظر الىٰ هذه الملاحظة الهامة ، لا بد أن أشير اليها : وهي أن الأدلة والأحاديث النبوية تؤكد عدم شمول آية التطهير لزوجات النبي ، وإنها لم تنزل إلا في الخمسة الطاهرة محمد وعلي وفاطمة

والحسن والحسين ، واكثر منها نزلت في بيت فاطمة وهناك أمور تالية :

أولاً : لأن النبي (ص) لم يجمعهن تحت الكساء مع وجودهن في الدار بل إنه (ص) لم يأذن لهن بذلك ، ولما أرادت السيدة أم سلمة أن تدخل تحت الكساء منعها رسول الله وجذب الكساء من يدها .

فقالت : يا رسول الله ألست من أهل بيتك ؟.

فقال : إنك على خير .

وفي رواية قال لها : إنك أهلي ، وهؤلاء أهل بيتي[1] . بمعنى أنها ليست من « أهل البيت » الذين تقصدهم الآية ، بل هي من زوجاته (ص) .

ثانياً : لأن هذه الآية تؤكد عصمة أهل البيت من الذنوب والمعاصي ـ كما ذكرنا ـ وقد ثبت صدور المعصية من بعض الزوجات كعائشة بنت أبي بكر ، ومحاربتها لإمام زمانها الإمام علي أمير المؤمنين « عليه السلام » ، وخروجها عليه ، وإراقتها لدماء المسلمين في البصرة يوم الجمل ، حيث قُتل ٢٥ ألف إنسان ، هذا مع ما نزل فيها وفي سائر زوجات الرسول من قوله تعالى ﴿ **وَقِرْنَ في بيوتكنّ** ﴾ .

ثالثاً : لأن سياق الآية وأسلوبها يدلاّن على عدم شمولها لهنّ لأن الخطابات الموجهة الى زوجات النبي « ص » في الآية كلها ضمائر ، والآن لنقرء الآية الكريمة حتى نلاحظ الضمائر فيها : قال تعالى : ﴿ **يا نساء النبي لستنّ كأحدٍ من النساء إن اتقيتن فلا تَخْضَعْنَ بالقول فَيَطْمَعَ الذي في قلبه مرضٌ ، وَقُلْنَ قولاً معروفاً ، وقِرْنَ في بيوتكُنَّ ، ولا تَبَرَّجْنَ تَبرجَ الجاهلية الأولى ، وأقمنَ الصلاة وآتينَ الزكاة ، وأطعن الله ورسوله ، إنما يُريدُ اللهُ ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركُمْ تطهيرا ، واذكُرْنَ ما يُتْلَى في**

---

(١) مستدرك الصحيحين للحاكم ج٢ ص ٤١٦ ذخائر العقبى للطبري ص ٢١

بيوتكنَّ من آياتِ الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً . . ﴾ .

لقد لاحظت أيها القاريء أن الضمائر الموجودة في آية التطهير تختلف عما سبقتها ولحقها من الآيات والخطابات ، فقد قال الله تعالى ﴿ **إنما يُريدُ اللهُ ليُذهِبَ عنكم الرجسَ أهلَ البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾ ولم يقل سبحانه عنكن ويطهركن ، فلماذا العدول عن الضمائر المؤنثة الى الضمائر المذكرة ، ثم الرجوع الى المؤنثة في قوله تعالى بعد آية التطهير (واذكرن) ما يتلى (في بيوتكنّ) لماذا العدول ؟ ان هذا العدول والاختلاف في الضمائر يدخل على الاختصاص في الخطاب وفي هذا المقطع من الآية بغير نساء النبي المخاطبات في الآية ، فهي إذاً خاصة بالخمسة الطاهرة . سورة الاحزاب الآية (٣٣) .

نعم هذا الشرف العظيم معادله جاء مع حكمة خطاب الله لنبيه (طه) وطه هنا معناه الطاهر ، فالله سبحانه وتعالى لم يوحي صفة الى نبيه إلا وأعطاها الى عترته ، فهو طه وهم الطاهرون خصهم بهذه الآية وجعلهم أطهاراً أبراراً أزكياء ، سبحانه وتعالى ذرية بعضها من بعض في كتاب الله . ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام . . .** ﴾ أعطاهم ﴿ **عباد الله يمشون على الأرض هوناً . . .** ﴾ . ﴿ **ان كنتم تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾ آل عمران . عطاء الى الرسول ، شاركوا الرسول الأكرم بهذا العطاء لأن الرسول يحب الله كثيراً فقال للرسول (ص) ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى** ﴾ هذا عطاء من عطاء الرسول وهذه المنحة كمنحة الرسول ، قارن بين هاتين الآيتين . . فقد ذكر المفسرون والمؤرخون أن الله سبحانه وتعالى يخاطب نبيّه محمداً (ص) بقوله (قل) يا رسول الله (لا أسألكم عليه) أي على تبليغ الرسالة (أجراً) من مال أو منفعة أو غيرها (الا المودّة في القربى) والمودّة هنا معناها المحبة في القلوب واظهارها في الخارج ، مصداقاً لقول الإمام الصادق (ع) : يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا . ووجوب المودّة يستلزم وجوب الطاعة .

ورد في الصحيحين ومسند أحمد ، وتفسير الزمخشري ، والثعلبي عن

ابن عباس قال : لما نزلت ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودَّة في القربى ﴾ قالوا : يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودّتهم ؟ .

فقال (ص) : علي وفاطمة وأبناها .

أقول : وهذا بعينه هو المروي عن أئمة أهل البيت (ع) .

وروي عن النبي (ص) أنه قال : إن الله تعالى خلق الأنبياء من اشجار شتى ، وخلقت أنا وعلي من شجرة واحدة فأنا أصلها وعلي فرعها ، وفاطمة لقاحها ، والحسن والحسين ثمارها ، وشيعتنا أوراقها ، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجىٰ ، ومن زاغ عنها هوىٰ ، ولو أن عبداً عَبَد الله بين الصفا والمروة ألف عام ، ثم ألف عام ، ثم ألف عام حتى يصير كالشن البالي ، ثم لم يدرك محبتنا اكبّه الله علىٰ منخريه في النار ـ ثم تلا قوله تعالى ﴿ قل لا أسألكمْ عليه أجراً إلا المودَّةَ في القربى ﴾ ـ .

نعم إن هذه الآية أيها القارىء العزيز آية تعّرف وتعّرف المحب من المبغض ، والعدو من الصديق ، وإنها الفاصل بين الجنة والنار ، وإنها باب الإمتحان والإبتلاء ، فمن عرف هذه الآية تخلص من مسؤوليتها ، لأنها أمانة في أعناق العباد ، والذي يفرط بها يعدُّ سارق لهذه الأمانة ، أمانة الله هذه هي مقابل أتعاب الرسول (ص) .

ومن سيادته آية الولاية ، فيه نزلت هذه الآية الكريمة في قوله عز وجل ﴿ إنما وليكُمُ اللهُ ورسُولهُ والذين آمَنُوا ، الذين يُقيمُون الصَّلاَةَ وَيُؤتُونَ الزكاة وهم راكعون ﴾

فقد ذكر المؤرخون والمفسرون أن هذه الآية نزلت في شأن الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام .

وقد ذكروا في سبب نزولها ثلاث صور ، الا أن المضمون والمعنىٰ في كلها واحد ، ونحن نذكر هنا صورة منها وفيها الكفاية :

روي عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية أنه قال : إن

رهطاً من اليهود أسلموا منهم عبد الله بن سلام ، وأسد ، وثعلبة ، وابن صوريا فأتوا النبي (ص) فقالوا : يا نبي الله إن موسى أوصى إلى يوشع بن نون ، فمن وصيك ؟ وَمَنْ ولينا من بعدك ؟

فنزلت هذه الآية ﴿ إنما وليكُمُ اللهُ ﴾ فقال رسول الله (ص) : قوموا .

فقاموا فأتوا المسجد فإذا سائل (فقير) يخرج من المسجد فقال النبي : يا سائل ما أعطاك أحد شيئاً ؟

قال السائل : بلى ، هذا الخاتم .

فقال النبي : من أعطاكه ؟

قال السائل : أعطانيه ذاك الذي يصلي في المسجد ـ وأشار الى علي عليه السلام ـ .

فقال النبي: على أي حال أعطاك ؟

قال السائل : كان راكعاً .

فقال النبي : الله اكبر ، وكبّر أهل المسجد .

فالتفت النبي الى القوم وقال : علي بن أبي طالب وليكم بعدي .

فقالوا : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبيّاً ، وبعلي بن أبي طالب ولياً .

فأنزل الله عز وجل ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ والذينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغالِبونَ ﴾ المائدة ٥٦ .

وبهذه الآية الكريمة يستدل المفسّرون الشيعة بنصٍ من الله ان علياً ولي الله ، وان له الولاية والسلطة والخلافة من الله ورسوله ، حيث أن لفظ الجلالة ـ الله ـ والرسول ومن جَمَعَ بين الزكاة والركوع جاء في آية واحدة وفي سياق واحد ، وولاية الله والرسول معناها ولاية الأمر والتصرف ، فيجب ان

يكون هذا المعنى بالذات مراداً من ولاية من جمع بين الوصفين، والألزم أن يكون لفظ الولاية مستعملاً في معنيين مختلفين في آن واحد وهو غير جائز[1].

وكما أن الله تعالى قد شهد لعلي بالولاية، كذلك رسول الله (ص) هو الآخر قد أكد له ذلك ، فقد روي عنه أنه قال له :

يا علي أنت العروة الوثقى، أنت إمام كل مؤمن ومؤمنة، ووَليُّ كل مؤمن ومؤمنة بعدي[2] ، أنت مولى مَنْ أنا مولاه ، وأنا مولى كل مؤمن ومؤمنة ، لا يحبّك إلا طاهر الولادة ، ولا يبغضك إلا خبيث الولادة ، وما عرج بي ربي عز وجل الى السماء وكلمني ربي إلا قال : يا محمد أقرء علياً مني السلام[3] .

وقال (ص) في حديث آخر لعلي عليه السلام : يا علي أنت الطريق الى الله ، وأنت النبأ العظيم ، وأنت الصراط المستقيم ، وأنت المثل الأعلىٰ ، وأنت إمام المسلمين ،وأمير المؤمنين ، وخيرُ الوصيين وسيد الصديقين .

ومن الناس من ملئت قلوبهم بالحقد والغيظ والغضب والتعصب وأكثرهم من العامة غير الذين نوّر الله قلوبهم بالإيمان جعلوا هذه الآية لغير علي وكأنها لم تأتي من قبل الله وهي تنص على الحكم والسلطة والخلافة والولاية الجبرية الواقعية، وقد ضم الخالق نبيّه الى نفسه وهو في الحكم والمنصب النبوي الشريف ، كما عطف الإمام الى نبيّه وروسوله . ولاية الله الإطاعة العمياء ، وولاية رسول الله الإطاعة والإقرار ، وولاية علي الإطاعة والإقرار والتمسك بها لأنها تمثل استمرار الولايتين السابقتين ، فما كان لله كان لرسوله

---

(١) المصادر التي سجلت هذه الفضيلة الخالدة لمولانا أمير المؤمنين كثيرة ، منها تفسير الرازي ، تفسير الزمخشري ، تفسير الدر المنثور للسيوطي في تفسير الآية ، تفسير الطبري ج٦ ص ١٨٦ ، أسباب النزول للواحدي ص ١٤٨ ، ذخائر العقبى للطبري ص ٨٨ ، كنز العمال ج٦ ص ٣١٩ ، الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٢٧ وغيرها.

(٢) المناقب للخطيب الخوارزمي ص ٣٥، مسند أحمد بن حنبل ج ٥ ص ٣٥٦

(٣) ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي ص ١٣٣ وغيرها.

(ص) وما كان للرسول كان لعلي (ع) ويحاسب عليها الإنسان حساباً عسيراً، ومن لم يتولّ علي يأتي يوم القيامة وهو خسران، وفي القبر أيضاً خسران، والله ورسوله يصفحان عنه الذي يأتي وهو ناكر لها، وبها يتحقق عمل الإنسان ويقبل عمله، فهي فوق الصلاة والصوم والحج والزكاة لأنها من أصول الدين، ومن فروعه، ومن أركان الإسلام، ولا مناص منها، الذي يخرج عنها يخرج عن ولاية الله ـ نعوذ بالله ـ والذي يخرج عن ولايته يخرج عن ولاية الرسول وهذا بعده النار.

جاء في قوله تعالى ﴿ **يا أيُّها الرسولُ بلِّغ ما أنزل إليك من ربّك، وإن لَم تفعل فما بلّغْت رسالتهُ، واللهُ يعصمكَ من الناس إنَّ اللهَ لا يَهدي القوم الكافرين** ﴾ المائدة ٦٧.

ذكر المفسرون والمؤرخون والمحدّثون أنه قضىٰ رسول الله (ص) مناسك الحج، وانصرف راجعاً الى المدينة ومعه من المسلمين مائة وعشرون ألف ـ على بعض الأقوال ـ عندما وصل الى أرض « غدير خم » وذلك في يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة، هبط عليه جبرئيل عن الله تعالى بهذه الآية ﴿ **يا أيها الرسول بلّغ ما أنزلَ إليكَ مِنْ رَبِّكَ** ﴾ وأمره ان يقيم علياً علماً للناس، ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل أحد، فأمر الرسول أنْ يجتمع جميع المسلمين حوله.. فلما اجتمعوا قام (ص) خطيباً وسط القوم علىٰ أقتاب الإبل رافعاً صوته فقال ـ بعد الحمد والثناء على الله تعالى، والشكر على هذه النعمة الكبيرة التي مَنَّ الله بها على نبّيه لوصيّه سيد العرب والعجم ـ :

أيها الناس ألستُ أولى بكم من أنفسكم ؟

قالوا : اللهم بلىٰ.

فأخذ بيد علي عليه السلام ورفعها حتى رؤي بياض إبطيهما، وعرفه القوم أجمعون، فنادى : من كنت مولاه فهذا علي مولاه، من كنت مولاه فهذا علي مولاه، من كنت مولاه فهذا علي مولاه ـ كرّرها ثلاث مرات ـ ثم

قال : اللَّهُمَّ وال مَنْ والاه وعادِ مَنْ عَادَاهُ وانصر من نصره واخذل من خذله وأدِر الحق معه حيث دار . ألاَ فيبلّغ الشاهد الغائب .

ولما فرغ (ص) من خطبته نزل وأمر جميع المسلمين أن يبايعوا الإمام عليّ (ع) بالخلافة ويسلموا عليه بإمرةِ المؤمنين فتهافت الناس على الإمام علي (ع) يبايعونه قائلين السلام عليك يا أمير المؤمنين .

وجاء أبو بكر وعمر الى رسول الله (ص) وقالا : هذا أمرٌ منك أم من الله ؟

فقال النبي : وهل يكون عن غير أمر الله ؟ نعم أمر من الله ورسوله .

فقاما وبايعا علي (ع) ، وقال عمر وهو يبايع علياً : السلام عليك يا أمير المؤمنين بخٍ بخٍ لك لقد أصبحت مولاي ومولىٰ كل مُؤمن ومؤمنةٍ . وهكذا أنتهت البيعة لمولانا علي (ع) أميراً للمؤمنين ، ووصيّاً لرسول رب العالمين .

أيها القارىء فكّر وحكم وجدانك وضميرك إن كنت مسلماً . . إن هذه الواقعة وهي ـ واقعة الغدير ـ تعتبر من أشهر الوقائع التاريخية ومن أبرز الأحداث الإسلامية التي حدثت في حياة رسول الإسلام (ص) وقد شهد بها مائة وعشرة من الصحابة الذين حضروا الواقعة بأنفسهم وقد رويت أيضاً عن بعض زوجات الرسول (ص) ، ولا تجد كاتباً أو مؤلفاً كتب عن حياة النبي او حياة علي إلا وتعرَّض لذكر هذه الواقعة مجملاً او تفصيلاً إلا إذا كان الكاتب أموي مبغضاً لعلي وعدو لآل محمد او أجير لبعض السلطات الأموية او العباسية المنحرفة والتي حرفت الدين الإسلامي من أجل مصالحها وفسادها وبذخها فإنه يتجاهل أو يتغافل عن ذكر هذه الواقعة الخالدة ، اما الواقعة ، بحد ذاتها فليست هناك أي مجال لإنكارها والتشكيك في صحتها والمناقشة في سندها لأن العلماء العظام والحفّاظ والمحدثين والمؤرخين القدامى أثبتوا صحتها وحقيقتها واعتمدوا عليها ، منذ مئات السنين وحتىٰ هذا اليوم ، ولهذا فإن آية التبليغ ، وحديث الغدير يعتبران من أهم الأدلة القاطعة التي تثبت خلافته

لرسول الله وأنه لوحده خليفته المعين من الله وروسوله[1] .

أقول : لما نصّت هذه الآية على انتقال الحكم والخلافة وزمام الأمة من سيد الأنام بأمر الله سبحانه وتعالى ونفس الذي بيده قيادة الإمام هو تنازل عن القيادة بنفسه امتثالاً لأمر الله ورغبةً بطاعتهوتحصيناً لهذه الأمة وقد أخذ بيد الذي جاء من بعده وأشار إلى من كان من الأمة حاضراً في ذلك المكان لكي يبلغ الحاضر الغائب ويكونوا شهداء على من وصله الأمر والتبليغ .

ومن ثم تقدم بعض الرجال وسمعوا قول النبي بأنه قد انتزع الأمر منه إلى غيره وقال من كنتُ مولاه فهذا علي مولاه ، ثم تقدموا وسلموا عليه بإمرة القيادة والزعامة خلافة الأمة لكي ياخذ بأيديها الى شاطيء السلام ، وبنواصيها الى طاعة الرحمن ويقلوبها الى الهداية والرضوان والتآخي والتحابب وبخٍ بذلك وأقروا كلهم له ، لماذا انقلبوا على أعقابهم ؟ ولماذا هذا التمرد ؟ ولماذا كسر الأمر والأوامر ؟ هل كان هذا ضد الله وروسوله ؟ أم ضد علي نفسه ؟ فإن كان ضد الله فإذاً جميع أعمالهم غير مقبولة وغير مرضية وكل ما قدموه كان مرفوضاً لأن العمل المتقدم مرهون بالعمل المتآخر وبأخذ الأوامر والله أعلم حيث يضع رسالته . وإذا كان ضد النبي فطاعة النبي (ص) من طاعة الله ويظهر أنهم ناكثين للعهد وغير مقرين للنبي بالرسالة وبأخذ أمر الله حيث يقول ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ وعدم تطبيق الأوامر هي الرد على الله اذا ردوا على رسوله ، واذا كان الأمر ضد أمير المؤمنين علي (ع) فعلي ليس منه ولا من نفسه هذا الأمر كان واحد من الناس وما كان يعلم ذلك بل فوجيء بهذا الخطاب ، فلماذا

---

(١) المصادر والكتب التي تروي هذه الواقعة كثيرة جداً وإليك ذكر بعضها : صحيح الترمذي ج٢ ص ٢٩٨ وقال هذا حديث حسن صحيح ، سنن ابن ماجه في ص ٢٨ و٢٩ ، سنن البغوي ج٤ ص ١١٩ ، متروك الصحيحين للحاكم ج٣ ص ١٠٢ ، تفسير النيسابوري ج ٦ ص ١٩٤ ، تفسير السيوطي ج ٢ ص ٢٤٩ ، تفسير المنار ج ٦ ص ٤٦٤ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ج ٢ ص ٢١٤ ، تفسير تاريخ بغداد للبغدادي ، تاريخ ابن عساكر وغيرها من عشرات المصادر المعتبرة .

هذا التمرد ؟ ولمصلحة من ذلك ؟

جاء في قوله تعالى ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيرا ﴾ فقد ذكر المؤرخون والمفسرون أنه مرض الحسن والحسين فعادهما رسول الله (ص) ومعه بعض الصحابة ، فقال أحدهم : يا أبا الحسن لو نَذَرتَ في إبنيك نذراً إن عافاهما الله .

فقال علي (عليه السلام) أصوم ثلاثة أيام شكراً لله عز وجل ، وكذلك قالت فاطمة الزهراء عليها السلام ، وقال الحسنان . ونحن أيضاً نصوم ثلاثة أيام ، وكذلك خادمتهم فضّة .

فألبسهما الله لباس الشفاء والعافية فأصبحوا صياماً وليس عندهم طعام ، فخرج الإمام علي (عليه السلام) وجاء بالشعير فطحنته السيدة فاطمة وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص لكلٍ منهم قرص واحد ، فلما جلسوا للإفطار ، وإذا بمسكين على الباب يقول : السلام عليكم يا أهلَ بيت محمد أنا مسكين . من مساكين المسلمين أطعموني مما أطعمكم الله .

فقدّم علي عليه السلام قرصَهُ له وكذلك السيدة فاطمة والحسنان وخادمتهم فضّة وأفطروا بالماء فقط وباتوا تلك الليلة جياعاً ، وأصبحوا في اليوم الثاني صياماً لم يذوقوا إلا الماء فقط .

وفي الليلة الثانية جلسوا للإفطار ، وإذا بيتيم على الباب يستعطفهم ويسترحمهم . فقدموا له أقراصهم وأفطروا بالماء فقط وباتوا جياعاً ، وأصبحوا في اليوم الثالث صياماً لم يذوقوا إلا الماء فقط .

وفي الليلة الثالثة جلسوا للإفطار وإذا بأسير على الباب يسترحمهم ويستعطفهم فقدموا له أقراصهم وأفطروا بالماء فقط . .

وجاء علي عليه السلام بالحسن والحسين الى رسول الله (ص) وهما يرتعشان من شدة الجوع ، فضمَّهما النبي إليه ثم انطلق وعلي الى دار فاطمة وهي في محرابها قد لصق بطنها بظهرها من الجوع .

فقال النبي واغوثاه أنتم منذ ثلاث فيما أرى ؟!

نعم أهل بيت امتدحهم الله في عرشه وشكرهم على ذلك ولم يشكر إنساناً قبلهم أبداً من الأولين والآخرين ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ على أنفسهم ولو كان بهم خصاصةٌ ، ومن يُوق شُحَّ نفسه فأولئك هم المُفلِحُونَ** ﴾.

لقد هبط جبرئيل ومعه هدية فخمة كبيرة مهداة من اكرم الكرام وأعظم العظماء، من الخالق الى المخلوق ، هدية جاءت من الله سبحانه وتعالى الى عترة الرسول مقابل ما قدّموا من بضاعة صوم ثلاثة أيام ولياليها وإطعام خمسة عشر رغيف خبز .

انظر الى مكافأة الله جل جلاله لهم وهديته اليهم التي بقت الى اليوم وستبقى حتى نهاية الحياة ترنّ في اسماع الناس وترتل بكل لسان وتتلى في كل بيت ، هدية من الله سبحانه وتعالىٰ ، لا من أجل صيام وإطعام فقط ، بل لما تضمنه الصيام والإطعام من إخلاص له سبحانه ومقصد نبيل هو طلب رضاه جل جلاله ، فسرّ العظمة يكمن في الروح التي يحملوها والإطاعة الربانية التي أشربت في قلوبهم وفي عروقهم ولحمهم ودمهم والى التربية التي تربّوا بها في أحضان الرسالة وتخلقوا بأخلاق النبي (ص) وتأدبوا بآدابه التي أدبه الله بها . فبين عظمة الروح وحب الله ، وشرب إطاعته وتربيتهم واخلاقهم وتأديبهم وسخائهم .

جاء إليهم المسكين واليتيم والأسير ، إنهم من بيتٍ رفيع وإنهم قادة لهذه الأمة وللإنسانية جمعاء تواضعوا وقدموا ما يملكون من أحب الأطعمة التي عندهم علىٰ حاجتهم لها والجوع الذي حل بهم من جراء الثلاثة أيام والليالي من الصيام، بينما تجد هذا القسم من الناس ضائعين في مجتمعنا المعاصر وليس لهم مكانة بين الناس ، هذا النوع من التربية الاجتماعية والإقتصادية والفكرية والعدالة والتواضع الذي سلكه أهل البيت (ع) بتقديم طعامهم للأصناف الثلاثة ليعطوا الناس درساً لا ينسىٰ في الخلق العالي النبيل حتى لا يضيع هؤلاء المعدومين ويجب ان تكون مكانتهم معززة لأنهم قوام الحياة واكثر أهل الدنيا

وهم المعسرون لها وانهم بشر فلا فرق بين الزعامة والقيادة وبين هؤلاء فأهل البيت عليهم السلام عززوا هؤلاء تعزيزاً وكرّموهم خير تكريم، قدموا لهم ما يملكون ولم يقاسموهم الطعام وإلا كان بإمكانهم أن يعطوا بعض طعامهم ولكنهم آثروهم بالجميع مع احتياجهم اليه نبلاً منهم وكرماً ومصداقاً لقوله تعالى ﴿ **ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾ .

ثم هذا العطاء الذي قدمه أهل بيت النبي الى الأصناف الثلاثة من المسكين واليتيم والأسير ، قدّم علي حصته وهو نفس محمد ـ وقد بيّنا ذلك آنفاً، وهو كمحمد يعمل كما يعمل محمد ، فالزهراء لماذا قدمت طعامها ، والحسنان لماذا قدما طعامهما ، والخادمة لماذا قدمت طعامها ؟ فهذا إنما يدل على إجتماع الأنفس في نفس واحدة ، ونجد أن التربية واحدة ، فالبيت كله قد كان في نفس التربية ونفس الإطاعة والأخلاق ونفس السجيّة والتأديب ، فأخذ كلٌ منهم يقدم حقّه وحصته امتثالاً لله ، والله لم يفرض عليهم ذلك الأمر . كما قلنا فكيف توحدت هذه النفوس ؟ لأنها نفوس طاهرة موحدة كلها تحب الفقير والمسكين والأسير .

ثم أي إنسان يقدم كل ما يملك من طعامه في تلك الليلة ؟ ونحن اليوم إذا جاءنا الفقير نقدم له الفضلات من الأطعمة بينما هم قد عملوا بقول الرسول (ص) : اذا صدق السائل هلك المسؤول. وما أحبوا ان يضيع هذا القسم من الناس ، بل يجب ان يعزز ويكرم ، كما يجب ان يبقى هذا النموذج الأخلاقي الرفيع شعلة في الحياة ، ويجب ان يبقى إسم هذا النموذج يرن في أسماع الناس في القرآن في كل وقت .

أن الفقراء عيال الله ويجب ان لا يضيع عيال الله بين الناس ، ويجب ان يكرموا ، فلذا سلموهم كل ما يملكون . فقالوا : خذوا يا عيال الله ﴿ **إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءاً ولا شكورا** ﴾

إذاً من أجل عدم ضياع هذه الأصناف من عيال الله ومن أجل توحيد هذه النفوس كما تصب في قالب واحد نحو الإطاعة ونحو الأخلاق ونحو

الآداب والسجية والكرم فهم لا يبغون منهم جزاءاً ولا شكورا إلا عدم اضاعتهم ، ايضاً يهدفون تربية الناس الآخرين بعدم الاستهانة بالمحتاجين ، لهذا وغيره اصبحت البضاعة كبيرة تحتاج الى ثمّين يليق بها ، فهبط جبرئيل عليه السلام مبشراً الرسول (ص) بحسن صنع اهل بيته عليهم السلام وكيف انهم آثروهم على جوعهم وانفسهم ، قال جبرائيل يا محمد خُذ ما هيأ الله لك في أهل هذه الهدية هذا الربح .

فقال النبي : وما آخذ يا جبرائيل ؟

فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **هل أتىٰ على الانسان حينٌ من الدهر** ﴾ ـ إلىٰ أن قال ـ ﴿ **إنَّ الأبرار يشربون من كاسٍ كان مزاجها كافوراً ، عيناً يشرب بها عبادُ الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر** ﴾ يعني علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم سلام الله وخادمتهم فضة ﴿ **ويخافون يوماً كان شَرُّهُ مُستطيرا ويطعمون الطعامُ على حبه** ﴾ أي في سبيل الله ، وقيل علىٰ رغبتهم في الطعام ﴿ **مسكيناً** ﴾ في الليلة الأولى ﴿ **ويتيماً** ﴾ في الليلة الثانية ﴿ **وأسيراً** ﴾ في الليلة الثالثة . ﴿ **إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءاً ولا شكورا** ﴾ .

قال . . والله ما قالوا هذا لهم ولكنهم أضمروه في انفسهم فأخبر الله بما في ضمائرهم ﴿ **إنَا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً** ﴾

﴿ **فوقاهم الله شرَّ ذلك اليوم ولقّاهم نظرة وسروراً وجزاهم بما صبروا جنَّة وحريراً** ﴾ الى آخر الآيات وهكذا ترى ايها القاريء اذا كنت منصفاً كيف ان أهل البيت عليهم السلام ضربوا الرقم القياسي في البذل والعطاء والجود والكرم والمواساة والايثار في سبيل الله تعالى وكيف ان الله قدَّر منهم هذا العمل فأنزل فيهم قرآناً يتلى آناء الليل واطراف النهار شهيد بفضلهم وعظمتهم وكرامتهم عند الله تعالى على رؤوس الاشهاد وقد شكر في آية من هذه السورة حيث قال لهم هذا كان لكم جزاءاً وكان سعيكم مشكوراً سبحانه لم يشكر غيرهم ابداً لا نبياً ولا وصياً غير عترة محمد بن عبد الله عليهم سلام الله .

قال عبد الله ابن عباس رضوان الله عليه لقوم يتناولون علياً : لقد عاتب الله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في القرآن ولم يذكره إلا بخير[1] .

(١) تذكرة الخواص ، ص ٩٠ الاستيعاب بهامش الاصابة ٣/ ٤٠

الفصل الثاني

علي سيد العرب والعجم في السنة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أهل بيته : مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها أو تركها غرق وهوى .

إن مما لا شك فيه أن النبي وأهل بيته الطاهرين في المقام الأرفع والمنزلة الرفيعة والمكانة السامية عند الله تعالى التي لم يتوصل اليها أحد من المخلوقات والكائنات من العلوية والسفلية والأولين والآخرين فاق أولياء الله الصالحين وملائكته المقربين . وليس هذا إدعاءاً فارغاً وكلاماً باطلاً ولا قولاً جزافاً ، بل هو ما شهدت به الآيات الكريمة وصّرحت به الأحاديث الشريفة الصحيحة المعتبرة ، إذن فمن مثلهم وقد نزل القرآن في أبياتهم ، كما نزل الثناء عليهم ، وبذكر فضائلهم ومزاياهم كما ذكرنا الآيات التي عرّفت العالم بمنزلتهم السامية بين الأمة ، وبسيادتهم على أهل الحياة الدنيا ، ومن ذلك سورة الإنسان ، وفيها النظام الاجتماعي والمساواة والحرية والعدالة من إطعام عيال الله مسكيناً ويتيماً وأسيراً الى غيرها من مئات الآيات حتى قال ابن عباس : نزل في علي ثلاثمائة آية من القرآن الكريم .

ومن مثلهم وقد خلق الله أنوارهم قبل ان يخلق آدم باثني عشر ألف عام ، ومن مثلهم وقد أضاء الله بأنوارهم الجنان ، ومن مثلهم وقد جعلهم الله سادة الخلق وقادة البشر بحق ، ومن مثلهم وقد أوجب الله ولايتهم وطاعتهم ومحبتهم وجعل ولايتهم شرطاً في قبول الأعمال والعبادات كلها كما جاء ذلك في حديث صحيح .

ذكر جملة من المؤرخين وأهل الحديث والسير كلمة ابن عباس التي مرت

آنفاً نزول ثلاثمائة آية في علي عليه السلام[1] . وصدر حديثاً كتاب (علي في القرآن للسيد صادق الشيرازي) وفيه يذكر المؤلف اكثر من ستمائة آية نزلت في شأن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وكلها عن مصادر موثوقة ومعتبرة عند المسلمين ، فعليك بمراجعة الكتاب تطلع على تلك الآيات الكريمة .

فمن مثلهم وقد جعلهم الله الوسيلة إليه ، والشفعاء لديه ، وسفن النجاة ، ومصابيح الهدى ، واركان التقى ، والعروة الوثقى ، والحجج على أهل الدنيا ، وحبل الله المتين ، وصراطه المستقيم ، والساقون عى حوضه ، والحاملون للوائه .

ولنا أن نتساءل : لماذا جعلهم الله الوسيلة إليه والشفعاء لديه ؟ والجواب يظهر من خلال المواد التالية :

المادة الأولى : لأن أهل البيت عليهم السلام معصومون مطهرون ، فلا يعصون الله ، ولا يخالفون أمره ، فهم عنده مكرمون ولهم الوجاهة والكرامة والمنزلة الرفيعة عنده سبحانه .

المادة الثانية : لان سائر الناس عدا الأنبياء يرتكبون المعاصي ويقترفون الذنوب فيفقدون بسبب ذلك جاههم ومنزلتهم عند الله ، فيستوجبون غضبه ويستحقون عقابه ، فلا يُعبأ بقولهم ، ولا يستجاب دعاءهم إلا إذا استشفعوا الى الله بأحب الخلق إليه وأكرمهم عليه وهم محمد وآله الطيبون ، عند ذلك يستجيب الله لهم بشفاعة محمد وأهل بيته ، وليس التوسل والتشفع بأولياء الله أمراً غريباً عن الدين ، ولا بدعة في الاسلام كما يقول الذين دخلوا في الاسلام حديثاً يضعوا أقوالهم المنحرفة والتي استوردوها من أسيادهم يحاولون بذلك ان يفرقوا بين أهل القبلة ، فيأتون بأقوال ليست في كتاب الله ولا في سنة رسوله ، فهم لم يهتدوا بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، بل أخذوا أقوال أناس دخلاء على الاسلام .

---

(١) الفتوحات المكية ٢ / ٥١٦ .

إن التوسل بهم هو من صميم الاسلام ، فقد قال تعالى ﴿ **ولو أنهمْ إذْ ظلموا أنفسهمْ جاؤكَ فاستغفروا اللهَ واستغفرَ لَهُمُ الرسولُ لوجدوا اللهَ تواباً رحيماً** ﴾[1] وقال سبحانه في حديثه عن أولاد النبي يعقوب عليه السلام جاءوا إليه يطلبون منه الشفاعة الى الله تعالى كي يغفر ذنوبهم ﴿ **قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنّا كنّا خاطئين** ﴾[2] ولم ينكر عليهم النبي يعقوب ذلك ، بل ﴿ **قال سوف استغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم** ﴾[3] .

هذا دليل قاطع على جواز التوسل والشفاعة بأولياء الله وأحبائه ولا شك أن أهل البيت أفضل أولياء الله وأحبائه . هذا دحض لمن كذب على الاسلام وجاء بفتيا جديدة وسنة من سنن الشعوبية الداخلة على الإسلام ، والذين يأتون بأفكار سامة وملحدة ينقلونها عن أرائهم الضالة الجاهلة .

المادة الثالثة : إن الله تعالى يحب من عبده إذا دعاه أن يفتح دعاءه بالصلاة على محمد وآل محمد ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما من دعاء إلا بينه وبين السماء حجاب حتى يصلي على محمد وآل محمد ، فإذا فعل ذلك انخرق الحجاب فدخل الدعاء .

وقال صلى الله عليه وآله لجابر بن عبد الله الانصاري ـ وقد سأله عن علي وفاطمة والحسن والحسين ومنزلتهم عند الله تعالى ـ فقال : يا جابر إذا أردت أن تدعو الله فيستجيب لك ، فادعه بأسمائه فإنها أحب الاسماء الى الله عز وجل[4] .

وهذه الأحاديث تراها أيها القارىء تشمل جميع الناس حتى الانبياء والرسل والأولياء ، بل أن هناك حديثاً يقول أن النبي صلى الله عليه وآله قال في دعائه : اللهم إني أتوجه اليك ، بمحمد وآل محمد ، وأتقرب بهم إليك ،

---

(١) النساء / ٦٤ .

(٢) يوسف / ٩٧ .

(٣) يوسف / ٩٨ .

(٤) بحار الأنوار .

وأقدمهم بين يدي حوائجي .

من هنا فإننا نلاحظ في كتب الأخبار والأحاديث أن الانبياء توسلوا الى الله تعالى بأهل البيت في ساعات المحن والشدائد، وفي أوقات العسر والحرج ففرّج الله عنهم واستجاب دعاءهم ولا يدل هذا على كرامة الانبياء عند الله ، كلا وإنما يدل على عظمة النبي وأهل بيته ، وعلى جاههم الكبير عند الله تعالى .

لقد توسل النبي آدم عليه السلام بهم بعد خروجه من الجنة فتاب الله عليه ، فعن ابن عباس قال : لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه عطس فقال : الحمد الله ، فقال له ربه : يرحمك ربك ، فقال : يا رب خلقت خلقاً هو أحب إليك منّي ؟ قال : نعم ولولاهم لما خلقتك ، فعّرفه بمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، ولما اقترف الخطيئة سأله بمحمد وآل محمد ﴿ فتلقى آدمُ منْ ربّهِ كلماتٍ فتابَ عليه ﴾[1] .

وكذا النبي نوح توسّل بهم لما أراد الله أن يهلك قومه أوحىٰ اليه بأن يصنع السفينة ، ولما فار التنور وركب هو والمؤمنون السفينة توسّل بهم في النجاة من الغرق .

وهكذا إبراهيم الخليل توسل بهم عندما ألقي في النار ، فجعل الله النار برداً وسلاماً بفضلهم وبركاتهم .

كما توسّل بهم يوسف عليه السلام عندما ألقي في البئر ، نزل عليه جبرائيل وأمره أن يتوسّل بمحمد وآل محمد وعلّمه هذا الدعاء : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد كله لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والاكرام صلِّ على محمد وآل محمد واجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً وارزقني من حيث لا أحتسب .

فدعا ربّه فجعل له من الجب مخرجاً وآتاه ملك مصر من حيث لا

---

(١) البقرة / ٣٧ .

يحتسب[1]

وكذلك النبي موسى عليه السلام عندما ألقى عصاه وأوجس في نفسه خيفة قال : اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد إلا آمنتني ، فقال الله جل جلاله ﴿ لا تخف إنك أنت الأعلى ﴾[2] .

وتوسل إليه بهم مرة أخرى ، وذلك لما دخل البحر فأنجاه الله وقومه من الغرق واغرق فرعون وجنده .

وهكذا عيسى بن مريم لما أراد اليهود قتله ، فتوسّل بهم صلوات الله عليهم فنجّاه الله من القتل ، ولذا جاء عن الرسول الأكرم أنه قال : لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حوّاء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض ، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة ، سبقناهم الى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتمجيده .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : في حجب القدرة مكتوب لا إله إلا الله محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين أحباء الله .

وقد زيّن الله السماوات والجنان بأسماء أهل البيت وأنوارهم وهذا ثابت ان أهل البيت رحمة للأمة .

١ ـ قال رسول الله (ص) : إني يوشك أن أدعى فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي ، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض، وعترتي أهل بيتي ، وان اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما .

٢ ـ قال (ص) : أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة بني إسرائيل ، من دخله غُفر له .

٣ ـ قال (ص) : من سرّه ان يحيى حياتي ، ويموت مماتي ، ويسكن جنة عدن

---

(١) قصص الانبياء للجزائري / ١٩٦ .

(٢) طه / ٦٨ .

غرسها ربي ، فليوال علياً من بعدي ، وليوال وليه ، ويقتد بأهل بيتي من بعدي ، فإنهم عترتي خلقوا من طينتي ، ورزقوا فهمي وعلمي ، فويل للمكذّبين لفضلهم من أمتي ، القاطعين فيهم صلتي ، لا أنالهم الله شفاعتي .

٤ ـ قال (ص) : واجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد ، ومكان العينين من الرأس ، ولا يهتدي الرأس إلا بالعينين .

٥ ـ قال (ص) : إلزموا مودتنا أهل البيت فإنه من لقي الله وهو يودّنا دخل الجنة بشفاعتنا ، والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً علمه إلا بمعرفة حقنا[١] .

٦ ـ قال (ص) : معرفة آل محمد براءة من النار ، وحب آل محمد جواز على الصراط ، والولاية لآل محمد آمان من العذاب[٢] .

٧ ـ قال (ص) : لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع : عن عمره فيمَ أفناه ، وعن جسده فيمَ أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه ، وعن محبتنا أهل البيت .

٨ ـ قال (ص) : فلو ان رجلاً صفن (أي صف قدميه) بين الركن والمقام فصلىٰ وصام وهو مبغض لآل محمد دخل النار .

٩ ـ قال (ص) : من مات على حب آل محمد مات شهيداً ، ألا من مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ، ألا من مات على حب آل محمد مات تائباً ، ألا من مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان ، ألا من مات على حب آل محمد يُزفُّ الى الجنة كما تزفُّ العروس الى بيت زوجها ، ألا من مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان الى الجنة ، ألا من مات على حب آل محمد مات على السنّة والجماعة .

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير وغيره .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير وغيره .

ثم قال (ص): ألا من مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله ، ألا من مات على بغض آل محمد مات كافراً ولم يشم رائحة الجنة .

نعود بالله السميع العليم من هذا الصنف، اللهم اجعلنا من محبيهم وذريتهم الى يوم القيامة .

١٠ ـ قال (ص) في خطبة له : عترتي خير العتر ، وأسرتي خير الأُسر ، وشجرتي خير الشجر نبتت في حرم ، وسقت في كرم ، لها فروع طوال ، وثمرة لا تنال[١] .

١١ ـ نحن شجرة النبوة ، ومحطّ الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومعادن أهل البيت ، وينابيع الحكَم ، ناظرنا ومحبنا ينتظر الرحمة ، وعدّونا ومبغضنا ينتظر السطوة[٢] .

١٢ ـ وقال عليه التحية والثناء : إين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا ؟ ان رفعنا الله ووضعهم ، وأعطانا وحرمهم ، وأدخلنا وأخرجهم ، بنا يستعطى الهدىٰ ، ويستجلى العمىٰ ، إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ، ولا تصلح الولاة من غيرهم ـ الى ان قال عمن خالفهم ـ آثروا عاجلاً وأخروا آجلاً ، وتركوا صافياً ، وشربوا آجناً .

١٣ ـ قال : نحن النجباء ، وافراطنا افراط الانبياء ، وحزبنا حزب الله عز وجل ، والفئة الباغية حزب الشيطان ، ومن سوّىٰ أي مساوٍ بيننا وبين عدونا فليس منّا .

١٤ ـ وقال في خطبة له : فأين تذهبون ، وأين تؤفكون ، والأعلام قائمة ، والآيات واضحة ، والمنار منضوية ، فأين يُتاه بكم ، بل كيف تعمهون ،

---

(١) نهج البلاغة .
(٢) نهج البلاغة .

وبينكم عترة نبيكم ، وهم أزمّة الحق ، وأعلام الدين ، وألسنة الصدق ، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن ، وردّوهم وردّوا اليهم العطاء .

١٥ ـ قال (ص) : إنما ذخرتك لنفسي ، أنت أخي في الدنيا والآخرة . بحديث المؤاخاة هذا يكون علي أقرب الناس شبهاً في الآخرة ، كما انه لما كان آخاه في الدنيا كان أقرب الناس شبهاً به في الدنيا . وهذا يوضح لكل ذي لب ليس بأجير ولا متعصب أنه أعلى البشر بعد رسول الله (ص) قدراً وأعظمهم عند الله في الآخرة ثواباً .

١ ـ قال عمر بن الخطاب : لا أبقاني الله في معضلة ليس فيها أبو الحسن .

وقوله : لولا علي لهلك عمر .

٢ ـ قال فيه رسول الله (ص) : أنت كالكعبة تؤتى ولا تأتي .

٣ ـ عن الترمذي ـ وهو من أعظم علماء السنة ـ قال : قال أبو بكر : أقيلوني فإن علياً أحق مني بهذا الأمر .

وقد قالها ثلاثة مرات : أقيلوني فإني لست بخيركم وعلي فيكم .

وقوله هذا إنما قاله علماً منه بأن علي بن أبي طالب أحق منه بالخلافة ، والخلافة من حقه لأنه أعلم منه ومن الباقين من الصحابة ، والخلافة من حقّه الأصلي فيه حقيقية يقينية تخلفاً وتحققاً وتعقلاً وتعلقاً ـ هذا قول الترمذي ـ انتهى .

٤ ـ شهادة عمر بن الخطاب : ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة عن عمر بن الخطاب أنه قال : والله لولا سيفه ـ يعني علياً ـ لما قام عمود الاسلام ، وهو بعد أقضى الأمة وذو سابقتها وذو شرافتها .

٥ ـ وروى أيضاً فيه والخوارزمي الحنفي في مناقبه عن ابن عباس أنه قال : سمعت عمر وعنده جماعة ، فتذاكروا السابقين الى الإسلام فقال عمر : أما علي ، فسمعت رسول الله يقول فيه ثلاث خصال لوددت أن تكون لي واحدة منهن كانت أحبّ إلي مما طلعت عليه الشمس ،

كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من أصحابه إذ ضرب النبي (ص) على منكب عليّ (ع) فقال له : يا علي أنت أول المؤمنين إيماناً ، وأول المسلمين إسلاماً ، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ .

٦ - وروىٰ أحمد في مسنده ، والحاكم في مستدركه عن عمر بن الخطاب أنه قال : لقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاثاً ، لأن تكون لي واحدة أحبّ إلي من حمر النعم ، زوجته فاطمة بنت رسول الله ، وسكناه المسجد ، يحل له ما يحل لرسول الله ، والراية يوم خيبر .

٧ - وقال عمر بن الخطاب : عليٌّ أقضانا .

٨ - ولقد شهدت عائشة كما روى الحمويني في فرائد السمطين مسنداً أن عائشة قالت في علي (ع) : هو أعلم بالسنة .

وقالت : هو أعلم الناس كلها . رواه الخوارزمي .

٩ - وابن عبد البر ، وابن حجر في الصواعق المحرقة ، والمحب الطبراني في الرياض النظرة ، والخوارزمي في المناقب ، والقندوزي الحنفي في ينابيعه عن عائشة أنها قالت في علي : ذلك خير البشر لا يشك إلا كافر .

١٠ - روى ابن حجر في الصواعق المحرقة قال : أخرج ابن عبد البر في الاستيعاب عن ابن المسيب قال عمر : تحببوا الى الأشراف وتودّدوا ، اتقوا على أعراضكم من السفلة ، واعلموا أنه لا يتم شرف إلا بولاية علي (ع) .

١١ - وقد أخذ عمر كلامه هذا من قول رسول الله (ص) في الحديث المشهور الذي أخرجه جماعة من علماء السنة كالحموييني الشافعي وعبيد الله الحنفي في ارجح المطالب ص ٣٢٠ ، والزمخشري في الكشاف ج٢ ص ٣٣٩ .

١٢ - الحديث : من مات على حب آل محمد مات شهيداً ومؤمناً .

١٣ ـ قال رسول الله (ص) : من أحب علي قبل الله منه صلاته وصومه ، وكان مع النبيين في درجتهم يوم القيامة ، وخير من عبادة سنة .

١٤ ـ وقال عمر بن الخطاب رفعه قال قال رسول الله (ص) : لو ان البحر مداد ، والرياض أقلام ، والإنس كتاب ، والجن حساب ما أحصوا فضائلك يا أبا الحسن .

١٥ ـ وقال عمر بن الخطاب رفعه الى رسول الله (ص) : خير رجالكم علي بن أبي طالب ، وخير شبابكم الحسن والحسين ، وخير نسائكم فاطمة الزهراء .

١٦ ـ قال عمر بن الخطاب : سمعت الرسول يقول : علي خير البشر من أبىٰ فقد كفر . رواه الحافظ الدمشقي .

١٧ ـ وقالت عائشة هذا الحديث نفسه كما ذكره عمر بن الخطاب

نقل عمر بن الخطاب وابنه عبد الله بن عمر هذا الحديث عن سلمان الفارسي قال : دخلت على رسول الله (ص) فقلت هل أوصيت ؟

قال : يا سلمان أتدري من الأوصياء ؟

قلت : الله ورسوله اعلم .

قال : فإن آدم كان وصيّه شيث ، وكان أفضل من تركه بعده من ولده ، وكان وصي نوح سام وكان أفضل من تركه بعده ، وكان وصي موسى يوشع وكان أفضل من تركه بعده ، وكان وصي سليمان آصف بن برخيا وكان أفضل من تركه بعده ، وإني أوصيت الى علي وهو أفضل من اتركه بعدي ، وهو سيد الوصيين .

رواه الترمذي الحنفي في الكوكب الدري ص ١٣٣ ، وهذه مروية في كتب السنة خاصة الذين يخشون الله ويرقبهم ضميرهم .

١٨ ـ قال (ص) : نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد .

قال ابن عمر كنا إذا اعددنا أصحاب رسول الله (ص) قلنا : أبو بكر وعمر وعثمان . فقال رجل : يا أبا عبد الرحمن فعلي ما هو ؟

قال : علي من أهل بيت لا يقاس به أحد ، هو مع رسول الله (ص) في درجته ، إن الله يقول﴿والذينَ آمنوا واتبعتهمْ ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ﴾[1] ففاطمة وعلي في درجة رسول الله (ص) .

قالوا : أفضل من أبي بكر وعمر ؟

قال : هذا الصديق والفاروق .

١٩ ـ قال أبو بكر : رأيت رسول الله (ص) خيّم خيمة ، وهو متكيء على قوس عربية وفي الخيمة فاطمة وعلي والحسن والحسين .

فقال رسول الله (ص) : يا معشر المسلمين أنا سلم لمن سالم أهل هذه الخيمة ، وحرب لمن حاربهم ، وولي لمن والاهم ، وعدو لمن عاداهم ، لا يحبّهم إلا سعيد الجسد طيب المولد .

٢٠ ـ قال (ص) : عليٌ قسيم الجنة والنار . رواه الخوارزمي الحنفي في مناقبه .

٢١ ـ قال (ص) : لو اجتمع الناس على حب علي لما خلق الله النار . أخرجه القندوزي الحنفي في ينابيعه .

٢٢ ـ قال عمر بن الخطاب قال النبي (ص) : لو اجتمع الناس على حب علي بن أبي طالب لما خلق الله النار . ذكره ابن عباس ومحمد صالح الحنفي في كتابه الكوكب الدري ص١٢٢ عن عمر بن الخطاب .

٢٣ ـ لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي الجواز .

روى ابن حجر في الصواعق المحرقة له قال : روى ابن السحان أن أبا بكر قال لعلي (ع): سمعت رسول الله(ص) يقول: لا يجوز أحد الصراط إلا

---

(١) الطور / ٢١ .

من كتب له علي الجواز .

٢٤ ـ ونقل في الحديث من سنن الدارقطني ما هذا نصه : ان علياً (ع) قال للستة الذين جعل عمر الأمر شورىٰ بينهم كلاماً طويلاً من جملته : أنشدكم الله هل فيكم أحد قال له رسول الله (ص) : يا علي أنت قسيم الجنة والنار يوم القيامة . غيري ؟

قالوا : اللهم لا .

ومعناه ما رواه عشرة عن الإمام الرضا عليه السلام .

أقول : ذكر أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان وعائشة وابن عوف وعمر بن العاص ومعاوية وهارون والمأمون وأبو جعفر المنصور الدوانيقي وعمر بن عبد العزيز وأبو عبيدة وغيرهم هذه الأحاديث عن رسول الله حضوراً ورؤية وسماعاً بأن علي قسيم الجنة والنار .

وأن لو اجتمعت الناس على حب علي لما خلق الله النار .

ولا يجوز أحد على الصراط إلا وكتب له علي الجواز ، وعلي خير البشر لا يشك به إلا كافر .

وعلي بن أبي طالب أقضانا وأعلمنا .

وعلي ليس من الصحابة ، هذا من أهل بيت لا يقاس بهم أحد .

وحب علي الجنة .

ومن مات على حب آل محمد مات شهيداً ، مات مؤمناً ويزّف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت عريسها .

وأعطي علي ثلاث لو أعطيت واحدة منها كان خير لي مما طلعت عليه الشمس من المشرق الى المغرب .

إذاً لماذا عملوا ذلك مع علي ، منهم من حاربه وأعلن عليه الحرب ، ومنهم من أخذ منه الحكم والخلافة التي نص الله بها عليه ، وكل هؤلاء

يعدّون خارجين على إمام زمانهم ، إذاً كيف يكون ذلك ؟

أما كان الأحرى بهم أن يتركوا عمل السقيفة وحب الدنيا ليذهبوا الى الآخرة وهم على نقاوة من دينهم ولئلا يحاسبوا حساباً عسيراً أمام الله ورسوله ولقد كسروا أمر الله وأمر الرسالة والرسول .

لماذا فعلوا ذلك ؟ أمن أجل أيام وسنين عجاف حتى ذكرهم التاريخ وكأنهم لم يعملوا في الاسلام ؟

ولماذا أخذوا حقه وهو أحق به منهم ، وهو أعلمهم وأقضاهم ، وهو سيدهم ؟

لماذا هذا حتى فرقوا الأمة وجعلوها أحزاب وشيع كلّ يدعي الوصل بليلاه ؟

لماذا كان ذلك وهم يعرفون أنه أقدر منهم وأفضل وأشرف وانه ليس بصحابي بل هو من أهل بيت الرسول (ص) ؟ فلماذا تآمروا على ذلك البيت وعلى محمد صاحب الرسالة وصاحب الأقوال والأحاديث التي سمعوها ونقلوها بأنفسهم عن الرسول ، من أجل سنون سقيمة عقيمة خسروا من أجلها ـ حسب أقوالهم ـ الجنة والآخرة ولقاء النبي (ص) وهو غير راضٍ عنهم ، لماذا كل هذا ؟

ثم مؤتمر السقيفة . . .

أقول السقيفة . . كارثة السقيفة . . السقيفة وما أدراك ما السقيفة . . السقيفة دمار الأمة ، مفرقة الأمة الى كتل وأحزاب ، وغل وأحقاد ، وكراهية وغضب ، وبعد عن الدين وعن الرسول وعن الرسالة . السقيفة هي سبب ضياع هذه الأمة ، السقيفة هي سبب هذه البدع ، السقيفة جعلت الخلاف والصراع بين طائفتي الشيعة والسنة ، السقيفة وأصحابها يقفون بين يدي الله يوم المحشر والرسول خصمهم ، والسؤال يصدر من الله لمحمد بن عبد الله : هل أنت الذي أمرت بالسقيفة ؟

ويأتي الجواب كجواب عيسى بن مريم ﴿ **وإذ قال الله يا عيسىٰ ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دونِ اللهِ** ﴾[1] ويأتي جواب عيسى (ع) ﴿ **قال سبحانكَ ما يكونُ لي أنْ أقولَ ما لَيسَ لي بحقٍ ، إنْ كنتُ قُلتهُ فَقدْ علمتهُ تعلمُ ما في نفسي ولا أعلمُ ما في نفسكَ إنكَ أنتَ علامُ الغيوب ، ما قلتُ لهمْ إلا ما أمرتني بهِ أنِ اعبدوا اللهَ ربي وربكمْ وكنتُ عليهم شهيداً ما دمتُ فيهم . . .** ﴾[2] .

وهكذا يحصل لرسول الله ، يقال له : أأنت قلت لهم اعقدوا مؤتمر السقيفة الذي فرق أهل الدين وجعل الواحد منهم يكفّر الثاني ويحلل قتله ، هل هذا من الدين الذي أمرتهم به ليقاتلوا أنفسهم وهم أصحاب قبلة واحدة ويتركوا أعداء الله والمشركين من الذين يلحدون بالله ، ويقتل بعضهم بعضاً . من الذي أقام مؤتمر السقيفة هذا يا محمد ؟ والجواب : لا علم لي بذلك ، هم الذين ابتكروه وأقاموه ليمزقوا الأمة .

كل من تصفح التاريخ وبحث فيه عن أحوال الأمم الماضية والقرون البائدة تعرض له فعلة السقيفة وما جرىٰ فيها من كوارث مؤلمة تقض المضاجع وتندي الجبين ، فقلما نجى مؤرخ من الإنحياز الى أحدىٰ الطائفتين المتخاصمتين من يومها وحتى يومنا هذا وكلهم أراد معالجة هذا الحدث في كل القرون التي مضت راجين قشع ما تلبد من سحب وما أحاط به من دخان ، وإزالة كلما وضع في طريق الأمة من عراقيل لا يجتازها عابر إلا بشق النفس ، وكيف النجاة وكشف القناع عما وضعه الوضاعون ودسّه الدساسون في القرنين الأول والثاني وما تلاهما من قرون وقصدهم بما وصفوه وبما دسوه الستر على من ركب الطرق الملتوية لئلا تنكشف سوءتهم البادية ، وتعمية السبيل المستقيم على سالكيه لهذا وذاك ، وقد عسر ذلك على المحققين المنصفين مع بذل قصارىٰ جهدهم والوقوف على تمحيص الحقيقة آنذاك ، لكن الله سبحانه وتعالى لن يخلي زمناً ما ممن يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذاً هو زاهق .

---

(١) المائدة / ١١٦ .

(٢) المائدة / ١١٦ ـ ١١٧ .

أمر السقيفة أمر صعب ، ليس بالأمر السهل لأنه هو الذي قسم الأمة الى سنة وشيعة ثم الى فرق بلغت الثلاث والسبعين فرقة ، وهذا ما نص عليه الرسول ولكن ويا للأسف كل فرقة تكفر الأخرىٰ أو تمزّقها وكأنها هي الفرقة التي ارتكز الاسلام عليها وهي الاسلام الحقيقي وغيرها من الفرق كافرة مشركة رافضة حتىٰ أصبح الاسلام الكبير العظيم الذي بناه وشيده رسول الله (ص) لا ينجو منه إلا فرقة . لقد نجح مؤتمر السقيفة بجر معظم الناس الى جهنم وأوردهم النار فماذا كان يريد هذا المؤتمر ؟

قال (ص) : علي مع الحق والقرآن ، والحق والقرآن مع علي ، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض .

رواه الحمويني في فرائد السمطين في باب ٣٤ بسنده عن أم سلمة زوجة رسول الله (ص) ورواه بطرق ومضامين قريبة من هذا .

روىٰ القندوزي الحنفي في ينابيعه أيضاً عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله (ص) لأم سلمة : يا أم سلمة علي منّي وأنا من علي ، لحمه من لحمي ، ودمه من دمي ، وهو منّي بمنزلة هارون من موسى ، يا أم سلمة إسمعي واشهدي هذا عليّ سيد المسلمين .

والمسلمون هنا كافة العرب والعجم ، فلا يخرج منهم أحد إلا وهو مولى لعلي ، وعلي مولاه وسيده كما قلنا صغيراً او كبيراً ، حاكماً او محكوماً ، ذكراً أم انثى .

علي سيد العرب

روىٰ القندوزي أيضاً في ينابيعه عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) : من سيد العرب ؟

قالوا : أنت يا رسول الله .

قال (ص) : أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب .

فعلي سيد العرب والعجم لأنه أخو رسول الله (ص) ، وهو الرجل الوحيد الذي شارك النبي (ص) بأكل الطائر ، وهو الإمام الذي جعله الله سبحانه إماماً لهذه الأمة كلها ، بل هو إمام الإنس والجن ، إمام الثقلين ، وهو الذي قال فيه رسول الله (ص) : أنا وعلي كهاتين .

ولهذه الأحاديث الثلاثة نقص عليكَ أيها القارىء هذه الأخبار لعلك تعرف إمامك الذي هو سيدك وسيد كل إنسان خلقه الله ، كما رسول الله (ص) هو سيد الكل ، وقد اتصلت الأخبار بأنه أخوه في الدنيا والآخرة أجمعت الأمة كلها عليه ولم تختلف فيه من خبر المؤاخاة ، وهو ان رسول الله صلى الله عليه وآله آخىٰ بين الصحابة واختار علياً أخاً لنفسه دون جميع أمته ، وقد علم أن هذه المؤاخاة لم تكن لمحبة الدنيا وميل الطباع فحسب ، ولا لسبب من أسباب الدنيا يخرج عن الصواب ، وإنما هو أمر متعلق بالدين ، وأورده عن أمر الله في أن يؤاخي بين كل مشتبهين ، فلما آخىٰ بين الحاضرين اختار علياً (ع) لنفسه أخاً دون الجميع ، فعلم أنه أشبه الخلق به في مقتضىٰ الشرع والدين ، وأشبه الخلق برسول الله (ص) ، هو أفضل من كل من فضل عليه رسول الله .

أخيٰ رسول الله (ص) بين أصحابه ، فقلت : يا رسول الله آخيت بين أصحابك وتركتني لا أخ لي .

فقال : إنما اذخرتك لنفسي ، أنت أخي في الدنيا والآخرة .

وكان بهذا أقرب الناس شبهاً به في الآخرة كما كان أخاه في الدنيا وكان أقرب الناس شبهاً به في الدنيا ، وهذا يوضح أنه أعلى البشر بعد رسول الله (ص) قدراً وأعظمهم عند الله في الآخرة ثواباً ، فهو سيد بعد رسول الله .

وفي خبر الطائر الذي لم يدفعه من أهل العلم دافع الذي يشهد بأن أمير المؤمنين هو أحب الخلق الى الله عز وجل بعد النبي ، وأحب الخلق اليه تعالى هو أعظمهم ثواباً عنده ، لأن محبة الله تعالى ليست ميل طباع ، وإنما معناها الثواب ، والخبر مشهور ما قال أنس لسبب ما جرىٰ منه فيه معروف دعاء علي على أنس ، لأنه ادعىٰ ثلاث مرات أن النبي مشغول ، فقال علي (ع) : اللهم ارمِ أنساً بوضح لا يشره من الناس ، فظهر عليه البرص ـ نعوذ بالله ـ حتى صار رأسه كله برص ـ والسبب كان دعاء علي .

قال أنس : كنت احجب رسول الله (ص) فاصلحته أم سلمة الزم الباب لينال رسول الله منه ، فلزمت الباب وقدمته الى النبي ، فلما وضعته بين يديه رفع رسول الله (ص) يديه وقال : اللهم إتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر .

فسمعت دعوة رسول الله وأحببت أن يكون رجلاً من قومي ، فأتى علي فقلت له : إن رسول الله عنك مشغول ، فانصرف .

ثم دعا رسول الله ، وقد فعلها ثلاث ، وفعلها علي ثلاث ، وفعلتها ثلاث ، ولما كانت الثالثة دفعني ودخل على رسول الله ، فقال له رسول الله : ما أبطأك ؟

قال علي (ع) كلما اتيت أسأل أنس عنك فيقول رسول الله عنك مشغول ، فأنصرف وهكذا صنعتها ثلاثاً ، وفي الثالثة دخلت كرهاً عليه .

قال رسول الله (ص) : لماذا يا أنس فعلت هذا ؟

قال أنس : يا رسول الله سمعت دعاءك وأحببت أن يكون رجلاً من قومي .

فقبل رسول الله علياً بين عينيه ودعا له .

فصار هذا ، وكان علي يفتخر على الناس بقضية هذا الطائر ، وهذا الحدث الذي حصل له في اكل الطائر لأنه أحب الخلق الى الله ، فهو أحب الخلق الى الله وهو سيد الخلق بعد رسول الله ، لأنه أحبهم إليه ، وليس هناك إنسان يضاهيه في المحبة .

وقد ورد هذا الخبر من طرق السنة والشيعة بلا فرق ، ولا خلاف فيه ، وما أحلى احتجاج علي فيه يوم الشورى حينما قال : هل فيكم من قال فيه رسول الله (ص) : اللهم أتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر ؟

قالوا : اللهم لا .

ولم ينكر عليه ذلك أحد ، فهم لعلمهم بصدقه ، وهو دالٌ بظاهر عمومه على ان علياً عليه السلام أفضل من كافة خلق الله ، سوى من حصل الاجماع على فضله وهو رسول الله (ص) ، وهذا عموم اللفظ ، وعمومه يتناول كل من غاب وحضر . وتقدير الكلام من كان يأكل معي من هذا الطائر هو أحب خلق الله إليه ، فيجب ان يكون علياً أفضل الأولين والآخرين ، لأن كلام الرسول (ص) يشمل الغائب والحاضر .

قال سيد البشر رسول الله (ص) : أنا وعلي كهاتين

وجمع بين مسبحتيه ، وهذا علمنا أنه لم يرد بهذه الإشارة غير الرتبة في الفضل ، فهو أفضل من كل من فضّل عليه رسول الله (ص) ، ولولا ان رسول الله (ص) أعلى منه في الفضل درجة لساواه في الحقيقة .

وتوضيح ذلك أيها القارىء هو أن النبي (ص) أعطاه هذه الرتبة وجعله منه بهذه المنزلة ، والمعطي على من أعطاه .

المزية الأخرىٰ أن علياً عليه السلام لم يقل قط أنا ورسول الله (ص) كهاتين . وإذا لم يعطي هذه مساواته في كل حال ، فلا بد من أن يكون أقرب خلق الله به شبهاً في الفضل وعلو القدر ، وإلا لم يكن للكلام غرض يقصد ، ورسول الله (ص) قال : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وأبوهما خيرٌ منهما . ولم يقل سيد شبابها لوجود كهولها ، فيما يكون ذلك تميزاً ، وإنما قاله وصفاً إذا كان أهلها كلهم شباباً ، لأنه (ص) قال : لا يدخلها العجّز . والغرض أن النبي (ص) فضلهم على كافة أهل الجنة لأنهم كلهم شباب يدخلونها ، وعلي خير منهما .

هذا دليل قاطع أنه سيدهما أيضاً ، ولا شك فعلي سيد العرب .

قال رسول الله (ص) علي سيد المسلمين . . علي خير البشر كله .

الفصل الثالث

علي سيد العرب والعجم بالعقل وبمولده الشريف

قالوا إن رجلاً فاخر علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال رسول الله (ص) لعلي : أي أخي فاخر العرب ، فأنت أكرمهم ابن عمٍ ، وأكرمهم أباً ، وأكرمهم أخاً ، واكرمهم نفساً ، وأكرمهم نسباً ، وأكرمهم زوجةً ، وأكرمهم ولداً ، وأكرمهم عماً ، وأعظمهم عناءاً بنفسك ومالك ، وأتمهم حلماً ، وأكثرهم علماً ، وأنت أقراهم لكتاب الله ، وأعلمهم بسنن الله ، وأشجعهم قلباً ، وأجودهم كفاً ، وأزهدهم في الدنيا ، وأشدّهم اجتهاداً ، وأحسنهم خلقاً ، وأصدقهم لساناً ، وأحبهم الى الله وإليّ ، وستبقىٰ بعد ثلاثين سنة تعبد الله ، وتصبر على ظلم قريش ، ثم تجاهد في سبيل الله إذا وجدت أعواناً ، تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله الناكثين والقاسطين والمارقين من هذه الأمة ، تقتل شهيداً ، تخضب لحيتك من دم رأسك ، قاتلك بعد عاقر الناقة في البغض الى الله ، والبعد من الله ، ويعدل قاتل يحيىٰ بن زكريا .

وهذا ما ذكره الحسن البصري ، وأبو ذر الغفاري قال : لعلي السابقة في الدين والعلم والحكمة والعفة ، وفي الرأي والصحة ، وفي الفضل ، وفي البسطة ، وفي العشيرة ، وفي الصهر ، وفي النجدة ، وفي الحرب ، وفي الجود ، وفي الماعون ، وفي القضاء ، وفي القرابة ، وفي البلاء ، إن علياً في كل أمر أمره علي ، فرحم الله علياً وصلى عليه .

فالذي يأمره النبي (ص) أن يفاخر العرب وهو أكرمهم بكل الأشياء

فلماذا لا يكون سيدهم الشاهد الأول ورسول الله (ص) به ، وهو المعترف بالسيادة ، فإذاً لا ناكر لهذا ولا يقدر أحد على انكار ذلك ، ولا أن يفاخره أحد من الناس ، إذا سقط التفاخر من العرب ، فالناس أولى ان يسقط حقها ، لأنها شهادة لا ترد قط ، فسيد الكائنات (ص) شهد له بهذا الفخر العظيم .

مولده :

ولد الإمام علي سلام الله عليه وتحياته ورضوانه وكرامته وبركاته بمكة المكرمة ، وفي بيت الله الحرام ، في يوم الجمعة ثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رجب ، لثلاثين سنة خلت بعد عام الفيل .

امه : فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي .

وهو أول هاشمي ولد من هاشميين ، ولم يولد في بيت الله الحرام قبله أحد ، ولا بعده أحد ، حتى تنتهي هذه الحياة الدنيا باقٍ هذا الشرف له ، هو وحده وليد البيت المعمور وليس غيره .

وكانت كيفية الولادة حينما جاء أمه المخاض وهي في طريقها للدخول الى بيت الله ، فدخلته لغاية الطواف فيه ، وأحسّت بما يأخذ النساء ، وقفت بإزاء البيت فقالت : يا رب إني مؤمنة بك ، وبما جاء من عندك من رسلٍ وكتب ، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم خليلك عليه السلام ، وانه نبي البيت العتيق ، فبحق الذي بنى هذا البيت وبحق المولود الذي في بطني لمّا يسّرت عليّ ولادتي .

نعم ، وحينما أتمت دعاءها وقد انشق جدار البيت وانفتح فدخلت فاطمة بنت أسد بن هاشم فيه وغابت عن أبصار الناس وعاد شق الحائط الى ما كان عليه ، وأراد من كان في البيت الحرام فتح باب الكعبة . .

قال الراوي : قفل الباب فلم ينفتح ، فعلمنا أن ذلك أمرٌ من الله عز وجل . ثم خرجت بعد أمرٍ قد قضي وبيدها أمير المؤمنين عليه السلام ، ثم

قالت : إني فضلت على من تقدمني من النساء - وقالت - إن آسيا بنت مزاحم عبدت الله عز وجل سرّاً في موضع لا يحب الله أن يعبد فيه إلا اضطراراً ، وإن مريم بنت عمران هزّت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطباً جنياً ، وإني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة ، فلما أردت ان أخرج هتف بي هاتف : يا فاطمة سميّه علياً ، فهو علي والله العلي الأعلىٰ ، يقول الله تعالى : إني اشتققت إسمه من إسمي ، وأدبته بآدابي ، ووقفته على غامض عملي وعلمي ، وهو الذي يكسّر الاصنام في بيتي ، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي ويقدسني ويمجدني ، فطوبى لمن أحبّه وأطاعه ، وويل لمن أبغضه وعصاه .

وهذه فضيلة خصّه الله بها إجلالاً وتعظيماً وإكراماً له ، وهي إعلاء لمرتبته وإظهار لكرامته .

أجل ولد سيد الوصيين في مكة المكرمة ، ولكن أيهما شرّف صاحبه مكة أم وليدها ؟ ونحن لا نعرف هل المولود تشرف بمولد مكانه أم المكان تشرف بالوليد ؟ وأيهما أعظم من صاحبه ؟ ولقدجاء أن الحطيم وزمزم تشرفت به ، فهو ابن مكة وبه تشرفت الحطيم وزمزم ، لا شك أنه أشرف ، به تشرفت الكعبة ، ومن تشرفها تحطيمه لأصنام الطغاة من فوق البيت الذي كان يئن من رجس الأصنام على سطحه ليصبح طاهراً يؤمه ألوف المسلمين في كل وقت يطلبون الاستغفار من رب البيت بواسطة قدسيته .

فالأصنام التي كانت قريش قد صنعتها ولم تخش الكعبة ووضعتها لترقص وتطرب إليها في ستار البيت بلا خجل ولا خشية من الله ، حتى منهم من دخل الإسلام خوفاً أو طمعاً وهو يرق ويميل بحبّه لأربابه الذين كان يعبدهم .

ولد في الكعبة ، يريد الله أن يطهره ويجعله أشرف وأفضل وأعظم الماضين والحاضرين ، واكرم من السلف ، وسيد الخلق ، ولو نظرنا نحن وحققنا النظر وحكمنا الوجدان والضمير وتجردنا عن التعصب والأنانية والأحقاد وتحررنا من عبادة الأفراد والتحيز الذي يعمي العيون والقلوب ،

الذي يأخذ بنا الى عدم رضا الله ورضا رسوله والى النار ، لقلنا ولقال الناس لماذا ولد علي في الكعبة ـ وهي بيت الله ، وهي بيت عبادة ، وليس بيت ولادة ـ من دون الباقين ؟ .

ثم لماذا ولد أبونا آدم في الأرض على باب الجنة وهو أبو البشر ، صنع من الطين ، وبقي عدة أعوام مطروحاً على الأرض ، وكذا سيدنا نوح عليه السلام ولد في العراق بقصبة يقال لها الكوفة ، وكذا هود وصالح ولدا على سطح الأرض ، وسيدنا الخليل إبراهيم أبو الانبياء وشيخهم أمين الرحمٰن ولد في غار من الأرض ، وموسى بن عمران كليم الله ولد ووضع في تابوت وقذف في اليم ، وسيدنا المسيح تحت نخلة كانت قد استظلت أمه مريم تحتها ، ولم يسمح لها الرحمٰن أن تلد في بيت المقدس حتى قيل لها إنه بيت عبادة وليس بيت ولادة حينما جاءها المخاض ، بل أمرتها الملائكة الى جذع النخلة اليابسة ، وسيد البشر رسول الإنسانية المصطفىٰ الحبيب الغالي الكريم والبشير النذير ولد في أحد شعاب مكة ، وجميع الرسل والأنبياء والصالحين كمثال يعقوب وإسحاق وإسماعيل ويوسف ولوطاً ويونس وداود وسليمان وشعيب ، هذه الصفوة العطرة الخيرة النيرة الجميلة المقدسة لم ينالوا هذه المرتبة والدرجة الرفيعة العظيمة ولم ينل أحد منهم هذا الشرف الكبير إلا سيد الوصيين علي بن أبي طالب إمام المتقين ، لقد ولد في بيت الله وهذا فخر وشرف له وعظمة كساه الله بها وبهجة ، لماذا ؟ أو ليس هناك من هو كفؤ لذلك .

لقد كان أبونا آدم إذا أراد أن يغشىٰ أمنا حوّاء يخرج من البيت وبعد أن يغتسل من الجنابة يعود الى البيت ليتعبد ، فهنيئاً لك يا إمام المتقين وإمام المؤمنين والثقلين والضارب بالسيفين كيف لا يكون كذلك وهو الطاهر المطهر ، نفس رسول الله (ص) وصاحب لوائه وصاحب آية التطهير وكيف لا يكون كذلك ولقد منع الله سبحانه وتعالى جميع المسلمين من أن تكون أبواب بيوتهم تجاه مسجد رسول الله خشية نجاسة الجنب والحيض والنفاس غلقت الأبواب كلها إلا بيت سيد الرسل والأنبياء والسيد علي بن أبي طالب وفاطمة .

وكان علي (ع) يجنب ويغتسل هناك داخل بيته الذي هو في المسجد كما هو الحال اليوم بيت فاطمة ملاصق لبيت الرسول (ص).

﴿ أجعلتم سقايةَ الحاجِّ وعمارةَ المسجدِ الحرامِ كمن آمنَ باللهِ واليومِ الآخرِ وجاهدَ في سبيلِ اللهِ لا يستوونَ عند الله، والله لا يهدي القومَ الظالمين ﴾[1].

يا أهلَ بيتِ رسول الله حبكمُ ... فرضٌ منَ اللهِ في القرآنِ أنزلهُ
كفاكمُ من عظيمِ القدرِ أنكمُ ... منْ لمْ يصلِّ عليكمْ لا صلاة لهُ

أولِ النهىٰ عجزت عن وصفِ حيدرةٍ ... والعارفونَ بمعنىٰ ذاتهِ تاهوا
ان أَدْعُهُ بشراً فالعقلُ يمنعني ... وأتقي اللهَ في قولي هوَ اللهُ

قال ابن مسعود: جلست بين يدي رسول الله (ص) فقال: إعلم أن الله خلقني وعلياً من نور عظمته قبل أن يخلق الله الخلق بألفي عام إذ لا تسبيح ولا تقديس ولا تهليل، ففتق نوري فخلق منه السماوات والأرض، وأنا والله أجل من السماوات والأرض، وفتق نور علي بن أبي طالب فخلق منه العرش والكرسي، وعلي والله أجلُّ من العرش والكرسي، وفتق نور الحسن فخلق منه اللوح والقلم، والحسن والله أجل من اللوح والقلم، وفتق نور الحسين وخلق منه الجنان والحور العين، والحسين والله أجل من الجنان والحور العين، ثم اظلمت المشارق والمغارب واشتكت الملائكة الى الله تعالى أن يكشف عنهم تلك الظلمة، فتكلم الله جل جلاله بكلمة فخلق منها روحاً، وهذه ازدهرت بنور فاطمة.

ومن هذا تظهر لنا افضلية علي بن أبي طالب على البيت لأنه خلق من نور الله وبيته حجر، ولا شك النور هو أفضل من كل شيء، لأنه نوره والنور أكرم من البيت وأعظم.

ثم ان البيت خلق لأجل محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات

---

(١) التوبة ١٩

الله عليهم أجمعين ، ولا شك كل شيء يوجد لأجل من هو موجود قبله فهو أفضل واكرم .

ثم أخبرت الأحاديث أن حرمة المؤمن العادي غير الإمام المعصوم هي فوق حرمة البيت الحرام ، وحرمة الإمام هي فوق حرمة المؤمن والبيت حتماً ، وهذا ما جاء عن رسول الله (ص) حيث قال : حرمة المؤمن عند الله أفضل من حرمة البيت . لأن المؤمن عامل والبيت لا يعمل ، المؤمن خاضع لله وراكع وساجد ومسبّح ، والبيت يطاف حوله ولا يطوف ، والطواف لوجه الله تعالى .

وحرمة المؤمن أعظم وأكرم من الجبال ، فقد قال رسول الله (ص) : من آذىٰ مؤمناً فقيراً فكأنما قتل الملائكة المقربين وهدم الكعبة .

وخلاصة القول ان علياً أفضل وأعظم من البيت ، لذا فقد تشرف البيت بمولده عليه السلام فيه، لأنه بانٍ للإسلام ، والبيت لم يبنِ الاسلام ، علي كسر الاصنام من داخل البيت ، والبيت لم يكسِّر الاصنام .

حتى انه (ص) قال عنه : ما قام هذا الدين إلا بسيف علي بن أبي طالب ومال خديجة بنت خويلد .

فعلى هذا هو المؤسس والباني والمرسي لأركان الإسلام ، وهو أصل الاسلام وفرعه وركنه ، لذا صار أمير المؤمنين سيدنا علي سيداً لكافة العرب والعجم بسيادته في ولادته دون أن يدانيه في مكان ولادة أحد قط لا من الانبياء ولا من الاوصياء ولا الرسل في هذا الشرف العظيم .

وهو الذي ولد في الكعبة ، في بيت الله ، واستشهد في المسجد ، في بيت الله في الكوفة في العراق .

طاب ثراك أيها المولود بالبيت وأيها المستشهد بالبيت ، يا مكسر الأصنام من فوق البيت ، ويا من جعلت قريش خاضعة ساجدة على التراب من بعد استكبارها وجبروتها وغطرستها وجهلها .

قال سيد الرسل (ص): أعطيت ثلاثاً وعلي مشاركي فيها، وأعطي علي ثلاثاً لم أشاركه فيها.

فقيل يا رسول الله: وما الثلاث التي شاركك فيها؟

قال: لواء الحمد لي وعلي حامله، والكوثر لي وعلي ساقيه، والجنة لي والنار لي وعلي قسيمها.

وأما الثلاث التي أعطيت لعلي ولم أشاركه فيها: فإنه أعطي الشجاعة ولم أشاركه فيها، وأعطي فاطمة زوجة ولم أُعط مثلها، وأعطي ولديه الحسن والحسين ولم أُعط مثلهما.

وكان يقصد النبي (ص) بالشجاعة هنا أعمالها وممارسة الحروب وفنونها والدخول فيها والخوض، لا مبدءها من قوة القلب ورباطة الجأش والجرأة على اقتحام الحروب، لماذا؟ لأن النبي (ص) هو الحاكم والسلطان والملك والقائد لهذه الأمة وما كان يباشر أعمال الحروب بيده الشريفة، بل كانت القيادة له وكان يمارسها بما يطلب من القائد وتنظيم الحروب.

وقد جاء على لسان الحسين عليه السلام في أحد أقواله وخطبه أنه قال: نحن شجرة النبوة، ومعدن الرسالة، ونحن عهد الله، ونحن ذمته، لم نزل انواراً حول العرش نسبح فسبح أهل السماء لتسبيحنا، فلما نزلنا الأرض سبحنا فسبّح أهل الأرض، فكل علم خرج إلى أهل السماوات والأرض فمنّا وعنّا، وكان في قضاء الله السابق أن لا يدخل النار محبٌّ لنا، ولا يدخل الجنة مبغض لنا، لأن الله يسأل العباد يوم القيامة عمّا عهد إليهم، ويسألهم عما قضىٰ عليهم.

شجرة النبوة وليس شجرة النبي فحسب، فهم أصل الأنبياء، وهم الشجرة التي خرجت منها النبوة كافة، والأنبياء فرع لها، وهم جذورها وساقها وأعضاءها وثمرها وزهرتها ونبعها وكيانها ولقاحها.

نحن عهد الله الذي أخذه الله في عالم الذر على كافة بني البشر حينما أخذهم من ظهر آدم وقال لهم: ألست بربكم. عهد الربوبية وعهد النبوة

وعهد الإمامة، وقرّوا كلهم في العهود كلها ، عهد الربوبية والنبوة والامامة ، هذا العهد هو الذي يحاسب عليه الانسان ، وعليه أن لا يفرّط به ، وإذا فرّط به أحد يكون مصيره البعد عن رحمة الله والطرد من حضرته ، والعهد أخذ على الانبياء وعلى جميع المخلوقات حتى الجماد والنبات والعجماوات ، عهد لا ينكر ولا ينسىٰ ، ولا يستطيع أحد الخلاص منه أبداً ، وهو أمانة في أعناق الناس من ذكر وأنثىٰ ﴿ **وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم** ﴾[1] .

العهد هو الإمامة والولاية ، وهذين العهدين لم يترك أحد من الناس إلا وسئل عنه .

ونحن ذمة الله وكل من يخشىٰ الله ويخافه لا يفرط بالذمة ، والذمة شبيهة بالوصية . وصيتي لكم أيها الناس هؤلاء الصفوة الطاهرة والعترة الخيرة ، والذمة هي كأمانة ، وهذا يعني هم سلام الله عليهم أمانة الله أودعها عند الناس .

يا لها من امانة قد فرّط بها الإنسان وهو يجب أن يكون أمين عليها ، نعم وهم كما قالوا كانوا في منازل السماء أنواراً محدقين حول العرش يقدسونه ويسبّحونه ويمجدونه ويعظموه ، ولم يسبّحه أحدٌ قبلهم ولا غيرهم قط ، فكل من كان في السماء يسمع تقديسهم وتسبيحهم فهو يقدسه ويسبّحه ، وهم يعلمون بقدرة الله ، ولما نزلوا الأرض جعلوا الدنيا كلها تسبّح له وتقدسه بالأعمال التي فعلوها بالسيف والعزّة والشرف والحكمة والعلم والزهد والصبر في النوائب ، فما كان أحد يصل الى أعمالهم ، ولا يداني أخلاقهم أصحاب مكارم وأخلاق وتسامح ، فالتسامح سجيتهم ، والعلوم التي هي الآن في الأرض سببها هم سواء كانت هذه العلوم فقهية أم بلاغية أو فصاحة ونحو وجبر ورياضيات وفيزياء وكيمياء وهندسة وأصول وذرّة وطب وحكمة فهي علومهم وهذا شيء لا ينكره إلا مكابر أو ناصبي حاقد مبغض لله ولرسوله ولهم ، فهم أهل العلم بكافة العلوم الأرضية والسمائية التي امتهنها البشر

---

(١) البقرة ٤٠ .

اليوم بعد أن كان في ظلام دامسٍ وجهل مطبق وفقر مدقع ، فكانوا هم نعمة الحياة اليوم ، وما أنار هذه الأرض هو نسجهم وإبداعهم وتعليمهم الى الناس ، والحياة لم تكن إلا من أجلهم كما كان في أصل الحياة في العرش ، والحياة إنما تنعم بأهلها اليوم بسبب طاعة محمد (ص) وعترته لله تعالى ، فلقد ازدهرت بهم وبهذه العلوم تعظيماً واكراماً وعزّاً وشرفاً لهم ، ولذا جاء في عهد الخالق وذمته ، فالذي يرعىٰ العهد والذمة ويعظمه ويقدسه ويحترمه يدخله الله الجنة بغير حساب . وهذا هو قضاء الله وقدرته السابقين ، ولا يستطيع أحد الاعتراض على ذلك ، ليس لأحد سؤاله لماذا كان هذا ، ولم حصل ذلك ، فالله سبحانه وتعالى يريد الأخذ بأمره والانتهاء عما نهىٰ عنه ، فالغرض من التمسك بالأمرين هو العهد والذمة ، لأن الرسول (ص) كان أمين الله سبحانه وتعالى ، ولما قبض الرسول (ص) أصبح أهل بيته هم أمناء الله حيث أن علم المنايا والبلاء عندهم ، وأنساب العرب من ولد في الاسلام والجفر والجامعة عندهم ، وليس من فئة تضل بآية أو تهتدي بآية إلا وهم عارفون لناعقها وقائدها وسائقها ، ويعرفون المؤمن من المنافق ، أخذ الله العهد لهم على المحبين قبل خلق السماوات والأرض يردون موردهم ويدخلون مدخلهم ، فليس هناك حملة للاسلام دونهم ودون محبيهم الى يوم القيامة ، لذا كانت الكعبة قد تفضلت وتشرفت بالمولود الشريف ولم تتشرف بأحدٍ قبله ولا بعده . وكما ذكرنا آنفاً مواليد الانبياء كلها معروفة .

الفصل الرابع
علي سيد العرب والعجم بفضله

ونحن في فضله وعظمته على الأمة كافة والبشرية عامة ، نتقدم بهذه الفضيلة العظيمة والمفخرة الكبيرة لسيدنا سيد الوصيين سيد العرب والعجم بعد تشرفه وسيادته بمولده الشريف على الناطقين بالضاد وغيرهم في بيت الله .

جاء في روايات عديدة أن النبي (ص) قال لأصحابه ليلة بدر : من منكم يمضي في هذه الليلة الى البئر ، فيستسقي لنا ؟ فصمتوا ولم يقدم منهم أحد على ذلك . فقام علي (ع) وأخذ قربته وانطلق يبغي الماء ـ وكانت ليلة ظلماء باردة ذات رياح ـ حتى ورد البئر ـ وكان عميقاً مظلماً ـ فلم يجد دلواً يستسقي به ، فنزل في البئر وملأ القربة ، فارتقى وأخذ في الرجوع ، فعصفت عليه عاصفة ، جلس على الأرض لشدّتها حتى سكنت ، فنهض واستأنف المسير ، وإذا بعاصفة كالأولى تعترض طريقه فتجلسه على الأرض ، فلما هدأت العاصفة قام يواصل سيره وإذا بعاصفة ثالثة تعصف عليه ، فجلس على الأرض ، فلما زالت عنه قام وسلك طريقه حتى بلغ النبي (ص) ، فسأله النبي (ص) فقال : يا أبا الحسن لم أبطأت ؟

فقال : عصفت عليّ عواصف ثلاث زعزعتني ، فمكثت حتى تزول . فقال (ص) : وهل علمت ما هي تلك العواصف يا علي ؟

فقال : لا .

فقال (ص) : كانت العاصفة الأولى جبرائيل ومعه ألف ملك سلّم

عليك وسلّموا ، والثانية كانت ميكائيل ومعه ألف ملك سلّم عليك وسلّموا ، والثالثة قد كانت إسرافيل ومعه ألف ملك سلّم عليك وسلّموا ، وكلهم قد هبطوا مدداً لنا .

وهذه المسألة مذكورة في كتاب الله لذا أشار من قد أشار الى انها كانت ثلاثة آلاف منقبة في علي بن أبي طالب عليه السلام في ليلة واحدة .

ومن هنا أشار السيد الحميري ، في مدحه له حينما قال شعراً :

أقسم بالله وآلائه ... والمرءُ عمّا قال مسؤولُ
إن علي بن أبي طالبٍ ... على التقى والبرِّ مجبولُ
كان إذا الحرب مرتها القنا ... واحجمت عنها البهاليلُ
يمشي إلى القرنِ وفي كفّه ... أبيضُ ماضي الحدِّ مصقولُ
مشي العفرنا بين أشباله ... أبرزه للقنص الغيلُ
ذاك الذي سلّم في ليلة ... عليه ميكال وجبريلُ
ميكالُ في ألفٍ وجبريل في ... ألفٍ ويتلوهم سرافيلُ
ليلة بدرٍ مدداً انزلوا ... كأنهم طيرٌ أبابيلُ

* * *

قال رسول الله (ص) لعلي (ع) : يا علي بشّرني جبرائيل عن رب العالمين فقال : يا محمد بشر أخاك علياً بأني لا أعذب من تولّاه ، ولا أرحم من عاداه .

وقال ابن عباس في حديث : أن أمير المؤمنين عليه السلام شرب ماء، فسجد النبي (ص) :

فقيل له : لم سجدت يا رسول الله ؟

فقال (ص) : لما شرب علي ناداه الله تعالى هنيئاً ومريئاً يا وليي ، وحجتي على خلقي ، وأميني على عبادي .

أقول : اكثر الناس ينكرون هذا الحديث ويقولون كيف يقول الله لعلي هنيئاً مريئاً .

الجواب : لقد قال الله سبحانه وتعالى لجميع عباده وخلقه ـ وهم بالنسبة لعلي ليسوا بكفؤ مهما قدم البشر من طاعة لله وخدمة في سبيله فلا يساوي فضيلة من فضائله أبداً ـ قال لهم هنيئاً مريئاً وذلك في قوله تعالى :﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون ﴾[1] وفي قوله : ﴿ فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً ﴾[2]، فكيف يجوز أن يقال ذلك لأقل الناس عملاً ولا يجوز أن يقال مثله لأمير المؤمنين وهو وليّه ومرمي قواعد الاسلام ، فمن يصرّ بالقول أن قوله هذا لا يجوز أن يكون لعلي ويكون ذلك لعامة الناس فهذا عقل اكلته الاحقاد والبغضاء .

وورد عن رسول الله (ص) أنه قال : ليلة أسري بي الى الملكوت الأعلى وجدت إسم علي مقروناً باسمي في أربع مواضع .

الأول وجدت على صخرة بيت المقدس مكتوباً : لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي ، محمد رسولي من خلقي أيدته بوزيره ونصرته به .

فقلت : يا جبرائيل ومن وزيري ؟

فقال : علي بن أبي طالب .

قال : ولما أتيت العرش وانتهيت إليه ، وجدت مكتوباً على قائمة العرش : لا إله إلا أنا وحدي ، ومحمد صفوتي من خلقي أيدته بوزيره ونصرته به .

فقلت : يا جبرئيل ومن وزيري ؟

فقال : علي بن أبي طالب .

---

(١) الطور ١٩ .

(٢) النساء ٤ .

وقال (ص) : لما انتهيت الى سدرة المنتهىٰ وجدت مكتوباً عليها : لا إله إلا أنا وحدي ، ومحمد صفوتي من خلقي أيدته ونصرته بعلي .

قال : ولما انتهيت الى باب الجنة وجدت مكتوباً عليها : لا إله إلا أنا وحدي ، محمد صفوتي من خلقي أيدته بوزيره علي ونصرته به .

وقال (ص) : لما عرج بي الى السماء ناداني ربي : يا محمد إني أقسمت بي وأنا الله الذي لا إله إلا أنا أن أدخل الجنة جميع أمتك إلا من أبىٰ . .

فقلت : يا رب من يأبىٰ دخول الجنة ؟

فقال سبحانه : إني اخترتك نبياً ، واخترت علياً ولياً ، فمن أبى محبته وولايته فقد أبى دخول الجنة ، لأن الجنة لا يدخلها إلا محبُّه ، وهي محرَّمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت وعلي وفاطمة وعترتهم وشيعتهم .

فسجدت لله شكراً ، ثم قال لي : يا محمد إن علياً هو الخليفة بعدك ، وإن قوماً من أمتك يخالفونه ، وإن الجنة محرّمة على من خالفه وعاداه ، فبشّر علياً ان له هذه الكرامة مني ، وإني سأخرج من صلبه أحد عشر نقيباً منهم سيد يصلي خلفه المسيح بن مريم ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

فأمر النبي (ص) منادياً ، فنادىٰ الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس حتى إذا علا (ص) المنبر ذكر كلاماً طويلاً في شأن علي (ع) ، ثم قال : إني مبلغكم عن الله تعالى في أمر رجل لحمه من لحمي ودمه من دمي ، وهو الذي انتجبه الله من هذه الأمة واصطفاه ، وفضلني بالرسالة وفضله بالتبليغ عني ، وخصه بالوصية وغفر لشيعته ، وانه تعالى يقول : من عاداه عاداني ، ومن والاه والاني ، ومن ناصبه ناصبني ، ومن خالفه خالفني ، ومن عصاه عصاني ، ومن أبغضه أبغضني ، ومن آذاه آذاني ، ومن أحبه أحبني ، ومن أراده أرادني ،ومن كاده كادني ، ومن نصره نصرني ـ وذكر الحديث .

فنزل جبرئيل وقال : يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول جزاك الله

عن تبليغك خيراً ، فقد بلّغت رسالات ربّك .

قال سلمان الفارسي : سمعت محمداً (ص) يقول : إن الله يقول يا عبادي أوليس من له إليكم حوائج كبار لا تجودون بها إلا ان يتحمل عليكم بأحب الخلق اليكم تقضونها كرامة لشفيعهم ، الا فاعلموا ان اكرم الخلق علي (ع) وأفضلهم لديّ محمد وأخوه علي ومن بعده الأئمة الذين هم الوسائل إليّ ، ألا فليدعني من همّته حاجة يريد نفعها ، أو دهمته داهية يريد كشف ضرها بمحمد وآله الطيبين الطاهرين أقضها له أحسن ما يقضيها من تتشفعون له بأحب الخلق إليه .

وما رواه البرقي في كتاب الآيات عن أبي عبد الله (ع) أن رسول الله (ص) قال لأمير المؤمنين علي (ع) : يا علي أنت ديان هذه الأمة والمتولي حسابها ، وأنت ركن الله الأعظم يوم القيامة ، ألا وإن المآب إليك ، والحساب عليك ، والصراط صراطك ، والميزان ميزانك ، والموقف موقفك .

وهذا يؤيده ما رواه شريح بسنده عن نافع عن عمر بن الخطاب عن رسول الله (ص) أنه قال : يا علي أنت نذير أمتي ، وأنت هاديها ، وأنت صاحب حوضي ، وأنت ساقية ، وأنت يا علي ذو قرنيها وكلا طرقها ، ولك الآخرة والأولى . . .

وقال : يا علي إذا كان يوم القيامة يؤتى بك على عجلة من نور على رأسك تاج من نور له أربعة أركان ، على كل ركن ثلاثة أسطر : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي ولي الله ، ثم يوضع لك كرسي الكرامة ، وتعطى مفاتيح الجنة والنار ، ثم يجمع لك الأولون والآخرون في صعيد واحد ، فيأمر بشيعتك الى الجنة ، وبأعدائك الى النار ، فأنت قسيم الجنة والنار ، وأنت في ذلك اليوم أمين الله .

ومن ذلك أن رسول الله (ص) قال : يا علي إذا كان يوم القيامة جيء بك على نجيب من النور ، فمن عرفنا فامامة اليقين ، ومن جهلنا فإمامة سجّين ، ولو شئنا خرقنا الأرض ، وصعدنا السماء وان إلينا إياب هذا الخلق ،

ثم إن علينا حسابهم .

وجاء في فضله أنه (ص) قال : أنا وعلي أبواهذه الأمة .

فمحمد وعلي أبوا سائر الخلائق ، ولولا وجود الأبوين لما كان إنسان على سطح هذه الحياة قط لأنهم الوسيلة الى الله ولكل المخلوق من الأزل وإلى الأبد ، لهم الولاء، وبهم الدعاء يقبل .

قال النبي (ص) : من أراد أن ينظر إلى إسرافيل في رفعته ، وإلى ميكائيل في درجته ، والى جبرئيل في عظمته ، وإلى إبراهيم في سخاوته ، وإلى موسى في شجاعته ، والى عيسىٰ في سماحته ، وإلى محمد (ص) في شرفه ومنزلته ، فلينظر لعلي بن أبي طالب .

وهذا مما يدل على ان كل مخلوق علي مولاه ، وهو أصله وفرعه وجذره ، فهذا الذي حصل على هذه المراتب لا شك انه لا يدانيه أحد لرفعة اسرافيل ، ودرجة ميكائيل ، وعظمة جبرئيل ، والنبي ابراهيم وموسى وعيسىٰ ورسول الله وملك سليمان وداود وغيره ، هذه كلها جاءت بوجود محمد (ص) وعلي لأنهما السبب في وجود الخلق ، فلو لم يكن وجودهما لما خلق الله بقية البشر ، ولا شك انهم السبب ، والفضل والفخر يرجع لهما ، فمن كان عنده عقل وهو يشعر ويتحسس بذلك ، وبهذه الفضائل والأقوال .

ومن فضل علي وسيادته على العرب والعجم هو عدم أكله الصدقة نزّه الله نفسه ورسوله ، ونزّه أهل بيته ، فقال سبحانه من قائل : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين . . .** ﴾[1] .

فالله سبحانه لم يجعل له سهماً ولا لرسوله ولا الأئمة ، وأول الأئمة السيد المشار إليه لماذا ؟ لأن الصدقة في الحقيقة هي أوساخ الناس ، وهم مطهرون من الأدناس ، فهم الآل الذين أمر الله بطاعتهم ، وهذا مما حصل مع الامام الرضا سلام الله عليه مع المأمون العباسي حيث قال له : كيف أصبحتم أولاد رسول الله وعترته ؟

(١) التوبة ٦٠ .

قال الامام الرضا (ع) : إذا كان رسول الله (ص) جاء وطلب منك الزواج من ابنتك ، ما عساك فاعلاً ؟ هل تزوجه أم لا ؟

قال : المأمون هذا شرف لي وفخرٌ ، رسول الله يخطب مني ، فلقد شرفني وتشرفت على العرب والمسلمين إذاً .

قال الإمام الرضا (ع) : أما أنا فلو طلب مني رسول الله (ص)الزواج لم أزوجه لأنه لا يحل له الزواج من بناتي .

وقال المأمون : هذا صحيح لأنك ابنه ولا يجوز أن تزوجه .

لماذا ؟ لأن كل ما نزل من الإمام الرضا وجميع الأئمة فهو حرام على رسول الله (ص) ، من هذا الباب فهم عترته وهم أبناؤه ، وهم أسياد على جميع هذه الأمة التي تتفاخر إذا خطب منها الرسول الزواج فتزوجه .

وليس هناك فرع من فروع العرب والمسلمين يحرم على رسول الله (ص) إلا الأئمة فهم حرام عليه لأنهم أهله وآله وذريته وعترته .

وجاء في فضلهم عن كنز الفوائد الكراجي قال : إعلم إنه لما كانت معرفة الله عز وجل وطاعته لا ينفعان المكلف إذا لم يعرف الامام علي ، ومعرفة الامام وطاعته لا تقعان إلا بعد معرفة الله سبحانه وتعالى .

صحيح أن يقال ان معرفة الله هي معرفة الإمام ، وطاعته هي طاعة الله ، ولما كانت المعارف الدينية والسمعية توحد من جهة الامام ، وكان الامام آمراً بذلك وداعياً الى الله تعالى ، فهو المطاع وواجب الطاعة كوجوب طاعة الله ورسوله .

أقول فما كان لرسول الله (ص) كان لهم ، فهم العترة والذرية والأبناء ، فعلينا إذاً ان تعرف وأن نفرق بين هذا البيت الرفيع وبين البيوت الأخرىٰ ، فهناك فرق شاسع بين كل البيوت وبيتهم .

وجاء في فضله العظيم هذه الآية الكريمة ﴿ **وامر أهلك**

بالصلاة ﴾[1] فكان الرسول الكريم بعد نزول هذه الآية يأتي الى دار سيدتنا فاطمة الزهراء وينادي الصلاة الصلاة يا آل محمد . . الصلاة الصلاة يا آل محمد .

ومن فضل علي على هذه الأمة وعلى سائر البشر ورود حرة بنت حليمة السعدية رضي الله عنها حينما دخلت على الحجاج بن يوسف الثقفي ، ولما استقر بها المجلس ـ وحرة هذه بنت مرضعة الرسول الأكرم (ص) وكانت يومذاك عجوز كبيرة قد أخذ بها الهرم ، والحجاج هذا معروف بعمالته وطاعته للبيت الأموي ، كان لعنه الله يتربص بالناس الدوائر ـ فلما جلست وعرفها وكان قد سمع منها قول من طريق الوشاة ، قال لها : أنت حرة بنت حليمة ؟

قالت : نعم .

قال : قد قالوا فيك أنك تفضلين علياً على أبي بكر وعمر وعثمان .

أجابته بكلمة الحق ، قالت : كذب الذي قال إني أفضله على هؤلاء خاصة .

قال : وعلى من تفضلينه من غير هؤلاء ؟

قالت : أفضله على الانبياء والرسل آدم ونوح وإبراهيم وداود وسليمان وموسى وعيسىٰ ولوطاً .

فتعجب من قولها وغاظ منها وقال لها : ويلك أنا أقول لك تفضليه على الصحابة ، فتزيدين عليهم ثمانية من الرسل وأولي العزم والانبياء ، فإن لم تأتين ببيان ما قلت ضربت عنقك .

فقالت : ما أنا فضلته على هؤلاء الانبياء ، بل الله عز وجل فضله في كتابه المجيد ، والعقل عليهم في قوله في حق آدم ﴿ وعصىٰ آدم ربّه فغوى ﴾[2] وقال في علي عليه السلام ﴿ كان سعيهم مشكوراً ﴾[3] .

---

(١) طه ١٣٢ .

(٢) طه ١٢١ .

(٣) الاسراء ١٩ .

فقال : أحسنت يا حرّة ، ثم بم تفضليه على نوح ولوط ؟

قالت : الله تعالى فضّله عليهما بقوله : ﴿ **ضربَ اللهُ مثلاً للذينَ كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما** ﴾[1] وعلي بن أبي طالب عليه السلام ملكه تحت سدرة المنتهى زوجته بنت محمد (ص) فاطمة الزهراء عليها السلام التي يرضى الله برضاها ويسخط لسخطها.

فقال الحجاج : أحسنت يا حرّة ، لقد جئت ببرهان لا يردّه ويكذبه إلا من كان كافراً برده .

ثم قال : يا حرّة فبم تفضلينه على أبي الانبياء وشيخهم ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام ؟

فقالت : الله جل جلاله فضّله بقوله : ﴿ **وإذ قال إبراهيم ، ربِّ أرني كيفَ تحيي الموتى ، قال أوَلَمْ تؤمنْ ، قال بلى ولكنْ ليطمئنَّ قلبي** ﴾[2]، وأمير المؤمنين قال قولاً لم يختلف فيه اثنان من المسلمين : لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً . وهذه كلمة لم يقولها قبله ولا بعده أحد .

قال : أحسنت يا حرّة ، فبم تفضليه على موسى عليه السلام ، وهو نجيُّ الله ؟

قالت : بقوله تعالى عز وجل : ﴿ **فخرجَ منها خائفاً يترقّبُ قالَ ربِّ نجّني من القوم الظالمين** ﴾[3] وعلي بن أبي طالب لم يبالي ولم يعبأ بقوة قريش وطغيانها وجبروتها وبات على فراش رسول الله (ص) ، وهو لم يقر بالخوف حتى نزلت بحقّه الآية الكريمة ﴿ **ومنَ الناسِ منْ يشري نفسهُ ابتغاءَ مرضاتِ الله . . .** ﴾[4]

---

(١) التحريم ١٠ .

(٢) البقرة ٢٦٠ .

(٣) القصص ٢١ .

(٤) البقرة ٢٠٧ .

قال : أحسنت يا حرّة ، فبم تفضليه على داود عليه السلام ؟

قالت : الله فضّله عليه بقوله : ﴿ **يا داودُ إنّا جعلناكَ خليفةً في الأرضِ فاحكمْ بينَ الناسِ بالحقِّ ولا تتبع الهوى . . .** ﴾[1].

قال لها : فأي شيء كانت حكومته ؟

قالت : في رجلين أحدهما كان له كرم وللآخر غنم ، فنفشت الغنم في الكرم فرعته ، فاحتكما الى داود .

فقال داود : يبتاع الغنم وينفق ثمناً على الكرم حتى يعود على ما كان عليه .

فقال له ولده : يا أبتِ بل يأخذ من لبنها وصوفها . .

فقال الله عز وجل : ﴿ **فَفَهّمْناها سُليمَانَ** ﴾[2].

وإن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال : فاسألوني عما فوق السماء، إسألوني عما تحت العرش ، إسألوني قبل ان تفقدوني .

وإنه عليه السلام دخل على النبي (ص) يوم فتح خيبر فقال النبي (ص) للحاضرين : أفضلكم وأعلمكم علي .

فقال لها : أحسست يا حرّة ، فبم تفضليه على سليمان ؟

فقالت : الله فضّله عليه بقوله ﴿ . . . **وهبْ لي مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ منْ بعدي . . .** ﴾[3]. . ومولانا علي عليه السلام قال : يا دنيا قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك . فعند ذلك أنزل الله فيه ﴿ **تلكَ الدارُ الآخرةُ نجعلها للذينَ لا يريدونَ علوّاً في الأرضِ ولا فساداً والعاقبةُ للمتقينَ** ﴾[4].

---

(١) ص ٢٦ .

(٢) الانبياء ٧٩ .

(٣) ص ٣٥ .

(٤) القصص ٨٣ .

قال : أحسنت يا حرّة ، فبم تفضليه على عيسى بن مريم (ع) ؟

قالت : الله فضله عليه بقوله ﴿ **وإذْ قالَ اللهُ يا عيسىٰ ابنَ مريمَ أأنتَ قلتَ للناس اتخذوني وأمي إلٰهين من دون الله . . .** ﴾[1] وعلي عليه السلام لما أدّعىٰ فيه المدّعون لم يعاقبه الله سبحانه وتعالى .

فقال : أحسنت يا حرّة خرجت من جوابك ، ولولا ذلك لما كان ذلك . ثم أجازها وأعطاها وسرّحها سراحاً جميلاً .

وجاء في فضل الامام عليه السلام أنه سُئل : يا أمير المؤمنين أنت أفضل أم آدم .

قال (ع) : تزكية المرء نفسه قبيح ، ولكن الله تعالى قال لآدم : ﴿ **وقلنا يا آدمُ أسكنْ أنتَ وزوجكَ الجنّةَ وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذهِ الشجرةَ فتكونا من الظالمين** ﴾[2] وأنا أكثر الأشياء أباحها لي وتركتها وما قاربتها .

ثم قال له (ع) : أنت أفضل يا أمير المؤمنين أم نوح ؟

قال عليه السلام : إن نوحاً دعا على قومه ، وأنا ما دعوت على ظالمي حقي ، وابن نوحٍ كان كافراً وابناي سيدا شباب الجنّة .

قال : أنت أفضل أم موسى ؟

قال عليه السلام : إن الله تعالى أرسل موسى الى فرعون وهو واحد ، فقال . . . ﴿ **فأخاف أن يقتلونِ** ﴾[3] حتى قال الله : ﴿ **يا موسى لا تخفْ إني لا يخاف لدي المرسلون** ﴾[4] وقال : ﴿ **ولهمْ عليَّ ذنبٌ فأخافُ أن يقتلونِ** ﴾[5] وأنا ما خفتُ حين أرسلني رسول الله (ص) لتبليغ سورة براءة

(١) المائدة ١١٦ .
(٢) البقرة ٣٥ .
(٣) الشعراء ١٤ .
(٤) النمل ١٠ .
(٥) الشعراء ١٤ .

لأقرأها على قريش في الموسم مع اني كنت قتلت كثيراً من صناديدهم ، فذهبت بها اليهم ، وقرأتها عليهم ، وما خفتهم .

ثم قال : أنت أفضل أم عيسىٰ بن مريم ؟

قال عليه السلام : كانت أمه في بيت المقدس ، فلما جاء وقت ولادتها سمعت قائلاً يقول : أخرجي هذا بيت العبادة لا بيت الولادة . وأنا أمي فاطمة بنت أسد لما قرب وضع حملها كانت في البيت الحرام ، فانشقّ حائط الكعبة وسمعت قائلاً يقول : أدخلي . ودخلت في وسط البيت ، وأنا ولدت به ، وليس لأحد هذه الفضيلة لا قبلي ولا بعدي .

وجاء في الإمام عليه السلام بشهادة رسول الله (ص) :

قال المقداد : سمعت من رسول الله (ص) يقول في علي بن أبي طالب :

من أراد الله أن يطهّر قلبه من الجن والإنس عرّفه ولاية علي بن أبي طالب ، ومن أراد أن يطمس على قلبه أمسك عنه معرفة علي بن أبي طالب ، والذي نفسي بيده ما استوجب آدم أن يخلقه الله وينفخ فيه من روحه وأن يتوب عليه ويردّه إلى الجنة إلا بنبوتي والولاية لعلي بعدي ، والذي نفسي بيده ما أرىٰ إبراهيم ملكوت السماوات والأرض ولا اتخذه خليلاً إلا بنبوتي والإقرار لعلي بعدي ، والذي نفسي بيده ما كلّم الله موسى تكليماً ، ولا أقام عيسى آية للعالمين إلا بنبوتي ومعرفة علي بعدي ، والذي نفسي بيده ما تنبأ نبي قط إلا بمعرفته والإقرار لنا بالولاية ، ولا استأهل خلق من الله النظر إليه إلا بالعبودية له . . .

وقال سمعت رسول الله (ص) يقول : علي ديّان هذه الأمة ، والشاهد عليها ، والمتولي لحسابها ، وهو صاحب السنام الأعظم ، وطريق الحق الأبهج ، الأبلج السبيل ، وصراط الله المستقيم ، به يهتدى بعدي من الضلالة ، ويبصر به العمىٰ ، به ينجو الناجون ، ويجار من الموت ، ويؤمن من الخوف ، ويمحىٰ به السيئات ، ويدفع به الضيم ، وينزل الرحمة ، وهو

عين الله الناظرة ، وأذنه السامعة ، ولسانه الناطقة في خلقه ، ويده المبسوطة على عباده بالرحمة ، ووجهه في السماوات والأرض ، وجنبه الظاهر اليمين ، وحبله القوي المتين ، وعروته الوثقى التي لا انفصام لها ، وبابه الذي يؤتى منه ، وبيته الذي من دخله كان آمناً ، وعلمه على الصراط في بعثه ، من عرفه نجا الى الجنة ، ومن نكره هوىٰ الى النار .

ومن فضله قال عليه السلام : يا معشر الصحابة والله ما تقدمت على أمير إلا ما عهده إلي فيه رسول الله (ص) فطوبىٰ لمن رسخ حبنا أهل البيت في قلبه ليكون الإيمان أثبت في قلبه من جبل أحد في مكانه ، ومن لم تصر مودتنا في قلبه انماث الإيمان في قلبه كانمياث الملح في الماء ، صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الناس سبع سنين وأنا أول من صلى معه .

وإن الحسن والحسين سبطا هذه الأمة ، وهما من محمد كمكان العينين من الرأس . وأما أنا كمكان اليدين من البدن ، وأما فاطمة كمكان القلب من الجسد ، مثلنا مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق .

وجاء في حق علي وفضله قال : يوم توفي الرسول عهد إليّ عهداً؟ وكان رأسه الى صدري ، قد أسندته ، وكانت أذني قد أصغت والمرأتان تسمعان الكلام ، فقال رسول الله (ص) : اللهم صدّ مسامعهما ثم قال : يا علي أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **إنَّ الذينَ آمنوا وعملوا الصالحات أولئكَ همْ خيرُ البرية** ﴾ أتدري من هم ؟

قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : فإنهم شيعتك وأنصارك وموعدي وموعدهم الحوض يوم القيامة ، ويرىٰ الله في عرض خلقه ، ودعاء الناس الى ما لا بد لهم منه فيدعون وشيعتك ، فيجيئون غداً محجلين شباعاً مرويّين ؛ يا علي ﴿ **إنَ الذينَ كفروا من أهلِ الكتابِ والمشركينَ في نارِ جهنمَ خالدينَ فيها أولئكَ همْ شرُ البريّةِ** ﴾ فهم اليهود وبنو أمية وشيعتهم يبعثون يوم القيامة اشقياء جياعاً عطاشا مسودّة وجوههم .

قال معاوية لعبد الله بن جعفر الطيّار ، ما اشد تعظيمك للحسن والحسين وما هما بخير منك ، ولا أبوهما خير من أبيك ، ولولا أن فاطمة بنت رسول الله لقلت ما أمك اسماء بنت عميس بدونها .

فقال عبد الله : والله إنك لقليل العلم بهما وأبيهما وأمهما ، بل والله لهما خير مني ، وأبوهما خير من أبي ، وأمهما خير من أمي . يا معاوية إنك لغافل عما سمعته أنا من رسول الله (ص) يقول فيهما وفي أبيهما وأمهما قد حفظته ووعيته ورويته . .

قال معاوية : هات يا ابن جعفر ، فوالله ما أنت بكذّاب ولا متهم .

فقلت : إنه أعظم مما في نفسك .

قال : وإن كان أعظم من أحد وحرّاء جميعاً ، فلست أبالي إذا قتل الله صاحبك ، ومزّق جمعكم ، وصار الأمر في أهله ، فحدثنا فما نبالي بما قلتم ولا يضرنا ما عرفتم .

قلت : سمعت من رسول الله (ص) - وقد سئل عن هذه الآية : ﴿ . . . **وما جعلنا الرؤيا التي أريناكَ إلا فتنةً للناسِ والشجرةَ الملعونةَ في القرآنِ** . . . ﴾[1]- فقال : رأيت اثني عشر رجلاً من أئمة الضلالة يصعدون منبري وينزلون : يردّون أمتي على أدبارهم القهقرى ، فيهم رجلان من قريش مختلفين ، وثلاثة من بني أمية ، وسبعة من ولد الحكم بن أبي العاص .

وسمعته يقول : إذا بلغوا بني العاص خمسة عشر رجلاً جعلوا كتاب الله دخلاً ، وعباد الله خولاً ، ومال الله دولاً .

يا معاوية إني سمعت رسول الله (ص) يقول على المنبر وأنا بين يديه ، وعمر بن أبي سلمة ، وأسامة بن زيد ، وسعد بن أبي وقاص ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري ، والمقداد ، والزبير بن العوّام ، وهو (ص) يقول : ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟

---

(١) الإسراء ٦٠ .

فقلنا : بلى يا رسول الله .

قال : من كنت مولاه فعلي مولاه . . . أولى به من نفسه ـ وضرب بيديه على منكب علي عليه السلام ـ اللهم وال من والاه ، وعادِ من عاداه . . أيها الناس أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم . . ليس لهم معي أمر . . وعلي من بعدي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معه أمر ، ثم ابني الحسن فهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم ليس لهم معه أمر ، ثم ابني الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم .

ثم عاد فقال : أيها الناس إذا أنا استشهدت خلفي أولى لكم من أنفسكم ، فإذا استشهد علي فابني الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا استشهد الحسن فالحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فإذا استشهد الحسين فابني علي بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم وليس لهم معه أمر .

ثم أقبل (ص) فقال : يا علي إنك ستدركه فأقرأه مني السلام ، فإذا استشهد فابني محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه أنت يا حسين فأقرأه مني السلام ، ثم يكون في عقب محمد رجال واحد بعد واحد ، وليس منهم أحد إلا هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، ليس لهم معه أمر ، كلهم هادون مهتدون .

فقام علي بن أبي طالب (ع) وهو يبكي ، فقال : بأبي أنت وأمي يا نبي الله أتقتل ؟

قال : نعم ، أهلكُ شهيداً بالسم ، وتقتل أنت بالسيف ، وتخضّب لحيتك من دم رأسك ، ويقتل ابني الحسن بالسم ، ويقتل الحسين بالسيف ، يقتله طاغ ابن طاغٍ ، دعي ابن دعي .

فقال معاوية : يا ابن جعفر لقد تكلمت بعظيم ، ولئن كان ما تقول حقاً لقد هلكت أمة محمد من المهاجرين والأنصار غيركم أهل البيت واولياؤكم وأنصاركم .

فقلت : والله إن الذي قلت حقاً سمعته من رسول الله (ص) .

قال معاوية : يا حسن ويا حسين ويا ابن عباس ما يقول ابن جعفر ؟

قال ابن عباس : ان لم تؤمن بالذي قاله فأرسل الى الذين سمّاهم فاسألهم عن ذلك .

فأرسل معاوية الى عمر بن أبي سلمة ، والى أسامة بن زيد اللذان كانا مع ابن جعفر حينما قال رسول الله (ص) هذا القول وذكر الأئمة وما يحل فيهم ، وكيف أن هذه الأمة قد خسرت بعد تكذيبها بنبيّها ، فسألهما معاوية عن حقيقة القول الذي قاله عبد الله بن جعفر الطيار الهاشمي الطالبي . فشهدا أن الذي قاله ابن جعفر الطيار قد سمعناه في الحسن والحسين وأبيهما .

فسأل معاوية : فما سمعت في أمهما ؟

وكان معاوية بسؤاله هذا كالمستهزئين أسوة بأتباعه اليوم ، أعمىٰ قلوبهم حب الدنيا ، وجعلوا قبورهم تتبوأ من النار ، وهم ليس لديهم علم ، ولم يقرّوا بالمعاد والنشور ﴿ **وقالوا ما هي إلّا حياتنا الدنيا نموت ونحيا** . . . . ﴾[1].

فقلت : سمعت من رسول الله (ص) يقول : ليس في جنة عدن منزل أشرف ولا أفضل ولا أقرب الى عرش ربي من منزلي ومعي ثلاثة عشر من أهل بيتي أخي علي وابنتي فاطمة وابناي الحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين عليهم سلام الله وتحياته ورضوانه وبركاته .

نعم الرب ربنا ، ونعم العبيد هم ، لقد أطاعوا الله من حيث عصاه كل البشر ، فليس غيرهم في الدنيا من أطاع الله خير طاعة ، ولم يعرف الله إلا هم ، فقدروه أحسن تقدير ، وملكوه أنفسهم ودماءهم وأموالهم ؛ نعم العبيد هم أعطوا أفضل ما يملكونه فداءاً للاسلام ولدين الله القيّم وصراطه المستقيم ، استقاموا في الحياة حتى قهروها ، وأبوهم الأكبر الإمام علي بن أبي طالب قال : وان دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها .

وهو الذي طلّقها ثلاثاً لا رجعة له فيها ، انه طلاق بائن لا يأسف

---

(١) الجاثية ٢٤ .

عليها ولا يتحسّر .

رجـالٌ اعـزّة في بـيـوتٍ أذن الله أنْ يـعـز حـمـاهـا
سـادة لا تـريـد إلا رضـا الله كـمـا لا يـريـد إلا رضـاهـا
خـصّهـا مـن كـمـالـه بـالمعـاني وبـأعـلىٰ أسـمـائـه سـمّـاهـا

هؤلاء الـذين أذهب الله عنهم الرجس وطهـرهم تطهيراً ، هداة الله عـلى خلقه ، وشهداؤه في أرضه ، وخزّان علمه .

فقـد قال رسـول الله (ص) : أنـا المبلغ عن الله ، وهم المبلغـون عني ، هم حجـج الله ، من أطـاعهم أطـاع الله ، ومن عصـاهم عصى الله ، لا تبقىٰ الأرض طـرفة عـين إلا ببقائهم ، ولا تصلح إلا بهم يخبـرون الأمـة بـأمـر دينهم حـلالهم وحرامهم ، يـدلونهم عـلى رضا ربهم وينهـونهم عن سخطه بـأمر واحـد ونهي واحـد ، وليس فيهم اختلاف ولا فـرقـة ولا تنـازع ، يـأخـذ آخـرهم عن أولهم إملاءاً وخط علي بيده يتوارثـونه الى يـوم القيامـة ، أهل الأرض كلهم في غمرة وغفلة وتيهة وحيرة وغيرهم وغـير شيعتهم وأولياءهم لا يحتـاجون الى أحـد من الأمـة في شيء من أمـر دينهم ، والأمـة هي تحتـاج إليهم ، هم الـذين عنى الله في كتابه ، وقرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسـوله فقـال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمرِ منكم . . .** ﴾[1] .

فأقبل معاوية على الحسن والحسين وابن عبـاس والفضل بن عبـاس وعمر بن أبي سلمة وأسامة بن زيد فقال : كلكم على ما قال ابن جعفر ؟

قالوا : نعم .

قال : يا بني عبد المطلب إنكم لتدعون أمراً عظيـماً تحتجون بحجـج قويـة إن كـانت حقاً وانكم لتضمـرون على أمـرٍ تسرّونـه ، والناس عنـه في غفلة عمياً ولئن كان ما تقولون حقاً لقد هلكت الأمةً ، وارتدت عن دينهـا ، وتركت عهـد نبينا غيركم أهل البيت ومن قال بقولكم فأولئك في الناس قليل .

---

(١) النساء ٥٩ .

فقلت : يا معاوية ان الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ **وقليلٌ من عبادي الشكور** ﴾[1] ويقول ﴿ **وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين . . .** ﴾[2]﴿ **. . .إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ وقليلٌ ما هم . . .** ﴾[3]ويقول عن نوح ﴿ **. . . وما آمنَ معهُ إلا قليلٌ** ﴾[4]يا معاوية المؤمنون في الناس قليل ، وإن أمر بني إسرائيل أعجب حيث قالت السحرة لفرعون ﴿ **. . .فاقضِ ما أنتَ قاضٍ إنما تقضي هذهِ الحياةَ الدنيا ، إنا آمنّا بربنا. . .** ﴾[5]فآمنوا بموسى وصدّقوه واتبعوه ، فسار بهم وبمن تبعه من بني إسرائيل فاقطعهم البحر وأراهم الاعاجيب وهم يصدقون به وبالتوراة يقرون له بدينه ، فمر بهم على قوم يعبدون أصناماً لهم فقالوا : ﴿ **يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة . . .** ﴾[6]ثم اتخذوا العجل فعكفوا عليه جميعاً ، إلا هارون وأهل بيته ، وقال لهم السامري ﴿ **. . . هذا إلهكمْ وإلهُ موسىٰ . . .** ﴾[7]وقال لهم بعد ذلك: ﴿ **يا قومِ ادخلوا الأرضَ المقدسةَ التي كتبَ اللهُ لكمْ . .** ﴾[8]فكان من جوابهم ما قص الله في كتابه ﴿ **قالوا يا موسى إنَّ فيها قوماً جبّارينَ وإنا لنْ ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون** ﴾[9] قال موسى ﴿ **. . .ربِّ إني لا أملكُ إلا نفسي وأخي فافرقْ بيننا وبينَ القومِ الفاسقين** ﴾[10]فاحتذت هذه الأمة ذلك المثال ، وقد كانت فضائل وسوابق مع رسول الله (ص) ومنازل منه قريبة ، مقرّين بدين محمد

---

(١) سبأ ١٣ .
(٢) يوسف ١٠٣ .
(٣) ص ٢٤ .
(٤) هود ٤٠ .
(٥) طه ٧٢ ـ ٧٣ .
(٦) الاعراف ١٣٨ .
(٧) طه ٨٨ .
(٨) المائدة ٢١ .
(٩) المائدة ٢٢ .
(١٠) المائدة ٢٥ .

والقرآن ، حتى فارقهم نبيّهم (ص) فاختلفوا وتفرقوا وتحاسدوا وخالفوا إمامهم ووليّهم حتى لم يسبق منهم على ما عاهدوا عليه نبيّهم غير صاحبنا الذي هو من نبينا بمنزلة هارون من موسى ، ونفر قليل لقوا الله عز وجل على دينهم وايمانهم ، ورجع الآخرون القهقرىٰ على أدبارهم كما فعل أصحاب موسىٰ باتخاذهم العجل وعبادتهم إياه وزعمهم أنه ربهم وإجماعهم عليه إلا هارون وولده ونفر قليل من أهل بيته ، ونبينا (ص) قد نصب لأمته أفضل الناس وأولاهم وخيرهم بغدير خم وفي غير موطن ، واحتج عليهم به ، وأمرهم بطاعته ، وأخبرهم أنه منه بمنزلة هارون من موسى ، وأنه ولي كل مؤمن بعده ، وأنه كل من كان وليه فعلي وليه ، ومن كان أولىٰ به من نفسه فعلي أولى به ، وأنه خليفته فيهم ، ووصيه ، وأن من أطاعه أطاع الله ، ومن عصاه عصىٰ الله ، ومن والاه والى الله ، ومن عاداه عادىٰ الله ، فأنكروه وجهلوه وتولّوا غيره . . .

يا معاوية أما علمت أن رسول الله (ص) حين بعث الى مؤتة أمّر عليهم جعفر بن أبي طالب ، ثم قال إن هلك جعفر فزيد بن حارثة ، فإن هلك زيد فعبد الله بن رواحة ، ولم يرضَ لهم أن يختاروا لأنفسهم ، أفكانَ يترك أمته لا يبين لهم خليفته فيهم بعده ، أيجوز ذلك يعينّ في الحروب القائد بعد القائد ، ويترك هذه الأمة دون راعٍ يرعاها بعده ، بلى والله ما تركهم في عمياء ولا شبهة ، بل ركب القوم ما ركبوا بعد نبيّهم وكذبوا على رسول الله (ص) فهلكوا .

نعم والله ثم والله لقد كذبت هذه الأمة على نبيها ، بل حتى جعلته أنه مات ـ نعوذ بالله ـ ميتة جاهلية ، وهو القائل : من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية . فالإسلام دين العمل ودين التقى والنقاوة ، فليس هو كدين اليهود والنصارىٰ ، كيف بمربٍّ يربي أمة ويتركها بلا وصي . انتهىٰ .

نعم اختلسها معاوية وقومه اختلاساً ، وسرقها هو وعشيرته سرقاً حتى سرقت منه من قبل بني العباس الذين كانوا أشد شرّاً من معاوية وأتباعه ، كيف صنعت هذه الأمة جعلت النبي لا يعلم شيء من علوم السماء ، والوصية

هي آخر الأعمال لدى الإنسان ، كما أن الإنسان العادي البسيط يوصي ، فكيف برسول الله (ص) ، يا لها من جاهلية قرشية حاقدة على أصنامها وعلى قتلاها المشركين من علي بن ابي طالب الذي قتلهم بسيف نقمة الله على الكفر والمشركين وسيف الرحمة للمؤمنين والاسلام ، ذلك السيف الذي ذبّ به عن وجه الرسول (ص) ثلاث وثلاثين عاماً في عهده ، وثلاثين بعده . . .

نعم . . . ثم جاء بفضل علي حين عروج الرسول الاكرم الى الملكوت ليلة الاسراء، قال الجليل سبحانه وتعالى مسمع نبيّه وحبيبه ﴿ **آمَنَ الرسولُ بما أنزلَ إليهِ منْ ربِّهِ . . .** ﴾[1]

قال الحبيب . فقلت : والمؤمنون ؟

فقال لي : صدقت ، من خلفت في أمتك ؟

قلت : خيرها .

قال : علي بن أبي طالب ؟

قلت : نعم يا رب .

قال تعالى: يا محمد إني اطلعت على الأرض . . . .

والحديث كبير وطويل ولكن نأخذ منه شيئاً يسيراً :

ثم قال تعالى : يا محمد لو أن عبداً من عبادي عبدني حتى يصير كالشن البالي ، ثم أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتى يقر بولايتكم ، يا محمد تحب أن تراهم ؟

قلت : نعم .

فقال : التفت الى يمين العرش .

فالتفت ، فإذا أنا بعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد الصادق وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ، ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والإمام الحجة المهدي المنتظر ـ سلامٌ

---

(١) البقرة ٢٨٥ .

من الله عليهم وعلى جدّهم ـ جميعاً في ضحضاح من نور قيام يصلّون والمهدي في وسطهم كأنه كوكب درّي .

فقال : يا محمد هؤلاء الحجج ، وهذا الثائر من عترتك ، وعزتي وجلالي إنه الحجة الواجبة لأوليائي والمنتقم من أعدائي . انتهى .

هذا الخبر ينقله عبد الله بن جعفر بحضور الحسن والحسين وابن عباس وأسامة بن زيد وعمر بن أبي سلمة الى معاوية الغادر ، وهو يسمع ولكن لا يكترث ، همّه الدنيا واغراق الدين لكي يذهب لمستقره الأخير .

ورووا عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله (ص) مخاطباً عمّه أبا طالب : يا عم يخرج من ولدك اثني عشر خليفة ، منهم يخرج المهدي من ولدك ، به يصلح الأرض ويملؤها الله عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً . رواه الخوارزمي .

وعن السدي في تفسيره وهو من علماء الجمهور وثقاتهم قال : لما كرهت سارة مكان هاجر أوصى الله تعالى إلى إبراهيم الخليل (ع) فقال : انطلق باسماعيل وأمه حتى تنزله بيت النبي التهامي ـ يعني مكة ـ فإني ناشر ذريته وجاعلهم ثقلاً على من كفر بي ، وجاعل منهم نبياً عظيماً ، ومظهره على الأديان ، وجاعل من ذريته اثني عشر عظيماً ، وجاعل من ذريته عدد نجوم السماء . .

ورواه ابن عباس أن النبي (ص) قال له : يا عم يكون من ولدي اثنا عشر خليفة ، فتحدث أمور كريهة وشدة عظيمة ، فيخرج المهدي من ذريتي ، فيملأ الأرض عدلاً .

ونحن إذ تناولنا فضل سيد الوصيين بهذا الباب نحتاج الى وقت وإلى كتب خاصة ، ولا نقدر على جمع فضله ، ولذا تركنا معظم الأحاديث وجميع المناقب والآيات التي نزلت بحق علي بن أبي طالب ، ولا غرابة لأنه سيد الوصيين ، ووصيي رسول الله (ص) ، ووزيره ، وساقي حوضه ، وحامل لواءه ، وكاشف الكرب عن وجهه الشريف (ص) .

وقد قدمنا في أول الكتاب بعض الآيات والأحاديث لمن له لب وخشي الرحمٰن ، وتجرد عن التعصب ، وترك الضلالة ، وجاء الى الوجدان والضمير لينتقل الى الهدىٰ ، فعلي لم أقل أنا فيه ، بل قال فيه أعداؤه ، وقال فيه رجال صدر الإسلام ، ولكن الدنيا أعمتهم والأحقاد صمّتهم ، وتصيدوا في ماءها العكر .

وأنت أيها الإنسان ، وأيها المسلم سواء رضيت أم أبيت فهذا الباب الذي ذكرناه لك هو الذي يرشدك الى رشدك ، ويعيد لك عقلك ، وينقذك من الهوّة وغضب الرحمٰن ، ويكفي العرب الذين رضوا به إماماً فخراً ، ويكفي الاعاجم الذين لا يحسنون لغة العرب فخراً أن يكون لهم إماماً ، ثم إنه لغني عن قبولك هذا .

ومن هذه الفضائل ان جبرئيل ناداه يقول :

لا سيفَ إلا ذو الفقار ولا فتىً إلا علي

وهذا دليل قاطع على انه ليس هناك غيره فتى ، وهذا القول لسائر العصور والأزمنة .

الفصل الخامس

علي سيد العرب والعجم عقلاً في علمه

العلوم كثيرة ، وهي تختلف في مضامينها ، ولعل كل إنسان لديه علم أو أكثر من واحد ، ولكن علي بن أبي طالب هو بحر العلم ، والعلم الذي جاء به علي عليه السلام ، فهو صاحب العلوم الكثيرة ، ولقد عجز البشر عن الوصول إليها ، بل عجز الأولون والآخرون من أن يدركوها ، فهو فارس العلم والعلوم من لدن آدم الى نهاية هذه الدنيا ، وكيف لا وهو باب مدينة علم سيد الرسل والكائنات ، الرسول المقدام والذي قال : أمرنا صعب مستصعب لا يدركه إلّا نبي أو رسول أو ملك مقرب أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان . شريطة امتحان قلب المؤمن . وألا يشك في علوم الأئمة وعلى رأسهم علي سيد الوصيين وسيد أولاده .

وفي الحقيقة العلم كله محصور بالسيد أبي القاسم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلّم ، وقد حصر هو علمه كله في علي لأنه باب علمه ، لقد علّمه ألف باب من العلم ، ومن ذلك الباب يفتح للإمام ألف باب يعني (١٠٠٠ × ١٠٠٠ = ١٠٠٠٠٠٠) يساوي مليون باب من العلم ، وليس هنا في عالم هذه الحياة حاضرها وماضيها ومستقبلها من يملك باب واحد أو نصف باب أو ربع باب ، بل كل هذه الدنيا لم تتوصل الى عشرين باباً او اكثر أو أقل ، والأبواب مثل الزراعة والصناعة والتجارة والإقتصاد والاختراعات والرياضة والهندسة والحساب والطب والفلسفة والحكمة والجبر والتاريخ والصيدلة والبحار والطبيعة والخط والنحو والمنطق والبناء وغير ذلك من العلوم ، وهذه العلوم لا تصل الى خمسين باب .

ولقد فقدت هذه الحياة علم المنايا والبلايا والفراسة والقيافة والكون والكائنات وعلوم النجوم والذرة ، ونحن لا نستطيع إحصاء علوم الإمام قط ، لانه يعلم بعلوم الجنة وعلوم الحساب والصراط والنار والبرزخ وعلوم الطير والحيوانات والنبات والجمادات كلها ، فهو يعلم علوم الدنيا والآخرة كلها ، فالجفر وحقيقة النفس والنفوس والجامعة ، وهذه كلها لديه علوم بسيطة غاية البساطة .

فالإمام الصادق عليه السلام قال : عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة ؟

قالوا : ما الجامعة ؟

قال : صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله (ص) وإملائه من فلق[1]، وضرب يده الى أحد أصحابه وقال : تأدب يا أبا محمد .

قال قلت : جعلت فداك إنما أنا لك فاصنع ما شئت .

قال : فغمزني بيده وقال ارش هذا كأنه مغض .

قال قلت : هذا والله العلم .

قال : إنه العلم وليس بذاك ـ ثم سكت ساعة ثم قال ـ وان عندنا الجفر وما يدريك ما الجفر ؟

قال قلت : وما الجفر .

قال : وعاء من آدم فيه علم النبيين والوصيين ، وعلم العلماء الذين مضوا من بني اسرائيل الذين جاؤوا من صلب اسرائيل وهو يعقوب .

قال قلت : إن هذا هو العلم ؟

قال : إنه العلم وليس بذلك ـ ثم سكت ساعة ثم قال ـ وإن عندنا مصحف فاطمة (ع) وما يدريك ويدريهم ما المصحف ؟

---

(١) من فلق : أي من شق فمه ولسانه المبارك ، وفيها حتى ارش الخدش وهو من ارش الجنايات ، والمراد به ديتها وهو معروف .

قال قلت : وما مصحف فاطمة ؟

قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد .

قال قلت : هذا والله العلم؟

قال : إنه لعلم وما هو بذاك ـ ثم سكت ساعة ثم قال ـ إن عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة .

قلت : جعلت فداك ، هذا والله العلم ؟

قال : إنه لعلم وليس بذاك .

قال قلت : جعلت فداك فأي شيء العلم ؟

قال : ما يحدث بالليل والنهار ، والأمر بعد الأمر ، والشيء بعد الشيء الى يوم القيامة .

وفي الينابيع قال قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : علمنا غابر ومزبور ، وكتاب مسطور ، في رق منشور ، ونكت في القلوب ، ومفاتيح اسرار الغيوب ، ونقر في الاسماع ، ولا تنفر منه الطباع ، فيما اختص الله به الأئمة من العلم ـ الى أن قال ـ : وعندنا الجفر الأبيض والجفر الأحمر والجفر الاكبر والأصغر والجامعة والصحيفة وكتاب علي عليه السلام .

وبيان قول الامام عليه السلام علمنا غابر فإنه في علوم الكائنات وما وقع في القرون الماضية من الوقائع والحوادث التي وقعت في عصور الانبياء السابقين وغيرها من الحوادث التي وقعت في الفترات . هذا هو علم الغابر .

وأما العلم المزبور فهو إشارة الى العلم المسطور في الكتب الإلهية والاسرار العرفانية المنزلة من السماء على الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين .

وأما الكتاب المسطور فقد أشار به عليه السلام الى ما هو مدون من العلوم في اللوح المحفوظ ومرقوم فيه .

وأما النقر في الاسماع وهو ما يحدثهم به الملائكة من كلامٍ عليٍّ وخطاب جلي لا ينفر منه الطبع ولا يكرهه السمع لأنه كلام عذب جميل يسمعونه منهم ولا يرونه ، فيؤمنون بالغيب ﴿ **لنجعلها تذكرةً وتعيها أذنٌ واعيةٌ** ﴾[1] أي وتحفظها اذن حافظة لما جاء من عند الله ، عن ابن عباس ، وقيل : بسامعة قابلة لما سمعت عن قتادة ، وروى الطبري باسناده عن مكحول أنه لما نزلت هذه الآية قال النبي (ص) : اللهم اجعلها أذن علي ، ثم قال علي (ع) : فما سمعت شيئاً من رسول الله فنسيته . وروى باسناده عن عكرمة عن بريدة الاسلمي أن رسول الله (ص) قال لعلي (ع) : يا علي إن الله تعالى أمرني أن أدنيك ولا أقصيك ، وأن اعلمك وتعي ، وحق على الله أن تعي ، فنزل ﴿ **وتعيها أذن واعية** ﴾ .

أخبرني فيما كتبه المفيد ابو الوفاء عبد الجبار بن عبد الله بن علي الرازي قال حدثني الشيخ السعيد أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي والرئيس أبو الجوائز الحسن بن علي بن محمد الكاتب والشيخ أبو عبد الله حسن بن أحمد بن حبيب الفارسي قالوا : حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد المفيد الجرجاني قال : سمعت أبا عمرو عثمان بن خطاب المعمر المعروف بأبي الدنيا الأشج ، قال : سمعت علي بن أبي طالب (ع) يقول : لما نزلت ﴿ **وتعيها أذن واعية** ﴾ قال النبي (ص) : سألت الله عز وجل أن يجعلها أذنك يا علي [2] .

وأما الجفر الأحمر فإنه وعاء عظيم كبير فيه ميراث رسول الله وخاصة فيه سلاح الرسول الأعظم وهو عند من له الأمر من الأئمة عليهم السلام ، ولا يظهر حتى يقوم صاحب الأمر بقية الله في هذا الكون والكائن الحي الحجة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام الذي يملأ هذه الأرض عدلاً وقسطاً كما هي اليوم تعيش الظلام والاستبداد والسيطرة والعبودية والجور .

---

(١) الحاقة ١٢ .

(٢) مجمع البيان ج ٥ / تفسير سورة الحاقة .

وأما الجفر الأكبر فإنه عبارة عن الافاق الحرفية التي تركب من الحروف الهجائية ، وهي ألف وباء وتاء إلى آخرها وهي ألف وفق لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم .

هذه الحروف المقطعة التي تحدىٰ الله بها البشر بكتابه السماوي العظيم الذي أخرس البلغاء والفصحاء، حتى ان العرب أنزلت معلقاتها الذهبية عن الكعبة لما لمسوه من عظمة هذا الكتاب وتفوقه ، لقد تحداهم القرآن الكريم على أن يأتوا بسورة من مثله ﴿ **فأتوا بسورة مثله** ﴾[1]هذه الحروف علمها كله عند الائمة العظام أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

وأما الجفر الأصفر فإنه عبارة عن الآفاق التي هي مركبة من حروف أبجد الى قرشت ، وهي سبعمائة وفق .

وأما الجامعة فإنه كتاب فيه علم ما كان وما يكون الى يوم القيامة .

وقيل إن الجامعة عبارة عن سفر آدم عليه السلام ، وسفر شيث النبي (ع) ، وسفر إدريس (ع) ، وسفر نوح (ع) ، وسفر إبراهيم (ع) ، وقد تناقله أهل البصائر كابراً عن كابر الى زماننا . فأهل البيت سفط ولعاب رسول الله وأهل مدينته .

وأما الصحيفة فهي صحيفة فاطمة عليها السلام قد ذكر فيها الوقائع والفتن والملاحم ، وما هو كائن الى يوم القيامة ، وما يحل في هذه الدنيا من دمار وخير وشر وحروب وبلاء وجوع وتغير ودور الزمن وما يحل بهذا الإقليم وذلك . . .

وأما كتاب علي عليه السلام فإنه عبارة عن كتاب فيه أملى رسول الله (ص) من فلق فمه الشريف أي يعني شق فمه ولسانه المبارك ، وكتابة علي ، قد اثبت فيه كلما تحتاج إليه الأمة من الشرائع الدينية ، والاحكام الإلهية ، والقضايا الشرعية ، حتى فيه حكم الجلدة ، ونصف الجلدة .

---

(١) يونس ٣٨ .

ونظير هذه الأخبار كثيرة جداً لا يسعنا بيانها من صفحات الكتب وأقلام العلماء وأقوال أهل البيت ، ومن أراد ذلك فليرجع إلى محلّها .

لذا أشار الكراجكي في كنز الفوائد ـ وهو من العلماء الاتقياء ـ قال :

إعلم انه لما كانت معرفة الله وطاعته لا ينفعان المكلف إذا لم يعرف الإمام ، ومعرفة الإمام وطاعته لا تقعان إلا بعد معرفة الله سبحانه وتعالى .

صحَّ أن يقال ان معرفة الله هي معرفة الامام وطاعته ، ولما كانت المعارف الدينية والسمعية تحصل من جهة الامام وكان الامام آمراً بتلك وداعياً الى الله تعالى صحَّ القول بأن معرفة الامام وطاعته هي معرفة الله سبحانه وطاعته ، كما تقول في معرفة الرسول (ص) وطاعته أنها معرفة بالله سبحانه وطاعته .

قال الله تعالى: ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾[1]، لأن مرتبة الإمامة هي كالنبوة ، فتعيين الإمام من الله ومن الرسول ، حيث العقول قاصرة وحاسرة عن معرفة من يصلح لهذا المنصب العظيم والأمر الجسيم ، والوجدان يغني عن البيان ، فكم كان من أهل العقل والتدبير والحل والعقد كثيراً ما اتفقوا على تعيين من هو صالح ليكون ولياً لحكم ولاية أو دولة أو إقليم وإذا به يكون ذلك الحاكم فاسداً ولا يصلح ، ومن هنا يقع أهل الفكر في الخطأ .

ولذا جعل الخالق صاحب المنصب مرهونة طاعته بطاعته ﴿ . . . **لئلا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل** . . . ﴾[2].

ولذا نجد ان الخلفاء والعلماء من الجمهور ورؤساء المذاهب تكلموا وقالوا لا يصلح لهذه الأمة إلا من أمرالله به ورسوله بعد النص الرباني .

روى أحمد بن حنبل في مسنده من عدة طرق أن النبي (ص) قال :

---

(١) النساء ٨٠ .

(٢) النساء ١٦٥ .

من آذىٰ علياً فقد آذاني .

وأيضاً : من آذىٰ علياً بعث يوم القيامة يهودياً أو نصرانياً .

وبهذا يتضح غدر معاوية وطلحة والزبير وأمثالهم ومن والاهم .

وهو القائل على رؤوس الأشهاد : سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ، ولا عن فتنة تهدي ماءة وتضل ماءة إلا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ، ومناخ ركابها ، ومحط رحالها ، ومن يُقتل من اهلها قتلاً ، ومن يموت منهم موتاً[1] .

قال سعيد بن المسيب : ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير علي بن أبي طالب[2] .

ويكفي أنه تحدىٰ البشرية جمعاء وقال تلك المقولة الخالدة ، والتي لا تزال ترن في آذان الناس : سلوني قبل أن تفقدوني ، إني أعلم بطرق السماوات قبل الأرض .

شوهدت الإشارة الى أن في السماوات طرق عديدة لا تعرف ولا يعرفها من أصحاب رسول الله (ص) إلا تلميذه الأول وفارس العلوم ، سيد الكائنات ، ربيبه علي بن أبي طالب عليه السلام ، فهو يعرف جميع الطرق ، وهذا يعني أن لكل سماء طرق مختلفة ، كما في الأرض طرق مختلفة كالطرق الجوية والبحرية والبريّة ، وكما على الأرض طرق صحراوية وجبلية وعرة وسهلة سالكة ، وكما في الماء طرق بحرية وأخرىٰ نهرية ، وهذا يدلنا على أن هناك طرق لا تحصىٰ ولا تعد ومسافات تلك الطرق وسعتها وما الى ذلك ، وهل فيها حياة أم معدومة فيها ، فسبحان الله المدبر الحكيم القادر القوي هذه القدرة وهذا الخلق ، التي سماها سُبل فلا تعرف كم هي السبل .

---

(١) شرح نهج البلاغة ١/١٨٣ .

(٢) أسد الغابة ٤/٢٢ ، الأئمة الاثنا عشر لابن طولون ٥١ .

وهو القائل : لو كسرت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم ، وبين أهل الإنجيل بانجيلهم ، وبين أهل الفرقان بفرقانهم ، وما من آية في كتاب الله أنزلت في سهل أو جبل إلا وأنا أعلم متى نزلت وفيمن أنزلت[1].

ولا غرابة في كلامه لأن علوم رسول الله (ص) كلها مستودعة عنده ، إنه وصف الخالق وقدرته ولا أحد يقدر على ذلك ، فلقد عجزت الفلاسفة وأرباب المعارف عن مقاربة كلام الامام عليه السلام أو مجاراته .

وأيضاً وصف هذا الإنسان ومراحل خلقته ، كما وصف الملائكة والنبيين بأجلّ وصف ، ووصف السماوات والأرض وسكان كل منهما من الكائنات الحيّة من الملائكة والإنس والجن ، بل وجميع ما فيهما من العوالم .

إن عظمة الإمام عليه السلام وسمو مقامه جعل الفرق الاسلامية كلها تدّعي الرجوع إليه.

قال ابن ابي الحديد : وما اقول في رجل تعزى اليه كل فضيلة ، وتنتهي اليه كل فرقة ، وتتجاذبه كل طائفة ، فهو رئيس الفضائل وينبوعها ، وابو عذرها ، وسابق مضمارها ، ومجلّي حلبتها ، كل من بزغ فيها بعده فمنه اخذ ، وله اقتفىٰ ، وعلى مثاله احتذى وقد عرفت ان اشرف العلوم هو العلم الالهي ، لان شرف العلم بشرف المعلوم ، ومعلومه اشرف الموجودات ، فكان هو اشرف العلوم ومن كلامه عليه السلام اقتبس ، وعنه نقل ، واليه انتهى ، ومنه ابتدأ ، فان المعتزلة الذين هم اهل التوحيد والعدل وارباب النظر ومنهم تعلم الناس هذا الفن تلامذته واصحابه ، لأن كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ ابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، وابو هاشم تلميذ ابيه ، وابوه تلميذه عليه السلام ، وامّا الاشعرية فانهم ينتمون الى ابي الحسن علي بن اسماعيل بن ابي بشر الاشعري ، وهو تلميذ ابي علي الجبائي ، وابو علي احد مشايخ المعتزلة ، فالاشعرية ينتهون بآخره ، الىٰ استاذ المعتزلة ومعلمهم وهو علي بن ابي طالب عليه السلام .

---

(١) أعيان الشيعة ج٣/ القسم الأول/ ١٠٦ .

واما الامامية والزيدية فانتماؤهم اليه ظاهر .

ومن العلوم علم الفقه ، وهو عليه السلام اصله واساسه ، وكل فقيه في الاسلام فهو عيال عليه ، ومستفيد من فقهه ، أما أصحاب ابي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وغيرهما فأخذوا عن ابي حنيفة ، وأما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن فيرجع فقهه ايضاً الى ابي حنيفة ، وأما احمد بن حنبل فقرأ على الشافعي فيرجع فقهه ايضاً الى ابي حنيفة ، وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد عليه السلام ، وقرأ جعفر على ابيه عليه السلام ، وينتهي الامر الى علي عليه السلام، واما مالك بن انس فقرأ على ربيعة الرأي ، وقرأ ربيعة على عكرمة ، وقرأ عكرمة على عبد الله بن عباس ، وقرأ عبد الله بن عباس على علي بن ابي طالب .

وأما فقه الشيعة فرجوعه اليه ظاهر . وايضاً فان فقهاء الصحابة كانوا عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وكلاهما أخذ عن علي عليه السلام ، أما ابن عباس فظاهر ، واما عمر فقد عرف كل احد رجوعه اليه في كثير من المسائل التي اشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة وقوله غيرمرة: لولا علي لهلك عمر ، وقوله : لا بقيت لمعضلة ليس لها ابو الحسن ، وقوله : لا يفتين احد في المسجد وعلي حاضر . فقد عرف بهذا الوجه ايضاً انتهاء الفقه اليه .

وقد روت العامة والخاصة قوله صلى الله عليه وآله : اقضاكم علي . والقضاء هو الفقه .

ثم ذكر رجوع بقية العلوم اليه عليه السلام[1].

ونضيف الى ما قاله العلامة ابن ابي الحديد : ان علم الاصول يرجع اليه عليه السلام ، وهو العلم الذي جعل الاسلام متطوراً يواكب الحياة ، وكلما تطور العلم تطور معه الدين الإسلامي بواسطة علم الاصول ، ولولاه لأصبح الدين جامداً غير متطور ، فكلما تقدمت الآلة وغير الآلة تقدم الدين الإسلامي . وإلا لو بقي على هذه المذاهب لأصبح كبعض الأديان اليوم

---

(١) انظر شرح النهج ١/١٨.

عجزت عن التقدم ومواكبة الحياة ، لأن أكثر المذاهب تقيس العلوم قياساً .

علوم الامام كثيرة وفائقة خاصة بالنسبة للأسرار والتوحيد والعدل والنبوة والقدر والقضاء وأحوال المعاد ، وقد مر معنا أنّ كل المسلمين هم تلامذة له عليه السلام ومنه أخذوا العلم .

ولذا لما ثبت أنه أعلم خلق الله بعد الرسول (ص) فهو إذاً أفضلهم بلا منازع له ، فهو أفضل من أهل الكتب والملل كلها ، وهو سيد العرب والعجم بواسطة علمه ، ومن كان عنده علم كعلم علي فليظهر الى حيز الوجود ليقدم لنا شيء من علمه سواء كان من الأولين أو الحاضرين فقد شهد بسيادته العلمية أعداؤه وأصدقاؤه .

وقلنا علمه في ابتداء خلق السماء والأرض وخلق الإنسان ، وهو سيدنا أبو البشر آدم عليه السلام يقول فيه سيد العلماء :

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ، ولا يحصي نعمائه العادّون ، ولا يؤدي حقّه المجتهدون ، الذي لا يدركه بُعدُ الهمم ، ولا يناله غوص الفطن ، الذي ليس لصفته حدٌّ محدود ، ولا نعت موجود ، ولا وقت معدود ، ولا أجل ممدود ، فطر الخلائق بقدرته ، ونشر الرياح برحمته ، ووتد بالصخور ميدان أرضه ، أول الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق توحيده ، وكمال توحيده الإخلاص له ، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه ، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة ، ممن وصف الله سبحانه فقد قرنه ، ومن قرنه فقد ثنّاه ، ومن ثنّاه فقد جزّأه ، ومن جزّأه فقد جهله ، ومن جهله فقد أشار إليه ، ومن أشار إليه فقد حدّه ، ومن حدّه فقد عدّه ، ومن قال فيم فقد ضمّنه ، ومن قال علامَ ؟ فقد أخلى منه ، كائن لا عن حدث ، موجود ، لا عن عدم ، مع كل شيء لا بمقارنةٍ ، وغير كل شيء لا بمزايلة ، فاعل لا بمعنىٰ الحركات والآلة ، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه ، متوحّد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده ، انشأ الخلق انشاءاً ، وابتدأه ابتداءً ، بلا روية اجالها ، ولا تجربة استفادها ، ولا حركة احدثها ، ولا همامة نفس

اضطرب فيها ، احال الاشياء لاوقاتها ، ولاءم بين مختلفاتها ، وغرز غرائزها ، والزمها اشباحها ، عالماً بها قبل ابتدائها ، محيط بحدودها وانتهائها ، عارفاً بقرائنها واحنائها .

هذه الخطبة مشتملة على مباحثٍ عظيمةٍ فيها نكت مهمة :

فالأول : أشار عليه السلام يذكر الله جل جلاله وتمجيده والثناء عليه بما هو أهله ، فهو يتقدم بالحمد لله . . . حتى يقول ولا يستوحش لفقده ، أحصيت الشيء أي أنهيت عدّه ، والنعماء النعمة ، والغوص في عمق الشيء ، والفطنة يقصد فيها الفهم ، والفطرة والابتداع ، والخليقة التي هي الطبيعة ، والوتد والصخور والحجارة العظام والميدان والحركة ما يميد ميدا ، وهنا يقصد انقياد جميع الناس وكل شيء بالإطاعة ، وهذه ناتجة عن وجود الرسل وانبعاثهم للبشر لكي يكونوا مصادر للشريعة .

وهذه الخطبة التي خطبها سيد البلاغة والعلم وسيد البشر بقول رسول الله ، ومن شك به كافر ، نقلته عائشة وعمر وأبو بكر .

أمير المؤمنين علي عليه السلام تحدث عن الرياح والنعمة ووتد الأرض وعرفها انها كروية ، وثبت أن الجبال على سطح الأرض جارية مجرى خشونات وتضريسات حاصلة على وجه الكرة ، فإذا ثبت هذا فإن المصلحة من هذه الخشونة والتضريسات هو الاستقرار والثبات ، لأنه لولا ذلك لصارت بحيث تتحرك بالاستدارة بأدنى سبب لأن الجرم البسيط المستدير يجب كونه متحركاً على نفسه وإن لم يجب ذلك عقلاً إلا انها تصير بأدنى سبب تتحرك على هذه الوجه ، أما إذا حصل على سطح كرة الأرض هذه الجبال فهي كالخشونات الواقعة عن وجه كرة الأرض ، فكل واحد من هذه الجبال إنما يتوجه بطبعه الى مركز العالم وتوجه ذلك الجبل نحو مركز العالم بثقله العظيم وقوته الشديدة يكون جارياً مجرى الوتد الذي يمنع الأرض من الاستدارة وكان تخليق هذه الجبال على الأرض كالأوتاد المعدودة في الكرة المانعة من الحركة المستديرة .

والوتد له الفائدة الكاملة لحفظ الموتود في بعض المواضع عن الحركة والإضطرابات حتى يكون قاراً ساكناً وكان من لوازم ذلك السكون في بعض الأشياء صحة الإستقرار على ذلك الشيء والتصرف عليه . ومن فوائد وجود الجبال التضريسات الموجودة في وجه الأرض أن تكون معمورة بالماء ليحصل للحيوانات الاستقرار والتصرف عليها ، لا جرم كان بين الأوتاد والجبال الخارجة من الماء في الأرض اشتراك في كونها مستلزمين لصحة الاستقرار ، مانعين من عدمه ، لا جرم حسنت استعارة نسبة الاشياء الى الصخور والجبال ، وأما اشعاره بالميدان فلأن الحيوان كما يكون صادقاً عليه انه غيره مستقر على الأرض بسبب انفجارها بالماء لو لم توجد الجبال كذلك يصدق على الأرض انها غير مستقرة تحته ومضطربة بالنسبة إليه ، فثبت حينئذٍ أنه لولا وجود الجبال في سطح الأرض لكانت مضطربة ومائدة بالنسبة الى الحيوان لعدم تمكنه من الاستقرار عليها .

وذكر بعضهم : أن أمير المؤمنين (ع) أشار بهذه الإشارة ـ اي الصخور والجبال ـ الى الرسل والأنبياء عليهم السلام والاولياء والعلماء الأبرار وبالأرض الى الدنيا .

قال ابن ميثم (رح) : أما وجه التجوز بالصخور عن الأنبياء والعلماء فلأن الصخور والجبال لما كانت على غاية من الثبات والاستقرار مانعة مما يكون تحتها من الحركة والاضطراب فهي عاصمة لمن يلتجيء إليها من الكائن الحي عما يوجب له الهرب ، فيسكن بذلك اضطرابه وقلقه ، فهي من هنا أشبهت الأوتاد من بعض هذه الجهات . ولما كان الانبياء والعلماء هم سبب في انتظام أمور الحياة وعدم اضطراب أحوال أهلها كانوا للأرض أوتاداً ، فيقول صحة استعارة لفظ الصخور لهم ، ولذلك يحسن في العرف أن يقال فلان جبل شامخ ، وفلان أرض صلبة ووتد منبعه ، ومنبع يأوي إليه كل ملهوف إذا ما رجع إليه في المهمات والحوائج ، والعلماء أوتاد الله في الأرض . . .

فنعم هذه الإستعارة ، فلولا الرسل والأنبياء لساخت الحياة بأهلها ، ولاضمحلّت الحياة ولم تدوم ، ولكن وجودهم ، بقاء نورهم وأبدانهم وأمثالهم

هم قبس الحياة . .

وهناك قصد آخر للإمام عليه السلام سببه العلم ، إنه يشير من جعل الجبال كالأوتاد في الأرض أن يهتدىٰ بها على طرقها والمقاصد فيها ، فلا تميد جهاتها المثبتة بأهلها ، ولا تميل بهم فيتيهون فيها عن طرقهم ومقاصدهم .

وكانت هنا إشارات عديدة بهذه الخطبة الجميلة والجليلة منها : النعم التي لا تحصىٰ ولا تعد ، فأي إنسان له القدرة أن يبرز في الحياة ليقول خطبة صغيرة فيها معانٍ جمّة لا تعرف ، فهو يحيّر القرّاء لأي معنى يذهبون ، وكيف يشرحونها ، لماذا ؟ لأنه يعرف عظمة الخالق ونعمه التي أعطيت لهذا الإنسان ، وكيف أنه محاط بالنعم وهو لا يقدّر هذه النعم .

والإمام هنا أشار بهذه الخطبة الى حركة الأرض والريح وما هي الفوائد منها . والقصد ، والى وجودات الموجود والزمان والمكان ، وهنا تكملة لخطبته الشريفة في إنشاء الخليقة جاء فيها كيف أنشأت هذه الخليقة ، وكيف بدأ إنشاؤها وانتشارها ، قال : أنشأ الخلق وابتدأه إبتداءاً ، بلا رؤية أجالها ، ولا تجربة استفادها ، ولا حركة أحدثها ، ولا همامة نفس اضطرب فيها ، أحال الأشياء لأوقاتها ، ولاءم بين مختلفاتها ، وغرز غرائزها ، وألزمها اشباحها عالماً بها قبل ابتدائها ، محيطاً بحدودها وانتهائها ، عازماً بقرانها واحنائها ، ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء ، وشق الأرجاء ، وسكائك الهواء ، فاجرىٰ فيها ماءاً متلاطماً تيّاره ، متراكماً زخاره ، حمله على متن الريح العاصفة ، والزعزع القاصفة ، فأمرها بردّه وسلطها على شدّه ، وقرنها الى حده ، الهواء من تحتها فتيق ، والماء من فوقها دفيق ، ثم أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبّها وأدام مربّها ، وأعصف مجراها ، وأبعد منشأها ، فأمرها بتصفيق الماء الزخار ، واثارة موج البحار ، فمخضته مخض السقاء ، وعصفت به عصفها بالفضاء ، تردّ أوله الى آخره وساجيه الى مائره ، حتى عب عبابه ، ورمى بالزبد ركامه ، فرفعه في هواء منفق ، وجو منفهق ، فسوىٰ منه سبع سماوات ، جعل سفلاهن موجاً مكفوفاً ، وعلياهن سقفاً محفوظاً ، وسمكاً مرفوعاً بغير عمد يدعمها ، ولا دسار ينتظمها ، ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب ،

وأجرى فيها سراجاً مستطيراً ، وقمراً منيراً في فلك دائر ، وسقف سائر ، ورقيم مائر . ثم فتق ما بين السماوات العلى، فملأهن أطواراً من ملائكة منهم سجود لا يركعون ، وركوع لا ينتصبون ، وصافون لا يتزايلون ، ومسبّحون لا يسأمون، لا يغشاهم نوم العيون، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النسيان ، ومنهم أمناء على وحيه ، وألسنة الى رسله ، ومختلفون بقضائه وأمره ، ومنهم الحفظة لعباده ، والسدنة لأبواب جنانه ، ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم ، والمارقة من السماء العليا أعناقهم ، والخارجة من الأقطار أركانهم ، والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم ، ناكسة دونه أبصارهم ، متلفعون تحته بأجنحتهم، مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزّة واستار القدرة لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ، ولا يحدونه بالأماكن ولا يشيرون إليه بالنظائر .

فتكلم وعرف لنا الغرائز والأجواء والأرجاء والسكائك والهواء والملائكة والماء وقوته والعليا والسفلى اشارة الى الآيات ومنها آية الاله ، الخلق ، والأمر ، ويعني بالأمر هنا هو عالم الملائكة الروحانية ، والخلق عالم الإنسان الجسمانية ، والعلوم هذه مشروحة في نهج البلاغة للامام امير المؤمنين عليه السلام ، وقد بلغت شروح هذا الكتاب ٢١٠ شرحاً[1].

لقد وصف خلق الإنسان والسماء والملائكة خير وصف وأحسن وصف ، ولا اعتقد هناك من له القدرة على هذا مهما علت مرتبة الإنسان فهو جاهل تجاه أمير المؤمنين ، فقد بلغ هو الذروة العليا ، وهو القائل : سلوني . والعلم كله يعود له ولأبنائه .

ثم أشار أنه سبحانه سلّط الريح والهواء على الماء حتى جعله زبد ودخان بدون نار ، فخلق منه السماء ، وخلق من الزبد الأرض ، وجعل عليها الجبال كي لا تطغى ، ثم أشار الى الغرائز أي الطبيعة التي هي عليها الإنسان طبع كأنها غرزت فيه ، ثم تطرق الى العناصر الأربع التي هي من خواص الإنسان ، وهي من شرائط علوم الإنسان الرؤية والتجربة حكم معدّة

(١) شروح نهج البلاغة .

للتعيين . . ولقد أشار أن هناك أسراراً عند الإله وخاصة ما تطرق إليها الإمام أنه مستحيل يصل إليها البشر مهما وصل في درجة العلم والعبقرية والحكمة والفلسفة والإختراع من الأسرار ، أسرار السماء كيف انها بنيت وأنشأت وليس لها من ماسك ولا ركن ولا أعمدة ، ثم ذات ارتفاع هائل وكبير عن سطح الأرض .

واليوم إذا أراد الانسان أن ينشأ بيتاً ارتفاعه عدة أمتار لا بد له من قوائم وأركان ودعائم وأساطين ، فإذا لم يرفعها ببعضها البعض ويربطها فلا يمكن له ذلك إطلاقاً ، فهذه قدرة الله لم يعرفها إلا الإمام علي عليه السلام ، وليس غيره أحد يعرف ذلك ، ولا معرفة لهذا الكون والأكوان والقدرة الهائلة إلا تلميذ رسول الله علي (ع) .

وهناك إشارة على قوة القدرة القهارة ﴿ **وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً . . .** ﴾[1] ﴿ **رفعَ سمكها فسوّاها** ﴾[2] ﴿ **اللهُ الذي رفعَ السماواتِ بغيرِ عمدٍ . . .** ﴾[3] ﴿ **. . . ويمسكُ السماءَ أنْ تقعَ على الأرضِ إلاَ بإذنهِ . . .** ﴾[4] ﴿ **إنّا زيّنا السماءَ الدنيا بزينةٍ الكواكبِ** ﴾[5] .

وكان عليه السلام قد أشار الى الأفلاك وعددها ، وكل فلك ما فيه وماذا يحمل من عظمة الخالق وقدرته الغير متناهية . . فأول الأفلاك الذي يلينا ليس فيه من الكواكب إلا القمر ، والثاني ليس فيه الا عطارد ، والثالث ليس فيه إلا الزهرة ، والرابع ليس فيه الا الشمس، والخامس ليس فيه إلا المريخ ، والسادس ليس فيه إلا المشتري ، والسابع ليس فيه إلا زحل ، وهذه المسمّاة بالكواكب السبعة السيارة وما سواها من الكواكب يشتمل عليها الفلك الثامن ، وأما التاسع فخالٍ من الكواكب وإن كان فليس بمدركٍ لنا ، وقد دل

---

(١) الانبياء ٣٢ .

(٢) النازعات ٢٨ .

(٣) الرعد ٢ .

(٤) الحج ٦٥ .

(٥) الصافات ٦ .

البرهان على ان الأفلاك هي المتحركة بما فيها الكواكب ، وأن تلك الحركة دورية .

ومن هنا جاء كلامه يفسر لنا الغرض حيث قال : في فلكٍ دائرٍ ، وسقف سائر ، ورقيم مائر ، ثم جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها وعذبها وسبخها تربةً سنّها بالماء حتى خلصت ، ولاطها بالبلّة حتى لزبت ، فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول ، وأعضاء وفصول ، أجمدها حتى استمسكت ، وأصلدها حتى صلدت ، لوقتٍ معدود ، وأجلٍ معلوم ، ثم نفخ فيها من روحه فتمثلت إنساناً ذا أذهان يجيلها ، وفكر يتصرف بها ، وجوارح يختدمها ، وأدواتٍ يقلبها ، ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل والأذواق والمشام والألوان والأجناس ، معجوناً بطينة الألوان المختلفة ، والاشباه المؤتلفة ، والأضداد المتعادية ، والاخلاط المتباينة من الحر والبرد والبلّة والجمود والمساءة والسرور .

واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم ، وعهد وصيته إليهم في الإذعان بالسجود له ، والخنوع لتكرمته ، فقال لهم : ﴿ **اسجدوا لآدمَ فسجدوا إلا إبليسَ** ﴾ وقبيله اعثرتهم الحميّة ، وغلب عليهم الشقوة ، وتعزوا بخلقة النار ، واستوهنوا خلقة الصلصال ، فأعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخطة ، واستتماماً للبليةِ ، وإنجازاً للعدة ، فقال : ﴿ . . . **فإنكَ منَ المنظرينَ الى يومِ الوقتِ المعلومِ** ﴾[1] ثم أسكن آدم داراً أرغد فيها عيشه ، وآمن فيها محلّته ، وحذّره إبليس وعداوته ، فاغتّره عدوه نفاسة عليه بدار المقام ، ومرافقة الأبرار ، فباع اليقين بشكّه ، والعزيمة بوهنه ، واستبدل بالجذل وجلاً ، وبالاعتزاز ندماً ، ثم بسط الله سبحانه له في توبته ، ولقّاه كلمة رحمته ، ووعده المردّ الى جنّته ، فاهبطه الى دار البلية ، وتناسل الذرية . . .

وهنا جاء بعد ذكر خلق السماوات والأرضين ، وخلق الملائكة والإنسان . شرح قصة خلق أبو البشر آدم عليه السلام وتكوينه ، والأرض التي تكوّن منها وخلق منها ، وعناصره وعناصر إبليس ، وما حصل بينهما ،

---

(١) الحجر ٣٧ ـ ٣٨ .

وكيف أنه تكبر وامتنع عن السجود ، وادعى الكبرياء لكونه خلق من نار ، وهنا أخذ يقيس النار أنها خير من الطين . ثم شرح كيف حصل النسل من السيدين الأبوين آدم وحواء.

ثم جاء الى ذكر الانبياء وعظمتهم فقال: واصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم ، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم ، لما بدّل أكثر خلقه عهد الله إليهم ، فجهلوا حقه ، واتخذوا الأنداد معه ، واجتالتهم الشياطين عن معرفته واقتطعتهم عن عبادته ، فبعث فيهم رسله ، وواتر إليهم أنبياءه ، يستأدوهم ميثاق فطرته ، ويذكروهم منسي نعمته ، ويحتجوا عليهم بالتبليغ ، ويثيروا لهم دفائن العقول ، ويروهم الآيات ، والقدرة ، من سقف فوقهم مرفوع ، ومهاد تحتهم موضوع ، ومعائش تحييهم ، وآجال تفنيهم ، وأوصاب تهرقهم ، وأحداثٍ تتابع عليهم ، ولم يخل سبحانه خلقه من نبي مرسلٍ أو كتابٍ منزل أو حجة لازمة أو محجة قائمة ، رسل لا تقصر بهم قلّة عددهم ، ولا كثرة المكذبين لهم ، من سابقٍ سمي له من بعده ، أو غابر عرفه من قبله ، على ذلك نسلت القرون ، ومضت الدهور ، وسلفت الآباء، وخلفت الأبناء، الى أن بعث الله سبحانه محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لإنجاز عدته ، وتمام نبوته ، مأخوذاً على النبيين ميثاقه ، مشهورة سماته ، كريماً ميلاده ، وأهل الأرض يومئذٍ مللٌ متفرقة ، وأهواء منتشرة ، وطوائف متشتتة، بين مشبّه لله بخلقه ، أو ملحد في إسمه ، أو مسيء الى غيره ، فهداهم به من الضلالة ، وأنقذهم بمكانه من الجهالة . ثم اختار سبحانه لمحمد صلى الله عليه وآله لقاءه ، ورضي له ما عنده ، وأكرمه عن دار الدنيا ، ورغب به عن مقارنة البلوىٰ ، فقبضه إليه كريماً ، وخلف فيكم ما خلفت الأنبياء في أممها ، إذ لم يتركوهم هملاً بغير طريق واضح ، ولا علم قائم ، كتاب ربكم فيكم ، مبيناً حلاله وحرامه ، وفرائضه وفضائله ، وناسخه ومنسوخه ، ورخصه وعزائمه، وخاصّه وعامه ، وعبره وأمثاله ، ومرسله ومحدوده ، ومحكومه ومتشابهه ، مفسراً مجمله ، ومبيناً غوامضه ، بين مأخوذ . . .

وبهذه الخطبة التي لا قدرة لأحد عليها والتي تناول بها من عظمة الخالق ، وعظمة السماء والملائكة إلى عظمة هذا الإنسان وخلقته ، وكيف بدأ خلقه ونسله ، وعظمة الأنبياء والغرض من بعثتهم ، ثم تطرق الى سيدهم سيد الكائنات ، وجاء به من عظمة القرآن ، وكيف كانت الناس بأي مستنقع من الجهل والمرض والعقل المتخلف ﴿ **وإنْ منْ أمةٍ إلا خلا فيها نذير** ﴾[1]، ومع هذا النذير الكتاب المنزل الذي يدعو العباد الى طاعته وعبادته سبحانه .

وإشارة هنا الى أن الأنبياء ، أقدر من غيرهم على ضبط الوحي ، ولهم القوة الكافية لتحمل الصبر ، وهم القدوة في هضم المصائب تجاه الأمم الجاهلة الذين عزب عن عقولهم الخير ، ولا يبقىٰ إلا الشر والخرافة والشيطنة ، والنفس الخاضعة لقوة وسلطة الشيطان ، وكأن هم الناس اللذات والشهوات والسيطرة والاستبداد وأكل الضعيف . . .

أجل بعث الله تلك الصفوة الطاهرة المطهرة التي اصطفاها سبحانه ، وقد أخذت على نفسها تحمل المصائب والاضطهاد من الأمم يقابلونها بالصبر ولربها بالاطاعة وتطهير النفس تجاه مولاها ، وأقرت له بالعبودية الحقة التي فطروا عليها ، وصبرهم على الأذىٰ في جنب الله تعالى ، وفي الحقيقة إن الأنبياء هم الاصل لإعداد النفوس وإظهارها على حقيقة الخالق وحقه على المخلوق وأنه هو رب الناس، وجميع المخلوقين عباد له ، وليس لغيره ، وإنما الشرك والإلحاد والانداد هو من صنع الإنسان نفسه ، وهذا لا يجوز لأن هذه العوامل الخرافية ، إنما وجدت من عقول خرافية ساذجة ، فهي بعيدة عن الإبداع والآثار الطبيعية ، فهذه كلها من حكمة حاكم حكيم .

نعم والانبياء الذين أرسلوا الى الأمم لم يرسلوا ليطلبوا من البشر أن يكونوا أرباباً عليهم ، بل الربوبية لله سبحانه ، ولكن أصل إرسالهم لعزّة الإنسان وسعادته على رغم ما لاقوا من أممهم من اضطهاد وقتل وتعذيب وتكذيب ، وهذا كان يحصل من السفلة الطغاة أصحاب المصالح والمستبدّين ،

---

(١) فاطر ٢٤ .

فكان كل نبي يبعث الى أمته يجد مجموعة من المعاندين والمكذبين لمقالته ، ذلك النبي الذي يحاول جلب الناس بواسطة سلاح المنطق والرحمة ، لا بسلاح السيف والقوة الذي يستعمله أصحاب المناصب ، ويحاول كل نبي أن ينشر دعوته في أطراف الأرض ووسطها وشرقها وغربها حسب القدرة الربانية والعناية الإلهية الأزلية والحكمة الوحدانية وتبقىٰ آثارها محفوظة ، وسنّتها قائمة ﴿ رسلاً مبشرينَ ومنذرينَ لئلا يكونَ للناسِ على اللهِ حجةٌ بعدَ الرسلِ . . . ﴾[1] .

وكانت للإمام خطبة قصيرة حول البيت وشرفه ، وهي عظيمة ومعروفة ، وقد عرف (ع) البيت وقدره في حين لم يعرفه سواه أحد ، ما هو الحج ، وما معنىٰ الحج ، وما هي الفائدة منه ، ولماذا ؟ فهو يعرف أن الحج شوق ، يتشوق الإنسان شوقه ويشتد وجده إليه ، ومعناه جذب الخلق كلهم الى حضرة الخالق بالتذكير فهو فيه الفائدة ، ذكر الملائكة ، وذكر المعاد وحشره وحده ، والمهاجرة وسفره إليه كيف أنه يهاجر وحده ويسافر وحده ويترك عياله وماله ولباسه وفراشه وكل ما يملك ويذهب الى بيت الله عريان لا يملك إلا المئزر والملحف اللذان يشكلان الكفن ، ومفارقة الأوطان والأحبة ، ويحل ضيفاً علىٰ ربه ، هذه الفائدة الأولى أن يستشعر بهذا الفرق .

ثانياً : الذي كان يملكه هو عبارة عن ملك ليس له ، ولم يعد له من الأخلاء والأصدقاء الاشداء من ينقذه من أخذة ذليلة ، مسكيناً حقيراً بين يدي ربه ، وهو بذهابه الى بيت الله ليس له صديق ولا منقذ إلا ربّه والملائكة الشاهدين عليه في يوم المشهد العظيم ، فيوم الحج كيوم آخرته ، فالرب هو المضيّف له ، وهو المعزّ له ، ورافع الخوف عنه ، ومهدىء روعه واضطرابه .

والحج تجارة الموسم والعمر ، أجره عظيم ، فيه الغفران ، خاصة إذا جاء الحج بقلب سليم زكي ، تارك لكل شيء خلفه وكأنه لا يريد الرجوع اليه ، وكأنه خرج من الدنيا وهو عريان كما وضعته أمه يوم ولدته يطبق

---

(١) النساء ١٦٥ .

مناسك الحج ، فقد جاء الحديث : من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . هنا تظهر منفعة الأخلاص في العبودية والعبادة والصدق والنية الحسنة ، فبذهاب المرء الى بيت الله يحتقر الشيطان ويجعله صغيراً ذليلاً ، خاصة في يوم عرفة ، إنه يرىٰ الرحمة متجلية له ، نازلة على ضيوفه ، سبحانه وتعالى من كريم سخي ، فيكفّر معظم الذنوب في الوقوف على جبل عرفات مستعداً لاجتماع الموقف ، فيسبب ذلك له الخشوع والخشية منه تعالى .

قال (ص) : حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها .

وقال (ص) : حجة مبرورة ليس لها أجرٌ إلا الجنة .

وقال (ص) : الحجاج والعمار وفد الله وزوّاره ، إن سألوه أعطاهم ، وإن استغفروه غفر لهم ، وإن دعوه استجاب لهم ، وإن شفعوا إليه شفّعهم .

وقال (ص) : أعظم الناس ذنباً من وقف بعرفة وظن أن الله لم يغفر له .

لكن أي حج هو هذا الذي حدثنا عنه رسول الله صلى الله عليه وآله ، ليس كل من حج فهو حاج ، بل الحج هو حج الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام ، فإنه لما أحرم اصفّر لونه ، ولم يستطع أن يلبّي .

قيل : ولماذا لم تلبي ؟

قال : اخشى أن يقول لي صاحب التلبية لا لبّيك .

ولما لبس سقط من فوق راحلته مغشياً عليه حيث اخذته الرعدة ، فلم تزل تعتريه حتى انتهىٰ من حجّه . هذه الكلمات القليلة تحتاج الى مجلد وإن كانت الخطية قصيرة إلا انها عظيمة المعنى .

قال سلام الله عليه : وفرض عليكم حج بيته الحرام الذي جعله قبلة للأنام ، يردونه ورود الأنعام ، ويألهون إليه ولوه الحمام ، جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته ، وإذعانهم لعزته ، واختار من خلقه سُمَّاعاً أجابوا

إليه دعوته ، وصدقوا كلمته ، ووقفوا مواقف انبيائه ، وشبهوا بملائكته المصطفين بعرشه ، يحرزون الأرباح في متجر عبادته ، ويتبادرون عنده وعد مغفرته ، جعله سبحانه وتعالى للإسلام علماً ، وللعائذين حرماً ، فرض حجه ، وأوجب حقه ، وكتب عليكم وفادته ، فقال سبحانه ﴿ . . . **ولله على الناسِ حجُّ البيتِ منِ استطاعَ إليه سبيلاً ومن كفَر فإنَّ الله غنيّ عن العالمين** ﴾[1].

أما علمه بالحروف تكاد تكون معجزة ، إن لم تكن هي معجزة بحد ذاتها ، وهذا ليس غريب على أمير المؤمنين ، وهو ربيب طه في حجر الرسالة الإلهية ، وهو القرآن ، والقرآن معه ، لقد عجز بيان الناس عمّا جاء فيه علي عليه السلام ، لقد خطب خطبتين إحداهما تخلو من الألف والثانية تخلو من التعجيم (النقاط) وهذا بعدما تذاكر الناس عنده أن الألف اكثر الحروف الهجائية تدخل في الكلام ، ولا يخلو كلام أو فقرة من الألف ، وهذا صحيح بالنسبة للعقل البشري وصعب لا يطاق ، ولا يقدر عليه أحد ، بل حتى إذا أراد إنسان صياغة فقرة أو فقرتين دون ألف من الكلام تكون ركيكة وغير منتظمة ، ولا تكون ذات فائدة ، لكنه سلام الله عليه ارتجل بعد الاجتماع خطبة على البديهة ، ارتجل أبو البلاغة والفصاحة وعلم الكلام فقال :

حمدت من عظمت منّته ، وسبغت نعمته ، وسبقت رحمته غضبه ، وتمّت كلمته ، ونفذت مشيئته ، وبلغت قضيته ، حمدته حمد مقرٍ لربوبيته ، متخضع لعبوديته ، متنصل من خطيئته ، معترف بتوحيده ، مؤمل من ربه ، مغفرة تنجيه يوم يشغل عن فصيلته وبنيه ، ونستعينه ونسترشده ، ونشهد به ونؤمن به ، ونتوكل عليه ، وشهدت له تشهد مخلص مؤمن ، فردته تفريد مؤمن متيقن ، ووحدته توحيد عبد مذعن ، ليس له شريك في ملكه ، ولم يكن له ولي في صنعه ، جل عن مشير ووزير ، وعون ومعين ونظير ، علم فستر ، ونظر فخبر ، وملك فقهر ، وعصي فغفر ، وحكم فعدل ، لم يزل ولن يزول ، ليس كمثله شيء ، وهو قبل كل شيء ، وبعد كل شيء ، رب منفرد

---

(١) آل عمران ٩٧ .

بعزته ، متمكن بقوته ، متقدس بعلوه ، متكبر بسموه ، ليس يدركه بصر ، وليس يحيط به نظر ، قوي منيع ، بصير سميع ، حليم حكيم ، رؤوف رحيم ، عجز عن وصفه من يصفه ، وضل عن نعته من يعرفه ، وقرب فبعد ، وبعد فقرب ، يجيب دعوة من يدعوه ، ويرزقه ويحبوه ، ذو لطف خفي ، وبطش قوي ، ورحمة موسعة ، وعقوبة موجعة ، رحمته جنة عريضة مونقة ، وعقوبته جحيم ممدودة موبقة ، وشهدت ببعثه محمد عبده ورسوله ، وصفيه ونبيّه ، وخليله وحبيبه صلى عليه ربه صلاة تحظيه ، وتزلفه وتعليه ، وتقربه وتدنيه ، بعثه في خير عصر ، وحين فترة ، وكفّر رحمة لعبيده ، ختم به نبوته ، ووضّح به ، حجته موعظة ، ونصح وبلغ وكدح ، رؤوف رحيم ، بكل مؤمن رضي رمي زكي ، عليه رحمته وتسليمه وبركته وتكريمه ، من رب غفور رحيم ، قريب مجيب . وصيتكم جميع من حضر يوصيه ربكم ، وذكرتكم سنّة نبيكم ، فعليكم برهبة تسكن قلوبكم ، وخشية تذرب دموعكم ، وتقية تنجيكم قبل يوم يذهلكم ويبليكم ، يوم يفوز فيه من ثقلت وزن حسنته ، وخف وزن سيئته ، ولتكن مسألتكم وتملقكم مسألة ذل وخضوع ، وشكر وخشوع ، وتوبة ونزوع وندم ورجوع ، ويغتنم كل مغتنم منكم صحته قبل سقمه ، وشبيبته قبل هرمه وكبره ، وفرصته وسعته وفرغته قبل شغله ، وغنيته قبل فقره ، وحضره قبل سفره ، من قبل يهرم ويكبر ويمرض ويسقم ويمله طبيبه ، ويعرض عنه حبيبه ، وينقطع عمره ، ويتغير لونه ، ويقل عقله ، ثم قيل هو موعوك ، وجسمه منهوك ، ثم جدّ في نزع شهيد ، وحضره كل قريب وبعيد ، فشخص بصره ، وطمح نظره ، ورشح جبينه ، وخطف عرينه ، وسكون حنينه ، وحديث نفسه ، وبكي عرسه ، ويتم منه ولده ، وتفرق عنه عدّوه وصديقه ، مقسم جمعه ، وذهب بصره وسمعه ، وكفّن ومدّد ، ووجّه وجرّد ، وعرس وغسّل ، ونشّف وسجي ، وبسط له وهيىء ، ونشر عليه كفنه ، وشد منه ذقنه ، وقمص وعمم ، وودّع عليه وسلّم ، وحمل فوق سريره وصلى عليه ونقل ، من دور مزخرفة ، وقصور مشيدة ، وحجر منجدة ، فجعل في ضريح ملحود ، ضيّق مرصود ، بلبن منضود ، مسقف بجلود ، وهيل عليه حفره ، وحثي عليه مدره ، وتحقق حذره ، ونسي خبره ، ورجع عنه وليه وصفيّه ، وندبه ونسيبه ، وتبدل به

قريبه وحبيبه ، فهو حشو قبر ، ورهين قفر ، يسعى بجسمه دود قبره ، ويسيل صديده على صدره ونحره ، يسحق برمته لحمه وينشف دمه ، ويرم عظمه حتى يوم حشره ونشره ، فينشر من قبره ، وينفخ في صدره ، ويدعى بحشره ونشوره ، فثم بعثرت قبور ، وحصلت سريرة صدور ، وجيء بكل نبي وصدّيق ، وشهيد ونطيق ، وقعد للفصل رب قدير ، بعبده بصير خبير ، فلكم من زفرة تضنيه ، وحسرة تقصيه ، في موقف مهيل ، ومشهد جليل بين يدي ملك عظيم ، بكل صغيرة وكبيرة عليم ، فحينئذٍ يلجمه عرقه ، ويحصره قلقه .

هذه الخطبة البليغة عدد كلماتها سبعمائة وخمسون كلمة تقريباً ، وبعد ذلك قال أمير المؤمنين ﴿ **تلك الدارُ الآخرةُ نجعلها للذينَ لا يريدونَ علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبةُ للمتّقين** ﴾[1] .

سلام الله عليك يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيّاً ، أي عظيمة هذه ، وأي حكمة هذه ، وأي علم هذا ، ومن ذا الذي يقدر على ذلك ، وأي بليغ ، وأي إنسان ، وكيف يقول ، وماذا يقول ، خطبة بدأها بحمد الله والثناء عليه ، وعلى نبيّه . . أيها الناس أين أئمة البلاغة ، أين أئمة الفصاحة عن تركيب هذه الجمل ، والله لقد عجزت الحياة ، وعقمت النساء أن يلدن مثل علي بن أبي طالب ، فقد عجز البيان ، وقد يعجز الملائكة عن هذه التراكيب ، ولو اجتمع أهل البلاغة في كل العصور ، في خلواتهم وأوقات فراغهم فلما استطاعوا أبداً جملة واحدة ، كيف لا وهو سيد الوصيين وقائد الغرّ المحجلين ، ويعسوب الدين الذي وصف خالقه دون سابق له ، ووصف الملائكة وتفرد بوصفهم ، ووصف خلق الإنسان ، وما فيه من خواص ، ولقد عجز الناس عن معرفة هذا الإنسان وما فيه من صفات وغرائز وفكر ورؤية وجهل وسذاجة ، أوليس هو القائل :

أتزعمُ أنكَ جرمٌ صغيرٌ وفيكَ انطوى العالمُ الأكبرُ

---

(١) القصص ٨٣ .

حارت العقول بما يقصده بهذا القول ، هل يشير الى جسم الإنسان والأنسجة ، وتشريحه الفسيلوجي اذا فرشه في الأرض تغطي المعمورة طبقة جسم الإنسان ، أم يشير الى العلم وابتكاره وتوصل الإنسان الى درجة العلم ، وكيف أنه أخذ يسير في أقطار الأرض وأرجائها بواسطة آلة الركوب ، أو المذياع ، وهذا القول هو معجزة العصور ، معجزة البيان ، معجزة الحياة ، كلها معجزة ، معجزة الأولين والآخرين ، بأي الأمرين هو صحيح اما من طريق جسم الإنسان إذا شرح وانفرش على الأرض يغطيها ، أو من حيث علمه كيف توصل بهذه الآلة : أتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر ، نعم هو كتاب الله الناطق التكويني ، كلامه فوق المخلوقين ، ودون كلام الخالق .

وإليك الخطبة الثانية التي خطبها أمير المؤمنين ، أمير الكلام ، أمير الأوصياء ، أمير العرب والعجم ، وهي الخطبة التي بلا نقاط ، الغير معجمة :

قال عليه السلام : الحمد لله الملك المحمود ، المالك الودود ، مصوّر كل مولود ، وموئل كل مطرود ، وساطع المهاد ، وموطّد الأطواد ، ومرسل الأمطار ، ومسهّل الأوطار ، عالم الأسرار ومدركها ، ومدمرالأملاك ومهلكها ، ومكور الدهور ومكررها ، ومورد الأمور ومصدرها ، عمّ سماحه ، وكمل ركامه وهمل ، وطاوع السؤال والأمل ، وأوسع الرمل وأرمل ، أحمده حمداً ممدوداً مداه ، وأوحده كما وحده آلاؤه ، وهو الله لا إله للأمم سواه ، ولا صادع لما عدله سواه ، أرسل محمداً للإسلام ، وإماماً للحكام ، مسدداً للرعاع ، ومعطل أحكام ود وسواع ، اعلم وعلم ، وحكم واحكم ، أصل الأصول ومهد ، وأكد الوعود وأوعد ، أوصل الله له الإكرام ، وأودع روحه السلام ، ورحم آله وأهله الكرام ، ما لمع رائل ، وملع دال ، وطلع هلال ، وسمع أهلال، إعملوا رحمكم الله أصلح الأعمال ، واسلكوا مصالح الحلال ، واطرحوا الحرام ودعوه ، واسمعوا أمر الله ووعوه ، وصلوا الأرحام وراعوها ، وعاصوا الأهواء واردعوها ، وصاهروا أهل الصلاح والورع ، وصارموا رهط اللهو والطمع ومصاهركم أطهر الأحرار مولداً ، وأسراهم

سؤدداً ، وأحلاهم مورداً ، وها هو أمكم ، وحل حرمكم ، مملكاً عرينكم المكرمه ، وصاهر لكم كما صهر رسول الله أم سلمه ، وهو اكرم صهر ، أودع الأولاد ، وملك ما أراد ، وما سها مملكه ، ولا وهم ولا وكس ملاحمه ولاوصم ، اسأل الله لكم احماد وصاله ، ودوام اسعاده ، وألهم كلاً صلاح حاله ، والاعداد لمآله ومعاده، وله الحمد السرمد ، والمدح لرسوله أحمد .

يا لها من معجزة في البيان ، تتمخض على لسان سيد الدنيا وسيد الآخرة ، ربيب بيت النبوة والوحي ، يا له من أخٍ لم نسمع من الصدر الأول أو الرعيل الثاني والثالث أو اليوم ما عندهم من هذا العقل ، فوق البشر ودون الخالق المتعال ، لكن ماذا أقول بصنع الجليل الذي صنعه وجعله محك الدنيا والآخرة ، محك الناس كلهم ، فمن عرفه سلك سبل الخالق ومن لم يعرفه سلك سبل الشيطان ، فالإنسان بين طريقين ، طريق هدىً وطريق ظلالة .

انظر كيف يبدء الخطبة بالتوحيد والحمد والتمجيد وعظمة الخالق والرسول ، ثم الوعظ والإرشاد والموت والحياة والحساب والنشور . . نعم وصفه ربه وجعله أشرف إنسان في الأجيال على مسرح التاريخ ، وهو خلاصة الأجيال ، فهو سر الحياة وسعادة الآخرة ، إذ جمع غرر الصفات المتفرقة ، ولم تجتمع بغيره أبداً ، لذا صار إمام الجميع ، وسيد الجميع ، وأبلغ الجميع ، وأفصح الجميع وأعلمهم وأفقههم وأزهدهم واشجعهم واسخاهم وأتقاهم ، وكفى به عظمة أن يكون صاحب نهج البلاغة ، هذا الكتاب الخالد بخلود الدهر ، وهو معجزة الدهر بعد القرآن ، وإن كان هو مع القرآن ، وخليفة النبي ، وهو عدل القرآن ومبشّره ، صاحب البديع والبيان والبلاغة والفصاحة ، فهو أشرف خلق الله بعد اخوه وابن عمه سيد الرسل صلى الله عليه وآله وسلم بلا منازع أبداً ، لذا تآكلت قلوب الناس بالحسد عليك ايها السيد الرشيد ، والإمام المبين ﴿ . . . وكلَ شيءٍ أحصيناهُ في إمامٍ مبينٍ ﴾[1] فأنت الاسلام ، وفيك الاسلام ، أنت باني الاسلام ، وجاعل

---

(١) يس ١٢ .

العرب خاضعة لله تعالى بالركوع والسجود على التراب تعبداً وطاعة وتوحيداً لله تعالى، وأنت الذي كسّرت الأصنام، أصنامهم، وهشّمت أنوفهم، فتى لا فتى غيرك، وسيف الله لا سيف غيرك، فأنت عالم النجوم والفلك وعالم الرياضيات والهندسة، وعالم الطب والصيدلة، وعالم الكائنات كلها، علم المنايا والبلايا لديك، يا من احتياج الكل إليك، وغناك عن الكل دليل على أنك إمام الكل، فهو الذي نوّه بحركة الأرض، وأشار الى الكهرباء أنها تخرج من الماء، وهو صاحب علم الفراسة والنحو والصرف والعروض وعلوم المغيبات . .

ومن علمه بالمغيبات قوله عليه السلام لأهل الكوفة : أما إنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم، مندحق البطن، يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد فاقتلوه، ولن تقتلوه، ألا وإنه يأمركم بسبّي والبراءة منّي، فلا تتبّروا مني، فإني ولدت على الفطرة، وسبقت الى الإيمان والهجرة .

وقد حصل ما أخبر به أمير المؤمنين طابق النعل بالنعل والقذة بالقذة، فقد تقلّد معاوية الأمر واعتلى على كرسي الحكم والخلافة والقيصرية بالقهر والغلبة، وأذاق المسلمين المرارات، وجرّعهم الآلام، وقد حل بشيعة علي ما يجل عن الوصف والذكر والإحصاء والتدوين، نعم استولى الطاغية الأموي على رقاب العباد والبلاد، وفعل بهم ما أخبر به أمير المؤمنين، فقد سبّ علياً ولعنه على منابر المسلمين التي شيدت بسيف الإيمان، سيف علي الذي نادى به جبرئيل :

لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار

أي وا إسلاماه، هكذا كانت أحقاد وأغلال أمية ومعاوية ابن آكلة الاكباد، سليل الأصنام والدعارة والفجور ﴿ **أجعلتمْ سقايةَ الحاجِّ وعمارةَ المسجدِ الحرامِ كمن آمنَ باللهِ واليومِ الآخرِ وجاهدَ في سبيلِ اللهِ . . .** ﴾[1] وبقي الناس يتداولون هذه المسبّة إلى يومنا هذا في بعض

(١) التوبة ١٩ .

الأماكن ، كأنهم لا يعلمون أن ساب علي ساب لرسول الله (ص) والساب لرسول الله ساب لله سبحانه ، وكانت الناس تتبرك بسب علي وتتقرب لآل صخر وعبد شمس وأمية وعتبة والوليد وشيبة ، وهكذا بنو أمية أدخلوا الحسن والحسين وفاطمة في السب أيضاً وليس علي وحسب ، وهم أهل الكساء ، بل حتى وصل الأمر وتفاقم الى أن يتحاشى أحد تسمية ابنه باسم علي ، لكن أين اليوم أمية ، وأين دار الظلم والاستبداد ؟

قتل معاوية حجر الذي فتح الشام ، وقتل عمر بن حمق الخزاعي ، وكان يلاحق رجال العقيدة ، وهذه عبارة عن تصفية رجال العقيدة لكي يبقىٰ الإسلام إسم بلا روح ، ولكي يعطي أسياده الصليبيين طابع العبودية لهم بقتله الامام ورجال العقيدة ، ولكن العقيدة ثابتة صلدة لا تهزّها رياح معاوية واتباعه قط .

الفصل السادس

علي سيد العرب والعجم في عدله

العدل هو أساس كل شيء وثباته ، ونجاح الحياة ، وسعادة البشر ، والعدل لا يوجد الظلم والمظالم لأنه سياج الأمة وركنها القوي المتين ، وما بناء الاسلام ديناً إلا بالعدل والحرية والمساواة ، ولذا قال الله تعالى : ﴿ . . . **وإذا قلتمْ فاعدلوا ولو كانَ ذا قربى** . . ﴾[1]هذا قول العدل وقول الحكم ، فلا فرق بين البعيد والقريب ، لأنه اساس الحكم ، وأساس القول ، وحكمة العقل ، ونقاوات الوجدان ، وصلاح الضمير وراحة البال ، لماذا لأنه سلوك الحياة ، لذا قال الحكيم سبحانه وتعالى ﴿ **إنَّ اللهَ يأمرُ بالعدلِ والإحسانِ** . . . ﴾[2]من هنا لما حكم الإمام وحكمه لا يصلح لأصحاب المصالح امثال سعد بن أبي وقاص ، وطلحة ، وابن عمر ، وبنو أمية ، وابن عوف وغيرهم ، قال قوله الشهير والله لو وجدته قد تزوّج به النساء ، وملك به الاماء لرددته ، فإن في العدل سعة ، ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيق[3] .

نعم الاسلام بناء أساسه وأركانه على العدل والمساواة ، ولولا هذان العنصران لما فاز الاسلام وانتشر في ربوع المعمورة ، ولذا جاء في الآية الكريمة ﴿ **لا إكراهَ في الدينِ** . . . ﴾[4]فالدين الذي دخل فيه الناس أفواجاً

---

(١) الأنعام ١٥٢ .
(٢) النحل ٩٠ .
(٣) ابن أبي الحديد ج ١/ ٣٦٩ .
(٤) البقرة ٢٥٦ .

ما جاء إلا بحماية الإنسان من الظلم والجور ، إلا بالعدل والمساواة ، وهو سبب بناء الاسلام ، وهو المرسي لقواعده ، وغارس شجرته ، ومؤسس هيكله هو سيد العدل والعدالة والمساواة حبيب الله محمد بن عبد الله (ص) سيد الكائنات ، فكان عدله وأخلاقه وسخاؤه وكرمه ونبله وحسن سيرته وشرفه ونسبه الطيب هي التي ساعدت سيد البشر والرسل والأنبياء على عقد هذا الدين الى آخر الحياة ، لأنه الصادق الأمين الذي لم يفّرط في دين الله قط ، لذا نلاحظ تلميذه حليف القرآن الكريم سلك سلوك نبيّه ، فهو لا يقل عن رسول الله (ص) بالشرف والحسب والنسب الطيب وطهارة المولد والنبل والكرم والسخاء والشجاعة والحكمة والأخلاق وعدله ومساواته ، فالعدل ميزان الله ، والحياة لا تقوم إلا على العدل ، وبغير العدل لا تستقر الحياة ويختل ميزانها ، فيحصل التكالب والفوضى والاضطراب والمحسوبية والمنسوبية والغطرسة والكبرياء والظلم والجور والعبودية والاستبداد كما هو اليوم حاصل وسائد في جميع أنحاء المعمورة من القتل والطرد والتشريد والغصب والتعذيب والطيش والاستعلاء ، لذا عاش الإمام علي عليه السلام أزهى أيام حياته تلك التي كانت في احضان الرسالة والرسول والنبوة ترعاه فيها ، وتسدد خطاه على طريق حب الله ، فهو لم يعرف غير العدل ، ولم يظلم في عهد الرسالة ، وكانت تلك الأيام أحب وأقدس إليه في عهد النبي ، وكانت الرسالة والرحمة والشرف والرسول ترفرف على رأسه ، وكان يعيش في عدل السماء في عدل الأرض ، لذا كان الإمام يضع العدل نصب عينيه ، ولا ينحرف عنه ، ولا يميل إلى غيره ، إنه العدل المطلق الذي يعطي كل ذي حق حقّه دون أن يجور على خلق الله وعباده في قليل أو كثير ، مهما كانت نتائج هذا العدل ومضاعفاته عليه .

ثم انحرف مسار القيادة عنه حتى رأى الجور في أبرز مظاهره متمثلاً في خلافة عثمان بن عفان ، فتفشى الظلم من القيادة الى القاعدة ، من الرأس الى الأطراف ، أخذ ينظر هذا الأمر ، وهو الحارس على الاسلام وعلى شؤون المسلمين ، ولقد عمّ الظلم أقطار البلاد الإسلامية من جراء اغراق الأمويين الذين تسلطوا على رقاب الناس بالقهر والقسر والقوة ، لقد

تسلطوا على رقاب المسلمين باسم الإسلام ، وهم أبعد خلق الله عن الدين والإيمان والعقيدة ، لقد مارس عثمان وولاته أبشع أنواع الظلم وأقذره ، عاش عثمان حياة النبي ، ومارس رسول الله (ص) أمام عينيه العدل والمساواة ، فآخى بين الناس ووحّد صفوفهم ، فكانوا إخوة متساوين في الحقوق والواجبات ، ليس للعاطفة مكان ، ولا للهوى دور ، لقد مثل رسول الله (ص) قمة العدل ، وبيّن للمسلمين السبيل القويم التي يجب أن يهتدوا بها وعلى طريقها تكون مسيرتهم ، لكن عثمان انحرف عن الخط النبوي الشريف ، وخان الاسلام والرسول والرسالة ، وكأنه لم ينظر عهد الرسالة الربانية ، وكأنه بعيد عن عهد الرسول ، ولقد أظهر حقده وحنقه وغضبه ، أخذاً بثأر الأصنام والأوثان والأجداد ، فقدم عشيرته وباشر بقتل العدالة في مهدها ، فقدم رؤوس الخيانة من أحفاد أمية فضعف حتى أطمع الأمويين فيه ، وأخذت العاطفة منه على قرابته مأخذاً كبيراً حتى أنه رأى شرّار قومه خير من خيّار الآخرين ، ولقد ارتكب جرماً كبيراً بحق عدالة الإسلام ، وخطأً فظيعاً ، وقد صدر كل هذا منه وهو متسلق لقمة الحكم ، ولم يخش الله ورسوله ، وهو يحكم باسمهم ، فالكرسي والسلطة التي تسلقها كانت سلطة الله ورسوله ، وكان حقاً عليه أن يرعى الاسلام الذي وصل عن طريقه الى هذا المنصب الكبير ، منصب ابراهيم وموسى وعيسى ونوح ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين ، ذلك المنصب الذي حصل عليه بالقوة والقهر والخدعة والمؤامرة والمحسوبية والمنسوبية ، مؤامرة ابن عوف والذين من قبله ، لكنه لم يرعاه حق رعايته ، بل كان شديد الحب لبني أمية أصحاب العهد الخائن وعباد الصنم والوثن ، الذين اتفقوا على هدم الاسلام حين يتسنّى لهم ذلك ، حيث رأس النفاق أبو سفيان يقول لهم : تلاقفوها يا بني أمية تلاقف الاطفال الكرة فوالذي عبده أبو سفيان لا جنة ولا نار .

وعليك أن تعرف أحقاد أبو سفيان ، وحسده النبي ، ودخوله الإسلام كرهاً ، حتى كان يصفه بالملك ، ولم يصفه بالرسالة والرسول . . وعليك أن تعرف أيضاً ماذا صنع الحكم المتسلط لهم بالاسلام .

١ ـ إنحرافه اوطأ بني أمية رقاب الناس وولّاهم الولايات دون كفاءة فيهم أو حق ، وقد جعل كل شريف تحت وطأتهم فأقطعهم القطائع ، فقد فتحت أفريقيا في أيامه فأخذ الخمس كله الذي قال فيه الله ﴿ **واعلموا انما غنمتمْ منْ شيءٍ فـإنَّ للهِ خمسهُ وللرسولِ ولذي القربىٰ واليتامى والمساكينِ وابنِ السبيلِ . . .** ﴾[1] أما عثمان فقد أخذه كله ووهبه لمروان الخبيث طريد رسول الله وعدو الله ورسوله ، ومروان هذا هو الذي اسمه الوزغ بن الوزغ ، لعين رسول الله وطريده ، وعثمان بعمله هذا يكون قد حارب الله ورسوله ، فلقد استغل موت رسول الله (ص) وعبث في الإسلام عبثاً ، وفتقه فتقاً لا يلتئم ، لقد أرجع الإسلام القهقرىٰ لأنه لا يعيش الاسلام ولا يعيه ولا يعرفه وليس له فيه حصة .

وأما ذو النورين وانه عاشر عشرة في الجنة فهي أحاديث كاذبة افتروها على رسول الله ، بل وضعها وسطرها بنو أمية فهي من صنع آل أبي سفيان ومعاوية .

٢ ـ عطاؤه الذي كان يدفعه لأتباعه وكأنه مال أبيه ، فقد طلب منه عبد الله بن خالد بن أسيد صلة ، فأعطاه أربعماءة ألف درهم . . . قم يا رسول الله وانظر ماذا صنع عثمان ذو النورين وعاشر العشرة المبشرة بالجنة ، وأنت لم تكن تعطي نفسك ولا أزواجك وابنتك فاطمة ، وأنت السلطان الكبير ، بل كانت الزهراء سلام الله عليها تطحن بيدها ، قم وانظر لعثمان ولفعاله .

٣ ـ أعاد الحكم بن أبي العاص مخالفةً لرسول الله (ص) ، فقد كان النبي (ص) سيّره طيلة حياته ، ثم لم يرده أبو بكر ولا عمر ، وبعد أن أعاده عثمان أعطاه ماءة ألف درهم ، وكان هذا من ذي النورين (عاشر المبشرين بالجنة) عناداً وحرباً لله ورسوله والاسلام ، طريد يعيده ضداً وكرهاً لمحمد بن عبد الله (ص) ورداً على رب محمد ﴿ **منْ يطعِ الرسولَ فقَدْ أطاعَ اللهَ** ﴾[2] .

---

(١) الانفال ٤١ .

(٢) النساء ٨٠ .

٤ ـ تصدّق رسول الله (ص) بموضع سوق بالمدينة يعرف بمهزور على المسلمين ، فأقطعه عثمان للحارث بن الحكم أخ مروان بن الحكم ، يا له من عثمان ، كيف كان خليفة وكل هؤلاء الذين قدمهم ليس لهم في الاسلام ناقة ولا جمل .

٥ ـ أقطع لمروان فدك ، وقد كانت لفاطمة سلام الله عليها حتى بعد وفاة رسول الله تارة بالميزان وأخرى بالنخلة ، فدفعت عنه وهي صاحبة الميزان ، وعثمان يتصرف بأموال المسلمين ، عجيب غريب ، حتى إذا لم تكن فاطمة بنت محمد (ص) فهي أمرأة قرشية مسلمة عربية يتيمة ، والعرب تكرم المرأة وتعظمها بل وتحميها من الغاصب ومن المعتدي ، وهي وديعة في ذمة العرب والمسلمين ، لماذا فلو كانت فاطمة بنت أبي سفيان أما كان يعطيها ويكافأها ؟ لماذا يا عثمان وأنت تعرف أنها بضعة رسول الله ، والله يغضب لغضبها ، أما أخذت عبرة ممن سبقك ، ألم تعلم أنها روح رسول الله الذي بين جنبيه ، لكن هكذا كان مؤتمر السقيفة ويجب تنفيذ خططه .

نعم لقد جعل نفسه الاسلام ، وهو المتصرف في الاسلام بواسطة مستشاره اليهودي كعب الأحبار ، وكأن الله ورسوله أمره بذلك .

٦ ـ حمى عثمان المراعي حول المدينة كلها من مواشي المسلمين كلهم ، إلا عن بني أمية ، يا له من خليفة خاص لعمومته ، يا له من عاشر عشرة في الجنة ، يا له من ذي نورين .

٧ ـ أعطى عبد الله بن أبي سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح أفريقيا بالمغرب من غير أن يشاركه فيه أحد من المسلمين .

٨ ـ أعطى أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال ، وقد كان زوج ابنته أم ابان ، فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح ، فوضعها بين يدي عثمان وبكى .

فقال عثمان : أتبكي أن وصلت رحمي ؟

قال : ولكن أبكي - إلىٰ أن قال - : والله لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً .

فقال له عثمان : ألق المفاتيح يا ابن أرقم ، فإنا سنجد غيرك .

٩ - أتاه أبو موسى بأموال كثيرة من العراق ، فقسّمها كلها في بني أمية ، وأنكح الحارث بن الحكم ابنته عائشة ، فأعطاه مائة الف من بيت المال بعد صرفه زيد بن أرقم عن خزانة بيت المال،أين أنت يا عثمان من رسول الله الذي قال : ولو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . أوليست هذه سرقة واضحة ، وهذه عبارة عن عملية تكوين طبقة رأسمالية في الإسلام ، طبقة استعلائية ؟ لماذا ؟ لماذا هذا كله ؟ وكيف هذا يا عثمان ؟ أليست حرب علنية على الله ورسوله والاسلام ، ولو كنت أعلنت الحرب خفاءاً لكان خير لك من إعلانها ، فلقد أخفاها غيرك ولم يفتضح كما افتضحت .

١٠ - تشريده الصحابي الجليل ، ذي اللهجة الصادقة ، والإيمان العميق ، والعقيدة الصلدة ، الذي كان يصرخ على جبال مكة معلناً التوحيد والشهادتين ، في الوقت الذي كان فيه عثمان على دين الشرك والصنم والوثن ، ذلك الصحابي أبو ذر الغفاري ، الذي ورد في حقه من النبي (ص) ما ورد ، الصحابي القدوة الصالحة لكل الأجيال ، حتى مات فريداً غريباً بالربذة ، دون جناية ارتكبها ، أو حق أضاعه ، بل لأنه كان يحاسبك على مال الاسلام والمسلمين ، ويشكل عليك تصرفك بمال الله والمسلمين وصرفه على قومك يا عثمان .

١١ - ضربه لعبد الله بن مسعود حتى كسر أضلاعه ، وهو في المرتبة العالية من الفضل والصحبة لرسول الله ، حتى مات قارىء القرآن هذا من جراء ذلك الضرب .

١٢ - كان يلاحق رجال العقيدة للقضاء عليهم ، وكان هذا الدور موكل إليه وملزم به ، أن لا يترك من رجال العقيدة أحد إلا وبطش به ، أو شرّده ، لأن الإسلام لا يصلح له ولأصحابه ، فهو مكلّف بتشريد وقتل

أصحاب رسول الله (ص) .

١٣ ـ ومن أعظم الموبقات التي صنعها ، والبدع التي ابتدعها هو تجرّيه على كتاب الله وحرقه ، نعوذ بالله من عمل عثمان ومن المؤيدين له ، ولقد سلك سلوكاً لا يعرف ، فقد جمع المصاحف وحرقها وترك له أربعة ، وتعد هذه البدعة مفخرة لعثمان حيث تصاغ صياغة شيطانية ، ويعطى له الحق ، ويسمى الباقي باسمه (مصحف عثمان) ! .

١٤ ـ ضربه لعمار إبن أول شهيدين في الاسلام سمية وياسر ، ذلك الرجل الذي قال فيه رسول الله (ص) : آخر عمرك من الدنيا تشرب صاع لبن ، وتقتلك الفئة الباغية .

١٥ ـ ومن بدعه نقل الخطبة من يوم النحر بمكة الى يوم عرفة .

١٦ ـ ومن بدعه إسقاط قصاص جريمة القتل التي ارتكبها عبيد الله بن عمر لما قتل الهرمزان .

١٧ ـ ومن بدعه أمره لأهل مصر بقتل محمد بن أبي بكر .

١٨ ـ ومن بدعه جعله صلاة الفجر بعد الاسفار والتنوير وظهور ضياء النهار فاتبع اكثر الناس بدعته منذ ذلك الوقت الى يومنا هذا ، وزعم ببدعته هذه أنه فعل ذلك إشفاقاً منه على نفسه في خروج المسجد في ذلك الوقت خوفاً أن يرصد ويقتل في غلس الفجر كما قتل عمر ، فعطل وقت فريضة الله تعالى ، وحمل الناس على صلاتها في غير وقتها ، في حين ان الله تعالى يقول : ﴿ **أَقِمِ الصلاةَ لدلوكِ الشمسِ الى غسقِ الليلِ وقرآنَ الفجرِ إنَّ قرآنَ الفجرِ كان مشهوداً** ﴾[1] والفجر هو أول ما يبدو في المشرق من الضوء، وعنده تجب صلاة الفجر ، فإذا علا الأفق الضياء وزالت الظلمة صار صبحاً وزال عن كونه فجراً ، وعند ذلك ينقضي آخر وقت صلاة الفجر ، وتبدو الحمرة المشرقية ، فتصير عند ذلك نهاراً . أما عثمان فقال : فريضة الفجر من وقت الفجر الى وقت النهار . وقد درج على هذه البدعة

---

(١) الإسراء ٧٨ .

أولياؤهم الى هذه الغاية ، ثم تخرصت بنو أمية أبناء عمه من بعده بأحاديث أن الرسول (ص) غلس بصلاة الفجر وأسفر بها، وقال للناس أسفروا بها فإنه أعظم لأجركم إحضار المصلي صلاة الفجر في وقتها من طلوع الفجر عند كثير من أوليائهم ﴿ ذلك بأنهمْ كرهوا ما أنزلَ الله فأحبطَ أعمالهم ﴾[1]وما من أحد يستحق هذه الآية إلا من قصد الى محق القرآن معطلاً ما جاء به وإجماع أهل القبلة والآثار من الخاص والعام .

وعثمان هذا حينما جمع الصحف كلها ، كلهم أعطاه إلا عبد الله بن مسعود فلذلك ضربه وكسر ضلعه حتى مات على أثرها ، لأنه اعتز بصحيفته ولم يعطها له .

وكان عثمان يخطب على منبر رسول الله (ص) فقام عمار فوبخه على شيء من أفعاله ، فنزل عثمان من المنبر ووكزه برجله وألقاه على ظهره وجعل يدوس بطنه برجله ، وأمر اعوانه بذلك حتى غشي عليه ، وعثمان يفتري عليه ويشتمه ، هذا مع ان عمار مع الحق حيث روى الخاص والعام قول رسول الله (ص) : عمار مع الحق والحق مع عمار يدور معه حيث دار .

وقال : إذا افترق الناس يميناً وشمالاً فانظروا الفرقة التي مع عمار فاتبعوها ، فإنه يدور مع الحق حيث ما دار .

فإما أن يكون فعل وقول عمار عمل باطل ، أو أن يكون فعله وقوله هذا حق . فإن ادعى مدع أن قول عمار باطل وانه استوجب بذلك ما فعله به عثمان ، فيكون ذلك المدعي قد كذّب رسول الله (ص) في قوله المجمع عليه الآنف الذكر فمحال أن يقول باطلاً من قال فيه رسول الله (ص) ذلك وقرنه بالحق حيثما دار .

اذاً فقول عمار كان حق وفعله كان حق ، وقد كره عثمان ذلك فضربه عليه ، إذاً فعثمان كره الحق ، وكره قول رسول الله ، وكره كتاب الله لقوله : ﴿ وبالحقِّ أنزلناهُ وبالحقِّ نزلَ . . ﴾[2]وإذا كره كتاب الله كان ممن قال الله

(١) محمد ٩ .
(٢) الإسراء ١٠٥ .

فيهم ﴿ ذلكَ بأنهمْ كرهوا ما أنزلَ اللهُ فأحبطَ أعمالهمْ ﴾[1]وهذا يحقق لما وصفناه من أمر الصحف انه حرقها لشيء كرهه منها ، وأعمال كثيرة عملها استحق عليها أن يسمىٰ ذو النورين ، وانه عاشر العشرة المبشرة بالجنة ، ومن نعت بهاتين الصفتين لا يحاسب مهما صنع ، ومهما قتل من المؤمنين والصحابة والتابعين ومهما فرّط في أموال المسلمين .

فهذا هو خط الإنحراف الذي مثله عثمان حتى جاء من بعده معاوية ليكمل درب ملاحقة الخط المستقيم وقتل أهله ، ذلك الخط الذي أراده الله حتى على انبيائه ، فقد خاطب محمداً (ص) : ﴿ فاستقمْ كما أُمرتَ . . . ﴾[2]وأمر من قبله بالاستقامة موسى بن عمران وجميع الناس ، لأن الحياة لا تقوم إلا بالاستقامة ، وأهل الإستقامة في صدر الاسلام والى يومنا هذا هم قلة وهم اكثر الناس تعرضاً للعناء والبلاء والقهر والقتل والتشريد والعذاب والبؤس والشقاء والغصب والطرد والنفي والجوع والخوف والهلع والمحاربة من قبل الحكام الذين يقفون ضده لأنه يمثل عظمة العقيدة والإيمان والعزّ والحياة والعدل والمساواة ، فقد بثوا حوله السموم ووضعوا في طريقه العراقيل والشكوك والأكاذيب والأراجيف والزيف والتمويه .

وأعظم دليل على خط الإستقامة هو الرسول الأكرم (ص) مؤسس خط الاستقامة الذي خاطبه ربّه بعد محاربة القبائل والعناصر الشريرة الضالة بما مرَّ عليك . امتدّ خط الإستقامة من الرسول الأكرم (ص) الى ابنته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين سلام الله عليها ، وحوربت من قبل النساء ، حتى نساء أبيها حاربنها لأنها في خط أبيها ، وحوربت في أموالها وفدكها التي اعطاها إياها أبوها (ص) في عهده ، ووقفوا منها ذلك الموقف المعادي الذي لا يرضاه الله ولا رسوله حتى أبكوا عينيها ، فقد أخرجوا أرض فدك من يدها وزعموا أن هذه الأرض كانت لرسول الله (ص) وإنما هي في يدك طعمة منه لك ، وزعموا أن رسول الله (ص) قال : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، وما تركناه فهو صدقة .

---

(١) محمد ٩ .
(٢) هود ١١٢ .

وقد جاءت فاطمة (ع) بكتاب الله ، وأن رسول الله (ص) قد جعل لي أرض فدك هبة وهدية . فقالوا لها : هات بيّنة تشهد لك بذلك ، فجاءت أم أيمن ، فشهدت لها. فقالوا : لا نحكم شهادة إمرأة . وهم جميعاً رووا أنّ النبي (ص) قال : أم أيمن من أهل الجنة . فجاء أمير المؤمنين علي (ع) ليشهد ، فقالوا : هذا بعلك وإنما يجر الى نفسه . وهم جميعاً قد رووا أن رسول الله (ص) قال : علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيث دار ، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض . هذا كله مع تطهير الصديقة فاطمة انها مطهرة ، وأن علياً مطهر ، فكلاهما مطهران من الرجس والباطل ، فمن توّهم بعد هذه الأخبار أن علياً وفاطمة عليهما السلام يدخلان الباطل عمداً أو غفلة فقد كذّب الله في عرشه ، ومن كذب الله فقد كفر بغير خلاف .

فغضبت فاطمة عليهم ، وانصرفت ، وحلفت يميناً أنها لا تكلم أحداً من غاصبيها حقها ، وهي روح رسول الله . نعم هكذا كان ، لكن القوم اتفقوا وأصرّوا على ضرب خط الاستقامة وحرف الاسلام عن خطه .

من هنا نجد أن الإمام قد وصف هؤلاء وذكرهم في خطبته الشقشقية حيث قال : الى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو ابيه يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع ، الى ان انتكث فتله ، واجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته[1].

إنها صورة واضحة المعالم ، بارزة الملامح للظلم الأموي الذي عمّ المجتمع الاسلامي ، فبعد أن تولّى عثمان الخلافة أطلق أيدي قومه في أموال المسلمين ، فولّى أقاربه على الولايات ، وخوف السيف ترهيب وقوة وسلطة وبطش ، فكان السيف حفظاً لحياته من أجل البقاء، إبتداءاً بشيخ النفاق أبا سفيان الى آخر العجينة الأموية ، والخمرة الفاسدة المنخورة بالديدان ، الخبيثة السوداء، الشجرة الملعونة في القرآن التي يعجز الإنسان عن وصفها ، فمنهم الطريد ومنهم اللصيق ، ومنهم آكلة الأكباد ، ومنهم حارق الكعبة ، ومنهم هاتك حرم رسول الله ، ومنهم مبيح الفساد في المسلمين ، ومنهم جاعل

---

(١) نهج البلاغة .

عباد الله عبيداً له ، أمثال يزيد الذي كان يختم الإنسان في عنقه بالعبودية ، وأخذ أموال الناس غصباً ، لقد عاثوا في البلاد فساداً ، ذلك لأنهم دخلوا الإسلام خوفاً وطمعاً ، خوفاً من سيف علي المسلط على رؤوسهم ، وبعد انفكاك قريش وقتل طغاتهم ، فابطنوا الشرك والكفر والنفاق والقسوة والفجور الى حين من الزمن ، حتى إذا ما ذهب صاحب الرسالة والتحق بالرفيق الأعلىٰ ، وجاء من يعينهم على أمرهم مثل رجال مؤتمر السقيفة ، وسنحت لهم الفرصة انقضوا على الشريعة والرسالة ، ومحو الإسلام باسم الإسلام ، وأظهروا من أفكارهم ، واعمالهم الجاهلية الصليبية اليهودية وعادات الماضي قبل الاسلام ، أظهروا أحقادهم لبدر وأحد والحديبية ، لم يتغيروا بعد الاسلام لا خَلقاً ولا خُلقا ، لأنهم لم يدخلوه بإرادة حب ووفاء وإخلاص وصدق ، فكل البطانة التي دخلت الاسلام من قريش ، دخلته خوفاً وطمعاً وخاصة هذه السلالة .

وعثمان كان يدرك ذلك ، وجاءته الشكايات من كل حدب وصوب يستغيثونه أن يرفع عنهم الظلم والمظالم التي مارستها عشيرته الأموية ، ينادون أيها الخليفة الظلم ، الجور ، الاستبداد ، لكن لا جدوىٰ . . فقد اغفل وغض النظر ، فتقدم المسلمون من العراق واليمن والحجاز ومصر والشام للتخلص منه ، وتم ذلك فعلاً ، وبقي المسكين ثلاثة أيام في مقبرة البقيع لم يدفن قط ، وكان هذا باتفاق الأنصار والمهاجرين .

وكان عثمان أول رجل بنىٰ الرأسمالية والإثراء ، وقد نجح في بناء العشيرة ، وركّز جذورها ، وسلّطها على رؤوس الناس ، وقد كانت من قبل نشأة هذه الأسرة نشأةً ضد الإسلام وأفكاره وعدله ، فقتلوا العدل والمساواة ، وكانت هذه خيانة لمن قبله وبعده ، وخيانة لرسول الله (ص) ، وبعد انحراف الدين لم يتخلص الاسلام والمسلمين من فك قيود الأموية إلا بعد الويل والحروب الطاحنة ، وعلىٰ رأسها ثورة سيد الشهداء ، سبط الرسول ، الامام الحسين بن علي عليهما السلام ، سيد شباب أهل الجنة ، الثورة التي قادها في صحراء العراق ، صحراء كربلاء ، بعد أن أعلن الثورة على الطغيان الأموي ، على يزيد المخمور المنحرف الذي رباه عثمان

ومعاوية ، وكانت تلك الثورة الحسينية الخالدة التي بقت ولا زالت تعيش في أذهان الناس وضمائرهم ، تحركهم وتصنع أجيالاً بعد أجيال ، ثورة إباء للظلم حتى قتل شهيد الاسلام الخالد على يد جلاوزة يزيد بن معاوية الأموي وسليل عثمان وأبي سفيان .

ولقد كشف الإمام (ع) بثورته وشهادته كفر الأمويين وشركهم وعداوة هذه الأسرة للإسلام ، وظهر غرضهم من التسلط على رقاب الناس الشرفاء، نعم قد كشفت ثورة الحسين وشهادته الحقيقة ورفعت النقاب عن الوجوه المتسترة بسائر الخدع والحيل والزيف والغش والدجل والكذب والبهتان والزور والتدليس والحرص على الدين ، وتغيير وجه الحقيقة ، وتحريف السنة، ووضع الأحاديث الهدّامة والمزورة بحقهم وبحق أصحابهم ، وتفسير القرآن حسب أهوائهم وأغراضهم ، حتى جعلت خليفتها يزيد الذي أعلن كفره ونفاقه ، وكان يدافع عن أجداده ، وهو القائل :

ليتَ أشياخي ببدرٍ شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الاسلْ
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ... ثم قالوا يا يزيدُ لا تشلْ
لعبتْ هاشمَ بالملكِ فلا ... خبرٌ جاء ولا وحي نزلْ
لستُ من خندف إن لم أنتقمْ ... منْ بني أحمدَ ما كان فعلْ

هذا هو إسلام أمية وأبو سفيان ومعاوية ويزيد أسرة الحقد على الاسلام وصاحب الرسالة والرسول خاصة ، تلك أسرة العبيد أضحت اسرة خلافة ومناصب وحكم . وإليك أبيات يزيدية أخرىٰ إن لم تقتنع بالابيات الأولى :

معشَرَ الندمانِ قوموا ... واسمعوا صوتَ الأغاني
واشربوا كأسَ مدامٍ ... واتركوا ذكرَ المعاني
شغلتني نغمة العيدانِ ... عنْ صوتِ الأذانِ
وتعوّضتُ عن الحورِ ... عجوزاً في الدنانِ

* * *

لما بدتْ تلكَ الحمول وأشرقت ... تلك الشموس على ثرى جيرونِ
نعبَ الغرابُ فقلتُ نُحْ أو لا تَنُحْ ... فلقد قضيت من الغريم ديوني

* * *

عليه هاتي واعلني وترنمي ... بذلك إني لا أحبُ التناجيا
حديث أبي سفيان قدماً سمي بها ... الى أحدٍ حتى أقام البواكيا
ألا هات فاسقيني على ذاكَ قهوةً ... تخيرها القسي كرما شاميا

* * *

وإن متُّ يا أمَّ الأحيمر فانكحي ... ولا تأملي بعد الفراق تلاقيا
فإنَّ الذي حدثتِ عن يوم بعثنا ... أحاديث لهو تجعل القلب ساهياً
ولا بد لي من أن أزور محمداً ... بمشولةٍ صفراء تروي عظاميا

* * *

وهذا يزيد من حيث حسبه ونسبه ، فهو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن عبد شمس بن أمية ، جدته هند بنت عتبة المخزومي رأس الشرك والنفاق والكفر والدعارة والخسَّة والذلة ، وجدّته الكبيرة فخاتة ربيبة الدعارة والفجور ، وهند صاحبة الأزواج الأربعة ، ولا يعرف لمعاوية أب إلا الأسمر ، وأمه ميسونة الكلبية ، وهو من عبد كلب .

فيزيد الذي لا كرامة له توصل الى سليل الرسالة والنبوة ، سليل محمد (ص) وعلي ، سليل عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقصي ، سليل فاطمة وخديجة وآمنة وفاطمة بنت أسد ، سليل الرسل والأنبياء ، وابن سيد الرسل وابن سيد الوصيين ، وابن سيدة نساء العالمين ، سيد شباب أهل الجنة ، ريحانة رسول الله (ص) ، وشجرة النبوة ، ومعدن القدرة ، ومصدر الوحي ، ومهبط الملائكة .

أجل فبيت الأموي لم يتصد له بيت من المسلمين إلا بيت السمو والرفعة بيت علي والحسين ، فلم يسمح للبيت الأموي أن ينفذ غايته ومطلبه ومؤامراته ، أن يقصي الاسلام ويقضي عليه ، ويعيد الجاهلية الأولى ، بل

وقف البيت المحمدي تلك الوقفة الشريفة الجبارة ، حتى كشف المؤامرة ، وقوّض بيت الإنحراف .

نعم لقد تمكن البيت الأموي من تحريف الاسلام عن أهدافه ، وكسب له أشياعاً وأتباعاً هنا وهناك ، فهذا أمر لا ينكر ، إلا انهم هل أرجعوا الإسلام القهقرى ؟ كلا ولقد فشل أمرهم بتدمير الدين ، وفشل مؤتمرهم الذي عقدوه في صدر الاسلام .

لقد كشف الائمة (ع) مخازي هذا البيت الى آخر الزمان ، وبقيت راية الاسلام ترفرف على ربوع المعمورة بشرف وعز وشموخ وهيبة وكرامة ، وقضى البيت الهاشمي على البيت الأموي ، بيت الفساد في مهده ، ولم يسمح له أن يحقق ما يريد ، وقد نشر راية الكفاح وراية العدل وراية الحكم الصادق الخالص الصريح ، فكان حاكم الدولة الإسلامية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يخاطب عماله الذين انتقاهم من الناس الى الحكم والولاية في عرض البلاد وطولها بالروح الاسلامية ، ونفحات الإمامة ، وعطر النبوة ، يقوى وينتشر وكأنه محمد (ص) ، بل هو محمد ، هو الحاكم والمسؤول ، وأعيدت الحقوق الى الناس ، وحتى شملت رعايته البهائم والحيوانات ، ودخل العدل في المجتمع ، وكان لزاماً عليه أن يؤمن للمجتمع العدالة والمساواة التي ينشدها هو لنفسه ، لا فالحاكم لا يجوز له ولا يسمح المنصب والمقام ذريعة للنيل من الضعفاء وأصحاب الفقر والمسكنة الذين يمثلون الغالبية العظمى من الناس .

إن الوالي عندما ينطلق وتنطلق يده ولا يكون عليه رقيب إلا الله ، قد تأخذ به نفسه لظلم العباد ، وينقلب الى متجبّر كالوحش الكاسر ، فيتجاوز على حقوقهم دون حق له أو امتياز . من هنا كان الإمام ينظر الى عماله عن كثب ، فهو إذا أحس بشيء تأثر ، وجرح قلبه ، وتكمشت نفسه ، فيكتب الى واليه ، يذكره ربّه ويهدده ، ويجعل معها القسم كما كان يكتب الى مصقلة بن هبيرة الشيباني وابن حنيف وابن عباس وغيرهم ، ويكفي من عدله العهد الذي علمه وأعطاه الى مالك الأشتر حينما ولّاه مصر وكان من ضمن ما كتب له : اياك والدماء وسفكها بغير حلّها ، فانه ليس شيء ادعى

لنقمة ، ولا اعظم لتبعة ، ولا احرى بزوال نعمة ، وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها ، والله سبحانه مبتدىء بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة ؛ فلا تقوّينّ سلطانك بسفك دم حرام فإنّ ذلك مما يضعفه ويوهنه ، بل يزيله وينقله ، ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لان فيه قود البدن .

ويكتب الى احد عماله : اما بعد فقد بلغني عنك أمرٌ ، إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك وعصيت إمامك ، وأخزيت أمانتك ؛ بلغني أنك جرّدت الأرض ، فأخذت ما تحت قدميك ، وأكلت ما تحت يديك ، فارفع إلي حسابك ، واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس ، والسلام .

هذه الروح الإنسانية السامية الرفيعة التي ترفض الظلم والجور والخيانة بجميع أشكالها هي التي تخدم الأمة وتجعلها سعيدة آمنة مطمئنة في حياتها ، أجل إنه يصف عامله بالذئب المفترس ، والوحش الكاسر ، فكان كل كتاب يبعثه الى والٍ من ولاته يذكره فيه بقدرة الله وبطشه ، وأنه هو الرقيب عليك ، وأن العاصي يحل عليه العذاب وسخط الله ، ثم يذكره أن الإمام الذي ولّاك ولاية الله لن يرضى هذا ، ولسوف يحاسبك عما قريب حساباً عسيراً ، ثم يذكره بالامانة ، وعدم الخيانة ، فالشعب هو الأمانة ، والأرض أمانة ، وكلها ملك الى الله فانٍ ، وأنت والشعب واحد ، كلنا عبيد الله وخيرنا أتقانا ، فهذا هو خط العدل والإستقامة والمساواة والحرية . . الناس كلهم غير معصومين فيقعون في الخطأ ، لكنما هو لأنه إمام معصوم ، يعمل بأمر خالقه ، ويعطي كل ذي حق حقه ، ولا يعمل المعصية ، ولم يرضخ لنفسه ولهواها ولدنياها ، وليس هناك مدخل من الرجس والشيطان عليه .

أجل . . وانه لم يساوم ولم يهادن على دينه أحد مهما كانت شخصية ذلك الإنسان ومنزلته ، لأنه يشعر بمسؤوليته أمام الله وامام الشريعة المقدسة . ويعلم ان جميع الأعمال تذهب أدراج الرياح ، فلا يبقىٰ منها إلا الأعمال التي ترضي الله ورسوله ونفسه ، فهو يأنس بالوحشة من الناس كما يأنس بربه وطمأنينة نفسه ، فكان يرعىٰ الرسالة والعدالة ، ولو انه إذا خضع

الى عماله وأعوانه وتجاهل ما يريدون وما يفعلون ليكنزوا الأموال ويظهروا شخصيتهم ، فلو غض النظر عنهم لكانوا كلهم أعواناً له ، ولبقي معاوية وغيرهُ دون أعوان ، ولانضم الجميع تحت لوائه ، وقاتلوا كل من يريد قتاله ؛ لكن قلبه الكبير الزكي ، وصدقه في العقيدة ونزاهته لا تعرف إلا الحق ، ولا يشرب إلا الحق والعدل والإنصاف ، ولم يكن كغيره من الذين ذهبوا قبله لم يتمكنوا أن يسيطروا على أهوائهم ، ولم يتخذوا الحق والعدل نصب أعينهم ، أجل فالتاريخ هو الذي تحدث عن أولئك السابقين وعن اللاحقين وعنه نفسه ، فهو لم يجعل له والٍ ظالم ولا جشع ، بل التاريخ حدثنا عن معاوية وعن بني أمية وبني العباس وعثمان ، أما معاوية فكان ولاته المغيرة ، وزياد ابن أبيه ، وابن العاص الذين استولوا على رقاب الناس وأكلوا أموالهم وامتصوا دماءهم وتصرفوا ببيت مال الله ، وابتزوا ملكه حسبما أرادوا ، ولذا السيد عثمان طرد ابن مسعود وزيد بن أرقم لما عارضاه عن الإسراف الى قومه وعشيرته ، تلك الكلمة المشهورة قال : كنت أظن أني خازن بيت مال المسلمين ما كنت أتصور أني خازن لكم ، فلا حاجة لي في ذلك ـ ثم قال ـ : من غيّر غير الله ما به ومن بدّل أسخط الله عليه ، وما أرى صاحبكم إلا وقد غير وبدل .

وهنا صورة نريد أن نقدمها الى كل من له لب قد حدثه بين حاكم عادل وآخر مستبد ، لينظر الإنسان لهذه الخيانة التي حصلت في حكومة الحاكم المستبد غير المسلم ، والحاكم العادل المسلم التقي ، فنجد أن الحاكم هو المشجع على الخيانة بشكل غريب ورهيب ، حيث انه يوافق عماله ويشاركهم في السلب والنهب والغصب ، هذه القضية حصلت في عهدي معاوية وسلفه عثمان ، فهم يسعون دوماً لدعم القرابة واعطائهم ، وهذا حسب ما يرونه في آية القربىٰ ، حتى لو أدىٰ الى خيانة الله ورسوله والشريعة ، فالقربىٰ فوق الله والرسول والشريعة ، وكأن الله أمر معاوية وعثمان بأن بني أمية هم أفضل الناس ويجب احترامهم وإعطائهم اكثر من غيرهم ، ولكن نحن نعلم أن القرآن قال فيهم هم الشجرة الملعونة . . ونعلم أن النبي (ص) قد طرد بعضهم من المدينة لما رأى من

نفاقهم وعداوتهم لله ورسوله أنظر لهذه القضية ، قضية بين علي ومعاوية :

دخلت على معاوية إمرأة بعد استشهاد الإمام علي (ع) إسمها سودة بنت عمارة الهمدانية شاكية واليه ، ولما نظر إليها جعل يوبخها على تحريضها عليه أيام صفّين .

ثم قال لها ما حاجتك ؟

قالت : إن الله سائلك عن أمرنا وما افترض عليك من حقنا ، ولا يزال يتقدم علينا من قبلك من يسمو بمكانك ، ويبطش بقوة سلطانك فيحصدنا حصد السنبل ، ويدوسنا دوس الحرمل ، يسومنا الخسف ، ويذيقنا الحتف ، هذا بسر بن أرطأة قدم علينا ، فقتل رجالنا ، وأخذ أموالنا ، ولولا الطاعة لكان فينا عزّ ومنعة ، فإن عزلته عنّا شكرناك ، وإلا كفرناك .

فقال معاوية : إياي تهددين بقومك يا سودة ، لقد هممت أن أحملك فاردك إليه ، فينفذ فيك حكمه .

هذا الحاكم يدافع عن فاجر طاغية يجعل الناس عبيداً له حسب حقده ، وهو يدعي نفسه خليفة للمسلمين ، معتلٍ لمنبر رسول الله (ص) ، يا للعجب كل العجب من طاغية زمانه معاوية ، إمرأة تشكو إليه عامله الفاجر الذي أباح المدينة وأهل العراق .

نعم . . فلما رأت المرأة ما كان من رد معاوية ، تحسّرت وأنشأت هذين البيتين :

صلّى الإلهُ على روحٍ تضمنها ... قبرٌ فأصبحَ فيهِ العدلُ مدفونا
قدْ حالفَ الحقَّ لا يبغي به بدلاً ... فصارَ بالحقِ والإيمانِ مقرونا

فقال معاوية : من هذا يا سودة ؟ ومن تقصدين ؟

قالت : هو والله علي أمير المؤمنين ، ولقد جئته في رجل كان قد ولّاه صدقاتنا ، فجار علينا ، فصادفته قائماً يصلي ، فلما رآني انفتل من صلاته ، ثم أقبل عليّ برحمة ورفق ورأفة وتعطّف وقال : ألك حاجة ؟ .

قلت : نعم ، فأخبرته الخبر .

فبكى يا معاوية ، ثم قال : اللهم أنت الشاهد عليَّ وعليهم ، واني لم آمرهم بظلم خلقك . ثم أخرج قطعة جلد فكتب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **قَدْ جاءتكم بيّنةٌ منْ ربكمْ ، فأوفوا الكيلَ والميزانَ ولا تبخسوا الناسَ أشياءهم** ﴾[1]فإذا قرأت كتابي هذا ، فاحتفظ بما في يدك من علمنا ، حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام .

حادثة واضحة لا حاجة للتعليق عليها أو شرحها ، فالقارىء يستطيع معرفتها وإدراكها وهو يحكم ويقارن بين هذين الحاكمين ، أيهما العادل الذي يصلح ليكون خلفاً لرسول الله (ص) ؟ وأيهما يصلح ليكون حجة الله في أرضه والناظر على الاسلام ؟ ومن هو المتقمص ؟ وكيف تكبّر وتجبّر على ابناء جنسه وقومه ، إنسان يتسلط على إنسان ، وهو باغٍ عليه وعلى حكم الله سبحانه وتعالى خاصة أمثال بني أمية الذين غيّروا نهج الإسلام ، وانحرفوا به عن أهدافه واستقامته ، وعطلوا حدود الله ، ونكثوا عهده ، وسنة نبيّه وفيئه ، وجعلوا عباد الله خولا .

اما المرأة التي تكلمت أمام معاوية بهذا الكلام فكانت تحمل عقيدة اسلامية عارفة بالاسلام ، مدافعة عنه ، حتى لو أدىٰ ذلك الى سفك دمها ، وإزهاق روحها ، وقتل قبيلتها ، فقد تكلمت بكلمة الحق أمام حاكم جائر ، كما أنها قد تركت عشيرة كبيرة ضخمة ، ومعاوية يخشى ذلك من العشائر الكبيرة لأنه حاكم متسلط بالقوة ، قد حكم الناس بالحيل والمكر والمال والخداع والجبن وهو يخشىٰ القوة ، بل كان لا ينقضّ إلا على الضعيف ، ويقتل القوي بالضعيف ، والضعيف بالقوي .

أجل إنها قالت كلمة الحق ، واشهرت سلاحه أمام طاغية باغٍ ﴿**فريقاً هدىٰ وفريقاً حقَّ عليهمِ الضّلالةُ إنهمْ اتخذوا الشياطينَ أولياءَ منْ دونِ اللهِ ويحسبونَ أنهم مهتدونُ** ﴾[2]ولقد استحقت هذه المرأة بموقفها الجريء

(١) الأعراف ٨٥ .

(٢) الأعراف ٣٠ .

أعظم وسام شرف عالٍ كبير ، حيث وضع هذين البيتين من قولها على صحيفة ذهبية علّقت فوق ضريح الإمام علي (ع) في النجف الأشرف ، ولا يزال كل من زار الإمام يراهما في بابه المقدس وتلك البقعة المباركة التي ضمّت أطهر جسد بعد رسول الله (ص) ليتشرف الزائر بلثم ثراها .

والبيتان يعبّران عن لسان الواقع الذي عاشه سيد الوصيين العادل بالرعية ، فمات بموته العدل والحرية والمساواة في عهد حكم بني أمية وبني العباس وساد الأمة الظلم والجور والدمار والعبودية ، أجل قتل الأمة في الحجاز واليمن والعراق على يد ابن أرطأة ، فقد كان يأتي على الحرث والنسل وكان يقتل الضعفاء والنساء والأطفال ، وبنو أمية أحرقوا الكعبة ، وهتكوا الأعراض في المدينة ، وسلبت الحرية والاموال من أهل العراق ، وكانوا يحرقون الناس حرقاً وضرباً بالسيف ، فلا شفقة ولا رحمة ، لقد حكموا بحكم معاوية وعثمان ، حتى الهارب الخائف لا يأمن على نفسه في الدولة التي تسترت باسم الإسلام .

قتل بسر في وجهه ذلك ثلاثين الفاً من المسلمين طاعة لمعاوية ، فكانوا يعصون الله ليطيعوا معاوية ، وكانوا حرباً على الله ورسوله ، سلكوا سنة فرعون ونمرود بالحرق بالنار ، هكذا كانت الطغمة لم تعبد سوى معاوية ويزيد شارب الخمر ، ولا زالت سنة بني أمية في معظم الدول غناء وطرب ورقص ، يلبسون لباس الاسلام ، ويعملون أعمال الكفر والشرك والحقد على الدين وصاحب الدين ، فلو كان صاحب الرسالة من الروم أو الفرس لأطاعوه ، ولعملوا بأحكامه ، لكنه عربي قرشي ، فأكل الحسد والحقد والانتقام قلوبهم عليه وعلى دينه الذي أرساه بيده الشريفة بالجوع والعطش والأذى والصبر والحروب والأتعاب والأخلاق الفاضلة ، والفضائل والكرم والسخاء والغيرة والحمية والشهامة والشرف والعز .

هكذا صنع أصحاب السقيفة ، وأصحاب الصحيفة ، وأصحاب العهد بقتلهم رسالة محمد (ص) حتى ادخلوا فيها كل شيء لم يقرّه الاسلام ليعتّموا على الاسلام كيلا يدخل فيه راغب ، لأن الناس ترى هذا الدين كبقية الأديان التي نسخها هذا الدين الحنيف وصراطه المستقيم الذي قال

فيه الخالق ﴿ لا إكراهَ في الدينِ . . ﴾[1]فترك الأمر الى الناس لتعرف هي حقيقة الدين وتدخل فيه أفواج أفواج لصدقه وعدله وحريته ، ولكن الطغمة قتلته في المهد ، حتى أصبح بين الأمم والممالك أنه دين المحراب ودين الاضطهاد ، وليس دين الله ، دين الحرية ، دين السلام ، دين التقدم ، دين القانون والإقتصاد والسياسة والفلسفة والفكر والحكمة والمجتمع والفرد ، دين علوم السماء والأرض ، دين الحق والعدل والحكمة التي جاء بها الرسول ﴿ لقدْ جاءكمْ رسولٌ منْ أنفسكمْ عزيزٌ عليهِ ما عنتّمْ حريصٌ عليكمْ بالمؤمنينَ رؤوف رحيمْ ﴾[2]هاتين الصفتين لم ينعت الله بهما أحداً قط إلاّ رسوله محمد (ص) والله جلّ جلاله وصف نبيه صلى الله عليه وآله بالرأفة والرحمة وهما من صفاته جل جلاله وعظمت آلاؤه ، دين محمد (ص) دين المساواة والتآخي والتسامح والموعظة الحسنة والشوق والشفقة والعطف والحنان والعطاء والكمال والجيران والإنسانية ، أين الرسول وعلي من هؤلاء ، أين علي من مسلم بن عقبة الذي غزا المدينة في وقعة الحرة ، وقتل ثمانين رجلاً من أصحاب رسول الله (ص) ولم يبق بدرياً بعدها ، من قريش والأنصار قتل سبعمائة ، من سائر الناس من الموالي والعرب والتابعين عشرة آلاف ، واستباحها بجنده ثلاثة أيام يعيشون الفساد والدعارة ، وهتكوا الأعراض ، حتى لم يضمن الرجل إذا أراد أن يزوج ابنته بكارتها خوفاً من تلك الواقعة التي لم تعملها اليهود ولا النصارىٰ ولا المجوس ، بل هم أجل وأشرف وأسمىٰ من ذلك الفعل الذي فعلته أمية عبر التاريخ ، التاريخ شاهد عليهم وعلى أعمالهم وما فعل واليهم الحجاج ، وما فعله في تلك الأيام المظلمة التي شيد معاوية عرشه عليها ، بل بناه على جماجم أهل العقيدة ، في الحقيقة عصرين ملعونين عصر الأمويين وعصر العباسيين ، عصور الليالي الحمراء ، عصور القتل وشرب الخمر والفساد ، يا لهما من عنصرين خبيثين ، اغرقا الاسلام في الدمار والنقصان .

أجل . . انظر الى سيدنا أمير المؤمنين (ع) كيف يكتب إمام العدل

---

(١) البقرة ٢٥٦ .

(٢) التوبة ١٢٨ .

الى من كـنان يستعمله على الصـدقـات : انـطلق على تقـوى الله وحـده لا شريك له ، ولا تروعنّ مسلماً ولا تجتازن عليـه كارهـاً ، ولا تأخـذن منه اكثـر من حقّ الله في مـالـه ، فـإذا قـدمت على الحي فـانـزل بمـائهم من غيـر أن تخـالط أبياتهم ، ثم امضي إليهم بـالسكينة والـوقار ، حتى تقـوم بينهم فتسلم عليهم ، ولا تخـدج بـالتحيـة لهم ، ثم تقـول يـا عبـاد الله أرسلني إليكم ولي الله وخليفتـه لآخذ منكم حق الله في أمـوالكم ، فهل لله في أمـوالكم من حقٍ فتؤدوه إلى وليّـه ، فإن قـال قـائـل لا ، فـلا تـراجعـه ، وإن نعم لـك منعم ، فـانطلق معـه ، من غير أن تخيفـه أو توعـده أو تعسفـه أو تـرهقـه ، فخـذ مـا أعطاك من ذهب أو فضة ، فإن كان لـه ماشيـة أو إبل فـلا تدخلهـا إلّا بإذنـه ، فإن اكثرها له ، فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه ، ولا عنيف ، ولا تنفـرنّ بهيمة ولا تفـزعنها ، ولا تسوءن صـاحبهـا فيهـا ، واصـدع المـال صـدعين ، ثم خيّره ، فـإذا اختار فـلا تعرض لمـا اختاره ، فـلا تزال كـذلـك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله ، فاقبض حق الله منه فان استقالك فاقله ، ثم اخلطهما ثم اصنـع مثل الـذي صنعت اوّلاً حتى تأخـذ حق الله في ماله .

أين أنت يـا علي اليـوم ، يا ممثـل حكومـة الله والأنبياء ، وحكـومة محمـد رسـول الله (ص) ، ما هـذا الخلق والأخـلاق ، حقـاً إنـك خليفـة رسـول الله ووصيّه ، وحجة الله في أرضه وأمينه ، لعن الله الـظالمين لـك أعداء الله وأعـداء الإسلام .

نعم . . ثم يكتب كتـاباً آخـر الى جباة الـزكاة يقـول لهم فيه : فـأنصفـوا الناس من أنفسكم ، واصبروا لحـوائجهم ، فإنكم خـزّان الرعيـة ووكلاء الأمـة وسفراء الأئمة .

هـذه هي العدالـة والحقّ والصدق والإنصـاف ، وهكـذا يجب أن يكـون الحاكم يأمر الناس وجباته وولاتـه وموظفيـه ، أن يأتي الى الأمـة والناس والفقـير والسـائل ، أن لا يكـون كالسبـع الضاري ، عبسٌ لـه الرهبـة والخوف ويصعق العقـول ، ويسلب النفوس ، ويـرعد الفـرائص ، ويوجـل القلوب ؛ بـل كـان يرى الشرطـة والجند والحكـومة والجبـاة والولاة ، سلطة أو غـير سلطة ، خادمـة

غير سيدة ، مرؤسة غير رئيسة ، فقراء غير جبابرة ولا فراعنة ولا آلهة ، يرىٰ أنهم نصبوا في هذه المراكز من أجل خدمة الناس ، وتسيير أمور الرعية بالحق ، قوتها من قوت الشعب والجماهير وبيت مال الأمة ، ما هي إلا حارسة على الأنفس والأموال والأعراض وحماية الوطن ، وأن يسدّوا حاجة المحتاج ، ويرفعوا عوز الفقير والمسكين ، كواسطة بين الخالق والمخلوق . لذا نراه سلام الله عليه إذا دخل بيت المال قسّمه بالسوية ، القائد والجندي والخليفة والأعمىٰ والصغير والكبير سواء ، يوزع الرواتب ويكنس البيت ويصلي فيه ركعتين لوجه الله ، ثم يستشهده على نفسه ، يقول له هل اغتصب منك ابن أبي طالب دانقاً واحداً لنفسه ؟ وهذه أعظم شهادة ، شهادة البيت وشهادة الأرض التي لا تنطق اليوم ولكن غداة غد تنطق بإذن الله على الظالمين والمتكبرين ، والسائرين عليها مرحاً ، الذين جعلوا مال الله دولاً ، حيث كانوا يقدموه الى الأقرباء ، والى من كان يخدمهم ويسلك سلوكهم لأجل سلطتهم ، مستجلبين بذلك سخط الله عليهم .

ومن العدالة التي أرادها الله سبحانه وتعالى وعمل بها علي (ع) قول الله تعالى في كتابه : ﴿ . . . إنَّ أكرمكمْ عندَ الله أتقاكمْ . . . ﴾[1] هذه العدالة المتناهية التي لا حد لها هي الدستور الكامل لكافة البشر ، وهي في ضمير كل إنسان عادل ومخلص ، يعمل بها ، ولقد عاش القرآن في وجدانه وضميره ، وانعكس على سائر تصرفاته وأعماله ، حتى في أحرج الظروف وأقساها كان الامام لا يخالف طريقه الذي رسمه له الإسلام والرسول الأكرم (ص) .

دخلت عليه إمرأتان تشكيان له العوز والحاجة ، فقدم لهما حاجتهما وأعطىٰ كل واحدة دراهم وطعاماً بالتساوي كما أراد الله ، إنه ميزان العدل الذي لا تفاوت فيه ، ميزان القسط يجري على الذكر والأنثى ، على العرب والعجم ، إن المال مال الله ، والناس كلهم عبيد الله ، يقسّم بينهم بالسوية .

لكن إحدىٰ الإمرأتان أبت أن تتساوىٰ مع أختها المسلمة ، فطلبت منه

---

(١) الحجرات ١٣ .

زيادة عليها قائلة للإمام : أني إمرأة من العرب ، وهذه من العجم . فاعتلت المرأة ورجعت الى الكبر والعلو والفخر ، أرادت بهذه الصفة أن تأخذ اكثر من حقها ، وتصورت أنها بالدعوة هذه تكتسب رضا الإمام (ع) وتستميله الى جانبها وتحصل منه على ما تريد ، لكن الإمام سلام الله عليه لا تحركه مثل هذه الدعوات إلا ضد من تدّعيها ، لأنها دعوة جائرة باطلة ، مبنية على أساس فاسدة ينكرها الإمام ويحاربها .

لذا أجابها : إني والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني إسحاق .

الله الله لقد قتل القبلية والعنصرية والإقليمية والقومية والتعصب والتكبر والتجبر والخيلاء ، إنه درس من دروس علي عليه السلام الى كافة الذين يفرقون في خلق الله وعبيده ، ما أحوج الناس الى مثل هذا الدرس ، لا فرق بين أبناء اسماعيل ، وابناء إسحاق ، يا لك من عادل ، درس بحاجة له البشرية اليوم في هذا الظرف الدقيق ، لكي لا يفرق الإنسان بحق أخيه الإنسان ويساويه في الحقوق ويشعر انه خلق عبداً لغيره وانه لذليل ، فلا فرق بين اللون واللسان والعنصر والإقليم والقرابة والقومية ، فكل هذه ليس لها خاصة في الإسلام ، الإسلام لا يعرف إلا التقى والتقوى ، هي شرف الإنسان وعزّه ، وهي التي تزلفه عند الله وتقربه منه ، والتقى حسابه في الآخرة لا في الدنيا هنا، إذا حضر ووقف بين يدي الله ينال الشرف والعز والكرم ، وإن كان هو في الحياة العنصر الصالح لهذه الحياة من حيث الدعاء والأمانة والإخلاص والصدق والصراحة ، لأنه لا يستطيع أن يفرط بها ، ولا في أموالها ، ولا في تربتها حيث أنه تقي ويخشىٰ الله ، فهو أحرص من الآخرين على وطنه وأمته ، ولا يُدنس بشيء يخص الأمة ، وقد يكون حامي لأعراض الناس وحفظ أسرارهم ، وما أحوج الناس الى هذا التقىٰ الذي يشير إليه القرآن الكريم ، لأنه انقاد وخضع لعبودية الله ، فالإمام قضى على جميع السرقات التي مارسها الحكام قبله ، وهي درس لمن يأتي بعده ، وعدله اليوم حديث جميع المحافل ، وليس هناك من يذكر غيره في شدّة الحق والعدل والمساواة والحرية ، ولذا نرىٰ اليوم تمر الحكام بالخوف والرعب من شعوبها ،

لأنهم لم يقيموا العدل ، بل ثبتوا حكمهم باللصوص والجواسيس والعشائر والإقطاع والأحزاب والجلاوزة والطائفية والعنصرية والتعصب وجهاز الأمن ، وهذا كله للمحافظة على حكمه وشخصيته ، وهو لا ينظر الى أنين المظلومين وسغب الجائعين وأمن الرعية .

لذا قال الإمام : من نصّب نفسه للناس إماماً ، فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه .

وكان يقول : أيها الناس إن لكم علي حقاً ، ولي عليكم حقاً ، فأما حقّكم علي فالنصيحة ، ولكم توفير فيئكم ، وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا إنه يطلب نصيحة الشعب له .

وكان يقول : ولا تكن عبد غيرك وقد خلقك الله حرّاً . وهذه عبارة عن رفعه لواء الحرية والمساواة والعدل الى الناس ، ولم يغشىٰ الناس بما انه حاكم .

ومن مظاهر العدالة عند الإمام عليه السلام هو رفضه الخلافة التي لو أعطيت لأحد لأخذته العظمة والرفعة ، لكن الإمام (ع) لما عرض عليه ابن عوف ـ وقد كان وصي على أهل الشورىٰ بأمر من عمر ـ وطلب منه أن يقدم له البيعة شريطة أن يسير بسيرة الشيخين ، أبى الامام قبولها بهذا الشرط لأنه كان على علم بالمناقضات التي حصلت بين سيرتي الرجلين، فقد حصل كثير من الوقائع خالف الثاني فيها الأول ، بل هناك أخطاء صدرت من كليهما ، فكيف يرضى بالبيعة المشروطة ويقر بالخطأ والإنحراف ، إن علياً نفسه هو الحق ومعه الحق ، فأعماله وأقواله هي الحق والحجة ، وبه وباعماله تقتدي الأمة فكيف يتبع غيره في سيرته ، إنه أراد البيعة على كتاب الله وسنة رسوله (ص) واجتهاده هو في الحكم ، فلا يمكن لأي إنسان أن يملي عليه إرادة الحكم ، والحكم مسؤولية كبرىٰ تجاه الله ، لأن نفسه (ع) نفس رسول الله (ص) ، وهو معصوم ، وهؤلاء بشر عاديون ، في أعمالهم الظلم والجور وغير ذلك ﴿ **لا ينالُ عهديَ الظالمينَ** ﴾[1]

---

(١) البقرة ١٢٤ .

فالخلافة إذا لم تدفع باطلاً أو تحقّ حقاً فتصبح بذلك شهوة من شهوات الحكم ، واستطالة على رقاب الناس والعباد والبلاد ، وهذا يتنافى مع المبادىء التي يؤمن بها علي وضحّى من أجلها .

فلذا يحدث ابن عباس قال : دخلت على أمير المؤمنين فانبرى قائلاً وهو يخصف نعله فقال لي : ما قيمة هذا النعل ؟ فقلت : لا قيمة له . فقال (ع) : والله لهي أحبّ إليّ من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً .

هكذا العدالة الإلهية المحمدية العلوية الحسنية والحسينية ، عدالة الله الربانية ، ومن أراد معرفة العدالة فلينظر لهؤلاء العظماء فيهم قيمة العدالة وهي فوق جميع الاعتبارات الشخصية والميول النفسية ، إنها من أجل الحق ولرفع الظلم وكابوسه عن كاهل المظلومين والمضطهدين ، فالانسان وجد وخلق لا ليكون وحشاً يأكل لحم اخيه .

سلام عليك يا صاحب العدالة والعدل والمساواة والحرية وعزّة الإنسان .

الفصل السابع
علي سيد العرب والعجم في قضائه ولواحقه

كان الإمام علي عليه السلام أحكم الناس وأعلمهم وأقضاهم من الأولين والآخرين بعد رسول الله (ص) ، فقد كان (ع) نفس رسول الله (ص) ، فرسول الله (ص) الذي حكم بالظاهر ولم يحكم بالباطن كحكم داود ، وعلى نهجه سار تلميذه وابن عمه ووصيه وخليفته في امته .

لقد كشف بأفعاله وقضائه جرائم مخفية لا يعرفها أحد ، ولا يقدر عليها أي إنسان في عالمنا الحاضر والماضي ، ولا يصل إليها أحد ، وكل إنسان عاجز عن كشف الشيء المجهول ، ولقد أظهر به الحق المهضوم بين الناس ، لأن الإنسان اعتاد أن يتغلب على خصمه بكل الوسائل والطرق التي منها الخدع والحيل والمكر والرشوة والغش ، كما حصل لسيدنا موسىٰ عليه السلام مع أراذل الحياة اليهود حينما قتلوا إنساناً وأراد بعضهم إخفاء أمره والبعض الآخر أراد إظهار ذلك بأي وسيلة كانت وأي واسطة ، لذا أمرهم موسى عليه السلام شراء البقرة وذبحها ليعرف القاتل ، ولينطق المقتول ، وليس هناك حيلة ولا كذب يحصل أو إنكار بعدما يقر القاتل فيما يسمع المقتول ، وهذا يعد حكم مخفي ، فالحكم لا يردّ ولا يحتاج الى افكار وشهود لأنه حكم مجهول رد الحق الى أهله ، على انهم تلونوا مع رسولهم ، وبعد الطعن به بأنه يسخر منهم أو يهزء بهم ، ولكن علموا أن لا مناص منه ولا بد لهذا الأمر ، لذا جاءوا بالبقرة وذبحوها وضربوا القتيل بذنب البقرة وقالوا له من قتلك يا فلان ؟ فقال : ابن عمي الذي جاء بي الى رسول الله موسى (ع) .

﴿ فقلنا اضربوهُ ببعضها كذلكَ يحيي اللهُ الموتى ويريكمُ آياتِهِ لعلكمْ

تعقلونَ ﴾[1] .

وهذا الحكم أظهر الحق بعد خفائه بالمكر والحيلة والخداع ، ونحن هنا لسنا بصدد التشديد على بني إسرائيل بعد الجدل والمغامرة مع سيدهم موسى (ع) .

أو كالحكم الذي صدر من رسول الله موسى بن عمران (ع) على دار قارون بالخسف والابتلاع ، وهذا يعني إظهار حقارة بني إسرائيل بالتهم الى موسى أنه صنع بقارون ذلك كي يأخذ أمواله ، لأنها أموال مغرية وكثيرة ، لذا طلب بالدعاء حتى الدار أن تكون مع صاحبها ، وهكذا كشف زيفهم وحيلهم والخدع التي اتهموا الانبياء بها .

أو كحكم نبي الله موسى (ع) مع قارون لما قال له : إني أفقه من هارون ، فكيف تجعل له رئاسة المذبح وبيت القربان ؟

قال موسى : والله ما أنا فعلت ذلك ، هذا من الله جعلها له .

وقال قارون : والله لا أصدقك في ذلك حتى تريني بيانه .

وهكذا حصل لموسى ، وجمع رؤساء بني إسرائيل لأنه علم من قارون الفتنة ، وجمع عصّيهم وألقاها في القبة التي كانت يعبد الله تعالى فيها ، وجعلوا يحرسون عصّيهم ، حتى إذا أصبحوا فأصبحت عصى هارون عليه السلام مخضرا .

فقال : يا قارون أرأيت كيف صنع الله مع هارون ، فهو الذي أعطاه هذه المنحة وليست من عندي .

وهذا ما حصل لقوم محمد رسول الله (ص) لما بايع لعلي بن أبي طالب (ع) أن يكون خليفته وحجة الله بعد الرسول (ص) ، وهو مولى المؤمنين وأولى بهم من أنفسهم ، واحتجوا على النبي ، فقالوا : هذا منك أم من عند الله ؟

---

(١) البقرة ٧٣ .

قال : من عند الله .

وطلب أحدهم إن كان من عند الله فلينزل عليه صاعقة ؛ فانزل الله عليه صاعقة ، وذهب الى جهنم ، أما الباقين فقد أبطنوا الحقد والحسد لعلي (ع) حتى قبض رسول الله (ص) فأزالوه عن منصبه الذي نصّبه الله له .

ومن مناقبه صلوات الله عليه ما ورد من اقضيته بين الناس فقد كان يكشف القضية بواسطة نطق الإنسان إذا استنطقه فيها ، وكان إذا حصل لديه شهود على قضية من القضايا ، ويعلم أن القضية كذب وبهتان وزور أخذ بالفراسة والنظر إليهم وأنطقهم بالكلام ، أو يفرق بين الشهود مهما كانت كثرتهم ، ويدوّن الأفادات في الأوراق وقالوا : هو اول من فرّق بين الشهود ، ودوّن الشهادات فأمير المؤمنين (ع) قد قضا في عهد رسول الله (ص) ، وقضا في عهد الخلفاء وفي عهده (ع) ، ولقد شهد له العام والخاص على مرّ العصور وشهد له الحكام في عهده بأنه الحاكم الفذ ذو القدرة التي عجز عنها التاريخ أن يجد حاكم كمثل علي بن أبي طالب ، حكمه الحق فكان إذا حكم لم يغبن أحداً في حكمه ولا يظلم أحد قط ، فهو يأخذ الحق من الغاصب ويعطيه للمغصوب ، ومن الظالم الى المظلوم ، وإذا حكم ونظر إليه الناظر ينبهر من إجادة حسن رأيه وقوة فراسته في القضاء . ونحن نرى اليوم جميع القضايا التي ترد الى المحاكم فهي مبنية بالدلائل والشهود والأدلة والبراهين مع اعتراف الجاني والمجني عليه ، وكل هذا وقد يصدر الحكم اجحافاً أو خطأً تذهب به نفوس بريئة .

فهو من عدله وقوة حكمه أنه لم يجعل المدعي والمدعىٰ عليه بخلاف النظر، فكل ينظر لنفسه بالاحترام ولا يجد في نفسه الإستصغار أو الذلة أو القهر أو الخوف أو المقدورية امام الحاكم ، فهو قد حكم بالظواهر كما حكم رسول الله (ص) ، لأن الإسلام بني على الظاهر ، وحكم الباطن كحكم داود عليه السلام وغيره في بني إسرائيل .

وإذا أردنا أن نأخذ الأحكام والقضاء التي حكم وقضىٰ فيها هذا الإنسان والعالم الرباني أخو رسول الله وصهره لما استطعنا أن نجمع قضاءه ،

ولكن حاولنا أخذ القليل من الكثير .

روى الكليني عن الصادق عليه السلام قال : أتي أمير المؤمنين علي وهو جالس في المسجد بالكوفة بقوم وهم يأكلون بالنهار في شهر رمضان .

فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام : أكلتم وأنتم مفطرون ؟

قالوا : نعم .

قال : يهود أنتم ؟

قالوا : لا .

قال : نصارى ؟

قالوا : لا .

قال : فعلى أي شيء من هذه الأديان مخالفين للإسلام ؟

قالوا : بل مسلمون .

قال : فسفر أنتم ؟

قالوا : لا .

قال : فيكم علة استوجبتم الإفطار ولا نشعر بها ، فإنكم أبصر بأنفسكم لأن الله عز وجل يقول : ﴿ **بلْ الإنسانُ على نفسهِ بصيرةٌ** ﴾[1]

قالوا : بل أصبحنا وما بنا علة .

فضحك أمير المؤمنين (ع) ثم قال : تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ؟

قالوا : نشهد أن لا إله إلا الله ، ولا نعرف محمداً .

قال : فإنه رسول الله .

قالوا : لا نعرفه بذلك ، إنما هو إعرابي دعا الى نفسه .

---

(١) القيامة ١٤ .

فقال : إن أقررتم وإلا قتلتكم .

قالوا : وإن فعلت .

فوكّل بهم شرطة الخميس الى الظهر ـ أي ظهر الكوفة ـ وأمر أن يحفر حفيرتان ، حفر إحداهما الى جنب الأخرىٰ ، ثم حرق فيما بينهما كوة ضخمة شبه الخوخة ، ـ الشباك ـ وقال لهم : إني واضعكم في إحدىٰ هاتين الحفرتين ، وأوقد في الأخرىٰ النار ، فأقتلكم بالدخان .

قالوا : وإن فعلت فإنما تقضي هذه الدنيا .

فوضعهم في إحدىٰ الجبّين وضعاً رفيقاً ، ثم سألهم ماذا تقولون ؟

فيجيبونه : إقض ما أنت قاضٍ ، حتى ماتوا ، ثم انصرف ، فسارت بفعله الركبان ، وتحدث به الناس .

وكان ذات يوم في المسجد اذ قدم عليه يهودي من أهل يثرب قد أقر له يهود يثرب أنه أعلمهم ، وكذلك كانت آباؤه من قبله ، فقدم على أمير المؤمنين في عدة من أهل بيته ، فلما انتهوا الى المسجد الأعظم بالكوفة ، أناخوا رواحلهم ، ثم وقفوا على باب المسجد وأرسلوا الى علي عليه السلام أنا قوم من اليهود قدمنا من الحجاز ، ولنا إليك حاجة ، فهل تخرج إلينا أم ندخل عليك ؟

فخرج إليهم وهو يقول ستدخلون وستأنفون باليمين ، فما حاجتكم ؟

فقال له عظيمهم : يا ابن أبي طالب ما هذه البدعة التي أحدثت في دين محمد ؟

فقال له : وأية بدعة ؟

فقال اليهودي : زعم قوم من أهل الحجاز أنك عمدت الى قوم شهدوا بالتوحيد ولم يقروا برسالة محمد ، فقتلتهم بالدخان ! .

فقال : هذا صحيح ، ولكن أنشدتك بالتسع آيات التي انزلت على موسى (ع) بطور سيناء ، وبحق الكنائس الخمس ، وبحق السمت الدّيان ،

هـل تعلم أن يوشـع بن نون أتي بقـوم بعد وفـاة موسى عليـه السلام شهـدوا لله تعالى ، ولم يقرّوا أن موسى رسول الله ، فقتلهم بمثل هذه القتلة ؟

فقال له اليهودي : نعم أشهد أنه ناموس موسىٰ .

وبعد ذلك أسلم الرجل اليهودي وقرّ بالشهادتين .

وقـد حكم وسبقـه حـاكمين ولم يصيبـا بحكمهم ، اشترىٰ رسـول الله (ص) من إعـرابي ناقـة بـأربعـماءة درهم ، فلما قبض الإعـرابي المـال صـاح : الدراهم والناقة لي . فأقبل أبو بكـر .

فقال له (ص) : اقضي فيما بيني وبين الإعرابي .

فقال ابو بكر : القضية واضحة ، الإعرابي يطلب البيّنة .

فأقبل عمر وقال كما قال ابو بكر : الإعرابي يطلب البيّنة .

ثم أقبـل علي (ع) ، فقـال رسول الله (ص) : يـا إعـرابي أتقبـل بهـذا الفتىٰ أن يحكم بيني وبينك ؟

قال الإعرابي : نعم ، المـال والناقـة لي ، فهذه نـاقتي ، والدراهم دراهمي فإن كان محمد يدعي شيئاً فليقم البيّنة على ذلك .

فقـال عليه السـلام : خـلِّ عن النـاقـة وعن رسـول الله ثـلاث مـرات ، فاندفع فضربه ضربة ، قيل ضرب رأسه ، وقيل قطع عضواً من أعضائه .

فقالوا : لماذا ؟

قـال : ويحكم ، نصدق رسـول الله بالـوحي ، ولا نصدّقـه على أربعـماءة درهم .

قال رسول الله (ص) : هذا حكم ، لا ما حكمتما به .

لأن الإعرابي كان قد افترىٰ عـلى رسول الله ، وأراد أن يـدخله في البهتان والكذب ، فكيف يصدق سيـد الأنام بكـلام ربه يبلّغـه الى الأمة ، ولا يصـدق ضد قول إعرابي من أعراب البادية كاذب مفترٍ عـلى سيد الأنـام ، والأعراب قـد

مردوا على النفاق ، والإمام يعرف ذلك بحق ان رسول الله صادق مصدّق ، أما الآخرون فينظرون الى رسول الله بالنظرة القرشية أنه منهم ، لا بنظرة الرسالة والهدىٰ ، ولأن الإعرابي كذب على رسول الله وكذّب رسول الله ، ومن كذّب رسول الله جاز قتله ، لأن الوحي مصدقه ، وهو مختار من قبل الله ومصفّى ومطهر ، فلا يجوز عليه الكذب ، وكل نبي يُكَذَّبُ يجوز قتل مكذّبه ، والقرآن يشير الى ذلك أن الأمم كلها قتلها الله ومسخها لتكذيبهم الأنبياء . فكيف نقول بقريش وكبيرهم أبو سفيان الذي لا يعترف بنبوّة محمد (ص) بل يعبّر عنها أنها سلطنة ، فيردّ عليه العباس بن عبد المطلب : ويحك يا أبا سفيان ، إنها والله النبوّة وليست السلطنة .

فهذا الحكم يسمىٰ بمقتضى الإقرار .

أما الحكم الخفي ، فقد تزوّج عبدٌ بغير إذن سيده ، فقال : إن عبدي تزوّج دون علمي .

فقال علي عليه السلام لسيده : فرّق بينهما .

فقال السيد لعبده : يا عدو الله طلّق .

فقال له الإمام علي (ع) : كيف قلت له ؟

قال : قلت له طلّق .

فقال الإمام للعبد : أما الآن فإن شئت فطلّق وإن شئت فأمسك .

فقال السيد : يا أمير المؤمنين أمره كان بيدي ، فجعلته بيد غيري .

قال (ع) : ذلك لأنك حين قلت له طلّق ، أقررت له بالنكاح .

نعم وكان المفروض على السيد لما قال له الإمام أأمره ، كان عليه ان لا يعترف أصلاً ، حيث أنه قد تزوّج دون إذنه ، فكيف يأمره بالطلاق ، لأنه عبد ، والعبد لا يفعل ذلك إلا بإذن مولاه ، ويعد بهذه الحالة عاصٍ لمولاه ، ولكن المولى لم يفهم قصد الإمام وهو جاهل بذلك ، فحينئذٍ الإمام يقوم بالتفريغ بينهما إذا كان السيد أصر على عدم رضاه ، ولكنه بقوله لعبده طلّق ،

فهذا يسمّىٰ إقرار منه بالنكاح . وهذا الحكم لا يقدر عليه أحد ولا يعرفه أحد قط إلا هو ، لأنه قادر على أحكام كهذه . وهذا يسمّىٰ بالحكم المخفي والإقرار .

لماذا ؟ لأنه أفقه وأعلم العلماء وليس في أمة محمد (ص) عالم كعلي .

وحصلت قضية لقدامة بن مظعون وقد شرب الخمر ، فأراد عمر أن يحدّه .

فقال قدامة : لا يجب عليّ الحد ، لأن الله يقول ﴿ **ليسَ علىٰ الذينَ آمنوا وعملوا الصالحاتِ جناحٌ فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحاتِ** ﴾[1] فدرأ عمر عنه الحد لهذه الآية وتركه دون حد ، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام ، فمشىٰ الى عمر فقال له : تركت إقامة الحد على قدامة وقد شرب الخمر ؟

قال : نعم .

قال : لماذا ؟

قال : لأنه تلى هذه الآية المارة الذكر .

فقال الإمام علي : ليس قدامة من أهل هذه الآية ، ومن سلك سبيله في ارتكاب ما حرّم الله . ثم تلىٰ الإمام الآية لعمر وقال : فاردد قدامة واستتبه مما قال ، فإن تاب ، فأقم عليه الحد ، وإن لم يتب فاقتله فقد خرج عن الملّة .

فاستيقظ عمر لذلك ، وعرف قدامة الخبر ، وعلم أنه مقتول لا محال ، فأظهر التوبة والإقلاع ، فدرء عمر القتل ، ولم يدرِ كيف يحدّه .

قال لعلي : أشر عليّ في حدّه .

فقال : حدّه ثمانون ، إن شارب الخمر إذا شربها سكر ، وإذا سكر هذىٰ ، وإذا هذى افترىٰ

---

(١) المائدة ٩٣ .

سجلده عمر ثمانين .

وجيء الى عمر بخمس نفر أخذوا في الزنا ، فأمر أن يقام على كل واحد منهم حد ، وكان أمير المؤمنين (ع) جالس فقال : يا عمر ليس هذا حكمهم .

قال : فأقم أنت عليهم الحد .

فقدّم واحداً منهم فضرب عنقه ، وقدّم الثاني فرجمه ، وقدم الثالث فضربه الحد ، وقدم الرابع فضربه نصف الحد ، وقدم الخامس فعزّره .

فتحيّر عمر ، وتعجّب الناس . فقال عمر : يا أبا الحسن خمسة نفر في قضية واحدة أقمت عليهم خمسة حدود ، وليس شيء يشبه الآخر !؟

فقال الإمام : أما الأول فكان ذمياً خرج عن ذمته ، ولم يكن له حكم إلاّ السيف .

وأما الثاني فرجل محصن كان حدّه الرجم .

وأما الثالث فغيرَ محصن حدّه الجلد .

وأما الرابع فعبد ضربناه نصف الحد .

وأما الخامس فمجنون مغلوب على عقله .

فأي إنسان يستطيع لهذا الأمر ، ويعرف هذا القضاء وكل واحدٍ أقام عليه حدّه المقرر من الله سبحانه وتعالى ، وكلٌ ذهب بذنبه ، فلو لم يكن هذا الإمام المهذب ، لهذب حكم الاسلام كما هو اليوم قد جعلوا بديلاً عنه السجن أو غيره حتى أصبح الفساد منتشر في كل مكان ، بسبب عدم تطبيق الحكام للشريعة المقدسة .

وكذا حكم بإمرأة إدعوا أنها فاجرة ، وقد اعترفت أمام عمر بذلك ، وكانت حاملاً ، فأمر عمر برجمها ، فلقيها امير المؤمنين (ع) في الطريق قبل رجمها فقال : ما بال هذه ؟

فقالوا : أمر عمر بها أن ترجم .

فردّها أمير المؤمنين ، وقال لعمر : أمرت بها أن ترجم؟

فقال : نعم اعترفت عندي بالفجور .

فقال (ع) : هذا سلطانك عليها ، فما سلطانك على ما في بطنها ؟ ـ ثم قال له (ع) ـ : فلعلّك انتهرتها أو أخفتها ؟

فقال : قد كان ذلك .

قال (ع) : أو ما سمعت رسول الله يقول لا حدّ على معترفٍ بعد ، بلىٰ إنه من قيّدت أو حبست أو تهددت فلا إقرار له .

فخلّى عمر سبيلها ، ثم قال : عجزت النساء أن يلدن مثل علي بن أبي طالب ، لولا علي لهلك عمر .

وقد حكم في عهد عمر بإمرأة ورجل كانا أبيضان ، وقد أنجبت طفلاً أسود اللون ، فحكم عليها عمر بالرجم .

ولكن الإمام استدرك القضية وسأل زوجها : هل انك تتّهم زوجك ؟

قال : لا ، ولكن من أين هذا الطفل الأسود ؟

قال له أمير المؤمنين (ع) : فأتيتها وهي طامث ؟

قال : قد قالت لي ، ولكن قلت لعلّها تخشى البرد .

وسأل المرأة بنفس السؤال فقالت : نعم .

فقال الامام (ع) : انطلقا فإنه ابنكما ولا ضير عليكما ، وإنما غلب الدم النطفة، ولو قد تحرك اسود ، فلما أيفع أبيض .

هذه المسألة لا تتم إلا بالفحوص الطبية ، ولعل العلم الحديث في هذا العصر قد لا يقدر أن يعرف بأن دم الحيض غلب على النطفة ، هذه مسألة أقرها الاسلام قبل اربعة عشر قرناً من طريق عالم من علماء محمد بن عبد الله (ص) .

ولقد حكم أيضاً في عهد عمر بأنه قدم قوم من أهل الشام الى مكة المكرمة حجاجاً ، فأصابوا عش نعامة فيه خمس بيضات وهم محرمون ، فشووهنّ واكلوهن ، ثم قالوا : ما نرانا إلا أخطأنا وأصبنا الصيد ونحن حرم ، فأتوا المدينة وقصّوا على عمر القصة .

فقال : انظروا الى قومٍ من أصحاب رسول الله (ص) فاسألوهم عن ذلك ليحكموا فيه .

فسألوا جماعة من الصحابة ، فاختلفوا في الحكم في ذلك .

فقال عمر : فها هنا رجل كنّا أمرنا إذا اختلفنا في شيء أن يحكم فيه ، فأرسل الى إمرأة يقال لها عطية ، فاستعار منها اتانا ، فركبها وانطلق بالقوم إليه ، فتلقاه عمر ثم قال له : هلاّ أرسلت إلينا فنأتيك ؟

فقال عمر : الحكم يؤتى في بيته، فقصّ عليه القوم .

فقال أمير المؤمنين (ع) لعمر : فليعمدوا الى خمس قلايص من الإبل ، فليطرقوها للفحل ، فإذا انجبت أهدوا ما نتج منها جزاءاً عما أصابوا .

فقال عمر : إن الناقة قد تجهض .

فقال علي (ع) : وكذلك البيض قد يمرق .

فقال عمر : فلهذا أمرنا أن نسألك .

وهنا حكم مشابه لإبنه الإمام الصادق (ع) في عهد المنصور الدوانيقي في مكة وكان معه الفقهاء ، وأخبره الربيع ، فلان عبدك قد مات ، وعبد آخر قطع رأسه ، فجمع الفقهاء ولقد عجزوا على هذا الحكم ، وأخبر المنصور الدوانيقي على ان الإمام الصادق (ع) موجود في مكة مع الحجيج .

فأرسل الربيع حول هذا الحكم ، فقال الامام الصادق (ع) : يؤخذ منه مائة دينار .

فقالوا له : لماذا ؟

قال : ديّته كدية الطفل .

قالوا : كيف ذلك .

فقال : للنطفة عشرون ديناراً ، وفي العلقة عشرون ، وفي المضغة عشرون ، وفي العظم عشرون ، وفي اللحم عشرون ، ثم أنشأناها خلقاً آخر ، وهذا هو ميت بمنزلة قبل أن ينفخ فيه الروح في بطن أمه جنين .

فرجع إليه بالجواب ، فأعجبهم ذلك ، فقالوا : إرجع إليه فاسأله لمن الدنانير ؟

فقال الإمام عليه السلام : لورثته منها شيء ، إنما هذا شيء صار إليه في بدنه بعد موته يحج بها عنه ، أو يتصدق بها ، أو يصير في سبيل الخير .

وهناك أحكام نحكم بها ، وهي أقوى الأحكام ، ونحن نكتفي بهذا القدر من قضاء وحكم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فكان بحق أفقه أمة محمد (ص) قضاءاً وحكماً وعلماً .

الفصل الثامن

علي سيد العرب والعجم بشجاعته

الإمام علي أمير المؤمنين رجل من بني هاشم ، قد أولده هاشم وعبد المطلب وعبد مناف ، وآل هاشم كلهم شجعان ، فهم أشجع العرب بلا منازع ، وليس هناك بيت في العرب يضاهي هذا البيت في الكمال والشجاعة والكرم والسخاء والجود والعفة ونقاوة الجيوب وطهارة المولد ، وهذا شيء قد شهد به التاريخ وشهدت العرب به وحتى اعداؤهم ، وفوق كل هذا شهد القرآن الكريم بجودهم وشجاعتهم ، فهم اشجع العرب وخاصة من أولاد أبي طالب أمثال جعفر وابنه عبد الله وأولاد عقيل وعلي ، وجميع أولاد علي من أئمة معصومين وغير معصومين ، وهؤلاء كلهم أولاد أبو طالب سواء كان من جعفر الطيار ، أو من عقيل ، أو من علي الذي نحن الآن بصدد الحديث عن شجاعته .

ولقد شهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : لو ان عمي ابا طالب اولد الناس كلهم لكانوا شجعاناً .

وفيه يقول احد المؤرخين : أما شجاعة علي فإنه أنسىٰ الناس فيها ذكر من كان قبله ، ومحا إسم من سيأتي بعده ، ومقاماته في الحرب مشهورة يضرب بها الأمثال الى يوم القيامة ، وهو الشجاع الذي ما فرَّ قط ، ولا ارتاع من أقرانه ، ولا بارز أحداً إلا قتله ، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأولى الى ثانية ، إذا قدّ قد ، وإذا اعترض قط ، ولا دعي الى مبارزة فنكل ، وهذا كله من الأمور العجيبة التي لم تتفق لغير علي بن أبي طالب .

وهو الذي قال: لو تظاهرت عليّ العرب كلها لما ولّيت مدبراً .

وهو القائل : ألف قتلة بالسيف خير لي من الموت على فراشي .

وقال : ما برزت لأحدٍ إلا أعانني على نفسه .

وكانت العرب تفتخر بوقوفها في مقابلته في الحرب ، ولما افتخر حسّان بقتل عمرو بن عبد ود في شعر له ، ردّ عليه فتى من بني عامر فقال من أبيات :

كذبتم وبيت الله لم تقتلونا ... ولكن بسيف الهاشميين فاخروا
بسيف ابن عبد الله أحمد في الوغى ... بكفٍ علي نلتم ذاك فاقصرا
وهو الذي في الفخر طال بناؤه ... فلا تكثروا الدعوى علينا فتحقرا

وهذا صحيح فكان كل من قتل له أحد بسيفه يفتخر أن مقتوله قتله علي ابن أبي طالب .

وهكذا قالت ليلى أخت عمر بن عبد ود العامري لما قتل أخوها ، فإنها برزت من خدرها وهي صارخة معولة ، حتى وقفت على جسده ، فرأته مقطوع الرأس ، ولم تسلب منه ثيابه ولا درعه ، فتعجبت من ذلك وقالت : من هو قاتل أخي ؟ فقيل لها : هو علي بن أبي طالب . فاستبشرت وقالت : لعمري لهو كفؤ كريم ، والله لا أرثي أخي ولا أندبه أبداً ، ثم أنشأت تقول :

لو كان قاتل عمرو غير قاتلهِ ... لكنت أبكي عليه آخر الأبدِ
لكن قاتله من لا يعاب بهِ ... من كان يدعى أبوه بيضة البلدِ

* * *

من هاشم في ذراها وهي صاعدة ... الى السماء تميت الناس بالحسدِ
قومٌ أبى الله إلا أن تكون لهم ... كرامة الدين والدنيا بلا لددِ

نعم ، وكان جبرئيل وميكائيل يفتخران إذا كانا بجوار علي في الحروب ، وهذا شيء لا ينكر ، فهو بين كرم هاشم وشجاعته ، كان هاشم بن عبد مناف أحد أجداد النبي والإمام علي ، وكان هاشم سيد رجال قريش

وحكامهم ، وكان يحمل ابن السبيل ، ويؤدي الحقوق ، ويضرب بجوده المثل ، وقد تولّى أمر مكة بعد أبيه ، وساد قومه بما كان عليه من محاسن الأخلاق ، وجليل الشيم ، وكمال الشجاعة ، وأوفر الكرم ، وغاية الفصاحة ، وصاحب صفات فاضلة ، لم يطاوله بها أحد ، واسمه عمر العلىٰ ، ولقبه هاشم ، لأنه أول من هشم الثريد ، وهو الخبز مع اللحم ، ولذا كان رسول الله (ص) يحب ذلك الطعام لما فيه من بركة ، ويباركه ويأمر الناس إذا أكل الإنسان ثريد أن ينقي الإناء لأنه (ص) يقول : فيه بركة من بركات الجنة . حتى لقد كان (ص) يمص أنامله إذا أكل الثريد. وهي أطيب الأطعمة ، طعام الخبز واللحم المطبوخ بالماء ، وكان هاشم يطعمه الجياع من الضيوف وقريش والعرب ، وكان يشتري الدقيق من فلسطين ويذهب الى مكة المكرمة في سنين جدبة ، وينحر الجزر ويذبح ، وهذا كان ديدنه ودأبه ، وكان جميع قبائل العرب على اختلاف قبائلهم يلهجون به وبكرمه وأخلاقه .

وهو الضرغام صاحب الرحلتين اللتين ذكرهما القرآن الكريم بقوله ﴿ **لإيلافِ قريشٍ ، إيلافهم رحلةُ الشتاءِ والصيفِ** ﴾[1].

وفيه قال شاعرهم :

عمرُ العلا هشم الثريد لقومه ورجالُ مكةَ مسنتون عجاف
بسطوا إليه الرحلتين كليهما عند الشتاء ورحلة الأصياف

فهو كان السبب بهاتين الرحلتين ، وكان من قوة كرمه يخرج بعد ثلاثة أيام يستقبل الحجيج ، ويقدم الطعام الكعك ، والزبيب وشرابه ، وهكذا يخرج معهم الى جميع المناسك ، ومن ثم يودّع الحجاج ، ومن لم يملك نقوداً أو زاداً يعطيه حتى يوصله الى أهله .

ومن كرمه يقدم قومه والضيوف على نفسه ، هكذا كانوا أجداد محمد (ص) وعلي (ع) ، فالكرم والشجاعة صفتان ممدوحتان عند الله وعند الإنسان نفسه لماذا ؟ لأن الكريم يكرم بما عنده ، وهذا يسمىٰ منتهىٰ الكرم ،

---

(١) قريش/ ١ ـ ٢ .

والشجاع يقدم بما يملك وهي النفس ، وهذه تسمىٰ منتهىٰ الشجاعة .

ولذا قال أمير المؤمنين علي (ع) : جنونان لا أخلاني الله منهما الشجاعة والكرم .

وهاشم له شجاعة مع اليهود في المدينة ذكرها التاريخ ، حينما خطب سلمىٰ أم عبد المطلب من بني النجار ، وقد احتال اليهود عليه لأن الزوجة كانت مدنية ، ولولا أحلافهم مع الأوس والخزرج لأبيد اليهود في المدينة ، وقد كان هو جميلاً عظيماً ، تهابه الناس إذا نظروا إليه ، وقد قال فيه شاعرهم :

يا أيها الرجل المحوّل رحله ... سهلاً نزلت بآل عبد منافِ
هبلتك أمك لو نزلت بحيّهم ... أمنوك من جوع ومن اخرافِ
الآخذون العهد من آفاقها ... والراحلون لرحلة الإيلافِ
والرائشون وليس يوجد رائش ... والقائلون هلمَّ للأضيافِ
والخالطون فقيرهم بغنيّهم ... حتى يكون فقيرهم كالكافي

هكذا استقرت الرياسة بآل هاشم لأنه كفؤ كريم ، ومن هنا كانت إشارة السيدة العقيلة الحوراء زينب (ع) أمام يزيد الأموي : حين صفا لك ملكنا وسلطاننا . السلطان إشارة إلى هاشم وأبوه ، والملك إشارة الى سيد الرسل محمد بن عبد الله (ص) .

وأعظم شجاعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) أنه بنىٰ الاسلام بسيفه الذي قال فيه سيد الرسل : ما شيدت هذا الدين إلا بسيف علي بن أبي طالب ومال خديجة بنت خويلد .

شهادة الرسول لا ترد ، فهو قائد الحروب والغزوات ، مقدم في كل حرب طاحنة ، لواء الحمد بيده ، وكان كلما عجز أصحاب رسول الله (ص) في القتال أو الوصول الى مكان في الحرب ، كان يرسله اليها ، كما حدث في غزوة خيبر والخندق ، ويوم أحد حينما هرب القوم وتركوا رسول الله (ص) وحده في حومة الميدان وساحة الوغىٰ ، هناك لما غدر خالد بن الوليد بالمسلمين

وأتاهم من الخلف، فكان أمير المؤمنين (ع) يقاتل في ذلك اليوم قتالاً مشهوداً ، يومها نادىٰ جبرئيل :

لا فتىٰ إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار

وهذا استدلال قوي ، وشهادة من الله سبحانه انه هو الفتى في الدنيا دون غيره ، والفتى هو الشجاع المدافع لوجه الله ، وفي سبيل الله ، وعن رسول الله ، وعن دين الله .

وسيفه ذلك السيف الذي لا يقارنه سيف ، سيف لسيد كفؤ .

ومن عظيم شجاعته مبيته على فراش رسول الله (ص) لوقايته من طغاة قريش ، متحدياً بذلك فحول قريش وشجعانهم ليسلم رسول الله (ص) وليصل بأمان الى المدينة ، وهذا هو عين الإيثار وأعظمه ، والمواساة الكبيرة فلم يؤثر من المسلمين أحدٌ رسول الله (ص) على نفسه كتلك ، ولقد باهى الله به الملائكة ، وأمر جبرئيل وميكائيل بالهبوط الى الأرض ليحرساه .

وقال جبرائيل مرتين : بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب من مثلك ، وقد باهىٰ الله بك الملائكة .

هذا أروع الإيثار والبطولة والشجاعة ، وهو فتى ، ومبيته على فراش رسول الله (ص) ليلة الغار وقد أحاط نفر من قريش بالدار ليفتكوا بمن في الفراش ، فلم تهن همّته ، ولا خارت عزيمته ، ولا طرق الخوف قلبه .

وأعظم من ذلك بقاؤه بمكة بعد رحيل رسول الله (ص) وهجرته مدّة ، وقد جمع الفواطم بين أوساط طغاة قريش وفرسانها من مكة بعد الهجرة وليس معه من يشدّ أزره أو يحمي ظهره من الطعن ، ولم يكن معه من الذكور سوىٰ ابن أم أيمن وأبي واقد الليثي ، وهما لا يغنيان عنه شيئاً ، فلحقه ثمانية من فرسان قريش امامهم جناح مولى حرب بن أمية ، فأهوىٰ إليه جناح بالسيف ، وقد كان جناح فارساً وأمير المؤمنين (ع) راجلاً ، فحاد أمير المؤمنين (ع) عن ضربته وضربه مما انحنىٰ عليه كتفه فقطعه نصفين حتى وصلت الضربة الى قربوس فرسه ، فانهزم الباقون مذعورين من شجاعته

الخارقة ، فخروجه (ع) مع جلية الفواطم من مكة وعظماء مكة فيها كأنهم ليسوا برجال أمامه ، هذا فعل لا يطيقه أحد أبداً مهما كان شجاعاً ، نقل نساء قريش من بلادهن الى بلاد أخرى ، وليس سفر رضي بل سفر تحدٍّ ، وليس سراً بل علناً ، فقد كان خروج باقي المهاجرين سراً وعلى انفرادٍ دون مالٍ ولا نساءٍ .

أما أمير المؤمنين علي (ع) فقد أعلنها في مكة صرخة مدوية : من كان له على محمد حق أو أمانة أو دين فليأتِ ها أنا ذا خارج .

وأما يوم بدر فقد قتل الوليد بن عتبة وخمسة وثلاثين رجلاً غيره ، واشترك المسلمون كلهم في الخمسة وثلاثين الأخر ، فقد كان تعداد قتلى المشركين سبعون مشركاً ، وقد كان له الحض الأوفى في القتل ، وقد كان قتلاه كلهم من صناديد قريش ، وقد كسر بذلك شوكة قريش ، وجعل في كل بيت من مشركي قريش نائحة وباكية .

وكان ذهابه الى البئر أشد من الحرب واكثر منها شجاعة ، فجلب الماء من بئر بدر في ليلة ظلماء دامسة ولم يستطع غيره الوصول الى البئر قط ، وقد مرّ به جبرائيل وميكائيل وإسرافيل كما ذكرنا سابقاً في فضائله ، فكانت تلك من عظائم فضائله وشجاعته .

واعظم شرف وشجاعة بدت منه سلام الله عليه عندما ثبت دفاعاً عن رسول الله (ص) حينما فرّ القوم عنه ، فلم يثبت سواه أحد .

ويوم جبن كل من كان بجوار رسول الله (ص) يوم الخندق عن مبارزة عمرو بن ود العامري ، ولم يبرز له إلا أمير المؤمنين (ع) فقتله وانكسرت بذلك شوكة اعداء الله ، واعداء الرسالة والرسول والمسلمين ، وباءت قريش وأحلافها بالخيبة والخذلان والعار والشنار ، ولقد كانت قريش قد جاءت بعمرو بن عبد ود العامري وهو رأس الشرك كله الذي قال فيه رسول الله (ص) : انه برز الإيمان كله الى الشرك كله .

فكان بذلك أمير المؤمنين الإيمان كله وعمرو الشرك كله .

وحينما أراد عمر بن الخطاب النيل من أمير المؤمنين لأنه تبختر بمشيته وهو يحمل رأس عمرو بن عبد ود فأجابه رسول الله (ص) : ضربة علي يوم الخندق لعمرو بن عبد ود تعدل عبادة الثقلين .

أين الإنس والجن ، لا فائدة من عبادة مع جبن ، عبادة علي بمعرفة وشجاعة .

وأما خيبر فقد فضحت الذين أرسلهم رسول الله لمحاربة أهل خيبر ، فما أرسل قائداً إلا وجبن ، وكلما رجع قائد جبّن جنده ، وجنده جبّنوه ، أرسل أبا بكر ولم يقدر على ذلك ، وأرسل عمر بن الخطاب ورجع كصاحبه ، وقد تأثر الرسول (ص) بذلك تأثراً شديداً ، حتى قال : سأعطي الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله .

وبات المسلمون كلٌ يتصّور أنه يحظى بهذا الشرف والفخر والعزّ ، لكن الشرف يعرف أهله ، والعز يعرف من يعزّه ويحافظ عليه ، والفخر يعظم من يدافع عنه .

نزل الى حصون خيبر ، وقتل مرحب ، بعدما حصل ما حصل بينه وبين الإمام ، وقلع باب حصنهم الكبير ، ووضعه على الخندق ، فأخذ المسلمون يعبرون على ذلك الباب الذي خلعه ، حتى قال فيه ابن أبي الحديد في القصيدة العينية التي لا زالت على ضريح الإمام أمير المؤمنين (ع) في النجف الأشرف ومنها هذا البيت :

يا قالعَ البابِ الذي عجزتْ عنْ حملِهِ أكفُ أربعونَ وأربعُ

وهكذا حنين وغيرها ، وهذه الحروب كلها كانت في خدمة الإسلام ، ثمانون بين غزوة وسرية كلها شارك فيها أمير المؤمنين (ع) طاعة لله سبحانه ، حتى شيّد هذا الدين دون كلل أو ملل ، وما كان يبغي اسماً ولا زعامة ولا منصباً ، وما كان يأكل أو يشرب متنعماً كباقي المسلمين .

ومن شجاعته الخارقة للعادة موقفه يوم صفين وليلة الهرير ، قال بعض الرواة : فوالله الذي بعث محمداً بالحق نبياً ما سمعنا برئيس قوم مذ خلق الله

السماوات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب علي (ع) ، إنه قتل في ما ذكر العادّون اكثر من خمسماية من أعلام العرب وشجعانهم ، يخرج بسيفه منحنياً فيقول : معذرة إلى الله وإليكم من هذا ، فكنّا نأخذه ونقوّمه ، ثم يتناوله من أيدينا فيقتحم في عرض الصف ، فلا والله ما رأيت أشد نكاية منه بعدوه .

وأما الجمل ، فأمر عليه السلام أن يحرق الجمل ، ثم يذرىٰ في الريح وقال : لعنه الله من دابة، فما أشبهه بعجل بني إسرائيل ـ ثم قرء الآية الكريمة ـ : ﴿ . . . **وانظرْ إلىٰ إلهكَ الذيْ ظَلْتَ عليهِ عاكفاً لنحرقنَّهُ ثم لننسفنّهُ في اليمِّ نسفاً** ﴾[1] .

نعم حربين كان الشيطان قد عشعش فيهما ورقص لهما ، رقص لمعاوية ولجماعة الجمل ، وإذا جاز لإنسان أن يحارب امام زمانه فلماذا لم يحارب الذي قبله ، أو ليس هو خليفة رسول الله (ص) كباقي الخلفاء ، الا لعن الله من كذب بالتاريخ وزيّفه ، وزيّف الاسلام من طرق أناس ليس لهم في الإسلام قيمة ولا دانق .

وحقاً ان الناس قد عجزوا عن تعداد مناقبه ، كيف لا وقد قال فيه رسول الله (ص) : لو قلت فيك لأخذت الناس من تحت تراب قدميك .

فمناقبه صلوات الله عليه اكثر من ان تحصىٰ حتى قال ابن عباس رضوان الله عليه : لو ان الشجر اقلام ، والبحر مداد ، والانس والجن كتّاب وحسّاب ما احصوا فضائل امير المؤمنين عليه السلام[2].

وفيه يقول محمد بن ادريس الشافعي ـ امام المذهب ـ : وكيف تعد فضائل رجل اسرّ اولياؤه مناقبه خوفاً ، وكتمها اعداؤه حقداً ، ومع ذلك شاع منها ما ملأ الخافقين[3].

---

(١) طه / ٩٧ .

(٢) تذكرة الخواص /٨ .

(٣) احاديث المسلمين في فضائل امير المؤمنين / ١٧ .

فهذا السيد الكريم الشجاع الذي عجز التاريخ أن يجد مثله ، أو يذكر مثله ، وهو الجندي القوي للدفاع عن الإسلام وعن بيضته وعن صاحب الرسالة ، فهل هناك من هو كعلي ؟ ثم إن هذا الشجاع هل كان جندياً فحسب كالشجعان الذين ذكرهم التاريخ ولم يحسن القيادة ؟ أم كان قائداً فذاً ، وحربياً مفكراً ، بل كان قائداً ملهماً ، فوالله لو سألنا ما الشجاعة ؟ لوجدناها قد تمثلت في شخص علي الذي هو سيد الشجعان ، ولو سألنا ما البلاغة ؟ لوجدناه سيدها .

أجل . . لو كانت شخصية أمير المؤمنين عند غير الإسلام والعرب ، عند أمة من باقي الأمم لاتخذوه إلهاً للشجاعة في جملة ما يؤلهون ويعبدون .

ومن أعظم العجائب أن يجمع المرء في شخصيته ونفسه أموراً متباعدة ومتباينة بعضها عن البعض الآخر ، فإذا ضمّ بعضها الى بعض وجدتها متممة لصور رائعة جداً ، فهو تارة جندي شجاع ذو سيف بتّار يقدّ ويقطع ، وأخرى تراه فيلسوفاً ، وأخرى تجده متصوفاً زاهداً ، ثم تراه فقيهاً عالماً حليماً ورعاً خطيباً بليغاً ، وتراه قائداً مفكراً يحسن القيادة والتخطيط ، ملهم يجمع في شخصه الكريم كل صفات القيادة الرائدة .

ومن أهم صفات القائد أن يؤثر الموت مقتولاً على الموت متقلباً على فراشه ، وقد أشار الى ذلك يوم صرعه في محرابه اشقى الأولين والآخرين ، فقال : فزت ورب الكعبة . مشيراً بذلك الى الشهادة التي بلغه إياها رسول الله (ص) ، وهذه الكلمة لم يقولها أحد غيره ، فليس هناك إنسان يحب الموت مثله ، وهو يعرف نفسه أنه الشهيد ، لذا أحب الشهادة على الحياة وهو في الحياة .

ومن أقواله وحكمته في خطبة له : والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون علي من ميتة على فراش .

وصفات القائد تسري في تعابيره نفسها في صور التشابيه التي يوردها بقوله : أطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه ، ووردوا مناهله ، بهم سفرت أعلامه ، وقام لواؤه ، في فتن داستهم أخفافها ، ووطأتهم أظلافها ، وقامت

على سنابكها .

حتى مواعظه الجميلة والجليلة ترىٰ فيها أعمال الفروسية وعناصرها والقيادة ، فالخطايا عنده خيل شمس ، والتقوىٰ مطايا ذلك : ألا وإن الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها ، وخلعت لجمها ، فتقحّمت بهم في النار ، ألا وإن التقوىٰ مطايا ذلك ، حمل عليها أهلها وأعطوا أزمّتها ، فأوردتهم الجنّة .

هذه الروح الخالدة القوية الدافقة بالحيوية والحماسة تنتقل وتعطي حماستها الى الجنود . ولعل في خطبة الجهاد شاهد ودليل على ما نقول :

أمّا بعدُ فإنّ الجهادَ بابٌ منْ أبوابِ الجنّةِ ، فتحه الله لخاصة اوليائه ، وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجُنته الوثيقة ، فمن تركه رغبة عنه البسه الله ثوب الذل ، وشمله البلاء ، وديث بالصغار والقماء ، وضرب على قلبه بالاسداد ، وأديل الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف ومنع النصف ؛ ألا واني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم سرّاً وإعلاناً ، وقلت لكم أغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزي قومٌ قط في عقر دارهم إلا ذلّوا ، فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنّت الغارات عليكم ، وملكت عليكم الاوطان ، وهذا اخو غامد وقد وردت خيله الأنبار ، وقتل حسان البكري ، وأزال خيلكم عن مسالحها ، ولقد بلغني ان الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة ، والاخرى المعاهدة ، فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها ما تمتنع منه إلّا بالاسترجاع والاسترحام ، ثم انصرفوا وافرين ، ما نال رجلاً منهم كلم ولا اريق لهم دم ، فلو ان امرءاً مسلماً مات من بعد هذا اسفاً ما كان به ملوماً ، بل كان به عندي جديراً . فيا عجبا والله يميت القلب ، ويجلب الهم ، اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم ، وتفرقكم عن حقكم ، فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى ، يغار عليكم ولا تغيرون ، وتغزون ولا تغزون ، ويعصىٰ وترضون ، فإذا أمرتكم بالمسير إليهم في أيام الحرّ قلتم هذه حمارة القيظ أمهلنا حتى ينسلخ عنّا الحرّ ، وإذا أمرتكم بالمسير إليهم في الشتاء قلتم هذه صبارة القر ، امهلنا ينسلخ عنّا البرد ، كل هذا فراراً من الحر والقر ، فأنتم والله من السيف افر ، يا اشباه الرجال ولا رجال ، حلوم

الأطفال وعقول ربّات الحجال ، لوددت اني لم اركم ولم اعرفكم معرفة والله جرت ندماً ، واعقبت سدماً من بين أظهركم ، وقبضني الى رحمته من بينكم ، واني لم أركم ولم أعرفكم ، معرفة والله جرّت ندماً ، وأعقبت سدماً ، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحا ، وشحنتم صدري غيظا ، وجرعتموني نغب التهمام انفاساً ، وافسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان ، حتى قالت قريش : إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب . لله أبوهم وهل أحد منهم أشدّ لها مراساً ، واقدم فيها مقاما مني ، لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، وها انا ذا قد ذرفت على الستّين ، ولكن لا رأي لمن لا يطاع .

ونراه في وقعة الجمل يزحف بنفسه في كتيبة الخضراء من المهاجرين والأنصار وحوله بنوه ، يغوص في عسكر الجمل ، حتى طحن العسكر ، ثم رجع وقد انحنىٰ سيفه ، فأقامه بركبتيه ، فقال له أصحابه وبنوه : نحن نكفيك . فلم يجب أحداً منهم ، وظل يحمل ويزأر زئير الأسد ، ثم حمل حملته الثانية ، فدخل في وسطهم يضربهم بالسيف قدماً قدماً ، والرجال تفرُّ بين يديه وتنحاز عنه يمنة ويسرة ، حتى خضب الأرض بدماء القتلىٰ .

ثم رجع وقد خاطبه أصحابه وناشدوه الله في نفسه فقال : والله ما أريد بما ترون إلا وجه الله والدار الآخرة .

ثم قال لابنه محمد : هكذا تصنع يا ابن الحنفية ؟ فقال الناس : من الذي يستطيع ما تستطيعه يا أمير المؤمنين ؟ .

ومن فضائله التسامي ، وقد ظهر تساميه في عفوه عن ابن العاص يوم كشفت عورته ، وتساميه وعفوه عن بسر بن ابي أرطأة يوم كشف سوأته ، فلم يقتلهما بعد كشف عوراتهما ، وعفوه عن مروان وهو العدو اللدود .

الفصل التاسع

علي سيد العرب والعجم بتآخيه مع رسول الله (ص)

الإنسان في الحياة الدنيا أفضل الكائنات الحيّة ، هذا مما لا شك فيه ، فهو تفضل بالعقل الذي هو جوهر هذا الإنسان ، وهو الرسول الباطني ، علماً أن جميع الكائنات الحية أو ذوات الأرواح وكل جسم نامي من هذا النمط يعيش بالغرائز والحواس الحسيّة .

فالإنسان أفضل أبناء هذه الأجناس بالاقامة التي منّ الله بها عليه ، فهو بهذه الإقامة افضل من الأرواح كلها والتي تسير على أربع وعلى اثنين ، فإقامته يصل بها الى ما يريد .

وتفضل الإنسان على سائر الكائنات بواسطة الأنامل التي أعطيت له ليتناول بها أصغر حجم في الأرض .

وهذا الكلام الطيب الذي يتعامل به في أيام حياته ومعيشته كلام يحاول تقطيع الحروف الهجائية من مخارجها ، وغيره لم يستطع ذلك .

وقد تفضّل ، بواسطة الصورة التي جعلها له الله سبحانه وتعالى وجعله في أحسن صورة وأتقنه خير إتقان وتقويم ، صورة حسنة جميلة جذابة تجذب رؤية الآخرين ﴿ في أيِّ صورةٍ ما شاءَ ركّبكَ ﴾[1]، وهذا يعني أنه من أحسن الصور الباقية من الأجناس ذات الأرواح .

---

(١) الإنفطار /٨ .

ثم كرّمه خير تكريم ، فهو كريم وعنده الإحساس وهو العقل الذي يحسّسه بالكرامة ، وكرامته أفضل الكرامات ، وكل حيوان ذي روح هو تحت سيطرته وخدمته ، مسخر له كما ان شعوره اكثر من غيره ، وعلمه اكثر من غيره ﴿ **ولقدْ كرّمنا بني آدمَ . . .** ﴾[1].

وهو بإبداعه وفكره وسمّوه ونبله احسن الباقين .

ثم إنه افتخر على غيره من الكائنات الحيّة بواسطة العبودية الكاملة فيه ، والتي لا توجد بغيره ، وهذه العبودية هي من أعظم صفات الإنسان ، فهو عبد مأخوذة من العبادة ومن المعبود ، وهي صفة مشتقة من العبد ، والعبد مأخوذ من السيد والسيودية ، والسيد هو سيد القوم وليس هناك سيد أعظم وأكبر من الله سبحانه ، والسيودية له ، والسيودية هي القدرة والمشيئة والعلم والقوة والعظمة والسلطة والسلطنة ، وكل هذه الصفات لا توجد إلا في الخالق وهو القادر ، والمخلوق هو العاجز ، والسيد الخالق هو الغني وليس المحتاج ، والعبد المخلوق هو الفقير المحتاج لغيره ، من هنا نعرف أن الإنسان هو الضعيف وهو العاجز والمحتاج والفقير ، وإذا هو عبد ، فقد حصل الفارق بينه وبين القادر القوي القائم العزيز الجبار .

أجل . . والإنسان الذي سمّي بهذا الإسم كي تأنس به الحياة ، ويأنس هو بغيره ، وغيره يأنس به ، والإنسان هذا هو الصنف الجميل ، طهر واصطفىٰ وزكي ونقي من عبادة المخلوقات الأخرىٰ بعد أن امتحنهم واختبرهم فوجدهم أهل لذلك ، فجعل منهم الأنبياء والرسل ، وجعل من هذين الصنفين سادة وقادة لمجموع البشر ، وأرسل آخرهم وكان أحب إليه من هؤلاء الرسل والانبياء فكان سيد الرسل والكائنات (ص) ، وقد أوجب الفرائض والأحكام والقوانين والتعاليم والتكاليف من الخالق للمخلوق مع تطبيقها كاملاً وتاماً .

وإنما بعث هؤلاء ليطهروا هذا الإنسان من الفساد والرذيلة والطيش

---

(١) الإسراء / ٧٠ .

والفوضى ، وليرفعوا عنهم الأغلال ، أغلال الشيطان وقباحة النفس ودرن القلوب ، ليعيش الإنسان مطمئناً بعيداً عن الظلم والجور والاستبداد والرجس والقبح والأحقاد والخوف والهلع والإنزلاق في الرذيلة ، وأن لا يتسيّب ويبقى يتخبط ولا يعلم لماذا خلق ولأي غرض وجد ، ولماذا منح هذا العقل ، ولماذا هذه الإقامة وهذه الحنكة وهذه الصورة الجميلة والعزة والهيبة ، ولماذا هو محاط بهذه الحلقة حلقة النظام ، وهذا العمل والنظام يسمى بالدين ، والدين هو العمل والنظام والحياة ، وأمان الإنسان ليعيش مستقراً في حياته خالداً مشمولاً بالراحة والرحمة وتطهيراً له من الضياع ، الى السعادة والعفة والكرامة ، وكلٌ يعرف حقه وهذا يعتبر لطف رباني لعبده الإنسان .

ولم يتركه بدون موجهين ، فأرسل رسله ليعلمونه الشريعة والنصوص الربانية كي تكون حياته مضيئة أمام كل فرد من بني الإنسان ﴿ **رسلاً مبشرينَ ومنذرينَ لئلاّ يكونَ للناسِ على اللهِ حجّةٌ بعدَ الرسلِ وكانَ اللهُ عزيزاً حكيماً** ﴾[1] .

ولقد فضل المولى هؤلاء الرسل والأنبياء بعضهم على بعض ، فمنهم من كلم تكليماً كما حصل لسيدنا موسى عليه السلام ﴿ . . . **وكلّمَ اللهُ موسى تكليماً** ﴾[2] ، ومنهم من أيده بروح القدس مثل عيسى بن مريم ، ومنهم من جعله خليلاً كسيدنا إبراهيم ، ومنهم من جعله صفيه كأبونا آدم .

وأوحى لهم بالعمل بين الناس وإظهار النبوة والرسالة ، وأرادهم قدوة لغيرهم باستقامتهم في الحياة ﴿ **إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيّينَ منْ بعدِهِ وأوحينا الى إبراهيمَ وإسماعيلَ واسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ وعيسى وأيوبَ ويونسَ وهارونَ وسليمانَ وآتينا داودَ زبوراً** ﴾[3] .

وجعل الانبياء والرسل كلهم شهوداً على الامم ، وجعل الرسول (ص)

---

(١) النساء / ١٦٥ .

(٢) النساء / ١٦٤ .

(٣) النساء / ١٦٣ .

الشاهد عليهم ، وهم أفضل الناس والأمم وأسيادهم ، وكل نبي كان سيد قومه وأمته وسيد زمانه ، وهو أعلم الأمة وأشرفها ، وأقوم الأمة وأعظمها وأفقهها وأجلها وأطيبها وأزكاها ، وأتم وأحسن خَلقاً وخُلقاً ، وهو الطاهر المطهر ، وهذا يعني أن مولده طاهر من الرجس ، وليس فيه دنس ولا رذيلة ، وهو الصالح النقي ، والصادق المصدّق ، الطاهر المطهر ، معاشه كأقل قومه ، يشارك فقراءهم ويعيش عيشة ضعفائهم ، ويجلس في أوساطهم ، ويحارب أمامهم ، لا يفرض نفسه عليهم ، بل هو مصلح ومربٍّ للأمة ، فهو غرضه إقامة الواجبات الإلهية وأطاعتهم له ، ونحن علينا أن نعرف هؤلاء المصلحون ونقر لهم ، وأن لا نفرّط بأحدٍ منهم ، حيث أنهم رسل رب العالمين ، وهداة البشر ، ومن لم يقر بأحدهم كأنه لم يقر بجميع الرسل والانبياء ، فهم كلهم واحد ، حبّهم وطاعتهم واحدة ، ولأي أمة بعثوا ، فكأنهم بعثوا الى الجميع ، ولا يجوز التعرض له أو قتله أو سجنه كما حصل عند اليهود حيث قاموا بقتل الأنبياء بغير حق ، والنبي لا يقتل سواء بحق أو بغير حق ، ومن لا يقرّ بهم يجب أن يقتل ، وهذا كما حصل في عهد يوشع حيث قتل ثلاثة من بني إسرائيل كانوا يعترفون بالله ولا يقرّون برسالة موسى ، وحصل هذا في عهد علي بن أبي طالب (ع) حيث قتل ثلاثة من الناس كانوا قد أقروا بالله ولم يعترفوا برسول الله (ص) .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى طاعتهم والإقرار بهم ﴿ **آمنَ الرسولُ بما أنزلَ إليهِ منْ رَبّهِ والمؤمنونَ كلٌ آمنَ باللهِ وملائكتهِ وكتبه ورسلهِ لا نفرّق بين أحدٍ منْ رسلهِ وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانَكَ ربّنا وإليكَ المصيرْ** ﴾[1] ﴿ **يا أيها الناسُ قدْ جاءكمْ الرسولُ بالحقّ** . . . ﴾[2] وهذه شهادة وإقرار من المؤمنين بجميع كتبه وملائكته وانبيائه .

والأنبياء أفضل الناس بالفضائل الحميدة ، ومقدمة الفضائل والمعاجز ، وأفضلها على الناس العلم والحكمة وخوارق العادة من العلوم .

---

(١) البقرة / ٢٨٥ .

(٢) النساء / ١٧٠ .

ومن فضائلهم الصدق والصراحة والحلم والورع والعفّة والنخوة والغيرة والعزّة والإيمان والتقى واليقين والأخلاق والصبر والسماحة والإيثار والبصيرة والرؤية والحنكة والقوة والصفاء واللطف والكلام والرأي والشورىٰ والشجاعة والكرم .

منهم من يأتي بالكتاب والميزان ، ومنهم خمسة من أولي العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم ، ومنهم من الرسل ثلاثمائة ، والباقي من صنف الأنبياء ، ولكلٍ من الأنبياء صفاته . ونحن نكتفي بهذا القدر من الإيضاح حول هذه الصفوة الطاهرة من النبيين والرسل وأولي العزم ، كل بعث بكتاب وبشريعة ، وكل من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح وشريعته ومنهاجه ، حتى جاء إبراهيم (ع) ومنهاجه بالصحف وبعزيمة ، وترك كتاب نوح ، فكل نبي جاء بعد إبراهيم أخذ بشريعته ومنهاجه ، حتى جاء موسى بالتوراة وبشريعته ومنهاجه وبعزيمته ، وترك الصحف الإبراهيمية ، وكل نبي جاء بعد موسى أخذ بتوراته وبشريعته وبمنهاجه ، حتى جاء عيسىٰ بالإنجيل فأخذ به الأنبياء الذين جاؤوا من بعده ، حتى جاء سيد الرسل والأنبياء سيد البشر والكائنات محمد بن عبد الله (ص) ، فجاء بالقرآن وشريعته ومنهاجه ، فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام الى يوم القيامة ، فهؤلاء أولوا العزم من الرسل .

وأما رسول الله (ص) فكيف ولماذا تفضّل وتشرف وتعظم على اخوته من الأنبياء والرسل :

١ ـ جاء بهذا الدين الحنيف الذي اختاره الله على جميع الأديان السماوية ، وشدد الخالق عليه ، وبيّن عدم القبول ممن يتخذ غيره ديناً ، لأنه إنما اختاره الله لتكون به هذه الحياة سعيدة ، تنعم بالعدالة والحرية والمساواة والتكامل الإجتماعي ، لأنه دين الوحدة التي تجمع الأمة بنظام واحد ، وعبادة واحدة ، ومناسك واحدة ، وجهاد واحد ، وزكاة واحدة ، ودستور واحد ، واقتصاد واحد ، وسياسة واحدة ، ورب واحد ، ونبي واحد ، وقبلة واحدة ، وهو دين جميع الأنبياء والرسل كافة .

٢ ـ ان كل ما في السماوات والأرض مما يخص الحياة والعوالم الأخروية والدنيوية والبرزخ ، وما يحيط بالحياة من مياه وطبيعة وأرض وأفلاك ونبات وشموس وأقمار وكواكب ، كلها خلقت من أجل رسول الله (ص) ، وكلها مقدمة لشرفه وعظمته ، ولولاه لما كانت هذه الحياة ، ولم يدب عليها ، ولم يخلق الإنسان والملائكة وأي كائن حي ، ولما جاء أنبياء ورسل ، فهو صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله خُلق قبل الكائنات والموجودات بأربعة عشر ألف سنة ، وكان يعبد الله ويسبّحه ويقدسه ويمجده ويهلله ، ولم يكن من مخلوق يعرف الله وعبادته وتسبيحه وتقديسه وتمجيده سواه ، فهو الذي علّم ما في السماوات والأرض .

٣ ـ تشرف وتفضّل على جميع الأنبياء والرسل بمعجزته الخالدة التي ارسله الله بها وهي القرآن ، فجعله الله معجزة الدهر والعصور ، وتحدىٰ به الله العوالم السفلىٰ والعليا من أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله ، لأنه كتاب الله الصادق المستوعب بمعيته جميع العلوم ، علوم السماوات والأرض ، وجميع العوالم ، فهو يعالج عالم الدنيا وما يحيط بها ، وعالم الآخرة وما يحيط به ، وعالم البرزخ وما يحيط به ، القرآن المعجزة التي خضعت لها القدرة الإنسانية ، وهو في خطره ومنزلته وبعد عوزه وأحكامه وترتيبه وقوة حجته وبسط عبارته وتوثيق سرده وعلوّه ، تحدىٰ القرآن أهل البيان في عبارات قارعة محرجةٍ ولهجة قوية مرغمة أن يأتوا بمثله أو سورة منه فما فعلوا ، ولو استطاعوا لما تأخّروا أولئك الذين نزل عليهم القرآن متحدياً لهم ، وهم في عظم بلاغة وبيان واهل الشرق والغرب ، وهل العلم الحديث في هذا القرن وما تفتح عنه الإنسان فيه من بلاغة وفصاحة واختراعات حتى ظهر لهم منذ عدة سنوات عندما أجروا تحقيقاً مع أصوات التوراة والانجيل وجدوها من منطق البشر ، لأن هذين الكتابين حرّفا وترجما ، أما القرآن فكلما حاولوا أن يجدوا لهم مدخلاً ومخرجاً فيه ليطعنوا فيه ارتد الطعن عليهم ، فلم يستطيعوا ولم يقدروا ولم يحصلوا على برهان يعينهم .

وهذه هي معجزة القرآن انه من صنع الله وليس من صنع أحد ، ولم يتحقق لديهم أي ملاحظة بشرية في اعجازه ، فعلموا انه من السماء ولم يزل

كما نزل لم تعبث به أيدي العابثين ولن يتسنىٰ لها ذلك ، وليس كباقي الكتب التي نزلت من السماء فطالتها أيدي أهل الأرض لتحرّفها وتعبث بها ، وقد أعجز الأولين والآخرين ، وكلما تقدم العلم فإنه يزداد اعجاباً واعجازاً من القرآن ، لأنه تحداهم على مر الزمن ، وتحدىٰ الإنس والجن ﴿ **قلْ لئنْ اجتمعتِ الإنس والجنُّ على أنْ يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ لا يأتونَ بمثلهِ ولو كانَ بعضهمْ لبعضٍ ظهيراً** ﴾[1]

نعم هكذا جاء التحدي للإنسان والجن لأنهما عالمان متناقضان ومتباينان الإطاعة الربانية ، وكما يحملان روح شيطانية ويفسدون ويعبثون ، وهم أعداء لأنفسهم ، يردّون على خالقهم ، ويعود هذا لجهلهم وسذاجتهم وطغيانهم وكبريائهم ، لماذا سبحانه وتعالى لم يذكر الملائكة ؟ لأنهم أطاعوا الله ، ولم يردّوا عليه ، لذا نراه ذكر الإنسان والجن .

ثم قال ﴿ **أوَ لمْ يرَ الإنسانُ أنا خلقناهُ منْ نطفةٍ فإذا هوَ خصيمٌ مبينٌ** ﴾[2]أليس هذا كافياً بأن الإنسان عدو لنفسه ، فهو تارة يريد أن يرىٰ الله جهرة ، وأخرىٰ يريد ان يلمسه ، ولقد حارت الرسل مع هذا الإنسان وقباحته تجاه خالقه ، لذا تحدّاهم على قدرتهم وعلى شيطنتهم .

إذا الكتاب الذي صنع به رسول الله (ص) معجزة الحياة وعلوم البشرية وأرسىٰ الدين الذي عجز عنه أسلافه ، وحقق دين الله سبحانه المدبر لهذا الكتاب والمعجزة الأبدية التي بقت تعيش مع الحياة ما دام الإنسان فيها ، وما دامت الحياة قائمة ، فهو كتاب الدين والدنيا ، قانون الحياة ، قرآن سيد رسل الله وخاتم النبيين محمد بن عبد الله (ص) ، وهو المعجزة الكبرىٰ التي خصه الله بها ، ولم يخصّ أحدٌ غيره وحاجج به جميع الأديان .

٤ ـ تفضل سيد الأنبياء والرسل بخلقه الكبير العظيم الذي لم يشاركه أحد بهذه الأخلاق ، ولقد شهد الله على ذلك ﴿ **وإنكَ لعلىٰ خُلُقٍ عظيمٍ**[3] ﴾

---

(١) الإسراء / ٨٨ .

(٢) يس / ٧٧ .

(٣) القلم / ٤ .

وفي آية أخرى : ﴿ ... ولو كنتَ فظاً غليظَ القلبِ لانفضّوا من حولكَ ... ﴾[1] فالأخلاق التي كانت عند رسول الله (ص) لم تكن عند غيره .

أجل ، وإن كان إخوته أنبياء الله ورسله كلهم نبل الأخلاق ، لكن الحبيب المصطفى (ص) قمة الأخلاق وسيدها ، أخلاقه تختلف عن غيره ، خرج من جزيرة عربية بدوية ليس فيها علم ولا حضارة ، أهلها طغاة جبابرة ، يعبدون الأصنام والحجر ويئدون البنات ، ويحتقرون الضعيف ، خرج من جزيرة كانت الحياة فيها صعبة ، حكمها قبلي ، لا رادع يردعهم ، ولا وجدان يمنعهم ، ولا قانون ينظمهم ، دفعت بهم القبلية الى الغارة والسلب والنهب والغصب ضد بعضهم البعض ، حتى اصبحت هذه الأعمال وسيلة عيشهم ، الشجاعة عندهم للسيطرة على الآخرين وظلمهم وإرعاب قلوبهم ، ولفرض السلطة والنزعة القبلية والسيطرة والاستبداد ، وأخذ الثأر والاستيلاء على الأموال وسبي النساء والأطفال والقتل والأسر ، ثم القبيلة المنكوبة تنادي بالويل والثبور وتقوي نفسها ناقمة متربصة حتى تسنح الفرصة لترد الصاع صاعين ، وهكذا دأبهم دائماً ، فيثير ذلك فيهم التعصب القبلي والكراهية والشك ، وتموت فيهم الرحمة والشفقة ، يهيجون ويرتكبون ما يرتكبون وكثير منهم لا يعرف السبب إلا تعصبه لقومه وقبيلته ، وليس فيهم رشيد عاقل راجح ، حضراً كانوا أم بدواً ، العقليتان واحدة وكذا العادات والتقاليد والأساليب والحياة ، والعبادات كلها بدائية ، الفارق بينهم في قوة أجسامهم واختلاف قبائلهم وفصاحتهم عند البداوة ، وأهل الحضر يعيشون تحت سيطرة الكهانة والنصارى قرب الشام ، والذي في الجزيرة واليهود الذين يعيشون بين ظهرانيهم وأوساطهم ومدنهم كيثرب وخيبر ، واليهود ذا مكر وحيلة وأذكى منهم ، وهم في حالة جهل ووضع اجتماعي متردي ، عيشهم كله أعمال قبلية ، والقبلي معروف .

ثم كان يسودهم الفقر والجوع ، مفاهيمهم عن المرأة الإهانة والسبي

---

(١) آل عمران / ١٥٩ .

والوأد ، معظم القبائل تقتل بناتها كتميم وبكر ووائل وأسد ، لذا هاجمهم القرآن ﴿ **ولا تقتلوا أولادكمْ خشيةَ إملاقٍ نحنُ نرزقهمْ وإياكم . . .** ﴾[1] وكان ذلك نابع من خوفهم وجوعهم وفقرهم . وكانت البنات ليس لهن عطف ولا حنان من قبلهم إلا القتل والدفن تحت التراب وهي حيّة ، يخاطبهم كتاب الله سبحانه فيقول ﴿ **وإذا الموؤدة سئلتْ ، بأيّ ذنبٍ قتلتْ** ﴾[2] وكانوا يحرمون المرأة من الميراث ، وكانوا يبيحون الزواج من نساء آبائهم للابناء الكبار الذين ليسوا منهن ، فردّ عليهم القرآن : ﴿ **ولا تنكحوا ما نكحَ آباؤكمْ من النساءِ إلا ما قدْ سلفَ إنهُ كانَ فاحشةً ومقتاً وساءَ سبيلاً** ﴾[3] وكانوا يرسلون النساء الى البغي وإجبارهن عليه وزواجهم الرديء القبيح يخجل الإنسان من ذكره ، ويندىٰ الجبين له ، أخس من زواج اليوم بين الملل ، وكانت حياة المرأة أصعب حياة ، ليس لها قيمة ، وقد كتب عنها الكثير ولا حاجة لنا بهذا الموضوع ، ويكفي العرب الأوائل ما قاله فيهم سيد الوصيين أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو يصف سيد الرسل :

ان الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم نذيراً للعالمين ، وأميناً على التنزيل ، وأنتم معشر العرب على شرّ دين وفي شرّ دار ، منيخون بين حجارة صمّ ، تشربون الكدر ، وتأكلون الجشب وتسفكون دماءكم ، وتقطعون ارحامكم ، الاصنام فيكم منصوبة ، والآثام بكم معصوبة .

هذه كلمات أمير المؤمنين (ع) حجة دامغة على كل مكابر متعصب ، هكذا جاء الرسول لهذه الأمة الجاهلة التي تعيش في الأودية والجزيرة القاحلة ، تحت ظل عبودية الأهواء ، أهواء النصارىٰ واليهود والكهنة والأصنام والشيطان ، والناس تتخطفهم من فوقهم ومن تحتهم ، نعم لم يأتِ رسول الله (ص) كموسى (ع) ليحارب طاغية واحداً أو مجموعة طغاة من اليهود أمثال فرعون لموسى (ع) ، واليهود لعيسىٰ (ع) ، فما كان قوم فرعون ضد موسىٰ ، وما كان اليهود كلهم ضد عيسىٰ ، بل هناك قلة من الطغاة ، اما

(١) الاسراء / ٣١ .
(٢) التكوير / ٨ ـ ٩ .
(٣) النساء / ٢٢ .

رسول الله فكان أمامه فئة طغاة من قبائل العرب الجاهلية الباغية ، وقفت في طريقه ، وسلّوا السيوف أمام وجهه الشريف ، وهو منهم ومن قومهم وأبنائهم على حساب المصالح لبعض الطغاة والأصنام الحجرية ، وهو الصادق الأمين السيد بينهم ، كذّبوه وقالوا ساحر ، أفّاك ، مجنون ، شاعر ، فواجههم وجعلهم مسلمين ، سادة للدنيا ، قابلهم بالرحمة والشفقة والحنان والعطف ، حتى أرسىٰ هذا الدين الذي عجز عنه الآخرين وجعله دين الحياة الى قيام الساعة والى يوم يبعثون نتيجة قوته ورصانته وصدقه وعظمته وأخلاقه وإيثاره ، فقد كان يجوع ليشبع الآخرون ، وصبر ليخفف من جزع الآخرين ، ولاقى ما لاقى من قريش من هول ومطلع وحرب حتى انهم لم يسمحوا له بتوسيع دولته الإسلامية في عهده ، شغلوه بحربهم وحرب اليهود والافكار والأديان الأخرىٰ .

٥ ـ تفضّل رسول الله (ص) بالمعراج الى السماوات العلى ، قال (ص) : يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ، ولا الجنة ولا النار ، ولا السماء ولا الأرض ، وكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم الى التوحيد ومعرفة ربنا عز وجل وتسبيحه وتهليله وتقديسه ، لأن أول ما خلق الله تعالى أرواحنا ، فأنطقنا بتوحيده وتمجيده ، ثم خلق الملائكة ، فلما شاهدوا أعمالنا قاموا في الأعمال معنا من حيث التقديس والتهليل والتسبيح والتكبير ، وهذا كله لعظم شأننا ، ولما نظرت الملائكة الى ذلك أظهرنا لهم بأننا عبيد لهذا المولى ، فسبحنا وسجدنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلا الله ، وأنّا عبيد ولسنا بآلهة نحب أن نعبد معه أو دونه ، فلما شاهدوا ذلك صنعوا كما نحن صنعنا ، وحينما نظروا كبر محلنا وشأننا وما جعله الله عز وجل لنا من العزّة والقوة قلنا لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، لتعلم ذلك الملائكة أننا عبيد ، فقالت مثل ما قلنا ، ولما شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا الحمد لله ، لتعلم الملائكة ما يحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه ، فقالت الملائكة الحمد لله ، فبنا اهتدوا الى معرفة الله وتوحيده وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده .

ثم إن الله تعالى خلق آدم وأودعنا صلبه ، وأمر الملائكة بالسجود له ،

والسجود هذا تعظيماً لنا وإكراماً ، وكان سجودهم لله سبحانه وتعالى عبودية ، ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه ، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون .

وانه صلى الله عليه وآله وسلم قال : لما عرج بي الى السماء ، أذّن جبرائيل مثنى مثنى ، وأقام مثنى مثنى ، ثم قال لي : يا محمد تقدم . فقلت : يا جبرائيل أتقدم عليك ؟ فقال : نعم ، لأن الله تبارك وتعالى فضل انبياءه على ملائكته أجمعين، وفضلك خاصة . فتقدمت وصليت بهم ولا فخر ، فلما انتهينا الى حجب النور قال لي جبرائيل : تقدم يا محمد . وتخلّف عنّي . فقلت : يا جبرائيل في مثل هذا الموضع تفارقني ؟ فقال : يا محمد إن هذا انتهاء حدّي الذي امرني الله عز وجل فيه ان انتهي الى هذا المكان ، فإن تجاوزته احترقت اجنحتي لتعدي حدود ربي جل جلاله . فزجّ بي في النور زجّة حتى انتهيت الى حيث ما شاء الله عز وجل من ملكوته .

فنوديت : يا محمد .

فقلت : لبيك ربي وسعديك تباركت وتعاليت .

فنوديت : يا محمد أنت عبدي ، وأنا ربك ، فإياي فاعبد ، وعليّ فتوكّل ، فإنك نوري في عبادي ، ورسولي الى خلقي ، وحجتي في بريتي ، لمن اتبعك خلقت جنتي ، ولمن خالفك خلقت ناري ، ولأوصيائك أوجبت كرامتي ، ولشيعتهم أوجبت ثوابي .

فقلت : يا ربي ومن أوصيائي ؟

فنوديت : يا محمد أوصياؤك المكتوبون على ساق عرشي .

فنظرت وأنا بين يدي ربي الى ساق العرش ، فرأيت اثني عشر نوراً ، في كل نور سطر أخضر مكتوب عليه إسم وصي من أوصيائي ، أولهم علي بن أبي طالب ، وآخرهم مهدي أمتي ؟ فقلت : يا ربي أهؤلاء أوصيائي من بعدي ؟

فنوديت : يا محمد هؤلاء أوليائي وأحبائي وأصفيائي وحججي بعدك

على بريتي وهم أوصياؤك وخلفاؤك ، وخير خلقي بعدك ـ ثم أقسم الخالق سبحانه وتعالى وقال ـ : وعزّتي وجلالي لأظهرن بهم ديني ، ولأعلين بهم كلمتي ، ولأطهرن الأرض بآخرهم من أعدائي ، ولأملكنّه مشارق الأرض ومغاربها ، ولاسخرّن له الرياح ، ولأذللنّ له الرقاب الصعاب ، ولأرقينه الاسباب ، ولأنصرنّه بجندي ، ولازيدنه بملائكتي حتى يعلن دعوتي ويجمع الخلق على توحيدي ، ثم لاديمنّ ملكه ، ولأداولن الأيام بين أوليائي الى يوم القيامة .

قال سبحانه ﴿**إذا جاءَ نصرُ اللهِ والفتحِ ، ورأيتَ الناسَ يدخلونَ في دينِ اللهِ أفواجاً ، فسبّح بحمدِ ربكَ واستغفرهُ إنهُ كانَ تواباً**﴾[1] ﴿ . . . **ليظهرهُ على الدينِ كلهِ ولو كرهَ المشركونَ** ﴾[2] الدين كله كل هذه الأديان والملل والنحل والالحاد تنطوي تحت هذا الدين الإسلامي تحت راية محمد بن عبد الله (ص) أبت أم رضيت ، تحت راية حجة الله الإمام المهدي المنتظر ابن الإمام الحسن العسكري ، وينظر إليه رسول الإنسانية المختار أبو الزهراء بقوة الله وإذنه . فهل رأيت ونظرت الى هذه الفقرات حينما نودي وهو لا يعلم من المنادي ، مناد لم يسمعه من قبل ، وإذا بسيد الكائنات ينطق بكلمة الأدب والأخلاق لبيك وسعديك تباركت وتعاليت ، هذه عظمة محمد بن عبد الله (ص) علم بأن الخطاب من ربه ، فانطلق بالجواب ، فانظر ماذا أراد المولى من رسوله الكريم (ص) ، فهو أول ما طلب من رسوله الصلاة .

أرأيت يا أخي المؤمن كم يحب الله الصلاة لعبده ، لماذا لأنها تظهر السكون ، وتغذي الروح ، وتنشط الجسد ، وتزيد في الهمّة ، وتطهرّك بالنظافة والعبودية اللذيذة الطيبة ، وتفرق بين العبد ومولاه ، وتكون صلة قائمة دائمةً ثابتة ، تربط العبد وربّه ، والرب وعبده ، فهي بعيدة عن جميع العبادات الأخرى ، بل خاصة بها ، وليس في الصوم أو الزكاة أو الحج أو الجهاد أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تلك ، ليس فيها خشوع وركوع

---

(١) النصر / ١ ـ ٣ .

(٢) التوبة / ٣٣ .

وسجود وطعم ولذة كلذّة الصلاة ، لأنها فيها التوحيد والتسبيح والتهليل والتمجيد والتعظيم والتبتل والكلام مع الله لا مع غيره ، وهذه هي منتهىٰ العبودية .

أن الله جلّ جلاله يحب ان ينظر الى عبده وقد تجرّد من العبوديات واثقال الدنيا وأوزارها ، طلب من أقرب الناس إليه ، وأشرف خلق الله ومخلوقاته ، وأحبهم عنده ، رسوله أن يقوم بالصلاة ، بعظمة القدرة ، وبين يدي القدرة ، ليمتزج نور الرسالة بنور الربوبية ليتولد منهما نور العبودية ، عبودية أبو الزهراء ، العبد الأول والأخير ﴿ سبحانَ الذي أسرىٰ بعبده . . . . . ﴾[1] فهو أول عباد الله وآخرهم ، فصار الله له المعلم والمؤذن والملبي والمكبّر والموعظ والمرشد ، ما هذه العظمة يا أبا القاسم ، هنيئاً لك ، وتعساً لأمة جهلتك وما عرفتك ، أمة صار همّها الكسل والتوكّل والعبودية للأجانب الذين كانوا هم عبيد لغيرهم ، أمة استولت عليها حفنة من اللصوص ، حرّفت دينك الذي اختاره لك ربك ، وأنت قمت بعبئه حتى شيّدته ، ولكن ما أسرع ما هدمته بعد بنائه أمة أصبحت تباع وتشرىٰ بسوق النخاسين ، سلعة رابحة ولقمة سائغة بيد الأجنبي ، لحكام هزل عبيداً للشهوات واللّذات ، اتخذوا هذا الدين دخلاً .

أجل أمره ربه قال يا محمد ، يا محمد ، يا محمد اغتسل بصاد[2] فاغسل مساجدك وطهرّها ، وصلِّ لربك ، فدنا الحبيب من صاد ـ وهو ماء يسيل من ساق العرش الأيمن ـ .

ثم أوحىٰ الله إليه أن أغسل وجهك فإنك تنظر الى عظمتي ، ثم اغسل ذراعيك اليمنى واليسرىٰ فإنك تلقى بيديك كلامي ، ثم امسح رأسك بفضل ما بقي في يدك من الماء ، ورجليك الى الكعبين ، فإني أبارك عليك وأوطئنك موطئاً لم يطأه أحد غيرك .

ثم أوحىٰ الله إليه يا محمد استقبل الحجر الأسود ، فكبرني على عدد

(١) الإسراء / ١ .

(١) صاد : نهر في الجنة .

حجبي ـ فمن أجل ذلك صار التكبير سبعاً لأن الحجب سبع ـ .

ثم أوحى الله إليه سمِّ باسمي .

ثم أوحىٰ الله إليه أن احمدني ، فلما قال الحمد لله رب العالمين قال في نفسه شكراً ، فأوحى الله إليه قطعت ذكري فسمّ باسمي .

ثم أوحى الله إليه يا محمد إقرأ نسبة ربك ، ﴿ **قل هو الله أحد الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد** ﴾ .

ثم أوحىٰ الله إليه أن إركع يا محمد ، فركع .

فأوحىٰ الله إليه وهو راكع قل سبحان ربي العظيم وبحمده ، ففعل فانتصب .

فأوحى الله إليه أن اسجد لربك يا محمد ، فخرّ ساجداً .

فأوحى الله إليه قل سبحان ربي الأعلىٰ ، ففعل ذلك ثلاثاً .

ثم أوحىٰ الله إليه استوِ جالساً يا محمد ، فلما رفع رأسه نظر عظمة تجلّت له ، فخرّ ساجداً من تلقاءِ نفسه .

فأوحى الله إليه إنتصب قائماً .

ثم أوحى الله إليه إقرأ يا محمد ما قرأت أولاً .

ثم أوحىٰ الله إليه إقرأ ﴿ **إنا أنزلناه** ﴾ فإنها نسبتك نسبة أهل بيتك الى يوم القيامة ، فعل في الركوع والسجود كما فعل في المرة الأولى .

ثم أوحي إليه يا محمد ارفع رأسك ثبتك ربك ، فلما ذهب ليقوم قيل يا محمد اجلس ، فجلس .

فأوحىٰ الله إليه يا محمد أدّ ما أنعمت ، وسمِّ باسمي ، فألهم أن قال : بسم الله وبالله ولا إله إلا الله والأسماء الحسنى كلها لله .

ثم أوحى الله إليه يا محمد صلِّ على نفسك وأهل بيتك .

ثم التفت فإذا بصفوف من الملائكة والمرسلين والنبيين ، فقيل يا محمد سلّم عليهم ، فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فأوحى الله إليه أنا السلام والتحية والرحمة ، والبركات أنت وذريتك .

ثم أوحىٰ الله إليه أن لا يلتفت يساراً .

أرأيت هذه الشخصية الملهمة والمعظمة والجليلة كيف أصبح صاحبها وهو سيد الرسل محبوب عند الله سبحانه وتعالى ، ويكفي سيد الكون وخير البرية أن المضيف له معلمه ومؤدبه ربه العظيم ، وكيف أنه يعجب به ويعظمه بقوله ﴿ **سبحانَ الذي أسرىٰ بعبدهِ ليلاً منَ المسجدِ الحرامِ الى المسجدِ الأقصىٰ الذي باركنا حولَه لنريهُ من آياتنا إنه هوَ السميعُ البصيرُ** ﴾[1] ما هذا العجب لعبده العظيم ولضيفه الكبير ، وما هذا الكرم ، وأي ضيف استضاف ، وأي عظمة هذه ، وأي نعمة تلك ، شرف ليس فوقه ولا بعده وفخر عظيم ، هذا الضيف الذي سار في ثلث الليل من الأرض رحلة أرضية يقطعها الراجل بشهر من مكة الى فلسطين الى المسجد الأقصىٰ ، قطعها بلحظات ، تلك الرحلة الأرضية من أودية مكة المكرمة الى القدس ثم الى السماء ، فما هو الغرض من المعراج هذا ؟

أولاً : ان رحلته الأرضية ليعلم قريش ويفهمهم أن هذا الرجل المسلم العربي الذي يعيش في ظهرانيكم والذي هو منكم فهو قادر بقدرة ربّه ، وأنه نبي مرسل ورسول الله سبحانه وتعالى مؤيداً له ، ولا قدرة لكم عليه ، فكل ما فعلتم أو تفعلوه فهو هباءاً منثوراً لا جدوى منه ، وهذا الأمر لا بد منه إن كنتم تعقلون ، ليعجبوا كيف وصل ، وكيف عرج ، وبأي واسطة ؟

ثانياً : وصوله الى الحرم والقبلة الثانية القدس لجمع الأديان ، وليعلم النصارىٰ واليهود أنه يجب على جميع الأديان أن تنطوي تحت إطار الدين الإسلامي الذي أراده الله سبحانه ، والذي أسسه محمد بن عبد الله (ص) ، فلا دين غيره ، وحجة هذا الدين اجتماع الأنبياء العظام في بيت المقدس مع

---

(١) الاسراء ١ .

صفوف الملائكة ، والبيعة للرسول من قبل رب العالمين ، والصلاة لكافة الأنبياء خاصة انبياء بني إسرائيل ورسلهم أمثال موسى وعيسىٰ (ع) ، والشاهد على ذلك أبوهم الكبير سيدنا إبراهيم خليل الرحمن (ع) ، والشاهد الأول هو رب العالمين سبحانه وتعالى بأن هذا الرسول اجتمع بإخوته الأنبياء والرسل وصلى فيهم ، وهي البيعة للرسول ولدينه ، والانبياء شهود على أديانهم وأممهم ومنها اليهود والنصارىٰ ، وهذين الشاهدين العدلين موسى وعيسىٰ لا ترد شهادتهما ، ويدعمها شهادة ابراهيم (ع) فإذاً لا مناص للتابعين حين إقرار الانبياء ، وإن كانوا من قبل قد أقروا العهد والميثاق ، وقد بشروا به كما جاء في القرآن العظيم ، بشّر موسى وعيسىٰ بأن الرسول من بعد عيسىٰ أحمد وهو محمد ، ولكن بني إسرائيل انكروا هذا نتيجة العناد والتعصب ، وهم يعلمون أنهم على خطأ ، وإنهم لا يقبل منهم عمل إلا بالإقرار برسالة محمد وبنبوته . وقضية المعراج شائعة بين المشركين العرب والفرس واليهود والنصارىٰ والمسلمين آنذاك ، نعم وصلى بالانبياء رسول الله (ص) يرافقه في صلاته ورحلته رسول رب العالمين جبرائيل عدو اليهود يصحبه ، وصلاته بالانبياء تشير الى أن الدين واحد ، فليس هناك دين أتى به رسل الله وانبياؤه غير الإسلام ، ولا رسول بعد هذا الرسول ، والدين والمساجد كلها واحدة .

وخاصة لدين الله الإسلام ، لأنه لا تكون الصلاة إلا بطهور ، والطهور هو الماء ، والنصارىٰ واليهود لم يتطهروا ، ولا يسجدون على ما أراد الله وأمره ، وعلى ما كان يصنع الانبياء في صلاتهم لرب العالمين ، فكان هذا غرض الرحلة الأرضية لقريش واديان اخرى مصطنعة غير سماوية لم تأت بها الانبياء ، وإلا كان الأمر سهل ، ويكتفي الخالق سبحانه بعروج حبيبه ورسوله الصادق المحبوب من مكة مباشرة الى السماء ، فلا داعي بإسرائه الى القدس ، لكن المولى سبحانه أراد بذلك إدخال الأمر بعقول طغاة قريش والبداوة الساذجة ، وتحدي عناد اليهود والنصارىٰ بأن هذا هو الرسول ، وصاحب الدين ، وكل دين غير دينه فهو باطل غير مقبول ، فلا رسول سواه ، ولا دين إلا دينه ، فأعطى شحنة من العقل لقريش مبيناً لهم عجزهم أمامه وانه هذا

الذي بيده جعلكم أسياداً على العالمين إن لم تكونوا عبيداً . هذه هي الرحلة الأرضية والغرض منها .

أما الرحلة السماوية (المعراج) والغرض منها ، فهناك عوامل كثيرة وأهمها :

أولاً : أنه أول راحل وغازٍ إلى الفضاء في هذا البشر .

وثانياً : تحدٍ صارخ لكافة البشر وخاصة أهل العلم في هذا العصر ومن سبقهم من إغريق ويونان الذين اعتبروا أن السماء كقشرة البصل إذا وصل إليها شيء خرقها أن هذا علم ضحل ، فبعروج رسول الله (ص) الى السماء أراد الله سبحانه أن يبين لكل هؤلاء أن الأمر ليس كما تظنّون ، فلكل سماء لون خاص ، واسم خاص وجنس خاص وبُعد خاص ، والخرق هذا مختص بقوة القدرة التي أوصلت الرسول الحبيب الى حبيبه .

ثالثاً : تحدٍ صارخ لأصحاب العلم الوضعي الذين يتخبطون بعلومهم لغزو الفضاء وهم يراوحون بين القمر والمريخ في هذه الكواكب المجرّية التي تسمى بالمجموعة الشمسية وهم منذ أعوام طويلة لم يستطيعوا مغادرتها ، وحتى وصولهم الى القمر وغيره من الكواكب السيّارة لا يتم إلا بعد سنين من التعب والجهد ، وأشهر من معاناة غازي الفضاء الملاّحين من تأمين الراحة والطعام والتنفس وأجهزة الوقاية وتمريض وماء ووسائل راحة للنوم وغير ذلك ، ناهيك عن المبالغ الضخمة التي تصرف وتبذّر على صنع هذه المراكب ، أو على الصواريخ الدافعة والحاملة لها ، ثم لم تعد كل هذه الأعمال علينا بفائدة جليلة ، بل ظلت نتائج تافهة ، فلو صرفت هذه الطاقات والجهود لخدمة الإنسان في الطب وكشف عقاقير لقتل جراثيم الأمراض الفتاكة ليبقى الإنسان معمراً اكثر في الحياة لتنمو به وتسعد وتزدهر ، وهو الخليفة من قبل خالقه أرسله ليعمرها ويبنيها ويعيش فيها سعيداً مطمئناً ، لا يهدم ويخرّب ويكون مجرماً يقتل أبناء جنسه من أجل مصالحه وإظهار اسمه لمدة يعيشها في الخوف والهلع والحروب والدمار .

لماذا لا تكون الرحلات الفضائية رحلات إنسانية تصرف لخدمة الحياة

واسعادها ، ومن سعادتها أن تعيش قريرة العين وخاصة من الأمراض الفتاكة القاتلة ، ومن تهديد الاسلحة المدمرة ، فهم يغزون الفضاء في اشهر وسنين ويصرفون طاقة وتكاليف مادية ومعنوية كبيرة لتذهب هباءاً .

أما الرحلة المحمدية ، الرحلة الأرضية السماوية كانت تحدٍ لأهل العلم الحديث وحجة عليهم بأنه أول إنسان غزى الفضاء والسماوات العلى والحجب بثلاثة ساعات أو أربع ، أي ثلث الليل ، وقد عرج بكامل قوة جسمه وروحه ، في الوقت المشار إليه .

ومن أغراض رحلته أنه آخر الانبياء والرسل ، وهو الحبيب المكرّم عرج فيه الى السماوات ليطلعه على المعالم والقوة الجبارة الهائلة ، والمعالم الضخمة ، بيّن لرسوله أن هذه القوة كلها معك وتحت سيطرتك وإرادتك ، فهي القوة الداعمة لك ولرسالتك ، ومن هذه القوة قوة الملائكة وقوة السماء وما فيها من عذاب للمجرمين ورحمة للمطيعين ، وقوة الأرض والسماء كلها مستمرة تحت إرادتك ، وأنت المهيمن على ما أرسلناك من أجله ، وهذا يعني دعم له ، فلو أراد إبادة البشر فلا شك أن هذه القوة تبيدهم وتقضي على أي قوة تقف ضد رسول الله (ص) ، لكن رسول الله (ص) صاحب رحمة وشفقة على الناس ، لا يستعمل هذه القوة لإبادة كل من يقف ضد رسالته الشريفة .

ومن المعالم السماوية سدرة المنتهى وإطلاعه على الجنة والنار ، وما ادّخر للطيبين من خير وسعادة في جناته ، واطلاعه على إخوته الأنبياء ، والصلاة فيهم ، وأخذ العهد عليهم ، والسلام عليهم ، وعرّفهم الخالق بالحبيب سيدهم وخاتمهم ، وأي عظمة تلك التي خاطبه الخالق سبحانه ﴿ **علّمهُ شديد القوىٰ ، ذو مرّةٍ فاستوىٰ ، وهوَ بالأفقِ الأعلىٰ ، ثمَّ دنا فتدلّى ، فكانَ قابَ قوسينِ أو أدنىٰ ، فأوحىٰ الى عبدهِ ما أوحىٰ ، ما كذبَ الفؤادُ ما رأىٰ ، أفتمارونهُ على ما يرىٰ ، ولقدْ رآهُ نزلةً أخرىٰ ، عندَ سدرةِ المنتهىٰ ، عندها جنّةُ المأوىٰ ، إذْ يغشىٰ السدرةَ ما يغشىٰ ، ما زاغَ البصرُ وما طغىٰ ، لقدْ رأىٰ منْ آياتِ ربِّهِ الكبرى** ﴾[1] سبحان الباري القوي الجبار العظيم

---

(١) النجم ٥ ـ ١٨ .

المتكبر القائم الحي ، كيف عرج برسوله وحبيبه بين عشية وضحاها بأربعة ساعات ، بلا مركبة ولا صاروخ ، ولا أجهزة ولا اوكسجين ولا طعام ولا آلات ، بل كانت كلها موفرة للقاء الحبيب مع محبوبه ، وضيفه العزيز عليه ، وهو البراق وهو الحيوان الصغير أكبر من الحمار وأصغر من الفرس ، وجبرائيل معه وفي جانبه ، قدرة قوية ، مشيئة عظيمة ، أزلية غير متناهية ، إذا أراد شيئاً قال له كن ، فيكون ، أمره بين الكاف والنون ، قدرة الجبار التي أرعبت العقول ، حتى عقد الحبيب المصطفى (ص) مؤتمراً صحفياً ، وأي مؤتمر ، وأي أسئلة وجّهت ، وما هي البراهين عند المختار ، ليصدق أبو سفيان وقريش وغيرهم من الذين لا يؤمنون بالرسول وبالقدرة الداعمة له ، وهي في دعمه دوماً وأبداً ، هكذا كانت رحلة سيد الكائنات ، ومن هنا اتضح لنا أنه أفضل وأشرف جميع الأنبياء ، لأنه الحبيب المقرّب ومع القوة الهائلة التي هي تحت إشارته وخدمته ، كان الحبيب المصطفى يقود الجند الى المعركة بنفسه ويدخل في وسط الميدان ، ويقاتل بقوته البشرية وصبره وبسالته دفاعاً عن دينه الذي ارتضاه ربه له ، دين الله الذي عجز جميع الأنبياء أن يحققوه إلا المصطفى (ص) بالجوع والعطش والحروب والأخلاق والشفقة والرحمة والعطف والحنان قوّم دينه وشيّده وجعل اليوم على سطح المعمورة يكبّر الله اكثر من مليار ومائتي مليون نسمة تقول الله اكبر الله اكبر ، اشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله (ص) ، تحجّ وتكبّر وتهلل وتمجّد وتحمد الله وتعبده سبحانه سلام الله عليك يا سيدي يا أبا الزهراء ، المحمود الأحمد ، المصطفى المختار ، الهاشمي القرشي ، التقي طه ياسين ، صاحب المعراج والقرآن ، وسبع المثاني ، هكذا وصل الى هذه الدرجة حتى كان أفضل البشر كلهم ، فاق إخوته بدينه السمح ، الدين الصادق والعادل .

ومنها كما قلنا هو سبب خلق هذا الكون والأكوان ، ومنها أنه فضّل بالقرآن المعجزة الخالدة وفي الأخلاق وبالعروج ، ومنها المعجزة الخالدة كتاب الله التدويني الذي لم يترك شيء في الحياة إلا وذكرها وأتى بها ، وهو المتحدي الذي تحدى الله أعداء الإسلام بكتابه بأن يأتوا بمثل القرآن فلما عجزوا تحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله ، فلما عجزوا تحداهم أن يأتوا بسورة أو

ببعض سورة ، ولو بقدر سورة الكوثر التي هي سطر واحد ، لبطلان هذا الدين ودستوره كتاب الله من أساسه ، ولكنهم قبلوا هذا التحدي مسبقاً ، وسكتوا على مضض لعدم قدرتهم عليه ، فعاشوا الويلات والحسرات ، وهذا العجز ناتج عن خصائص في القرآن هي التي حالت بينهم وبين الإتيان بمثله .

ولأمير المؤمنين علي (ع) مثل هذه الخصائص وهي : إخباره عن الغيب الصادق سواء بالنسبة الى الماضي كقوله تعالى: ﴿ **تلكَ منْ أنباءِ الغيبِ نوحيها إليكَ ما كنتَ تعلمها أنتَ ولا قومكَ منْ قبلِ هذا . . .** ﴾[1] أو بالنسبة لتنبؤاته المستقبلية كقوله تعالى : ﴿ **آلم ، غُلبتِ الرومُ ، في أدنى الأرضِ وهمْ منْ بعدِ غلبِهمْ سيغلبونَ ، في بضعِ سنينَ . . . .** ﴾[2] أو إخباره بنتائج حرب بدر العظمى وغير ذلك ، أو لما يتضمن هذا القرآن من المعارف العلمية التي تنسجم مع العقل والبرهان وإخباراته عن السنن والكون وأسرار الخليقة وأحوال النظام الكوني التي لا يمكن الوصول إليها إلا بالعلم والمعرفة الشاملة الواسعة ، الأمر الذي لم يكن متوفراً في البيئة التي عاش فيها النبي (ص) ، فهذه الشخصية العصامية النبيلة التي فضلت على كافة الشخصيات الأخرى من قبل الحبيب (ص) له هذه الشخصية ، ويجب كل إنسان مؤمن أن يتشرف بتقبيل التراب من تحت قدميه ، لأنها الشخصية الوحيدة التي قدمها الله وفضلها ، وليس هناك شخصية كشخصية محمد بن عبد الله (ص) أوخذ من فضلات شرب مائه ، ومن سؤره العذب ليشرب الإنسان تلك الفضلات لتكون شفاءاً له وأماناً من النار ، أو يودّ أن يقود زمام ناقته ، وينظر لنور وجهه الوضّاء النوراني ، أو يكون خادماً ليقدم له نعله الشريف ، ويلبسه نعله بيده ، وإن كان هو (ص) لا يرضىٰ ذلك لأنه صاحب الأخلاق النبيلة والرفيعة ، وأي نعلين تلكما التي داست بساط القدرة .

بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، روحي وأرواح العالمين لك الفدىٰ يا شفيع الأمة والمذنبين ، مولاي أي إنسان لا يحب ذلك ، بل أنّى لنا هذا ،

---

(١) هود ٤٩ .

(٢) الروم ١ ـ ٤ .

وكيف ؟ نسألك يا رسول الإنسانية اللطف والحنان والشفقة والشفاعة سيدي يا أبا القاسم ، أي إنسان لا يحب ذلك ، فكيف إذا صار ذلك الإنسان أخ لك وأنت هذا الحبيب ، وأنت هذه الشخصية الوحيدة الذي لا يعرفه الا من ربّ هذه الشخصية وهو الله يعرفك كما قلت أنت لا يعرفك إلا الله ، إذاً من هو صاحب الحظ ، من هو المحبوب عند الله بعدك ، ليكون لك أخاً ، من هي الشخصية العصامية بعدك لتحضى بالشرف الكبير ، ويكون أقرب إليك من الآخرين .

قالوا الأخ هو علي بن أبي طالب (ع) ، وهل هذا صحيح أن الذي تجلبب بثوب الأخوّة وأصبح أخاً لك سيدي لا شك هو أخوك في الدنيا والآخرة ، وهو نفسك ، وفي منزلتك ، وله ما لك ولك ماله ، ولماذا لم تتخذ غير علي أخ لك ، وهل كان هذا الأمر من الله أوحي لك ؟ نعم ، لأنه شريكك في الطاعة والولاية والمباهلة والسلام والصدق والإيثار والذود عن الإسلام والصلاة عليك وعليه والطهارة والتطهير والخمس والجنة والعمل الصالح ، فهو صاحب البيعتين ، صاحب سورة براءة القائم بتبليغها على رؤوس المشركين ، صاحب العهد لك ، المصدق بك ، واساك بنفسه ، وقاك بروحه عند الهجرة من مكة الى المدينة المنورة ، أبٌ لأحفادك ، جعل الله سبحانه ذريتك منه وفي صلبه ، ولقد كان كل نبي ذريته منه إلا أنت يا رسول الله المصطفى (ص) فقد كانت ذريتك من أخيك علي (ع) ، صاحب لوائك ، صاحب حوضك ، ساقي أمتك يوم العطش الاكبر ، الذي أوفى دينك ، سار بالفواطم خلفك ، القائم على بيضة الدين والدفاع عنه بعدك ، مصدقك يوم عروجك الى الملكوت الأعلى عندما كذّبك الآخرون ، صاحب بدر وحنين وأحد والخندق ووادي السلاسل وكل الغزوات ، بايعك يوم نزرت العشيرة ، وزيرك وخليفتك ، الشاهد لك مع الله سبحانه حين أنكر رسالتك الكافرون ﴿ **ويقولُ الذينَ كفروا لستَ مرسلاً قلْ كفى باللهِ شهيداً بيني وبينكمْ ومنْ عندهُ علمُ الكتابِ** ﴾[1] وهذه أعظم شهادة أن يكون

---

(١) الرعد ٤٣ .

أمير المؤمنين سلام الله عليه الشاهد الثاني بعد الله سبحانه الشاهد الأول لتثبيت رسالة سيد الرسل (ص) دعماً لآية المباهلة ، وهو ظهيرك مع الملائكة وجبرائيل ﴿ . . . **و إنْ تظاهرا عليهِ فإنَّ اللهَ هوَ مولاهُ وجبريلُ وصالحُ المؤمنينَ والملائكةُ بعدَ ذلكَ ظهيراً** ﴾[1]، هو كاتب عهدك وميثاقك ، المشكور بكتاب الله حيث لم يشكر غيره لا نبي ولا رسول إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ﴿ **إنَّ هذا كانَ لكمْ جزاءاً وكانَ سعيكمْ مشكوراً** ﴾[2].

صاحب بيعة الغدير ، الثقل الاكبر المعادل لكتاب الله ، هكذا اشتقت أن يكون الأخ لك نفسك .

حين أمرك الله سبحانه بعظمة قدرته وأوصاك بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار المسلمين لترفع هذه الاخوة احقاد واغلال الماضي والترسبات القبلية والتعصب والغزوات والغارات من القلوب السوداء التي كانت تتأجج بنار الحقد الدفين في عليائها وتفاخر بعضها على البعض الآخر ، فجاء الإسلام ليطهرها من دنسها ورجسها ويجعلها بنور شعاعه بيضاء نقية صافية متحابة متآخية ، محبّة للإسلام ، وللعقيدة ، تشرب من معينه وعدله ومساواته وحريته وصدقه وطهارته ، وسلامته ، تتحابُّ في الله وتبغض في الله ، لتبني بتلك القلوب قلعة الاسلام الحصينة الشامخة ، ولتسوّر قلعته بكلمة لا إله إلا الله محمد رَسول الله (ص) إن الدين عند الله الإسلام ، لا عصبية ولا قبلية ولا نعرات عشائرية ، هكذا أمرتك القدرة الإلهية بأمرها بالتآخي بين المسلمين للدين الفتي الجديد ، وكتمهيد لعملية الهجرة ، لأن المسلمين كانوا سيواجهون الكثير من المصاعب ، فهي إذاً كانت تحتاج الى التعاون ، والتعاضد بأعلى مراتبه ، كانت عملية المؤاخاة التي أريد بها السمو بعلاقات هذا الإنسان عن المستوى المصلحي وجعلها علاقة تصل الى درجة الاخوة ليكون أثرها في التعامل بين المسلم وأخيه المسلم والمسلمين عامة أكثر انسجاماً ورحمة وحناناً وكرامة ، بعيدة عن النوازع النفسية ، والأغلال التي كانت بين الأوس

---

(١) التحريم ٤ .

(٢) الدهر ٢٢ .

والخزرج من جهة ، وبين المكي والمدني من جهة أخرىٰ ، لا سيما مع وجود الأعداء الذين يتربصون بهم الدوائر أمثال اليهود ، لتكون هذه الاخوة محققة لأمور من شأنها إرساء عرىٰ العلاقات المتينة بينهما نفسياً ، وهذه سياسة نبوية بأمر رباني ، وعلى كل حال آخى الرسول (ص) الصادق الصريح الاخوة التي كانت اكبر حلف وأعظم قوة وأشد مناعة ، قوة دفاعية استراتيجية ، فجمع المهاجرين والأنصار على الحق والمواساة ، فآخى بين أبي بكر وعمر ، وحمزة وزيد بن حارثة ، وعثمان بن عفّان وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير وابن مسعود ، وعبادة بن الحارث وبلال الحبشي ، ومصعب بن عمير ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبي عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة ، وسعيد بن زيد وطلحة ، وسلمان وأبي ذر الغفاري . وهكذا تمت العملية بالتآخي ، وإذا بالتأييد الرباني يؤاخي بين رسول الله (ص) وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، فقال له (ص) : أما ترضىٰ أن أكون أخاك ؟ قال : بلىٰ يا رسول الله رضيت . فقال (ص) : فأنت أخي في الدنيا والآخرة . وهذه المؤاخاة الثانية بعد الأخوة الأولى التي كان الرسول قد جمع عشيرته وأنذرهم هذه الأخوة تأكيداً للثانية ، والثانية تأكيد للأولى .

وفي الحقيقة رسول الله (ص) آخىٰ علياً في مواطن ثلاث :

الأولى : كما أسلفنا حينما دعا عشيرته وأنذرهم طالباً منهم أن يؤازرونه في أمره ، ولم ينهض سوىٰ أمير المؤمنين (ع) ، فكان أخوه ووزيره ووصيّه وموفي دينه بنص الحديث النبوي .

الثانية : اخوة المواساة في المبيت على الفراش ، وهذه أعظم الأخوة وقد ذكر هذا في السيرة الحلبية ٢ ـ ٢٠ ، وابن دحلان ١ ـ ١٥٥ عن الاستيعاب ، وتاريخ الخميس ١ ـ ٣٥٣ ، الحاكم والمستدرك ، وهي أعظم من تلك لأنه نام في مكانه ووقاه بنفسه ، والأمر هذا كان صعباً وخطراً على أمير المؤمنين ، ولا اعتقد أن هناك إنسان يستطيع المبيت على فراش رسول الله (ص) يومذاك ، مهما كانت شجاعته ، ليقاوم قريش ، وقريش تريد قتله ، ويضحي بنفسه ، ليس هناك رجل شجاع أبداً ، بل كل الذين كانوا مع رسول الله

(ص) كان يأخذهم الخوف والجبن والإضطراب ، ولعله يكشف أمر رسول الله (ص) برفضه أو هروبه ، وهذا مما يعرف الخالق ، وهو الذي أوحىٰ لعبده بنزول جبرائيل ، فليس هناك من يقدر على ذلك سوىٰ أمير المؤمنين (ع) ، وهذا ليس لأنه رحمه ، كلا بل قوة الإيمان والعقيدة وحبه لله والإسلام ، مما جعله يتفانى بحب رسول الله (ص) ، ثم شجاعته وقدرته على مواجهة قريش ، فهو غير مكترث بهم وبجمعهم ومما أرسلوه من قوة هائلة من طغاة وجبابرة وشجعان العرب ، فلا يقدر على مواجهة قوة قريش غير أمير المؤمنين (ع) ، فلا أبا بكر ولا عمر ولا عثمان ولا الزبير ولا طلحة ولا سعد ولا أبو عبيدة وغيرهم إطلاقاً لأنه إذا ما بات أحد من هؤلاء ثم هرب عند مجيء اربعين صنديداً من قريش لقتل رسول الله (ص) فإنهم لا يقوون على مواجهتهم والثبات والصبر أمامهم ، إلا من كان اشجع وأقدر على ذلك ، ونحن هنا نستشف من هذا المبيت عدة عوامل :

الأول : ليس هناك من يطيق مقاومة قريش سوىٰ أمير المؤمنين (ع) .

ثانياً : الكتمان والصبر الذي أبداه أمير المؤمنين في تلك الليلة وهو يضرب في فراشه بالحجارة حتى أصبح الصباح يتقلّب ولا يستطيع الخروج عليهم لئلا يكتشفوا أمر الاستبدال ويلحقوا برسول الله (ص) ، فبقي كاتم أمره على مضض من الصبر والآلام .

ثالثاً : الأمانة والدين ، فالأمانات التي كانت قريش تأتمن رسول الله (ص) عليها كانت بحاجة لمن يصمد في وجه قريش لإعادة هذه الأمانات لأصحابها وتبرءة ذمة رسول الله (ص) منها ، ومن ذا الذي يجرؤ التصريح بأنه أخو النبي وخلفه في اعادة الأمانات والدين ، فهذا الأمر يحتاج لقوة جأش وقلب أقوىٰ من الحديد ، ومن الذي يعلن نفسه أمام قريش ويتظاهر ليكون عدو قريش الوحيد بعد غياب رسول الله (ص) ، ويعتبر هذا تحدي صارخ من قبل أمير المؤمنين (ع) لقريش ، ولن يطيق مثل هذا الأمر سواه ، وشجاعته وقفت امام الناقمين على رسول الله ، وهذا منتهىٰ الاخوة وأعظم المواساة، لذا أراد الرسول (ص) أن تتجمع هذه العناصر في شخص يتخذه

أخاً له وهو الناصر والمولىٰ .

رابعاً : بقاؤه عليه السلام في مكة المكرمة بعد هجرة رسول الله (ص) للمحافظة على أسرة رسول الله (ص) يحفظ الهاشميات الفاطميات ، لا ضير عليهن في كنفه ولا حزن ولا كيد ولا مكر ولا حيلة ، ولا يطيق ذلك من جمع العوائل وحراستها من قريش إلا هو (ع) ، ثم إخراجهن رغماً عن أنف قريش ليلتحقوا برسول الله (ص) ، فهو الذي جمع العيال وخرج بهن من مكة الى المدينة . كما ان رسول الله (ص) لا يستطيع أن يجعل عليهن غريباً ليأخذ بهن إليه، وهذا أمر فوق الأخوة ، فكان علي (ع) لمحمد (ص) أقوىٰ وأعظم من أخ ، بل هناك رابطة الدين أقرب من الحسب والنسب ، ولذا باهى الله به وقال سبحانه للملائكة من منكم يواسي بنفسه أخيه أمثال جبرائيل وميكائيل ؟ قالا : لا نقدر على ذلك . لذا أمرهما أن يهبطا الى الأرض وينظران لعلي بن أبي طالب كيف انه تحدىٰ قريش ونام على فراش رسول الله (ص) ، وقد وقاه بنفسه وفداه بروحه ، فهبطا الى الأرض وحرساه ، وكان أحدهما عند رأسه والثاني عند قدميه ، وجبرائيل يخاطب أمير المؤمنين (ع) قائلاً : بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب ، لقد باهىٰ الله بك الملائكة .

فإن تكن هناك مواساة فهذه هي ، والأخوة هذه هي ، وفوق الاخوة هي ، فلولا محمد وعلي لذهبت الاخوة هدراً ، ولغدر كلٌ بأخيه كما حصل لقابيل مع هابيل ، وكما حصل ليوسف مع إخوته ، فهنيئاً لك يا أمير المؤمنين بهذه الإخوة مع سيد الرسل والأنبياء ، وبحق إنك لسيد . . .

الفصل العاشر

علي سيد العرب والعجم في حسبه ونسبه

يمتاز أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) على كافة الناس حاضراً وماضياً بشرف حسبه ونسبه، فهو من قريش، وقريش أشرف العرب، والعرب اشرف الناس جميعاً بلا منازع ولا عتاب، وإذا كان هناك شرف نالته قريش من خصالها أو كرمها ونخوتها وحسبها ونسبها فهو لأن محمد رسول الله (ص) الذي هو أشرف الناس كان منها، ومن شرفها وعظمتها أن جعلهم الله سدنة البيت العتيق، عظم الله البيت وشرّفه على جميع البيوت، وهل هناك بيت أشرف من بيت الله وكعبة المسلمين، فهم سدنته وهو شرف عظيم وكبير بحدّ ذاته، كما ان قريشاً كانت أعظم قبيلة عربية شأناً وخطراً ونفوذاً في كافة العرب، وخاصة في الحجاز، وكانت الأوس والخزرج تأتي في المرتبة الثانية بعد قريش بالقوة والشرف والحضارة والتمدن والنفوذ في الحجاز، والكعبة كانت تعظم عند جميع الملل وتقدّس، فلقد كان اليهود يقدسونها نظراً لأن إبراهيم (ع) أقامها، وكان الصابئة من الفرس والكلدان يعدّونها مقدسة ومن البيوت السبعة، والهنود قدّسوها واعتقدوا ان روح سيفاء قد حلّت في الحجر الأسود، والعرب كانت تعظمها كل التعظيم وتعدّها بيت الله وكانوا يحجّون إليها من كل جهة، وكذا النصارى حيث يقولون أن فيها صورتا العذراء والمسيح. فالكعبة كانت مقدسة عند جميع الطوائف، وكان العربي يعتبر الكعبة مصدر قوة وموضع أمل، لأنه يرى جميع الأمم تنظر إليه، وهذا

النظر كان لأجل الكعبة ، وكانت الأمم تحسدهم عليها ، حتى انه حاولت بعض الأمم انتزاع هذا الشرف العظيم من قريش أو التقليل من شرفهم .

فأنشأ الغساسنة بيتاً في الحيرة بالعراق .

وفي نجران أيضاً اقيمت كعبة أخرىٰ تضاهي الكعبة بمكة المكرمة ، وكعبة نجران هذه يقال بيعة بناها بنو عبد المدان ابن الديان الحارثي ، وعظموها مضاهاة للكعبة وسمّوها كعبة نجران .

الثالثة في الشام كانت كعبة تسمّىٰ الكعبة الشامية .

والرابعة في اليمن تسمىٰ الكعبة اليمانية .

وهذا لا علم لنا به هل كان ضداً لقريش ، أم كان شرفاً للكعبة أسسوا عدة كعبات ، أو كان غرضهم التجارة والربح من ذلك أو قد يرومون الشرف من هذه البيوت العديدة ، ولكن ذلك لا يكون ولا ينمو لأنه ما كان لله ينمو وما كان لغير الله لا ينمو، والكعبة قد أنشأت بإذن الله سبحانه وتعالى، وإبراهيم قام ببنائها ، ولو نظرنا الى أبرهة بن الأشرم أقام في اليمن بيتاً عظّمه وفرشه وزخرفه بأفخر ما يقدر عليه ، ودعا الناس الى تعظيمه والحج إليه ، إلا ان ذلك لم ينفع في صرف الناس عن الكعبة ، فضلاً أن يصرف أهل مكة والحجاز والعراق والشام ومصر عن الكعبة ، واستمر الناس كافة ، وأهل اليمن خاصة لحج بيت الله ، لذا غضب أبرهة ، واندفع الى مكة في عام الفيل ، وقال أبرهة لسيد البطحاء الجد الأكبر لرسول الله (ص) ولأمير المؤمنين (ع) عبد المطلب إنه لا يقصد إلا هدم البيت . فأجابه : ان للبيت رباً يحميه .

وجرىٰ لأبرهة وجيشه ما جرى ، وهذه الكلمة الإلهية لا يستطيع أحد أن يقولها غير المعتقد والمسلم المؤمن الكبير عبد المطلب (ع) ، ولولا إيمانه العظيم ما قال هذه الكلمة ، ولو اليوم قالها مليار ومئتي مسلم لم تنجح وتثمر ما أثمرته كلمة ذلك التقي المؤمن المخلص لله سبحانه وتعالى ، فكان إيمانه بالله راسخ رسوخ الجبال في الأرض ، كلمة ما أعظمها وأعظم قائلها ، للبيت رب يحميه ، ولماذا لا تطلب الرحمة من أبرهة يا جد محمد وعلي ، ولماذا لا تقاتل

لتحمي البيت كما نحن اليوم نقاتل الصهيونية لنسترجع القدس منهم ، لماذا قلت تلك الكلمة ، ومن أين لك ذلك الإيمان ، ولماذا وهم يقولون لك اليوم أنك مشرك ، وأنك متّ مشركاً ، وأنك كنت تعبد الأصنام ، إذاً كيف ذلك ، ولو كنت تعبد الأصنام لما حصل ذلك ، ما شاء الله ما أنت إلا جد نبي طاهر عابد مؤمن تقي صادق صريح قولك الحق والإيمان ، بل وكنت نبياً ولكن جاهلية العرب اليوم وأمس هي الجاهلية الحقيقية ، فلا فرق بين اليوم والأمس .

ونحن لا نعرف عنك الا أنك مؤمن وجد نبي وتقي ، وانك نبي حيث قول الأنبياء مقبول ودعاؤه مجاب ، وغيره لا يقبل ولا يجاب ، نعم وأنت قد صنعت معجزة تاريخية دهرية لك ما دامت السماوات قائمة والأرضين، كما جاء موسى بمعجزته ، وعيسىٰ معجزة احياء الاموات ، ونوح معجزة السفينة ، ولإبراهيم معجزة خروجه من النار ، ومحمد (ص) معجزة القرآن ، فأنت معجزتك تلك الكلمة الخالدة : للبيت رب يحميه . وكل هذه المعاجز إنما أعطيت للأنبياء والرسل من قبل الرب المعبود ، وهو الذي منّ عليهم ومدّهم بالمعاجز نتيجة إيمانهم بالله ، إذاً ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ قال : الإبل . ولماذا لا تطلب حماية البيت ؟ كلمة صدرت من قبيح مشرك ملحد الى عبد المطلب ، وكانت ككلمة نمرود لإبراهيم ، وفرعون لموسىٰ ، كلمة خبيثة يريد أن يمتحن بها عبد المطلب ، هل يقف بين يدي أبرهة يطلب حماية البيت ، لكن هذا لا يكون ، فعبد المطلب صاحب إيمان ، والبيت خاص لقوة جبارة خارقة لا تقابلها قوة قط ، ليس هذا البيت خاص لأحد من الناس ، بل هو بيت الله ، والله خير حافظ له ، فهو بهذا القول قد تحدىٰ إبرهة بن الاشرم . وكان هذا التحدي لأن إبرهة خسيس وصعلوك حقير ضعيف صغير والضعيف الصغير لا قدرة له ، فصاحب البيت قدير كبير قوي ، والقوي القادر قادر على أبرهة وغيره ، وليست كنيسة أبرهة كبيت الله ، ذلك البيت بيت أبرهة قد تغوط به رجل من بني كنانة ، وهذا مما أغضب ابرهة الملعون ، واندفع الى بيت القوي الجبار المهيمن المتعال يريد هدمه ، وعبد المطلب يريد الإبل ، وهذا تحدٍ صارخ لأبرهة واحتقار له من

السيد الجليل عبد المطلب ليعطيه درساً لا ينسى ما دام التاريخ باقٍ ، مسجّل في صفحاته يقرؤه كل جيل حتى نهاية الحياة الدنيا ، كلمة عبد المطلب وعمل ابرهة وقصده ، فقال صاحب البيت هاك خذها يا عبد المطلب ، لأجعلنها معجزة لك حيّة أبدية ما دامت الدنيا قائمة ﴿ **ألم تر كيفَ فعلَ ربُّكَ بأصحابِ الفيلِ ، ألمْ يجعل كيدهمْ في تضليلٍ ، وأرسلَ عليهمْ طيراً أبابيلَ ، ترميهمْ بحجارةٍ منْ سجّيلٍ ، فجعلهمْ كعصفٍ مأكولٍ** ﴾[1]، معجزة طير الأبابيل ، معجزة الفيل ، معجزة كبرىٰ فوق كل معجزة ، معجزة جمرة وحجرة السّجيل ، حجرة بقدر العدسة من حجر جهنم تضربهم في قمة الرأس وتخرج من أدبارهم ، وهي تشتعل ناراً ، تحرق الأمعاء ، أين الفيلة ، وأين قوة أبرهة ؟ معجزة مؤمن رسخ الإيمان الالهي في قلبه رسوخ أوتاد الأرض الشواهق ﴿ **ورسلاً قدْ قصصناهمْ عليكَ منْ قبلُ ورسلاً لمْ نقصصهمْ عليك . .** ﴾[2].

وأي معجزة هي هذه التي لم تهمل ولم تمهل ابرهة دقائق ولحظات ، وجرىٰ ما جرىٰ لإبرهة وجيشه حتى أصبح ملعنة التاريخ وتكون عبرة للجبابرة والطغاة ، فلا يجرأ أحد منهم على الكعبة المعظمة ، ان المعجزة جاءت من رب جليل دعماً لناطق مؤمن صالح صادق مخلص ، يحمل في صلبه محمداً وعلياً ، لماذا لم تأت هذه المعجزة حين أحرق القائد الأموي الحجاج الكعبة ، لأن القائد ملحد والحاكم ملحد ، فالحاكم أموي وقائده عنصر خبيث مثله ، لذا تجرأ على الكعبة وحرقها ، وتجرأ على ضريح النبي المقدس ، وصنع به ما صنع ، وتجرأ على بنات المسلمين من الأنصار والمهاجرين الطاهرات ، وفعل بهن ما فعل ، فمعجزة عبد المطلب من أكبر المعاجز التي ذكرها التاريخ ، لأنها كانت معجزة وقتية نورية زمنية تاريخية ، كلمة خرجت من فم مؤمن لقتل شيطان خبيث ، وكانت قريش يومها تدعي الشرف ، فلماذا لم تدعمهم هذه المعجزة ، ولماذا لم يعززهم الله بها ، ولكن لنا عتاب مع بعض المسلمين الجهّال الصغار الذين لا زالوا يقولون أن عبد المطلب هو مشرك ، وهذا شيء

---

(١) الفيل ١ ـ ٥ ـ.

(٢) النساء ١٦٤ .

عجيب ، لماذا ؟ ليتهم ينطقون بها ، وهم يعرفون حقاً ، لكن لا يعرفون من عبد المطلب ، وليتهم يعبدون الله حقاً كما عبده عبد المطلب ، بصدق وإيمان ، نعوذ بالله منهم ، إنهم يعرفونها ، ويقرؤن في كل وقت وزمان هذه السورة ويقولون الذي قالها هو عبد المطلب جد الرسول ، لكن بسذاجتهم وجهلهم يعدّونه من المشركين ، والله قد نزّهه عن الشرك بقوله تعالى مخاطباً نبيّه الكريم ﴿ الذي يراكَ حينَ تقومُ ، وتقلّبكَ في الساجدين ﴾[1] السورة نفسها هي حجة ، ويحاسبهم الله عليها ، جاء موسىٰ بمعجزة العصا وانقرضت وانتهت وكانت معجزة وقتية ، وجاء إبراهيم بمعجزة وقتية وانتهت وانقرضت ، وجاء نوح وعيسىٰ هكذا ، وانتهت السفينة والنار وإحياء الأموات والعصا والكف الأبيض ، هذه المعاجز انقضت ومعجزة عبد المطلب ما انقضت ، بيت الله بقي ، فكانت دعوتك لله صادقة ، ما كان لله ينمو ، وما كان لغير الله لا ينمو . فهذا سيد مكة وشريف أهلها عبد المطلب شيبة الحمد ، صاحب النسل الطاهر ، جدّ محمد وعلي ، وليس في العرب ولا في العجم من يضاهي عبد المطلب .

معجزة أخرىٰ لعبد المطلب اكبر وأعظم من سابقتها ، معجزة ماء بئر زمزم ، أخرجه الله على يده الشريفة ، وطلبت قريش مشاركته ، فامتنع من مشاركتهم لعدم مساهمتهم في حفره .

ومعجزة ثالثة لعبد المطلب ، وهي معجزة بئر الماء الذي خرج تحت سنابك جواده بين الشام ومكة يوم منعته قريش وقومه من مائهم بعد أن عزب ماؤه ، ولما كانت تلك المعجزة لم يمنع قريشاً من الماء كما صنعوا به .

هذا النسب الشريف أبو الإنسان وأبو الشرفاء ، صاحب المعاجز الثلاثة بل المعاجز الكثيرة ، نكتفي بذكر جد هذه الأسرة الطاهرة المطهرة في بيان انها سيدة العرب والعجم ، هذا الجد الكبير المعظم من الله . وقد كان من معاجزه أنه ينظر بنور الله ، وهذا لا يكون إلا لمؤمن مخلص ، فكان إذا جاء رسول الله ـ وهو ما يزال طفلاً ـ لا يجلس إلى علىٰ فراش جده عبد المطلب ،

---

(١) الشعراء ٢١٨ ـ ٢١٩ .

وكان يعظم ذلك على عمومة النبي أبناء عبد المطلب، فإذا أراد أحد أخذه من فراش جده قال لهم الجد دعوه ، فوالله إن له شأناً كبيراً وعظيماً ، إني أرى أنه يأتي عليكم يوم وهو سيدكم ـ ثم يحمله فيجلسه معه ويمسح ظهره ويقبّله ويقول ـ : ما رأيت قبله أطيب منه ولا أطهر قط ولا جسداً ألين منه ولا أطيب ـ ثم يلتفت الى أبي طالب ـ يا أبا طالب إن لهذا الغلام شأناً عظيماً ، فاحفظه واستمسك به ، فإنه فرد وحيد ، وكن له كالأم ، لا يصل إليه شيء يكرهه .

وأبو محمد عبد الله وأبو طالب إخوة من أم واحدة ، وأبو طالب هذا بيضة البلد ، حامي قريش ، حافظ النبي المكرم (ص) ، شيخ البطحاء ، مؤمن قريش كمؤمن آل فرعون رغم الأعداء والجهال السذج المعاندين من المسلمين ، مات مؤمناً وعاش مؤمناً ، وتربى رسول الله (ص) في داره وترعرع وعاش ، والنبي (ص) لا يجوز أن يأكل من يد مشرك ، هذا شيء محال ، ولو نظرت قليلاً الى موسى بن عمران ، وضع في بيت فرعون ولم يرضع حتى رجع الى ثدي أمه .

وجدّه عبد مناف الذي يقول فيه الشاعر :

كانت قريش بيضة فتفلّقت فالمحُّ خالصه لعبد مناف

وجده قصي الذي جمع العرب كلهم تحت راية واحدة ، وجعلها تلف حول الكعبة ، وشكل فيها حكومة عادلة .

وجده هاشم صاحب الرحلتين ، رحلة الشتاء والصيف ، الذي ذكره القرآن الكريم، ولم يذكر غيره أبداً ، فكان هاشم بن عبد مناف أحد أجداد رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) ، سيد رجال قريش وحاكمهم ، وكان يحمل ابن السبيل ويؤدي الحقوق ، وكان يضرب بجوده المثل ، وكان قد تولّى أمر مكة بعد أبيه وساد قومه بما كان عليه من محاسن الأخلاق والنبل وجلالة الشيم وكمال الشجاعة وأوفر الكرم وغاية الفصاحة وغير ذلك من الصفات الفاضلة التي لم يطاوله بها أحد ، واسمه عمرو العلى ، ولقبه هاشم لأنه أول

من هشم الثريد لقومه ، وهو الخبز واللحم المطبوخ بالماء ، ويطعم الناس بمكة في سنة مجدبة ، وكان يرحل الى فلسطين لجلب الدقيق لقريش ، وهو سيدها وقائدها وحاكمها وأنبلها وأعظمها عفة وشرفاً وأخلاقاً وعطفاً وحناناً ، ولهجت ألسنة العرب على اختلافهم في القبائل بالثناء عليه ، كانت قريش تأبى التسوّل حتى يموت المرء في داره بعد أن يغلقها عليه ، وهذا نوع من التعفف والترفّع ، وهاشم هو الذي أنقذ قريش من المجاعة .

قال هاشم مخاطباً قريش : أجدبتم جدباً تقتلون فيه وتذلون وأنتم أهل حرم الله وأشراف ولد آدم ، والناس لكم تبع .

فقالوا : نحن تبع لك ، فليس عليك منّا خلاف .

فجمعهم على رحلتين ، وكان يقسم ربح الفيء بينه وبين الفقراء ، وهذا نوع من الحضارة والشرف العظيم للعرب ، حتى كان فقيرهم كغنّيهم واستقرت الرئاسة لهاشم ، وصارت قريش له تبعاً ، تنقاد لأمره ، وتعمل برأيه وكانت الرفادة والسقاية في مكة لأبيه عبد مناف ، فملك هاشم بعد أبيه الرفادة والسقاية ، ثم ولّاهما بعده لولده عبد المطلب ، والسقاية هي سقاية الحاج الماء والشراب ، وهذا أشرف عمل لخدمة الضيافة في بيت الله والرفادة هي إطعام الحجاج ، فكان هاشم يعد الطعام للحجاج ، ويأكل منه من لم يكن له سعة ولا زاد ، وهذه تسمّى بالرفادة .

ومن أقوال هاشم لقريش كان إذا جاء موسم الحج يخطب بعد أن يسند ظهره على الكعبة : يا معشر قريش ، إنكم جيران بيت الله ، أكرمكم الله بولايته ، وخصكم بجواره دون بني إسماعيل ، وإن سادة العرب أحسنها وجوهاً ، إنه يأتيكم زوّار الله ، يعظّمون بيته ، فهم أضيافه ، وأحق من أكرم أضياف الله أنتم ، فأكرموا ضيفه وزوّاره ، فإنهم يأتون شعثاً غبرا ، من كل بلد على ضوامر كالقداح ، فأكرموا ضيفه وزوّار بيته ، فوربَّ هذه البنية لو كان لي مال يحتمل ذلك لكفيتكموه ، وأنا مخرّج من طيب مالي وحلالي ما لم يقطع فيه رحم ، ولم يؤخذ بظلم ، ولم يدخل فيه حرام ، فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل ، وأسالكم بحرمة هذا البيت أن لا يخرج أحد منكم من

ماله لكرامة زوّار بيت الله وتقويتهم إلا طيباً لم يؤخذ ظلماً ، ولم يقطع فيه رحم ، ولم يؤخذ غصباً .

فكانوا يجتهدون في ذلك ويخرجونه من أموالهم ، فيضعونه في دار الندوة .

ويوم تنافرت قريش وخزاعة الى هاشم ـ أي تخاصمت ـ إليه وطلبت منه أن يحكم بينهما ، فخطبهم بما أذعن له الفريقان بالطاعة فقال في خطبته : أيها الناس نحن آل إبراهيم ، وذريّة إسماعيل ، وبنو النضر بن كنانة وبنو قصي بن كلاب ، وأرباب مكة ، وسكان الحرم ، لنا ذروة الحسب والنسب ، ومعدن المجد ، ولكلٍ في كل حلف يجب عليه نصرته ، وإجابة دعوته إلا ما دعا الى عقوق عشيرة وقطع رحم ؛ يا بني قصي أنتم كغصني شجرة أيهما كسر أوحش صاحبه ، والسيف لا يصاف إلا بغمده ، ورامي العشيرة يصيبه سهمه ، ومن محكمه اللجاج أخرجه الى البغي ؛ أيها الناس الحلم شرف ، والصبر ظفر ، والمعروف كنز ، والجود سؤدد ، والجهل سفه ، والأيام دول ، والدهر ذو غير ـ أي منقلب ـ ، والمرء منسوب الى حقله ، ومأخوذ بعمله ، فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد ، ودعوا الفضول تجانبكم السفهاء ، واكرموا الجليس يعمر ناديكم ، وحاموا الخليط يرغب في جواركم ، وانصفوا من أنفسكم يوثق بكم ، وعليكم بمكارم الأخلاق فإنها رفعة ، وإياكم الأخلاق الذميمة الدنية فإنها تضع الشرف وتهدم المجد ، وإن نهنهة الجاهل ـ أي زجره ـ أهون من جريرته ، ورأس العشيرة يحمل أثقالها ، ومقام الحليم عظمة ـ أو عظة ـ لمن انتفع به .

فقالت قريش : رضينا بك أبا نظلة وهي كنيته .

فانظر لهذه الخطبة وعظمتها وشرفها وسمو عذوبتها وبلاغتها وخصاصتها والأخلاق الرفيعة ، فنهى عن مساوي الأفعال ، فهذه غزارة فضل وجلالة قدر وعلو همّة ، صاحب شأن عظيم ، وإلا متى كانت قريش فيها هذا السمو والخلق ، والعظمة لولا هذا البيت الرفيع ، وهذا البطن الذي حقاً يمثل إبراهيم وإسماعيل ، وإلا فاليهود أيضاً أولاد إبراهيم واسحاق ، والديلم من

إبـراهيم ، والترك من إبـراهيم ، والصين وكـل الناس من إبـراهيم من نصارى ويهـود واسلام وصـابئة ومجـوس وهنود وجميـع الملل والنحل فكلهـا من اسحـاق وإسمـاعيل ابنـاء إبراهيم ، والكـل يـرجـع إلى إبـراهيم ، إلا ان الفـارق كبـير وشاسع بين بيت هاشم وقصي وعبـد مناف وعبـد المطلب وعبـد الله وأبو طـالب وباقي البيوت .

هــذا البيت منحـدر من شــرف الى شـرف ، ومن حلم الى حلم ، ومن أخـلاق الى أخلاق ، ومن جـود الى جود ، ومن شجـاعـة الى شجـاعـة ، وهم كلهم انبيــاء ، فكـانــوا أصحـاب غيــرة وحميــة ونخــوة وشهــامــة وضمــير ووجـدان ، جدود طـابت وحجور طهـرت ، الأمهـات نقيـات ، طهـارة الآبـاء والأمهــات ، زواجهم عـلى سنّــة إبــراهيم من نكــاح إلى نكــاح ، أمهــاتهم وزوجاتهم خديجة وآمنة وفـاطمة وسلمى النجـار وأم هاني وفـاطمة بنت أسـد ، هـذه النســاء الـطاهـرات العفيفـات من بيت رفيـع عـظيم ذكـره الله وعــظّمـه وطهّـره ، وشهد القـرآن الكريم بـطهارتهم وشهـد لهم بالسجـود والعبـادة ، ولم يعـرف هذا البيت السفـاح والزنى والفحشـاء كباقي البيـوت العربيـة الأخرى ، فهذا النسب غير موجود عنـد العرب والعجم لا بـالأمس ولا اليوم ، ولا يصـل إليه بيت أو أسرة إطلاقاً عفة وشرفـاً وغيرة وحميـة وشهامـة ونبل وسمـاحة وحلم وورع وعلـم وكـرم وسخاء ، بيت آل عبـد المطلب وهـاشم وعبد منـاف وقصي والنضر آل مضر آل كنـانـة آل إسمـاعيـل آل إبـراهيم خليـل الــرحمٰن آل محمـد آل علي آل الحسن آل الحسين (ع) .

أبناء هاجر أبناء سلمة ابناء فاطمة أبناء آمنة أبناء خديجة أبناء زينب الحوراء واجدادها وإخوتها ، ما احلىٰ هذا النسب والحسب الذي قال فيه رسول الله : كل حسب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا حسبي ونسبي ، لأنه حسب ونسب شريف يمـر على رب العـزّة وهو مكـرم نقي طاهر محافظ على الأمانات التي أودعهـا الله عندهم ومنهـا أمانـة الدين . فسـلام على هذا الحسب العفيف وهـذا النسب الطاهـر الشريف لم يسمح لي القلم ذكر الكثـير من هذا، وإلا فهـو حسب لا يعرف ولا أحـد يستـطيـع أن يقصي حـده ويعرف شرفه ، فهذا هـو الشرف ، ويكفي مـا ذكره القـرآن المجيد بحقّـه ﴿ في

بيوتٍ أذنَ اللهُ أن ترفعَ ويذكرَ فيها اسمهُ . . . ﴾[1] حسب محمد وعلي وفاطمة الزهراء والحسن والحسين ، الرسول سيد الرسل والأنبياء ، وعلي سيد العرب والعجم ، وفاطمة سيدة نساء العالمين ، والحسنين سيدي شباب أهل الجنة .

---

(١) النور ٣٦ .

الفصل الحادي عشر

علي سيد العرب والعجم في زوجته

المرء يكون سيداً بأخلاقه ، بشجاعته ، بحسبه ، ونسبه ، بأسرته ، ببيته ، وحتى موضوع الزوجة فله مدخلية في السيادة لذا قيل : خلف كل عظيم امرأة ، لأن الزوجة هي التربة والتربية المغذية والمربية ، انها تحمل العفة والشرف والجود والنبل في حياة التربية ، فهذه هي الأم المثالية والزوجة الحرة الكريمة ، فكيف إذا كانت زوجة طاهرة مطهرة وأطهر زوجة على وجه الأرض وسيدة نساء العالمين في الدنيا والآخرة ، فلا شك أن البعل لمثل هذه الزوجة من حقه أن يفتخر على كافة العالمين من الرسل والنبيين وجميع الناس .

ففاطمة بنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، وبنت خديجة بنت خويلد ، الزهراء السيدة الطاهرة زوجة من الزوجات وهي الكريمة أبوها محمد سيد السماوات والأرض وسيد جميع الكائنات الحية وسيد العلوي والسفلي وسيد من مات ومن هو حي ويموت ، فهو سيد جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وجميع الملائكة ، وهو سيد آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى كما ذكرنا شرفه وفضله ، وهي سيدة نساء العالمين من مات منهن ومن بقي ، سيدة العالم كله مذ خلق الله آدم الى قيام يوم الدين ، فاطمة الزهراء سيدة النساء بشرفها وعظمتها وعفتها وأخلاقها وعبادتها وطاعتها لله تعالى ، وهي إمرأة ليس لها كفؤ في كافة بني البشر من لدن آدم الى نهاية الحياة ، فليس في الناس لها كفؤ قط ، لأنها فوق الناس من

عظمة الشرف ، فلما كان أبوها أشرف أهل الأرض والسماء ، فالذي يتزوج بها يجب أن يأتي بشرف وسيادة كشرفها وسيادتها وشرف أبيها وسيادته ، ثم الذي يأتي لزواجها يجب أن يكون كفؤ لها ، وهذه قاعدة عقلية لا فرار منها قط .

ففاطمة (ع) تختلف خلقتها عن باقي النساء والناس ، خلقت من نور الله كما ذكرنا في الكتاب ، ومن نور محمد أبوها ، والنور لا يساويه شيء أبداً ، وكانت في عرش الله تسبّحه وتكبّره وتهلله وتمجده وتحمده كما كان أهلها معها في عرش الله يسبحونه ويكبرونه ويمجدونه ويحمدونه ويهللونه ، هذه السيدة الطاهرة قد شاركت أباها وأهل بيتها في عدة آيات كريمة في كتاب الله المجيد ، فلقد شاركت والدها سيد الرسل بإثبات الرسالة المحمدية بآية المباهلة وآية التطهير وآية القربى وآية الخمس والصلاة على الآل آل بيت محمد وآية الإطعام وآية النذر . . وآية الشكر .

ولقد قال فيها رسول الله (ص) : فاطمة الزهراء سيدة النساء ، وهي سيدة نساء أهل الجنة من النسوة الأربعة ، سيدة النساء في الجنة فاطمة الزهراء ومريم وآسيا بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد زوجة رسول الله (ص) سيد الأنام .

وقال سيد الكائنات (ص) فيها : فاطمة الزهراء بضعة منّي يؤذيني ما آذاها ويريبني ما يريبها .

وقال رسول الله (ص) فيها : فاطمة الزهراء بضعة منّي يغضبني ما يغضبها .

وقال (ص) : فمن أغضبها أغضبني .

وقال (ص) فيها : يغضب الله لغضبها .

وقال (ص) : رضا فاطمة من رضاي ، وسخط فاطمة من سخطي .

وقال (ص) : فمن أحب ابنتي فاطمة فقد أحبني .

وقال (ص) : من أرضىٰ فاطمة فقد أرضاني .

وقالت عائشة : ما رأيت أحداً قط أفضل من فاطمة غير أبيها . أسنده البخاري ومسلم في صحيحهما .

ونحن نأخذ آيات الكتاب المجيد التي ذكرنا نزولها ، وهذه الآيات هي كما نعلم من آية المباهلة من سورة آل عمران قال سبحانه وتعالى : ﴿ **فمنْ حاجّكَ فيهِ منْ بعدِ ما جاءكَ منَ العلمِ فقلْ تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكمْ ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكمْ ثمَّ نبتهلْ فنجعلْ لعنتَ اللهِ على الكاذبين** ﴾[1] هذه الآية الكريمة واضحة ، وقد أجمع أهل القبلة عليها[2] ، ولا فرق بين الفرق والمذاهب فيها حتى الخوارج ، وهي واضحة كوضوح الشمس في رابعة القبلة ، نعم على أن النبي (ص) لم يدع للمباهلة من النساء سوى بضعته الزهراء (ع) وهذا شيء مسلّم ، ومن الأبناء سوىٰ سبطيه وريحانتيه من الدنيا الحسن والحسين (ع) سادة أهل الجنة ، ومن الأنفس إلا أخاه الذي هو منه بمنزلة هارون من موسىٰ ، فهؤلاء هم أصحاب هذه الآية بحكم الضرورة التي لا يمكن جحودها ، ولو لم يشاركهم فيها أحد من العالمين كما هو بديهي لكل من ألمّ بتاريخ المسلمين ، فهذه الآية نزلت بحقّهم ولا منازع لهم ولا داحض لهذه الآية إلا مكابر أو معاند أو أجير ، وهذا صغير لا وزن له . فقد نزلت فيهم دون غيرهم من العالمين .

فباهل النبي (ص) بهم خصومه ، خصوم الاسلام ، خصوم الدين من أهل نجران الذين جاءوا لمحاربة الرسالة والرسول ، وكانوا جاهلين .

وأمهات المؤمنين يومها كن في حجراته (ص) فلم يدع واحدة منهن ، وهنّ بمرأىٰ منه ومسمع ، ولم يدع صفية وهي شقيقة أبيه ، وبقية أهله ، ولا

---

(١) آل عمران ٦١ .

(٢) فيما علمه المسلمون وأخرجه المحدثون عن أعلام الصحابة ، وقد رواه الواحدي في اسباب النزول بسنده عن جابر بن عبد الله ، وكان الشعبي يفسّر الآية فيقول : أبناءنا الحسن والحسين ونساءنا فاطمة وانفسنا علي بن أبي طالب (اسباب النزول ص ٧٥) وأخرجه الدارقطني .

أم هاني ذات الشأن العظيم والمكانة العزيزة ، وهي كريمة عمّه الفارج لهمّه ذي الأيادي ، ولم يدع غيرها من عقائل الشرف والمجد وخضرات عمرو العلى وشيبة الحمد ، ولا واحدة من نساء الخلفاء الثلاثة زوجة أبي بكر وعمر وعثمان أو غيرهم من المهاجرين والأنصار والصحابة الذين نعظمهم ونكرمهم ونبجلهم ، أليس نساؤهم كفؤ لذلك ؟ أنا لا أعلم ، لكن الظاهر أن جميع نساء الدنيا ليس لهنّ فخر وكرامة وعظمة وفضل عند الله .

كما أنه لم يدع مع سيدي شباب أهل الجنة أحداً من أبناء الهاشميين على انهم كانوا ﴿ . . . **إذا رأيتهمْ حسبتهم لؤلؤاً منثوراً** ﴾(١).

ولا دعا أحد من أبناء الصحابة على كثرتهم ووفور فضلهم مثل ابن الزبير ، ابن عمر ، ابن أبي بكر ، ابن طلحة ، ابن سعد ، ابن خالد ، ابن عبد الرحمن ، ابن أبي عبيدة ، ابن معاوية ، أبناء الأنصار والمهاجرين ، على ان لهم السابقة في الاسلام ، لِمَ لَمْ يصحب معه غير الذين قال الله سبحانه فيهم ﴿ **يوفونَ بالنّذر ويخافونَ يوماً كانَ شرّهُ مستطيراً ، ويطعمونَ الطعامَ على حبّهِ مسكيناً ويتيماً وأسيراً** ﴾(٢).

ولم يدع من الأنفس مع علي أو غير علي أمثال عمّه وصنو أبيه العباس بن عبد المطلب وهو شيخ الهاشميين ، وأجود القرشيين ، وأعظم عند رسول الله صلّى الله عليه وآله . بل لم يدع أحد من كافة عشيرته الأقربين ، ولا واحداً من السابقين الأولين (رض)، وقد كانوا بمرأى من المباهلة ومسمع ، ومنتدىً من أهلها ومجمع ، فلم ينتدب واحداً منهم مع من انتدبهم إليها ، بل لم ينتدب أحداً من سائر أهل الأرض بالطول والعرض ، وإنما خرج صلّى الله عليه وآله كما تعلمون أيها الناس أينما كنتم ، فأخرجوا التعصب والخيالية والعاطفية والحسد والبغضاء والقبلية ، خرج الى الجهاد وهو يقول : بسم الله وبالله وتوكلت على الله ، وعليه مرط من شعر أسود ، وقد احتضن الحسين حفيده وسبطه وسيد شباب أهل الجنة بحضنه ، وأخذ بيد الحسن

---

(١) الدهر / ١٩ .

(٢) الدهر / ٧ ـ ٨.

الأكبر والسبط المنتجب ، وفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين في الدنيا والآخرة تمشي خلفه ، وعلي سيد الوصيين وحجة الله على خلقه وخليفة رسوله ونبيّه المصطفى الأمجد خلفهما وهو يقول : إذا أنا دعوت فأمّنوا .

نعم لقد خرج الإسلام كله من حين صعده الى يوم يبعث الله سبحانه وتعالى الخلق الى الحساب ، خرج الإيمان كله ، منذ خلق الله عز اسمه البشرية الى نهاية الدنيا ، لقد خرج الانبياء كلهم والرسل من لدن آدم الى خاتمهم الرسول الأكرم ، لقد خرجت الأديان كلها المرضية وغير المرضية ، لقد خرجت الملائكة بصفوفها ، ملائكة الرحمة وملائكة الغضب ، ملائكة الله المقربين ، خرج جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ، خرج أولوا العزم عضداً لأخيهم الرسول الأكرم صلّى الله عليه و آله ، وخرج الخمسة أصحاب الكساء الذين خلق الرحمن كل من في الدنيا والآخرة والسماوات والأرضين وما فيهن من كائن حي وغير حي كلها خلقت لأجلهم ، خرجوا وعين الله ترعاهم ، خرجوا ليثبتوا صدق قول الله وعظمة إرادته وقوته ومشيئته بأن هذا الإسلام هو دين الله ، وهو الذي أراده ، وأن هذا الرسول هو الحبيب العزيز السيد المقرب ، وهو أفضل وأشرف الرسل ، خرج بقوة هائلة ربانية ، لو أراد بدعائه والأربعة المؤمّنين على دعاه أن يمحو كل ما في الوجود لزال بقوة السامع للدعاء من الداعي وأصحابه الأربع .

أقول إعلم أيها الإنسان لو كان في ذلك اليوم، يوم المباهلة، مع نصارى نجران الذين جاءوا متحدّين الرسالة والرسول في ذلك عبد الله والد النبي نفسه وحده عبد المطلب وهاشم وعمومته وبني هاشم كلهم وأمه آمنة ، فلا يخرج الرسول من هؤلاء الأفذاذ الكرام إطلاقاً غير هؤلاء الصفوة علي وفاطمة والحسن والحسين، وهذا الأمر ليس من النبي قط ، وإنما أمر من الله ، وهو الذي أوعز لرسوله بالخروج وإخراج أكرم عباد الله معه الذين يمشون على الأرض هوناً ، أصحاب العباء أو الكساء والبردة النبوية والشجرة الهاشمية ، معدن التأويل ، وخزّان علم الله ، وروّاد حكمته . هذا أمر قد خصّ الذين عاهدوا الله وعاهدهم ﴿ رجالٌ لا تلهيهمْ تجارةٌ ولا بيعٌ عنْ ذكرِ

الله . . . ﴾[1] وذكر الله هؤلاء الصفوة بخروجهم ليشهدوا ويثبتوا الكلمة الصادقة لمحمد صلّى الله عليه وآله ورسالته ، وأنه أعظم الرسل .

لذا عندما نظر أسقف نجران دخل الرعب والخوف قلبه ، وقال : يا معشر النصارى إنّي لأرىٰ وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل الجبال لأزالها ، فلا تباهلوهم فتهلكوا ولا يبقىٰ على وجه الأرض نصراني الى يوم القيامة .

بخٍ بخٍ بخٍ إن من وقف على هذه الوهلة العظيمة والروعة الشديدة التي أرهقت أعلاج نجران وممثلي دينها ودنياها حين برز أصحاب الكساء لمباهلتهم ، فوالله لولا صدق عيسىٰ المسيح عليه السلام وحب الله سبحانه له وانه الصادق ، لكان مجرد خروج أقدام محمد صلى الله عليه وآله وخروج تلك الأقدام الطاهرة لما بقي نصراني على سطح الأرض ، حتى بدون أن تقع المباهلة ، لأنهم خرجوا بجلالة ربّانية ، وعظمة إلهية تغشي الأبصار ، ومهابة روحانية يخفض لها جناح الذل والصغار ، كيف لا وقد خرجت فاطمة من خدرها تسير خلف النبوة وهي مجلببة بنورها ، ونور رباني قد غطّاها من قمة الرأس الى أخمص القدم ، بضعة الهادي ، وبعلها يعدو خلفها وهو سيد الوصيين وسيد العرب والعجم ، وأبوها يسير أمامها قد حمل نور ساطع عنانه الى السماء ونور يقوده بيده الشريفة ، نوري الإمامة وبقية الله من أصلاب إبراهيم وإسماعيل ومحمد وعلي . . . مرحىٰ مرحىٰ سادة الأنام وابناء سادة الأنام ، وأبناء سيد الكائنات الهادي المهدي أحمد صلى الله عليه وآله . . . يا له من فضل عظيم وكبير . . . .

وأنت تعلم أن مباهلته صلّى الله عليه وآله بهم ، والتماسه منهم التأمين على دعائه هذا بمجرده فضل عظيم ، وانتخابه لهم فيه فضل فوق فضل علي ، فضل لم يسبقهم إليه سابق ، ولن يلحقهم فيه لاحق ، ونزول القرآن العزيز آمراً بالمباهلة بهم بالخصوص أفضل ثالث يزيد فضل المباهلة ظهوراً ، ويضيف إلى شرف اختصاصهم بها شرفاً والى نوره نوراً .

---

(١) النور / ٣٧ .

ما لهذه الأمة المسكينة تعمل بالعام وتترك الخاص ، والخاص هو الدين الحقيقي ، يعملون بالقشور ولا يعملون في اللباب ، ثم ما لها تحسدهم وقد تركتهم وكأنها لا تعرفهم من هم ، وكأنهم أعداء هذه الأمة التي ما ابتنيت وما قامت أركانها إلا بهم وفي عملهم وفضلهم ، ألا يعلمون أنهم شرف هذه الأمة وتاجها وأصل الدين وكيانه ، ولولاهم لما ذكرت هذه الأمة ولما كان لها إسم بين الأمم ولا تعرف إطلاقاً ، فالأمة إنما تعيش ولها الشرف في الناس ، هذا بشرف فاطة وأبيها وبعلها وبنيها . . فلقد أصاب الأمة الإسلامية الحسد والحقد والحنق حتى خرج منها أدران ، فصارت غشاوة فلم تعد تبصر حتى إسلامها ونبيّها وقرآنها ، يا لها من مصيبة ، كتاب الله ينادي ويقول ﴿ **إنّ مثلَ عيسىٰ عندَ الله كمثل آدمَ خلقهُ منْ ترابٍ ثمَّ قالَ لهُ كنْ فيكونُ** ﴾[1] ﴿ **فمنْ حاجّكَ فيهِ منْ بعد ما جاءكَ من العلمِ فقلْ تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكمْ ثمَّ نبتهلْ فنجعلْ لعنتَ اللهِ على الكاذبين** ﴾[2] آمين اللهم آمين ، أرأيت ماذا يريد ، وماذا قال ، وما يعني بذلك ، وما يقصد ، وأي بلاغة هذه أنظر إن كنت تملك عقلاً وغير حاسد ، انظر لهذا الكتاب غداً شاهد عليك إن كنت عربياً صحيحاً ومسلماً مؤمناً صادقاً ، القرآن يقول لك « أبناءنا » « نساءنا » « أنفسنا » لماذا هذا الجمع ، لماذا لم يقل أبنائي ، إبنتي هذه من نساءنا وأنا وأخي ، عجيب عظمة هؤلاء ، بخٍ بخٍ لهم وبهم ، ولقد أراد القرآن الكريم بهذا العموم الأبناء والنساء والأنفس ، هذا الجمع المضاف حقيقة في الاستغراق ، وهذه العموميات عليهم بالخصوص تبياناً لكونهم ممثلي الاسلام هم دون غيرهم ، فالأبناء يمثلهم في الاسلام الحسن والحسين ، فهم أكمل الأنام وأعظم الاسلام وأهل الإيمان والعقيدة الراسخة الصلدة التي لا تعرف غير الله أبداً ، وأصدق صفوة العالم وبرهاناً على انهم خيرة الخيرة من بني آدم وتبنيها الى روحانيتهم الإسلامية والإخلاص لله في العبودية ما ليس في الناس ، وان دعوتهم الى المباهلة بحكم دعوة الجميع وحضورهم خاصة فيها ، فنزل منزلة حضور الأمة عامة ،

---

(١) آل عمران / ٥٩ .

(٢) آل عمران / ٦١ .

تأمينهم على دعائه مغني عن تأمين من عداهم ، وبهذا جاز التجوز باطلاق تلك العموميات عليهم بالخصوص ، ومن غاص على أسرار الكتاب الحكيم وتدبره ووقف على اعترافه يعلم أن اطلاق هذه العموميات عليهم بالخصوص إنما هو على حد قول القائل :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

لذا قال الزمخشري في تفسيره الآية من كشافه ، وفيه دليل لا شيء أقوىٰ منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام مطلقاً فالحس والحسين عليهما السلام هما نبراس ابناء الاسلام ، وأصل ابناء الاسلام وأراد الله أن يباهي الرسول بهذين الإبنين عوضاً عن كل ابن جاء في الاسلام من قبل ومن بعد ، ولم يأمر الرسول بأخذ غيرهم لأنهما نيّران وفرقدان الأمة ومصباحها ، وكذا أراد بالعفيفة الطاهرة نقية الجيب بنت الأطهار والطاهرات النقيين والنقيات فاطمة الزهراء الصديقة السيدة أن تكون هي الممثلة عن كافة نساء الإسلام من الأولين والآخرين ، ولذا أمره أن يصحبها الى تأمين الدعاء لأنها نبراس النسوة كافة في الإسلام وغيره ، فهي سيدة الدنيا والآخرة .

فالنبي الأكرم سيد الرسل والانبياء ، أكرم شخصية على الله ، ولكرمه سمي بطه ، وياسين ، وأحمد ، ومحمود ، ومحمد ، والأمي ، والبشير ، والنذير ، والسراج ، والمنير ، والصادق ، والأمين ، والمختار ، والمصطفى ، هذه الأسماء أعز على الله وهو العزيز الأعز .

وعلي سيد الوصيين ، ومشيد الإسلام وبانيه ، وهو أبو الأئمة البررة التقاة الذين خلصوا لله وأطاعوه من حيث لا يعصىٰ ، ولقد سجنوا وقتلوا وعزلوا واغتصبوا وازيلوا عن مراتبهم التي رتبهم الله بها ، فهم تركوا كل هذا وذاك من أجل كلمة الله ، فبطاعتهم لله وتجارتهم التي تاجروا فيها في كل زمن ودهر ووقت ، فهم قادة الحياة ، وسادة الأمة بل الناس كافة .

قال الإمام الحسين عليه السلام : نحن شجرة النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومهبط الوحي ، نحن عهد الله ، ونحن ميثاقه ،

كنّا أنواراً محدّقين في العرش نسبّح الله، فلما سبّحنا سبّح الملائكة لتسبيحنا، ولما نزلنا الى الأرض سبحنا فسبّح أهل الأرض لتسبيحنا، وكل علم خرج في الأرض فهو منّا وعنّا ولنا، ولقد أخذ الله عهداً ليدخل كل محب لنا الجنّة، وكل مبغض يدخله النار، ويسأل ولا يسأل.

أما الزهراء والمرتضىٰ عليهم السلام إن اختصاصهما من النساء والرجال مع عدم الإكتفاء بأحد السبطين من الأبناء فهو دليل على ما ذكرناه من تفضيلهم عليهم السلام، لأن علياً وفاطمة (ع) كما لم يكن لهما نظير في الأنفس والنساء وكان وجودهما مغني عن وجود من سواهما بخلاف كل من السبطين فإن وجود أحدهما لا يغني عن الآخر لتكافؤهما، ولذا دعاهما صلّى الله عليه وآله جميعاً، ولو دعا أحدهما دون صنوه كان ترجيحاً بلا مرجح، وهذا ينافي الحكمة والعدل، وهذا لو كان من الأبناء من يساويهما لدعاه معهما، كما انه لو كان لعلي عليه السلام نظير من الأنفس، أو لفاطمة عليها السلام نظيرة من النساء لما حاباهما عملاً بقاعدة الحكمة والعدل والمساواة.

بقي مما دلّت عليه الآية من خصائص علي عليه السلام فضل تضمحل دونه الخصائص، وتفنى في جنبه الفضائل والمناقب ألا وهو كونه نفس رسول الله صلّى الله عليه وآله وجارياً بنص الآية مجراه، الفضل الذي تحنوا له الحياة وتخضع، وتطامن لديه المفارق خشوعاً، ويملأ الصدور هيبة وإجلالاً وتصاغر دونه الهمم بأساً من بلوغ مداه ﴿ .... ذلكَ فضلُ اللهِ يؤتيهِ منْ يشاءُ ... ﴾[1] وأنت إذا اهتديت وهداك الله من التعصب إذا نوّر الله عقلك وفكرك، وأذهب عنك الجاهلية وعبادة الأشخاص، وأنكرت الضلالة ونفيتها عنك، وتمسكت بالله سبحانه وتعالى رأيت الطريق السليم المستقيم، إن الله تبارك وتعالى قد أنزل نفس رسول الله صلّى الله عليه وآله وأجراها في محكم الذكر مجراها لا ترتاب حينئذٍ في انه أفضل الأمة وأولاها برسول الله صلّى الله عليه وآله حياً وميتاً، وقد صرح أولياء أهل البيت واعترف أعداؤهم بدلالة الآية على هذا التفضيل الخالد في القرآن الكريم، حتى أن الرازي مع غرامه

---

(١) المائدة / ٥٤.

بنقض المحكمات وهيامه في التشكيك والشبهات لم يناقشْ في دلالتها على هذا المقدار من تفضيله عليه السلام ، إنما ناقش بأنه أفضل على من كان قبل رسول الله صلَّى الله عليه وآله من الأنبياء « وأنفسنا » إذ ليس المراد بقوله « وأنفسنا » نفس رسول الله صلَّى الله عليه وآله لأن الإنسان لا يدعو نفسه ، بل المراد غيرها واجمعوا على ذلك الغير كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وان الآية دلت على أن نفس علي هي نفس رسول الله صلَّى الله عليه وآله ، ولا يمكن أن يكون المراد أن هذه النفس وذلك يقتضي المساواة في جميع الوجود ، تركنا العمل بهذا العموم ، فلا شك رسول الله صلَّى الله عليه وآله كان أفضل الناس وأفضل ما خلق الله من جميع الخلق ، وهذا اجماع عقلاً ونقلاً ، فيلزم هنا أن يكون أمير المؤمنين علي عليه السلام أفضل من سائر الأنبياء ما خلا رسول الله محمد صلَّى الله عليه وآله لأنه نفسه ، والنفس واحدة ، فهذا وجه الاستدلال بظواهر هذه . . وأمعن النظر ودقق الآية خير تدقيق تعطيك الحقيقة إذا كان عقلك فيه صبغة الإيمان وكنت مسلماً حقيقياً غير منقاد الى شخص تعصباً وعناداً ، فالآية خير دليل على معرفة هؤلاء الأطهار عترة الهادي هم كمال الحياة وصفوة رب العالمين الذي طهّرهم وزكاهم في كتابه ، فلم تجد آية في الآيات الخاصة بهم إلا وترىٰ احترامهم وفرضهم على هذه الأمة ، ولو حضرتك نظرت الى سورة الدهر ودققتها بامعان يذكر الخالق سبحانه وتعالى هو العطاء العظيم والفيض الكبير ، ومن الجميل ﴿ **إنَّ الأبرارَ يشربونَ منْ كأسٍ كانَ مزاجها كافوراً ، عيناً يشربُ بها عبادُ اللهِ يفجّرونها تفجيراً ، يوفونَ بالنذرِ ويخافونَ يوماً كانَ شرّهُ مستطيراً ، ويطعمونَ الطعامَ على حبِّهِ مسكيناً ويتيماً وأسيراً ، إنّما نطعمكمْ لوجهِ اللهِ لا نريدُ منكمْ جزاءاً ولا شكوراً ، إنّا نخافُ من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً ، فوقاهمُ اللهُ شرَّ ذلكَ اليومِ ولقّاهمْ نضرةً وسروراً ، وجزاهمْ بما صبروا جنّةً وحريراً ، متكئين فيها على الأرائكِ لا يرونَ فيها شمساً ولا زمهريراً ، ودانيةً عليهمْ ظلالها وذلّلت قطوفها تذليلاً ، ويطافُ عليهم بآنيةٍ من فضّةٍ وأكوابٍ كانتْ قواريراً ، قواريرَ منْ فضةٍ قدّروها تقديراً ، ويسقونَ فيها كأساً كانَ مزاجها زنجبيلاً ، عيناً فيها تسمّىٰ سلسبيلاً ، ويطوفُ عليهمْ ولدانٌ مخلّدونَ إذا**

رأيتهم حسبتهمْ لؤلؤاً منثوراً ، وإذا رأيتَ ثمَّ رأيتَ نعيماً وملكاً كبيراً ، عاليهمْ ثيابُ سندسٍ خضرٌ واستبرقٌ وحلّوا أساورَ منْ فضةٍ وسقاهمْ ربهمْ شراباً طهوراً ، إنَّ هذا كانَ لكمْ جزاءاً وكانَ سعيكمْ مشكوراً ﴾(١)وغرضنا من هذا أنه سبحانه وتعالى لم يذكر سورة فيها أوصاف الجنة وما فيها إلا وجاء بحور العين ووصفها إلا هذه السورة ، فقد جاء المولى بكل ما في الجنة ووصفها دون أن يذكر الحور ، ولم يصف الزواج بها ، لماذا ، فلو كانت للناس لوصف هذا الشيء أجل لم يصف الحور ولم يأتِ بذكر الزواج إكراماً واحتراماً لفاطمة ، ما أحب أن يصف الزواج ومتعة الحور والمعانقة معهم والجلوس والزواج منهم ، علماً أن القرآن الكريم ما جاء بوصف حور في أي سورة كانت سواء سورة الرحمن أو سورة الواقعة أو غيرها إلا وقدم الحور ولذة الحور وما هي المتعة بالحور والزواج بهن ، كما جاء الوصف الدقيق في سورة الرحمن ﴿ فيهنَّ خيراتٌ حسانٌ ﴾(٢)﴿ حورٌ مقصوراتٌ في الخيام ﴾(٣)﴿ لمْ يطمثهنَّ إنسٌ قبلهمْ ولا جانٌّ ﴾(٤) ﴿ فيهن قاصراتُ الطرفِ لمْ يطمثهنَّ إنسٌ قبلهمْ ولا جانٌّ ﴾(٥)﴿ كأنهنَّ الياقوتُ والمرجانُ ﴾(٦)﴿ وفرشٍ مرفوعةٍ، إنّا أنشأناهنّ إنشاءاً ، فجعلناهنّ أبكاراً ، عرباً أتراباً ﴾(٧).

هذه الأوصاف التي جاءت في القرآن الكريم للذين يمنّ عليهم الخالق من عباده المصلحين والمتقين ، فلما كانت الجنّة لهم ومصيرهم هذه النعمة والحور ليتسابقوا في العمل .

أجل سورة ما أعظمها وما أعظم وصفها ، فيها كثير من النعم والعطاء

---

(١) الدهر / ٥ ـ ٢٢ .
(٢) الرحمن / ٧٠ .
(٣) الرحمن / ٧٢ .
(٤) الرحمن / ٧٤ .
(٥) الرحمن / ٥٦ .
(٦) الرحمن / ٥٨ .
(٧) الواقعة / ٣٤ ـ ٣٧ .

الكثير ، لكن الله سبحانه وتعالى لغيرته وهو الغيور ، ولشرف أمته فاطمة سيدة نساء عباده امتنع عن وصف الحور وجمالهنّ وذكر المتعة واللذة والزواج وغير ذلك إكراماً لفاطمة (عليها السلام) ، وإلّا فالمولى سبحانه ما ذكر الجنة والنعيم الذي فيها إلا وذكر الحور وما يختص فيهن ، والحور فصيل من فصائل الجنّة ، فالزهراء معظمة عند الله كما كانت أمها أم المؤمنين خديجة ، يبعث الله تبارك اسمه سلامه مع جبرائيل يخبر النبي صلّى الله عليه وآله بتحية الله لها والزهراء صلوات الله عليها معظمة مكرمة عند الله جل جلاله بحيث يغضب لغضبها . وهي أعبد نساء الأمة ، واعلمهن ، وأفقههن ، لذا كانت سيدتهن ، وقاعدة السيادة لها السبق ، فليس في الاسلام ولا في الدنيا من هو أعلم منها ولا أفضل ما خلا أبوها وبعلها والأئمة الهداة من ذريتها ، ويكفيها شرفاً أنها صاحبة النسل والذرية لرسول الله صلّى الله عليه وآله ، فمن عبادتها كانت تتورم قدماها ، كما كانت تتورم أقدام أبوها سيد البشر .

قال لها أبوها صلّى الله عليه وآله : أي شيء خير للمرأة ؟

قالت : أن لا ترىٰ رجلاً ، ولا يراها رجل .

فضمّها إليه وقال : ذرية بعضها من بعضٍ .

كما أنها أصدق لهجة ، ولذا كان النبي صلّى الله عليه وآله إذا رجع من سفره يأتي المسجد يصلي فيه ركعتين ، ثم يأتي الى دار فاطمة ويقبّلها ، وبعد ذلك يذهب إلى أزواجه .

قالت عائشة : أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله ، ما مشيها يخرم من مشية رسول الله ، فلما رآها قال : مرحباً يا بنيتي ، مرحباً ، ثم أجلسها عن يمينه أو شماله ، ثم أسرّ إليها حديثاً فبكت ، ثم اسرّ اليها حديثاً فضحكت ، فقلت : ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب إلى حزن ـ فسألتها عما قال ـ فقالت : لا أفشي سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما قبض سألتها فاخبرتني : انه أسرَّ إليّ فقال : ان جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرّة ، وأنه عارضني العام مرتين وما اراه إلّا وقد حضر أجلي ، وانك أوّل أهل بيتي لحوقاً بي ، ونعم السلف انا لك ، فبكيت ، فقال : ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء

العالمين[1].

ومن فضلها قال سيد الرسل صلّى الله عليه وآله وسلم : إنما سمّيت ابنتي فاطمة لأن الله سبحانه فطمها وفطم كل محبّيها من النار .

وكانت كثيرة الحب لأبيها ، وأبوها يحبها اكثر ، فكان يقبلها في كل صباح ومساء ، وكان إذا سافر آخر من يودّعها ، وإذا رجع من سفره أول من يدخل عليها ، ويقبّل ما بين عينيها ..

ومرة بعثت إليه بما تملك أن يقدمه في سبيل الله ، فقال ثلاث مرات : فداها أبوها . ليس الدنيا من محمد ولا من آل محمد ، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة لما سقىٰ فيها كافراً شربة ماء ، ثم قام فدخل عليها وقبلها .

أما عمل الصديقة الطاهرة وحرفتها في البيت فلا أعتقد أن هناك امرأة ، ملك الجزيرة العربية وغيرها ، مارست العمل بيدها وليس لها مساعد إلا علي عليه السلام ، فاستسقت بالقربة حتى أثرت في صدرها ، وطحنت بالرحىٰ حتى مجلت يداها ـ أي تنحى جلدها ـ وكسحت البيت ـ أي كنسته ـ حتى أغبرت ثيابها ، وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها فأصابها من ذلك ضرر شديد . .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : فقلت لها لو أتيت أباك فسألته خادماً . فأتت رسول الله صلى الله عليه وآله ، فوجدت عنده جماعة يتحدثون ، فاستحت وانصرفت فعلم رسول الله صلىٰ اللهُ عليه وآله أنها جاءت لحاجةٍ ، فغدا علينا ونحن في لحافنا ـ إلى أن قال ـ : فجلس عند رؤوسنا فقال : يا فاطمة ما كانت حاجتك أمس ؟

قال علي عليه السلام فقلت : أنا أخبرك يا رسول الله ، فأخبرته .

قال : أفلا أعلمكما ما هو خير لكم من الخادم ، إذا أخذتما منامكما فسبّحا ثلاثاً وثلاثين ، واحمدا ثلاثاً وثلاثين ، وكبّرا أربعاً وثلاثين .

---

(١) اسد الغابة ٥/ ٥٢٥ .

فأخرجت فاطمة عليها السلام رأسها وقالت : رضيت عن الله ورسوله ثلاث دفعات . ولا زال هذا يسمّىٰ اليوم تسبيح الزهراء عليها السلام ، وكان جميع أولادها وأحفادها الأئمة البررة ، وجميع الشيعة يسبّحون الله بعد كل صلاة بهذا التسبيح .

وعن ابي سعيد الخدري قال : لما نزل قوله ﴿ وآت ذا القربى حقه ﴾ اعطىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة فدكا .

قال عبد الرحمن بن صالح : كتب المأمون الى عبد الله بن موسىٰ يسأله عن قصة فدك ، فكتب اليه عبد الله بهذا الحديث ، فردّ المأمون فدكاً الى ولد فاطمة عليها السلام[1].

وكان من فضل عظمتها أن خطبها رجال العرب والمسلمين منهم أبو بكر وعمر ، ورفض رسول الله صلّى الله عليه وآله ذلك ، وقال : أمرها إلى الله ، وإني دعوت الله أن يزوجها خير خلقه وأحبّهم إليه .

وأخبر أبو بكر وعمر علياً فلو أتيت الى رسول الله ، فخطبت إليه فاطمة لزادك الله فضلاً الى فضلك ، وشرفاً الى شرفك ، فإنا نرجو أن يكون الله ورسوله إنما يحبسانها عليك أو إليك .

فانطلق ، فتوضأ ، ثم اغتسل ، ولبس كساء ، وصلى ركعتين ، ولبس نعليه ، وأقبل الى رسول الله صلّى الله عليه وآله وكان في بيت أم سلمة (رض)، فسلّم عليه ، فردّ عليه السلام ، وجلس بين يديه ينظر الى الأرض .

قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله : أتيت لحاجة ؟

قال : نعم أتيتك خاطباً إليك ابنتك فاطمة ، فهل أنت مزوّجي يا رسول الله ؟

---

(١) مجمع البيان : ٣/٤١١ .

قالت أم سلمة : فرأيت وجه رسول الله صلّى الله عليه وآله يتهلل فرحاً وسروراً ، ثم تبسّم في وجه علي عليه السلام ودخل على فاطمة ، فقال لها : إن علي بن أبي طالب من قد عرفت قرابته وفضله في الإسلام ، وإني سألت ربي أن يزوجك خير خلقه وأحبّهم إليه ، وقد ذكر من أمرك شيئاً ، فما ترين ؟ فسكتت فخرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو يقول : الله اكبر سكوتها إقرارها .

فقال لعلي : يا علي هل معك شيء أزوجك به ؟

قال : سيفي ودرعي وناضحي ـ أو فرسي ـ .

فقال صلّى الله عليه وآله : أما سيفك فلا غنى بك عنه تجاهد به في سبيل الله وتقاتل به أعداء الله ، وناضحك تنضح به على نخلك وتحمل عليه رحلك في سفرك ، وأما درعك فشأنك بها .

فانطلق علي عليه السلام وباع درعه بأربعمائة وثمانين درهماً ، فصبّها بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله .

ولقد ذكر أنس أن رسول الله صلّى الله عليه وآله غشيه الوحي ، فلما أفاق قال : جاءني جبرائيل من عند صاحب العرش ، وأمرني أن أزوّج فاطمة من علي . ودعا عدداً من المهاجرين وبقدرهم من الأنصار ، وتكلّم النبي صلّى الله عليه وآله وسلم الخطبة ، وكانت خطبة علي بين المهاجرين والأنصار .

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في خطبته : الحمد لله الذي قرب من حامديه ، ودنا من سائليه ، ووعد الجنة من يتّقيه ، وأنذر بالنار من يعصيه ، نحمده على قديم إحسانه وأياديه ، حمد من يعلم أنه خالقه وباريه ومميته ومحييه ، وسائله عن مساويه ، ونستعينه ونستهدي به ، ونؤمن به ونستكفيه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تبلغه وترضيه ، وان محمداً عبده ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلم صلاة تزلفه وتحظيه ، وترفعه وتصطفيه ، وهذا رسول الله صلّى الله عليه وآله زوّجني ابنته فاطمة على خمسمائة درهم ، فاسألوه واشهدوا .

قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله : قد زوجتك ابنتي فاطمة على ما زوجك الرحمٰن ، وقد رضيت بما رضيٰ الله لها ، فنعم الختن[1] أنت ، ونعم الصاحب انت ، وكفاك برضىٰ الله .

فخرَّ علي عليه السلام ساجداً شكراً لله تعالى وهو يقول : ﴿**ربِّ أوزعني انْ اشكرَ نعمتكَ التي أنعمتَ عليَّ وعلى والديّ وأنْ أعملَ صالحاً ترضاه**﴾[2] وأصلح لي في ذريتي .

فقال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم : آمين .

فلما رفع رأسه قال النبي صلَّى الله عليه وآله : بارك الله عليكما ، وبارك فيكما ، وأسعد جدكما ، وجمع بينكما ، وأخرج منكما الكثير الطيّب .

وهذا الذي تشاهده الحياة هو الكثير الطيب إثني عشر إمام كلهم معصومون عن الخطأ والزلل والرجس ، ولقد امتلأت الأرض بأقطارها من ذرية علي وفاطمة ، كل من في الأرض ولد وهو سيد ، فعلوي وفاطمي ، ينتسب الى محمد سيد الرسل صلَّى الله عليه وآله ، وهذا هو الحسب والنسب والشرف العالي الذي لا يضاهي حسبهما ونسبهما حسبٌ قط ، فكل هذه الذرية هي أبناء علي وفاطمة ، حتى جعل الله من ذلك الصلب صلب علي وشرب فاطمة ، وقد خصص الله تعالى في كتابه المجيد خمس أموال الناس لهم كحق شرعي وفرض رباني ، وجعلهم أسياد على كافة البشر ، ولهم الكرامة من الله والشرف النبيل ، فتراهم تارة يسمون بالشرفاء ، وأخرىٰ بالعلويين ، وثالثة بالفاطميين ، ورابعة بالسادة ، وخامسة بالاغواث ، وهؤلاء الذين ذكرهم النبي في حديثه الشريف أنه كل حسب ونسب منقطع يوم القيامة إلا حسبي ونسبي باقٍ ، ذرية طيبة ، عترة طاهرة ، عطرها مسك وعنبر ، أبناء فاطمة وعلي وجعل الله فيهم البركة من دعاء الرسول الأكرم صلَّى الله عليه وآله ، كلما تكالبت عليهم الأيام والليالي والطغاة واجتهدوا بقتلهم تراهم كحبة القمح ، كل حبة تثمر عدة سنابل ، وكل سنبلة ماءة حبة ، أو كشجرة طيبة

---

(١) الختن : زوج البنت .

(٢) النمل / ١٩ .

ثمرها كثيف ، وكل عدو لهم يخشاهم ويهابهم خوفاً من هيبتهم ، ولكن الدنيا تضحك للحكام الظلمة ، فيقتلوهم بدون حق ، وهم أبدال هذه الأرض مع وجود أبوهم الأكبر حجة الله في الأرض الإمام الغائب صاحب الأمر والزمان المهدي المنتظر عليه سلام الله .

ثم انظر أيها القارىء الى هذه الزوجة والأمة الكريمة بنت سيد الأنام قد زوجها الخالق بأمره ، وبما قال أبوها الصادق الأمين . انظر الى الصديقة البتول لو لم يكن لها علي بن أبي طالب ، فليس لها كفؤ أبداً مطلقاً من أبناء آدم ، لا من الرسل ولا الانبياء ولا البشر من هو كفؤ لها أبداً ، ولولا عليّ بن أبي طالب لبقيت السيدة العذراء فاطمة الزهراء بلا زوج أبداً لأنها سيدة النساء وأشرف ما خلق الله من النساء .

قالوا : حواء .

قلت : فاطمٌ فخرها .

قالوا : مريم .

قلت : أنّا لمريم أبو كمحمدٍ .

قالوا : سارة .

قلت : أنّا لسارة أبناء كالحسنين .

قالوا : هاجر .

قلت : كانت أمها ، وقد تشرفت بأن حملت نورها في شرابها حتى أودعته في صلب أبوها إسماعيل بعد أخذه من إبراهيم الخليل .

قالوا : خديجة .

قلت : تفضلت بابنتها فاطمة .

ففاطمة ليس لها كفؤ قط ، حيث انها كانت تحمل في وعائها نجوم الأرض من آل عبد المطلب الذين هم أمان لهذه الأرض ولأهلها ، وهم العترة التي أمر الله سبحانه بطاعتهم وفرضها على جميع عباده وجعلها فرضاً ، وجعل

للمحبّ لهم والمطيع الجنة ، ومحبّهم محب الله والرسول ، والله ورسوله يحبّان الذين يحبّونهم .

وفاطمة من عظمتها وشرفها أن ثلث الأمة الإسلامية خرج من نسلها من يوم ولد الإسلام الى يومنا هذا والى نهاية الدنيا ، جاؤوا كلهم من نسلها .

قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب عليه السلام : يا علي لقد عاتبني رجال من قريش في أمر فاطمة ، وقالوا خطبناها إليك فمنعتنا وزوجت علياً ، فقلت لهم ما أنا منعتكم وزوجته ، بل الله منعكم وزوجه . فهبط عليّ جبرائيل فقال يا محمد إن الله جل جلاله يقول : لو لم أخلق علياً لما كان لفاطمة ابنتك كفؤ على وجه الأرض .

هذا فضل فاطمة وشرفها ومنزلتها عند الله تعالى وعند رسوله صلَّى الله عليه وآله ، وهذا ما أشار به المصطفى أنه قال لابنته ذات يوم : يا فاطمة لقد زوجتك سيداً في الدنيا وفي الآخرة ، وإنه لأول أصحابي إسلاماً ، واكثرهم علماً ، وأعظمهم حلماً .

ومن عظمة فاطمة حين زفافها لزوجها علي ، جاء النبي صلَّى الله عليه وآله ببغلته أو ناقته الشهباء ، وثنى عليها قطيفة وقال لفاطمة عليها السلام : إركبي . وأمر سلمان أن يقودها ، والنبي صلَّى الله عليه وآله يسوقها ، ومعه حمزة وعقيل وجعفر وأهل البيت يمشون خلفها مشهرين سيوفهم ، ونساء النبي أمهات المؤمنين حواليها وأمامها يرجزن ، وأمر بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة ، وأن يفرحن ويكبّرن ويحمدن ولا يقلن ما لا يرضي الله .

ولذا صار التكبير خلف العرائس سنة ، فكان من تعظيم الله لها أنّ سيد الخلق يسوق ناقتها ويسير خلفها ، وكان الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر وعمّار يشترون الأثاث لها خدمة لفاطمة من المهر الذي أعطاه الإمام لرسول الله صلَّى الله عليه وآله فكان يأخذ من المال قبضة قبضة لشراء ما تحتاجه ، وكانت أم سلمة تنشأ بهذه الكلمات أمام الزهراء عليها السلام :

سرن بعون الله جاراتي ... واشكرنه في كل حالات
واذكرن ما أنعم رب العلىٰ ... من كشف مكروه وآفات
فقد هدنا بعد كفر وقد ... انعشنا رب السماوات
وسرن مع خير نساء الورى ... تفدىٰ بعمّات وخالات
يا بنت من فضله ذو العلىٰ ... بالوحي منه والرسالات

وقالت السيدة عائشة بنت أبي بكر قولها :

يا نسوة أشرن بالمعاجز ... واذكرن ما يحسن في المحاضر
واذكرن رب الناس إذ يخصنا ... بدينه مع كل عبد شاكر
والحمد لله على أفضاله ... والشكر لله العزيز القادر
سرن بها فالله أعلى ذكرها ... وخصّها منه بطهرٍ طاهر

وقالت السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب قولها :

فاطمة خير نساء البشر ... ومن لها وجه كوجه القمر
فضلك الله على كل الورىٰ ... بفضل من خص بآي الزمر
زوّجك الله فتىً فاضلاً ... أعني علياً خير من في الحضر
فسرن جاراتي بها فإنها ... كريمة بنت عظيم الخطر

ثم أنشأت أم سعد بن معاذ قالت :

أقول قولاً فيه ما فيه ... واذكر الخير وأبديه
محمد خير بني آدم ... ما فيه من كبر ولاتيه
بفضله عرفنا رشدنا ... فالله بالخير يجازيه
ونحن مع بنت نبي الهدىٰ ... ذو شرف قد مكنت فيه
في ذروة شامخة أصلها ... فما أرىٰ شيئاً يدانيه

أجل ثم أنفذ رسول الله صلّى الله عليه وآله الى علي ، فدعاه وأخذ بيد فاطمة فوضعها في يده وقال : بارك الله لك في ابنة رسول الله . وأخذ علياً بيمينه وفاطمة بشماله ، وجمعهما الى صدره ، فقبل بين أعينهما ، ودفع فاطمة لعلي وقال : يا علي نعم الزوجة زوجتك . ثم أقبل الى فاطمة وقال : يا

فاطمة نعم البعل بعلك . ثم قام يمشي بينهما حتى أدخلهما بيتهما ، ثم دعا بماء ، فأخذ منه جرعة فتمضمض بها ، ثم مجّها في القصب وصب منه على رأسها ونضح من بين ثدييها ومن كتفيها ، وفعل بعلي مثل ذلك ، وقال : اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في شبليهما ، وقال : إنهما أحب الخلق إلي أحبهما وبارك في ذريتهما واجعل عليهما منك حافظاً ، وإني أعيذهما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم ، ودعا لفاطمة فقال : أذهب الله عنك الرجس وطهرك تطهيراً ، وقال : مرحباً ببحرين يلتقيان ونجمين يقترنان .

وقال صلّى الله عليه وآله وسلم : اللهم هذه ابنتي وأحب الخلق إليّ ، اللهم وهذا أخي وأحب الخلق إليّ ، اللهم اجعله لك وليّاً ، وبك حفياً ، وبارك له في أهله .

ثم قال : يا علي أدخل بأهلك ، بارك الله تعالى لك ورحمة الله وبركاته عليكم إنه حميد مجيد .

وعندما خرج أخذ بعضادتي الباب فقال : طهركما الله وطهّر نسلكما ، أنا سلم لمن سالمكما ، وحرب لمن حاربكما ، استودعكما الله واستخلفه عليكما ، ثم غلق الباب بيده الشريفة .

أقول : من كانت هذه منزلتها عند الله ورسوله أما كان يجب أن يحفظ فيها ، وكيف منعت من إرثها ونحلتها ، حتى عاشت حزينة باكية شاكية الله ، وماتت بغصّتها واجدة ، ولم تر بعد وفاة أبيها ضاحكة ولا كاشرة ، حتى لحقت بربها ، ودفنت ليلاً ، وعفّر قبرها ، ما كان هذا الظن بهذه الأمة أن تصنع مع بضعة هاديها هكذا وهي قد نظرت بأم عينها أنها صدّيقة الأمة ، وأطهر نسائها ، وسيدة هذه الأمة من الأولين والآخرين ، ولقد بارك الله لها ، وانها أم الأئمة الهداة ، وصاحبة نسل محمد بن عبد الله ، هذا النسل الذي انتشر في كافة المعمورة امان لهذه الدنيا ، وعلى رأس هذه العترة الإمام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه) .

واعجباً لهذه الحرة التي قام بتزويجها ربها ، والخاطب لها من أبيها ربها ،

والتي لا كفؤ لها إلا علي حسبما قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلم على لسان ربّه ، وهذه المرأة التي يزفّها النبي بيده ، ونساؤه يهزجن أمامها ، والصحابة الكبار يشترون لها الفراش والأثاث ، وهكذا يصنع بها ، وهم يعلمون أنها بضعة محمد المصطفى ، والله يغضب لغضبها ، الويل ثم الويل لهذه الأمة غداة غدٍ ، فقد هلكت كما هلك بنو إسرائيل ، أما كفاهم أخذ حقّها وغصب مالها من ميراث حتى أحرقوا دارها وأضرموا النار حول بيتها بعد وفاة أبيها ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، أي وإسلاماه لماذا كل هذا ، وكأنها جاءت من الزنج أو الديلم ، أو ليست فاطمة وأبوها سيد هذه الأمة ورسولها الذي أنقذهم من الضلال والشرك والكفر ، وكل ما سمعوه ووعوه ذهب أدراج الرياح ، فلو عمل ذلك العمل غير هؤلاء الذين يعرفون قدرها ، ونحن لا نعلم لماذا قدم أصهار أبوها على غصبها وهم خلفاء الأمة ، ولكن المؤتمر الذي عقدوه في السقيفة ، والعهد الذي قطعوه على أنفسهم ، فتركوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مسجّى للتغسيل وكأنه إنسان غريب عليهم وعنهم ، فانشغلوا في اعمال سقيفتهم ، والعلم الذي كان في قلوبهم أخفوه على الرسول والناس ، فلما أتيحت الفرصة أظهروا ما كانوا يبغون عمله وفعله ، فصبّوا حممهم على بيت النبوة ، وقد حللوا ما قدموا عليه وأجازوه لأنفسهم فاستبدلوا الحق بالباطل ، وقدموا الهدية لرسول الله صلىٰ الله عليه وآله بحرق دار ابنته .

وكان هذا أول غصب وقع في الإسلام ، غصب الزهراء عليها السلام حقها وإرثها ، والرسول صلّى الله عليه وآله يقول : الناس مسلّطون على أموالهم . وقد كان ذلك أمراً مدبّراً لا رجعة لهم منه إطلاقاً ، بل حتى لو عاد الرسول صلّى الله عليه وآله ثانية لما تراجعوا عن أمرهم ، وما أقدموا عليه ، لأنهم قد أجمعوا على أمرٍ كان مفعولاً ، ولا بد أن يضلوا الاسلام ليصبح لقمة سائغة للآكلين والطغاة الذين استولوا عليه وعلى سدة الحكم الى آخر الزمن ليعيش في الظلام والظلم والكبت والخوف والسيطرة والعبودية وسلب الحرية بعد عدله ومساواته وحريته ، هكذا اقتضت مصلحة أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله بالاعتداء على بيت النبوة من بعده والاستيلاء عليه .

ولما دخلت الزهراء عليها السلام على الخليفة الأول وحاججته في

كتاب ، وحجّته وأراد أن يتراجع عن حقها ، لكن خليفته الثاني منعه من إرجاع حقها ، فقال له : إنها إمرأة ، فلا تسمع لها ، وأنت خليفة الله وخليفة رسوله ، ولك حق التصرف بأموال المسلمين .

فوقفت المرأة المغلوبة بنت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وكأن الرسول هو المغلوب أمام الخليفة أبو بكر لتلقي الحجة عليه حتى خطبت تلك الخطبة الشهيرة والطويلة ، فكانت عظيمة جليلة غاية في الفصاحة والبلاغة والمتانة بمحضر من المهاجرين والأنصار ، وهي تتضمن أبلغ الحجج على القوم والأمة لتكون حجة عبر التاريخ والقوم كلهم في مسمعٍ حتى خليفة القوم الذي نصب نفسه وإخوانه نصبّوه بالخلافة ، والخطبة رواها الفريقان بأسناديهم وفي رواياتهم وكان هناك بعض التفاوت ، إنها من محاسن الخطب وأبدعها ، عليها مسحة من نور النبوة ، وفيها عبقة من أريج الرسالة وشعاع الإمامة والعصمة ، فلا والله لا يستطيع أحد أن يأتي بفقرة منها ، لأنهم أهل بيت رضعوا من ثدي الوحي ، وتغذوا به ، وزّقوا العلم زقاً ، فكل فقرة لها تعبيرها ومعناها ، فإذا أردت أن تعرف الخطيب القادر على الخطابة ، فهو الذي يعطيك ثمرة الكلام بكل فقرة معنى مضمون ، ومعرفة خاصة ، كثير من الخطباء يتكلم وقتاً طويلاً ، ولكن لا يفهم منه شيئاً ولا يعرف له معنى إلا بعد حين ، ولخطبة الزهراء عليها السلام علامات وأدوار وفقرات :

أولاً : إن السيدة صاحبة الخطبة والاحتجاج خرجت من دارها بعد أن سمعت أن القوم اغتلسوا حقها الموهوب لها من قبل أبيها صلَّى الله عليه وآله ، وهي الوريثة له حقاً وشرعاً وعرفاً بالفرض والقرابة ، وليس هناك من ينازعها في الميراث غيرها قط ، لأنها صاحبة النصف بالفرض في كتاب الله ، والباقي يرد عليها ولها بالقربى ، وأما النسوة التي تركهن بعده لهن الثمن ، وهنّ تسعة بالثمن ، ثم نحلة الزهراء أو فدكها كانت هبة أعطيت لها ، وهي من حق الرسول أجل فخرجت بهيبة النبوة وشرف الرسالة ، حيث كانت تمثل رسول الله صلَّى الله عليه وآله القد بالقد ، فلاثت خمارها على رأسها الشريف ، واشتملت بجلبابها وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلَّى الله عليه وآله شيئاً . . . الله أكبر يا له

من خروج ، وأي خروج ذلك ، سبحان الله كيف لم تنقلب جدران المدينة ولم تسخ بأهلها يوم ذاك ، ولماذا هذا الخروج ؟ ولماذا ذلك الغضب ؟ ولماذا تغضب الحرة ؟ وما هي عداوة المرأة مع الرجال ؟

والله لقد خرج الهادي صلّى الله عليه وآله نفسه ، خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله يحاجج القوم ، وكأني به يقول انقلبتم على أعقابكم ، وارتددتم كما ارتدّ قوم موسىٰ . أجل انقلبوا وارتدوا على أعقابهم ، كيف تحملوا ذلك المشهد والخروج .

فدخلت عليه وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، فنيطت دونها ملاءة ، فجلست ، ثم أنّت أنّةً أجهش القوم لها بالبكاء ، فارتجّ المجلس ، ثم أمهلت هنيهة ، حتى إذا سكن نشيج القوم ، وهدأت ثورتهم ، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه ، والصلاة على رسوله صلّى الله عليه وآله ، فعاد القوم في بكائهم ، فلما أمسكوا ، عادت في كلامها فقالت الخطبة أمام أبي بكر وكافة الحاضرين يوم ذاك :

الحمد لله على ما أنعم ، وله الشكر على ما ألهم ، والثناء بما قدم من عموم نعمٍ إبتداها ، وسبوغ آلاءٍ أسداها ، وتمام نعم أولاها ، جم عن الإحصاء عددها ، ونأى عن الجزاء أمدّها ، وتفاوت عن الإدراك أبدها ، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، كلمة جعل الإخلاص تأويلها ، وضمن القلوب موصولها ، وأنار في التفكّر معقولها ، الممتنع من الأبصار رؤيته ، ومن الألسن صفته ، ومن الأوهام كيفيته ، ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها ، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها ، كوّنها بقدرته ، وذرأها بمشيّته ، من غير حاجة منه الى تكوينها ، ولا فائدة له في تصويرها ، إلاّ تثبيتاً لحكمته ، وتنبيهاً على طاعته ، وإظهاراً لقدرته ، وتعبداً لبريته ، وإعزازاً لدعوته ، ثم جعل الثواب على طاعته ، ووضع العقاب على معصيته ذيادة لعباده من نقمته ، وحياشة لهم الى جنّته ، وأشهد أن أبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلّم عبده ورسوله ، اختاره وانتخبه قبل أن أرسله ، وسمّاه قبل أن اجتباه ، واصطفاه قبل أن ابتعثه ، إذ

الخلائق بالغيب مكنونة ، وبستر الأهاويل مصونة ، وبنهاية العدم مقرونة ، علماً من الله تعالى بمآلي الأمور ، وإحاطة بحوادث الدهور ، ومعرفة بمواقع الامور ، ابتعثه الله تعالى إتماماً لأمره ، وعزيمة على إمضاء حكمه ، وانفاداً لمقادير حتمه ، فرأى الأمم فرقاً في أديانها عكفاً على نيرانها ، عابدة لأوثانها ، منكرة لله مع عرفانها ، فأنار الله تعالى بأبي محمد صلّى الله عليه وآله ظلمها ، وكشف عن القلوب بهمها ، وجلىٰ عن الأبصار غممها ، وقام في الناس بالهداية ، وأنقذهم من الغواية ، وبصرّهم من العماية ، وهداهم الى الدين القويم ، ودعاهم الى الصراط المستقيم ، ثم قبضه الله إليه قبض رأفة واختيار ورغبة وإيثار ، فمحمد صلّى الله عليه وآله عن تعب هذه الدار في راحة ، قد حفّ بالملائكة الأبرار ورضوان الرب الغفار ، ومجاورة الملك الجبّار ، صلى الله على أبي نبيّه ، وأمينه على وحيه ، وصفيّه وخيرته من الخلق ورضيّه ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

ثم التفتت إلى أهل المجلس وقالت : أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه وحماة دينه ووحيه ، وأمناء الله على أنفسكم ، وبلغاؤه الى الأمم ، وزعيم حق له فيكم ، وعهد قدّمه إليكم ، وبقيّة استخلفها عليكم ، كتاب الله الناطق ، والقرآن الصادق ، والنور الساطع ، والضياء اللامع ، بيّنة بصائره ، منكشفة سرائره ، متجليّة ظواهره ، مغتبطة أشياعه ، قائد الى الرضوان أتباعه ، مؤدّ الى النجاة استماعه ، به تنال حجج الله المنوّرة ، وعزائمه المفسّرة ، ومحارمه المحذّرة ، وبيّناته الجالية ، وبراهينه الكافية ، وفضائله المندوبة ، ورخصه الموهوبة ، وشرائعه المكتوبة ، فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك ، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر ، والزكاة تزكية للنفس ونماءاً في الرزق ، والصيام تثبيتاً للإخلاص ، والحج تشييداً للدين ، والعدل تنسيقاً للقلوب ، وطاعتنا نظاماً للملّة ، وإمامتنا أماناً من الفرقة ، والجهاد عزاً للإسلام ، والصبر معونة على استيجاب الأجر ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مصلحة للعامة ، وبرّ الوالدين وقاية من السخط ، وصلة الأرحام منساة في العمر ، والقصاص حقناً للدماء ، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة ، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس ، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس ،

واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة ، وترك السرقة إيجاباً للعفّة ، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية ﴿ فلا تموتنّ إلا وأنتم مسلمونَ ﴾[1] وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿ إنما يخشى اللهَ منْ عبادهِ العلماءُ . . . ﴾[2].

ثم قالت عليها السلام : أيها الناس إعلموا أني فاطمة ، وأبي محمد صلّى الله عليه وآله ، أقول عوداً وبدءاً ، ولا أقول ما أقول غلطاً ولا أفعل ما أفعل شططاً ، ما أقول إسرافاً ولا شططاً : ﴿ لقدْ جاءكمْ رسولٌ منْ أنفسكمْ عزيزٌ عليه ما عنتّم حريصٌ عليكمْ بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ ﴾[3]، فإن تعزّوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم ، وأخا ابن عمي دون رجالكم ، ولنعم المعزي إليه فبلغ الرسالة صادعاً بالنذارة مائلاً عن مدرجة المشركين ضارباً ثبجهم ، آخذاً بكظمهم ، داعياً الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة يكسّر الأصنام ، وينكث الهام ، حتى انهزم الجمع ، وولوا الدبر ، حتى تعزي الليل عن صبحه ، وأسفر الحق عن محضه ، ونطق زعيم الدين ، وخرست شقاشق الشياطين ، وطاح وشيظ النفاق ، وانحلّت عقدة الكفر والشقاق ، وفهتم بكلمة الإخلاص ، في نفر من البيض الخماص ، وكنتم على شفا حفرة من النار ، مذقة الشارب ، ونهزة الطامع ، وقبسة العجلان ، وموطىء الأقدام ، تشربون الطّرق ، وتقتاتون القد ، أذلة خاسئين ، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم ، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بأبي محمد صلّى الله عليه وآله بعد اللتيا والتي ، وبعد أن مني ببُهم الرجال ، وذؤبان العرب ، ومردة أهل الكتاب ﴿ . . . كُلّما أوقدوا ناراً للحربِ أطفأها اللهُ . . . ﴾[4] أو نجم قرن للشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين ـ كلما حشوا ناراً للحرب ونجم فرن الضلال وفغرت فاغرة من المشركين ـ قذف أخاه ـ بأخيه خ ل ـ في لهواتها ، فلا ينكفىء حتى يطأ صماخها بأخمصه ، ويخمد لهبها بسيفه ، مكدوداً في ذات الله ، مجتهداً في أمر الله ، قريباً من رسول الله صلّى الله عليه وآله ، سيداً في أولياء الله ، مشمراً ناصحاً ، مجداً كادحاً ، وأنتم في رفاهية

---

(١) البقرة /١٣٢ .

(٢) فاطر /٢٨ .

(٣) التوبة /١٢٨ .

(٤) المائدة/٦٤ .

من العيش وادعون فاكهون آمنون ، تتربصون بنا الدوائر ، وتشوكفون الأخبار ، وتنكصون عند النزال ، وتفرّون من القتال ، فلما اختار الله لنبيّه دار أنبيائه ، ومأوى أصفيائه ، ظهرت فيكم حسيكة النفاق ، وسمل جلباب الدين ، ونطق كاظم الغاوين ، ونبغ خامل الاقلين ، وهدر فنيق المبطلين ، فخطر في عرصاتكم . . وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم ، فألفاكم لدعوته مستجيبين ، وللغرة فيه ملاحظين ، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً ، وأحمشكم فألفاكم غضاباً ، فوسمتم غير إبلكم ، وأوردتم غير شربكم ، هذا والعهد قريب ، والكلم رحيب ، والجرح لما يندمل ، والرسول لما يقبر ابتداراً زعمتم خوف الفتنة ﴿ **ألا في الفتنةِ سقطوا وإنَّ جهنَمَ لمحيطةٌ بالكافرين** ﴾[1] فهيهات منكم ، وكيف بكم ، وأنّى تؤفكون ، وهذا كتاب الله بين أظهركم ، أموره ظاهرة ، وأحكامه زاهرة ، وأعلامه باهرة ، وزواجره لائحة ، وأوامره واضحة ، وقد خلفتموه وراء ظهوركم ، أرغبة عنه تدبرون ، أم بغيره تحكمون ﴿ . . . **بئسَ للظالمينَ بدلاً** ﴾[2] ﴿ **ومنْ يبتغِ غيرَ الإسلامِ ديناً فلنْ يقبلَ منهُ وهوَ في الآخرةِ منَ الخاسرينَ** ﴾[3] ثم لم تلبثوا إلا ريثما تسكن نفرتها ، ويسلس قيادها ، ثم أخذتم تورون وقدتها ، وتهيجون جمرتها ، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي ، وإطفاء نور الدين الجلي ، واهمال سنن النبي الصفي ، تسرون حسوا في ارتغاء ، وتمشون لأهله وولده في الخمر والضراء[4] ونصبر منكم على مثل حز المدى ، ووخز السنان في الحشى ، وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لي ﴿ **أفحكمَ الجاهليةِ يبغونَ ومنْ أحسنُ منَ اللهِ حكماً لقومٍ يوقنونَ** ﴾[5] أفلا تعلمون ، بلى قد تجلّى لكم كالشمس الضاحية أني ابنته أيها المسلمون أأغلب على إرثي ، يا معشر المهاجرة ابتز إرث أبي ، يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي ؟ لقد جئت شيئاً

---

(١) التوبة/ ٤٩ .

(٢) الكهف / ٥٠ .

(٣) آل عمران / ٨٥ .

(٤) الخمر ـ بالفتح ـ ما واراك من شجر وغيره ، والضراء ـ بالفتح ـ الشجر الملتف بالوادي .

(٥) المائدة/ ٥٠ .

فرياً ، أفعلىٰ عمد تركتم كتاب الله ، ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول ﴿ **وورثَ سليمانُ داود . . .** ﴾[1] وقال فيما اقتص من خبر يحيىٰ بن زكريا عليهما السلام اذ يقول ﴿ . . . . **فهبْ لي منْ لدنكَ ولياً ، يرثني ويرثُ منْ آلِ يعقوبَ . . .** ﴾[2] وقال ﴿ . . . **وأولوا الأرحامِ بعضهمْ أولى ببعضٍ في كتابِ اللهِ . . .** ﴾[3] وقال : ﴿ **يوصيكمُ اللهُ في أولادكمْ للذكرِ مثلُ حظِّ الأنثيينِ . . .** ﴾[4] وقال : ﴿ . . . . **إنْ تركَ خيراً الوصيةُ للوالدينِ والأقربينَ بالمعروفِ حقاً على المتقين** ﴾[5] وزعمتم أن لا حظوة لي ولا أرث من أبي ولا رحم بيننا ، أفخصّكم الله بآية أخرج منها أبي صلّى الله عليه وآله ، أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان ، أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة ، أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي ، فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك ، فنعم الحكم الله ، والزعيم محمد صلّى الله عليه وآله ، والموعد القيامة ، وعند الساعة يخسر المبطلون ، ولا ينفعكم إذ تندمون ، ولكل نبأ مستقر ، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ، ويحل عليه عذاب مقيم .

ـ ثم رنت بطرفها نحو الأنصار ـ فقالت : يا معشر الفتية ، وأعضاد الملة ، وحضنة الإسلام ، ما هذه الغميزة في حقي ، والسِنة عن ظلامتي ، أما كان رسول الله صلّى الله عليه وآله أبي يقول : المرء يحفظ في ولده . سرعان ما أحدثتم وعجلان ذا اهالة ، ولكم طاقة بما أحاول ، وقوة على ما أطلب وأزاول ، أتقولون مات محمد فخطب جليل استوسع وهنه ، واستنهر فتقه ، وانفتق رتقه ، واظلمت الأرض لغيبته ، وكسفت الشمس والقمر ، وانتثرت النجوم لمصيبته ، واكدت الآمال ، وخشعت الجبال ، وأضيع الحريم ، وأزيلت الحرمة عند مماته ، فتلك والله النازلة الكبرىٰ والمصيبة العظمىٰ التي لا مثلها نازلة ، ولا بائقة عاجلة اعلن بها ، كتاب الله جل ثناؤه في أفنيتكم في ممساكم ومصبحكم هتافاً وصراخاً ، وتلاوة وإلحاناً ، ولقبله ما حلت بأنبياء الله

(١) النمل /١٦ .
(٢) مريم / ٥ ـ ٦ .
(٣) الأحزاب /٦ .
(٤) النساء /١١ .
(٥) البقرة/ ١٨٠ .

ورسله ، حكم فصل ، وقضاء حتم ﴿ **وما محمدٌ إلا رسولٌ قدْ خلتْ منْ قبلهِ الرسلُ أفإن ماتَ أو قتلَ انقلبتم على أعقابكمْ ومنْ ينقلبْ على عقبيهِ فلنْ يضرَّ اللهَ شيئاً وسيجزي الشاكرينَ** ﴾[1] ايها بني قيله ، أأهضم تراث أبي وأنتم بمرأى منّي ومسمع ، ومنتدىً ومجمع ، تلبسكم الدعوة ، وتشملكم الخبرة ، وأنتم ذوو العدد والعدّة ، والأداة والقوة ، وعندكم السلاح والجنة ، توافيكم الدعوة فلا تجيبون ، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون ، وأنتم موصوفون بالكفاح ، معروفون بالخير والصلاح ، والنخبة التي انتخبت ، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت ، قاتلتم العرب ، وتحملتم الكد والتعب ، وناطحتم الأمم ، وكافحتم البهم ، فلا نبرح وتبرحون نأمركم فتأتمرون ، حتى إذا دارت بنا رحى الاسلام ، ودرّ حلب الأيام ، وخضعت زمرة الشرك ، وسكتت فورة الإفك ، وخمدت نيران الكفر ، وباخت نيران الحرب ، وهدأت دعوة الحرج ، واستوسق نظام الدين ، فأنّى حزتم بعد البيان ، وأسررتم بعد الإعلان ، ونكصتم بعد الإقدام ، وأشركتم بعد الإيمان بؤساً لقوم ﴿ **نكثوا أيمانهم وهمّوا بإخراجِ الرسولِ وهمْ بدؤوكمْ أولَ مرةٍ أتخشونهم فاللهُ أحقُّ أنْ تخشوهُ إنْ كنتمْ مؤمنين** ﴾[2] ألا قد أرىٰ أن قد اخلدتم الى الخفض ، وابعدتم من هو أحق بالبسط والقبض ، وركنتم الى الدعة ، ونجوتم من الضيق بالسعة ، فمججتم ما وعيتم ، ودسعتم الذي تسوغتم ، ﴿ **فإن تكفروا أنتمْ ومنْ في الأرضِ جميعاً فإنَّ اللهَ لغنيّ حميدٌ** ﴾[3] .

ألا وقد قلت ما قلت على معرفة منّي بالخذلة التي خامرتكم ، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم ، ولكنها فيضة النفس ، وبثة الصدر ، ونفثة الغيظ ، وتقدمة الحجة ، فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر نقبة الخف باقية العار ، موسومة بغضب الله ، وشنار الأبد ، موصولة بنار الله الموقدة التي تطلّع على الأفئدة فبعين الله ما تفعلون ﴿ . . . . **وسيعلمُ الذينَ ظلموا أيّ منقلبٍ**

---

(١) آل عمران/١٤٤ .

(٢) التوبة /١٣ .

(٣) إبراهيم /٨ .

ينقلبونَ ﴾[1]وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فاعملوا إنا عاملون .

فأجابها أبو بكر عبد الله بن عثمان فقال : يا ابنة رسول الله ، لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً رؤوفاً رحيماً ، وعلى الكافرين عذاباً أليماً وعقاباً عظيماً ، فإن عزوناه وجدناه أباك دون النساء ، وأخا إلفك دون الأخلاء ، آثره على كل حميم ، وساعده في كل أمر جسيم ، لا يحبّكم إلا كل سعيد ، ولا يبغضكم إلا كل شقي ، فأنتم عترة رسول الله صلىٰ الله عليه وآله الطيبون ، والخيرة المنتجبون ، على الخير أولتنا ، وإلى الجنة مسالكنا ؛ وأنت يا خيرة النساء ، وابنة خير الأنبياء ، صادقة في قولك ، سابقة في وفور عقلك ، غير مردودة عن حقك ، ولا مصدودة عن هدفك ، والله ما عدوت رأي رسول الله صلَّى اللهعليه وآله وعملت إلا بإذنه ، وان الرائد لا يكذب أهله ، فإني أشهد الله وكفى به شهيداً أني سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم يقول : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ، ولا داراً ولا عقاراً ، وإنما نورث الكتاب والحكمة ، والعلم والنبوة ، وما لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه . وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح يقاتل بها المسلمون ويجاهدون الكفار ، ويجالدون المردة الفجار ، وذلك بإجماع من المسلمين ، لم أتفرد به وحدي ، ولم أستبد بما كان الرأي فيه عندي وهذه حالي ومالي هي لك وبين يديك لا تزوى عنك ولا تدخر دونك ، وأنت سيدة أمة أبيك ، والشجرة الطيبة لبنيك ، لا يدفع مالك من فضلك ، ولا يوضع فرعك وأصلك ، وحكمك نافذ فيما ملكت يداي ، فهل ترين أني أخالف في ذلك أباك صلَّى الله عليه وآله ؟

فأجابته الزهراء سلام الله عليها على قوله ، محتجة عليه بكتاب الله جلّ جلاله ، فهي اعلم الناس بعد ابيها وابن عمها باحكامه ، وكادت ان تطيح به بهذا البيان فقالت : سبحان الله ما كان أبي رسول الله عن كتاب الله صادفاً ، ولا لأحكامه مخالفاً ، بل كان يتبع أثره ، ويقتفي سوره ، أفتجمعون على الغدر اعتلالا عليه بالزور ، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل

(١) الشعراء /٢٢٧ .

في حياته ، هذا كتاب الله حكماً عدلاً ، وناطقاً فصلاً يقول ﴿ يرثني ويرث من آل يعقوب . . . ﴾[1] ويقول ﴿ وورث سليمان داود ﴾[2] فبين عز وجل فيما وزع من الأقساط ، وشرع من الفرائض ، والميراث ، وأباح من حظ الذكران والإناث ، ما أزاح علة المبطلين ، وأزال التظني والشبهات في الغابرين ﴿ بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبرٌ جميلٌ والله المستعان على ما تصفون ﴾[3] .

فأجابها أبو بكر قائلاً : صدق الله ، وصدق رسوله ، وصدقت ابنته ، أنت معدن الحكمة ، وموطن الهدى والرحمة ، وركن الدين ، لا أبعد صوابك ، ولا أنكر خطابك ، هؤلاء المسلمون بيني وبينك ، قلّدوني ما تقلّدت ، وبإتفاقٍ منهم أخذت ما أخذت ، غير مكابر ولا مستبد ولا مستأثر ، وهم بذلك شهود .

فالتفتت فاطمة الى الناس وقالت : معاشر المسلمين المسرعة الى قيل الباطل ، المغضية على الفعل القبيح الخاسر ، ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها ﴾ ، كلا بل ران على قلوبكم ما اسأتم من اعمالكم ، فأخذ بسمعكم وابصاركم ولبئس ما تأولتم ، وساء ما به اشرتم ، وشر ما منه اغتصبتم ، لتجدن والله محمله ثقيلاً ، وغبه وبيلا ، اذا كشف لكم الغطاء ، وبان وراءه الضراء ، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون وخسر هنالك المبطلون .

ثم عطفت على قبر النبي صلّى الله عليه وآله وقالت :

قد كان بعدك أنباء وهنبثةٌ ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

انا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختل قومك فاشهدهم ولا تغب

وكل أهل له قربى ومنزلة ... عند الاله على الادنين مقترب

ابدت رجال لنا نجوى صدورهم ... لما مضيت وحالت دونك الترب

---

(١) مريم /٦ .
(٢) النمل /١٦ .
(٣) يوسف /١٨ .

تجهمتنا رجال واستخف بنا ... لما فقدت وكل الأرض مغتصب
وكنت بدراً ونورا يستضاء به ... عليك ينزل من ذي العزة الكتب
وكان جبريل بالآيات يونسنا ... فقد فقدت وكل الخير محتجب
فليت قبلك كان الموت صادفنا ... لما مضيت وحالت دونك الكثب

الفصل الثاني عشر

علي سيد العرب والعجم في علومه الإجتماعية

الحقيقة ان شخصية سيد البلغاء والفصحاء علي سيد العرب والعجم أقوىٰ الشخصيات التي عرفها التاريخ ، ولا داعي الى تفصيل تلك الشخصية الغريبة على هذه الأمة من حيث نبلها ، وإن كانت هي غريبة في أمة الإسلام ، ولا يعرفون عنها شيء ، جهلوها جهلاً ، أو حقداً أو تعصباً ، فهي تلك الشخصية المعروفة ، ونحن غرضنا أن نبحث جانب من جوانب هذه الشخصية المرموقة الرائعة والمحاربة من قبل جهال الأمة وضحالة فكرها وظلالة عقيدتها ولالتحاقها بغير هذه الشخصية ، وعدم التمسك بها .

أعلم إنك إذا تصفحت التاريخ من صدع الرسالة المحمدية الى يومنا هذا . والى نهاية الحياة ، هذه الشخصية مجهولة وغير معروفة قط ، ولا يطيق أحد أن يعرفها ، لا عدو لها ولا محب إطلاقاً ، ولا كان في عصره أحد يعرفه .

وأعظم دليل من هذا ان القرآن يذكره أنه الشاهد مع الله سبحانه وتعالى تثبيت الرسالة المحمدية ، ويذكره القرآن أنه صاحب علم الكتاب كله ، وليس في الدنيا ، ولا في غير الأمة الإسلامية من يعرف كتاب الله غيره ، وهكذا قال فيه سيده رسول الله صلَّى الله عليه وآله انه لشخصية غير معروفة ولا يعرفها إلا الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلم صاحب الرسالة

الخالدة ، وهذا صحيح ، ولذا حسدت هذه الشخصية وحوربت وغصب حقها ، كما إنها ايها الناس ، فوالله هذا قسم عليه كفارة انها موضع ابتلاء هذه الأمة المرحومة ، فمن عرف هذه الشخصية حق المعرفة نجىٰ من عذاب الله ، ومن لم يعرفها وجهلها وصاحبها عامداً ليس جاهلاً ، فوالله مصيره الخسران والنار ، هذه شهادة .

أجل إن هذه الشخصية الفذة هي التي ربّت هذه الحياة ، والاسلام لا زال ينعم من فضله ، والدنيا كلها مدانة لشخصية رسول الله صلّى الله عليه وآله وشخصية ابن عمه ، فلولا شخصية سيد البشر والكون والكائنات البشير النذير ، وشخصية أمير المؤمنين لما عاش الاسلام ولما ترعرع في المعمورة ، فلتقارب الشخصيات بعضها ببعض ، وصدقهما وعدلهما ومساواتهما وعظمتهما في خدمة الاسلام وبنائه على اسس صحيحة ، ولا نريد أن نطيل ، ولكن همي هو جانب النظرة الاجتماعية عنده ، تلك النظرة التي أودعها صاحب نهج البلاغة والفصاحة ، نهج العلم ، نهج الإقتصاد ، نهج السياسة والحكمة والحكم والرياسة ، نهج الراعي والرعية ، نهج الكلام والطب والكيمياء والفيزياء ، نهج الحرب والقيادة والجيش ، نهج المساواة والعدالة ، نهج الفلك والاختراعات ، نهج التوحيد والعقيدة ، نهج الجهاد والحج والصوم والصلاة والزكاة والتدبير وغير ذلك ، لا أستطيع إحصاء نهج البلاغة ، كتاب البشرية الثاني بعد كتاب الله الأول .

إمامُ الكل محتاج إليه ، وهو لا يحتاج الى الكل ، ولا لأي إنسان قط ، هذا النهج العميق الكبير له من العمق والبيان درجات غرّىٰ ، حتّى أراد بعض الأعداء تحريفه ونسبه لغيره .

وإذا أردت معرفة الإجتماع فاذهب الى كتب غير المسلمين أولاً ، تجد آراء أمير المؤمنين عند غير المسلمين اكثر مما هو عند المسلمين . ولقد عقمت الحياة أن تجد أو تصل الى نظام الاجتماع عند الرجل الثاني في الاسلام بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله ، أجل عجزت الدنيا في أنظمتها .

إليك هذا النظام : قسّم عليه السلام علاقات الإنسان الى ثلاثة أقسام :

١ ـ علاقة الإنسان بربه ، وهذا معروف وواضح من وصفه للخالق ، والتوحيد والعقيدة . راجع نهج البلاغة تجده .

٢ ـ علاقة الإنسان بنفسه ، وانظر كيف يتحقق لك لهذه النفس ، ويعطيك القدرة عليها وكيف التغلب والخلاص منها أو النزول إليها ومستنقعها ، وكيف تكون تحت قدرتها ، وكيف تضبط قبضتها ، وتشبك عليك مخالبها وشهواتها .

٣ ـ علاقة الإنسان بالغير ، أو بالإنسان نفسه ، أو بمجتمعه ، فعبّر ما شئت أيها المنصف إن كان لديك الإنصاف ، وعرف شخصيته وميزاتها بين الشخصيات لكل الامم ، ولا غرابة فهل لديك في حياتك الاجتماعية اكثر من هذه العوامل والعناصر ، علاقتك مع خالقك إن كنت تعرف خالقك ، وعلاقتك مع نفسك إن كنت حرّاً عنها ، وعلاقتك مع مجتمعك ، فهل لديك عامل آخر تضيفه في الحياة .

انظر لشخصيات اليونان والاغريق ، والغرب والشرق واليهود والنصارى والمسلمين ، فهل سبق هذه الشخصية غيره اذ هناك غير دلّنا عليه رحمن الله .

وهناك جزاء آخر قد نسميه الباب الرابع او العلاقة الرابعة وهو سياسة الدولة الواسعة الكبيرة المتشعبة ، وأنت عليك أن تعرف وتنظر . وقد يستغرب او يعترض معترض ، لربما يقول هذه الاقسام كلها واحد ، والقسمين الاولين الباقيين في علاقة الانسان بربه وعلاقته بنفسه لا علاقة لهما بالإجتماع ، ويجب أن يستبعدا من بحث مقصور على هذا الغرض ، وانت تقول فضله بالاجتماع ، ونحن نقول على ما يقوم بين الناس من معاملات، فعلاقة الانسان بربه المقصود هنا بهذا البحث الوصايا التي وجهها الامام الى مجتمعه ليعمل بها فيما يختص بالخالق الجليل ، وبذلك تكون أعمالاً بشرية ، والاعمال البشرية هي إعمال اجتماعية لأنها مطلوب القيام بها من الجماعة ، ولأنها مظهر اجتماعي مؤثر قوي في سلوكنا الاجتماعي ، والاجتماعية

البحثة ، أي في سلوك الأفراد إزاء بعضهم البعض ، وهذا فيما يختص بعلاقة الانسان مع نفسه ، فالمسألة أوضح لأننا بتدريب أنفسنا على منهج خاص ، وجذرها من الفساد والانقلاب عليها وإصلاحها تخلقها خلقاً جديداً ، وهذا الخلق مؤثراً أبعد التأثير في نوع تعاملنا مع الآخرين ، فكوننا على هذه الحال أو تلك إغراء لمن هم دوننا ، ولمن هم بمعرض التأثير بأمثالنا . وعلى أن يحتذوا ذلك المقال ، ولأننا نحن مكونوا المجتمع ، وكما نكون يكون .

أما عن علاقة الفرد مع ربّه ، فقد ضم سيد البلغاء والعلماء في نهج البلاغة بين دفتيه صفحات هي أصلاً غير موجودة عند غيره عليه السلام ، فصفحات نادرة في تمجيد الله وتحليل صفاته ، وكثّر فيه النصح بإلقاء النفس الى الله ، كما جاء في وصية الامام لإبنه وشكره على نعمائه ، وعدم الإغترار بما يوفق إليه من النجاح قال : إذ أنت هديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربّك .

وأوصىٰ ابن أبي بكر بقوله العذب الذي لا يفرق به بين عدوّه وصديقه وابنه وابن غيره ، لأنه مربي لهذه الأمة ، فعطاؤه واحد ، ونصحه وإرشاده ومواعظه واحدة ، قال له : ولا تسخط الله برضى أحد من خلقه ، فإن في الله خلفاً من غيره وليس من الله خلف في غيره .

وهكذا كان يفتتح خطاباته الى ولاته وقضاته ، استمع الىٰ قوله حيث بعث بعض عمّاله علىٰ الصدقة أمره بتقوىٰ الله في سرائر أمره ، وخفيّات عمله ، حيث لا تشاهد غيره ، ولا وكيل دونه ، وأمره أن لا يعمل بشيء من طاعة الله فيما ظهر فيخالف الى غيره فيما أسّر .

وليس غريباً أن يوصي بما أوصىٰ به القرآن من الرجوع إليه ، والى الحديث عن التباس الأمور فيقول : وإدّ الى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب ، ويشتبه عليك من الأمور .

وليس غريباً أيضاً أن يعتبر الشكوىٰ من نوائب الزمان شكوىٰ من الله ، فيقول : من أصبح يشكو مصيبة نزلت به ، فقد أصبح يشكو ربّه .

وقد ظهرت عقيدته القوية والراسخة في الله ، ودعوته الى نصرة دينه في قوله : لا تجعلن اكثر شغلك بأهلك وولدك، وأولياء الله ، فإن الله لا يضيع أولياءه ، وإن يكونوا أعداء الله ، فما همّك وشغلك بأعداء الله .

على أن نعمته الزاهرة لا تفتأ تتكرر ، فهو يقول لنا هنا : من رضى برزق الله لم يحزن على ما فاته .

ويقول لنا هنا : الرزق رزقان ، رزق تسعى إليه ، ورزق يسعى إليك .

وهذه من أشد وأعظم التشجيع للإنسان ، وإنه قول حكيم لأنه لا يدعو الى الكسل ، ويحارب الكسل والعطل والبطالة ، والإتكال على الآخرين ، وانتظار الرزق من الله بطرق عدم السعي والبحث عن لقمة العيش ، وعن الاعمال والعمل ، لأن المولى سبحانه وتعالى لم يخلق هذا الإنسان إتكالياً عاجزاً كسولاً ، وانه هو جلّت عظمته قد تكفّل برزقه ، إلا أنه يريد سعيه لكيلا تصبح الحياة كسولة خامدة جامدة ، بل يقول إن السعي يزيد الرزق ويوسع بالمال ، ويجلب الصحة والنمو ، والكداحة تعطي نشاطاً ، ولكن هناك شرط على إلا يشغل بجميع جوارحه بالسعي وراء الدنيا فيغفل عن العمل الصالح ، نعم يجعل جوارحه الأيادي والأرجل والسمع والبصر وغير ذلك كله مع العمل لطلب الرزق ، ويقسّم عقله لطلب العمل والسعي الى المعيشة والقسم الثاني للعمل الصالح والإطاعة ، وعليه أن لا يغفل عما كلّف به .

ولذا كان سلام الله عليه الساعي الى رزقه في كافة الأعمال في سقي النخل وغرس الاشجار ، وكانت الزهراء عليها سلام الله تعمل في عمل الغزل والنسيج وطلب الرزق من طريق الغزل للناس حينما يأتونها بالأصواف وغير ذلك من الاعمال . هذا كله لتشجيع الآخرين على النشاط والعمل لكي لا تبقى الحياة مهملة خاملة كسولة ، ولقد ذكر قوله السابق : من أصبح يشكو مصيبة نزلت به فقد أصبح يشكو ربه . بالطبع يشكو الى الناس ، هذا معناه أنه إذا شكى إلى ربه كما شكى سيدنا أيوب ويونس وغيرهم ، فهذه هي

الرحمة والرجوع الى الله من أعظم العبادات .

ثم قال هذا القول الشريف الجليل : ولا يحمد حامد إلا ربّه ، ولا يلم لائم إلا نفسه .

هل رأيت كيف نص لنا هذه النصوص ، إن النص الأول يدعونا الى عدم شكوى الزمان ، لأن الزمان يجري كما قضى الله وقدّر ، فثورتنا عليه ليست إلا ثورة على القضاء ، أي قضاء الله وقدره . أما النص الثاني فإنه يدعونا الى أن نعتقد أن الخير كله من الله سبحانه وتعالى ، وأن الشر والقباحة هي من أنفسنا ، وهذا يعني أن الله هو الذي أعطانا عقلاً نميّز به بين الطريقين السبيلين كما قال تعالى : ﴿ وهديناهُ النجدين ﴾[1] فإن سلكنا طريق الشر فلا تلم إلا أنفسنا الشريرة، وإن سلكنا طريق الخير فلا نحمد إلا الله ، لأنه هو الذي أرشدنا .

هل رأيت كيف كانت علاقة هذا الإنسان بربّه ، وكيف أراد تهذيب هذا الإنسان وتلطيف نفسه الشريرة مع ربّه بعد أن تريّض ، وتكون نقية زكية طاهرة ، لتكون نفس طيبة وسكينة وصالحة ولينة وصريحة وصادقة مخلصة جميلة ، تكون خالدة في السمو والنضوج لتجلب أقوى طاقة لها في الهيبة والوقار من قبل الله سبحانه وتعالى ، وأما علاقة هذا الإنسان بنفسه التي هي إما أخ مخلص ناصح له ، أو عدو قاتل يتربص به الدوائر ، كيف يكون هذا الفرد مع نفسه ، فقد قال أعلم الناس وسيدهم ، سيد العرب والعجم لمحمد بن أبي بكر : فأنت محقوق أن تخالف على نفسك . وهذا يعني ويقصد به أي أن تخالف هواك وتحكّم عقلك .

ثم قال في مكان آخر : من كان له من نفسه واعظاً ، كان عليه من الله حافظاً .

ثم بيّن سيدنا الإمام ذلك الرأي بموضوع ثالث وأوضحه لنا بقوله : من

---

(١) البلد / ١٠ .

لم يعن نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر ، لم يكن له من غيرها زاجر ولا واعظ .

عظيم سيد الفلسفة اللاهوتية ، حكيم الاسلام ، مربي العقول ، هنا قد عرّف على ان في النفس نوازع شر وخير ، فليس كلها شر ، وليس كلها خير .

ولذا جاء في كتاب الله أنها شرّ وأنها خير ، فهي مرة راضية مرضية ، ومرة أمّارة بالسوء . لكن كيف يكون ذلك مدعى للتشديد عليها حين تريد أن تأمرك وتقودك الى أمور خسيسة ، الى السوء ، طلب منك أن تستعين عليها بالله القوي الجبّار القهّار ، وهذا في قوله عليه السلام : والله المستعان على نفسي وأنفسكم . ثم اعتمد على الضمير اليقظ النشيط الواعي المدرك ، وأهاب بنا أن نقويه ، فإنه عاصمنا ومنه المزدجر .

وقد زاد من عنايته بالتدريب النفسي أنه اعتقد ان الطباع كسبية ، فقال : إن لم تكن حليماً فتحلّم ، فإنه قل من تشبّه بقومٍ إلا أوشك أن يكون منهم .

وإنه اعتقد ان الانسان مفطور على الخير ، وأن الخير في عودته لفطرته فقال : الله بعث في الناس رسله ، وواتر إليهم انبياءه ، ليستأدوهم ميثاق فطرته . وهذا يعني أن مهمة الانبياء عنده إعادتنا الى الفطرة التي فطرنا الله عليها ، ونلاحظه أنه اكثر من النهي عن الأمل ، لا الأمل الذي نعرفه ، والذي حثّ الله عليه ، بل أوجبه في ذكر قوله تعالى : ﴿ . . . . **إنّهُ لا ييئسُ منْ روحِ اللهِ إلا القومُ الكافرونَ** ﴾[1] وإنما الأمل بمعنى الاعتماد على طول الأجل ، وارتكاب المحرمات وإرجاء الفرائض اعتماداً على ذلك ، وهذا رأي نشاركه كلنا فيه ، فإن كل ما في العالم يمر بسرعة وثّابة ، وما أنصف ولا أصاب من يبذّر في صحته أو ماله اعتماداً على وفرة صحته أو ماله ، ولا من يؤجل العمل انتظاراً للغد ، فإن الغد يمرّ ونمرّ معه ، إذن ما أحرانا أن نعمل

---

(١) يوسف/٨٧.

بنصيحة الإمام القائلة : وبادروا آجالكم بأعمالكم . وأن نتدبر قوله : إن أخوف ما اخاف عليكم إتباع الهوى وطول الأمل .

وهنا رأينا أن كثيراً من سلوك المرء تدخل مع نفسه ، وتدخل في سلوكه مع غيره كقوله : قرنت الهيبة بالخيبة ، والحياء بالحرمان ، والفرصة تمر مرّ السحاب ، فانتهزوا فرص الخير .

ومثل قوله : الصبر صبران ، صبر على ما تكره ، وصبر على ما تحب .

وقوله البليغ : أفضل الزهد إخفاء الزهد .

ونهيه : وإياك والإعجاب بنفسك ، والثقة بما يعجبك منها وحب الإطراء ، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ، يمحق ما يكون إحسان المحسنين . فإن دعوته الى الشجاعة والجرأة ، وانتهاز فرص الخير ، وتحمل الداء ، والصبر بنوعيه ، وإخفاء الزهد ، أي الزهد في سبيل التظاهر ، والزهد بالقلب ، مع مواصلة العمل والجهاد ونهيه عن الاعجاب بالنفس ، وحب الثناء . كل هذه العهود يتناولها المرء بينه وبين نفسه ، وبينه وبين غيره .

أما أمره : ولا تتمنّ الموت إلا بشرط وثيق . أي لا تعرض نفسك للهلاك إلا أن تقضي غاية سامية ، وضرورة لازمة . فإنه أدخل في نطاق المعاملة النفسية . أجل قد وضع لنا هذه القاعدة النبيلة في قياس الفضيلة والخير ، وهي الاّ نعمل في السّر ما نخجل من عمله في العلن ، حيث قال : واحذر كل عمل يعمل به في السر ويستحيى منه في العلانية .

فإنه قد حبانا أيضاً بمقياس نبيل لأعمالنا تجاه الآخرين في قوله الخالد : يا بني إجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك ، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك ، وأكره له ما تكره لها ، ولا تظلم كما لا تحب ان تُظلم .

فهاتين النصيحتين العظيمتين الكبيرتين لو اتبع جميع البشر هاتين لا متنع الظلم والشر جميعاً ، ولأصبحت الحياة سعيدة ، ويصبح الانسان أخو الإنسان ، وكل يأمن على نفسه وماله ما يملك .

وهنا علينا أن نلاحظ ملاحظة متواضعة على النصيحة .

الاولى : إن نظرة المجتمع قد تتغير نحو بعض الفضائل أو الرذائل ، فإذا كان لا حياء عنده من عمله ، يعمل على رؤوس الأشهاد فهل الفضائل خالدة ، أم يجري عليها ناموس الزمن وتطوره ، وهل يطيع نصيحة المربي الكبير ، أم لا يطيعها إنسان فاسق مجهر بفسقه أمام الناس ، غير خجل لكثرة ما يجهر به من الفسق ، فهذا لا تغيّره الفضائل ، اما الانسان الذي يحترم نفسه فانه يعلم بأن الفضائل خالدة ، فمثلاً الكذب لا يكون فضيلة لأن الناس يكذبون ، بل الفضيلة فضيلة ، والرذيلة رذيلة ، ولن يزال راكبها يشعر في نفسه بالتضاؤل ، وبنوع من الحياء ، لا حين يلقىٰ أمثاله ، ولكن حين يلتقي الأخيار . . .

وعلينا ان لا نذهب كثيراً ، إن الإمام يفسّر لنا ذلك في موضع آخر حيث يقول في بيان شافٍ : إن المؤمن يستحل العام ما استحل عاماً أول ، ويحرّم العام ما حرّم عاماً أول ، وان ما أحدث الناس لا يحل لكم شيئاً مما حرّم الله عليكم ، ولكن الحلال ما أحل الله ، والحرام ما حرّم الله .

وإذا ذكرنا تطور الفضائل وخلودها فلنستعرض رأي الإمام عليه السلام : أقدموا على الله مظلومين ، ولا تقدموا على الله ظالمين . وقد كثير من الناس يشعر أو يقول الانظلام ليس فضيلة ، لا يسلّم لها ، فهنا يجب الذود والدفاع بالسلاح . هذا صحيح غير أن عبارة الإمام إنما يراد بها مبالغة في التنفير من الظلم ، لأنه قبيح فلا يعود الانسان نفسه على الظلم والمظالم .

والامام هنا دعا الى التعاون والايثار دعوة صريحة في عبارة نبيلة ، حيث قال وهو يودع جنوداً ذاهبين الى القتال : وأي امرىء منكم أحسّ من نفسه رباطة جأش عند اللقاء ، ورأىٰ أحداً من إخوانه فشلاً ، فليذبّ عن أخيه بفضل نجدته التي فضّل بها عليه ، كما يذبّ عن نفسه ، فلو شاء الله لجعله مثله .

وما أوصىٰ به الامام جنود جيشه يصح أن يستوصى به جنود الحياة أن

الغني لو ذبّ عن الفقير بفضل ماله الذي فضل به عليه ، والعالم لو ذبّ عن الجاهل بفضل علمه ، والحكيم لو أرشد السفيه بفضل حكمته ، لو كان هذا سبيل الناس في الحياة لانتصر سلطان السعادة على سلطان الشقاق وجيّشهم على آلام الحياة القابلة للإنهزام .

إن الإمام لا يزال يلحّ في دعوته الى التعاون ، وإنه ليسوقها هنا في منطق واضح جلي ، وحجة لازمة وسليمة : أيها الناس لا يستغني الرجل وإن كان ذا مالٍ عن عشيرته ، ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم . ألا لا يعدلن أحدكم عن القرابة يرىٰ بها الخصاصة أن يسدّها بالذي لا يزيده إن أمسكه ، ولا ينقصه إن أهلكه . ومن يقبض يده عن عشيرته فإنما تقبض منه عنهم يد واحدة ، وتقبض منهم عنه أيدٍ كثيرة .

إن الإنسان كما قالوا إنه مدني بالطبع أو هو كما وصفه الفلاسفة (حيوان اجتماعي) ولهذا دعا إمام المسلمين علي بن أبي طالب عليه السلام دعوته ، وقد تكررت دعوة علي (عليه السلام) هذه في صورة أخرىٰ في حثّه على الصدقة بقوله : وإذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل زادك الى يوم القيامة فليوافيك به غداً حين تحتاج إليه ، فاغتنمه وحمّله إياه .

وبوصيته : إن اللسان الصالح ـ أي الذكر الطيب ـ يجعله الله للمرء في الناس خيراً له من المال يورثه من لا يحمده .

وفي تذكيره بفريضة الزكاة ، هذه الفريضة التي هي مقارنة لفريضة الصلاة ، وهي أهم فريضة في الحياة لمعاونة الضعفاء والفقراء ، فريضة تسيّر الحياة بأمان ، جاء في قوله عليه السلام : إن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء ، فما جاع فقير إلا بما متّع به غني ، والله تعالى سائلهم عن ذلك .

ثم قد بلغ من تقريره للتعاون ولأثر الزكاة والإحسان في إسعاد أفراد المجتمع جميعاً ، إنه استن تشريعاً طريفاً بقوله : إن الرجل إذا كان له الدين الظنون يجب عليه أن يزكيه لما مضى إذا قبض . وهذا واضح أي أن من كان له دين ولم يكن واثقاً أن مدينه سيرده إليه سالماً ثم ردّه إليه بعد عامين أو اكثر

مثلاً وجب عليه ـ أي صاحب المال الدائن ـ أن يدفع للفقراء زكاة هذا المال للسنتين الماضيتين ، وهذا رأي الفقهاء أيضاً ، في هذا القول الذي قاله الامام عليه السلام لأن المال صار بالنسبة للدائن مفقوداً بوجوده عند من لا يثق به ، فإذا عاد إليه فكأنما عثر على كنز غير منتظر ، فعليه أن يدفع منه شيئاً يسيراً للفقراء الذين هم عيال الله ، والله هو الذي أرجع المال لهذا ، فهذا حتى إذا لم يكن زكاة فيكون حمداً وشكراً لله .

ومن كثرت أنعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه .

ويقول الامام ابو عبد الله الحسين عليه السلام : مالك ان لم يكن لك كنت له ، فلا تبق عليه فانه لا يبقي عليك ، وكله قبل ان يأكلك .

وقال أحد الحكماء : إن التشاريف العظيمة أحمال عظيمة .

لذا لقد زهد الإمام بهذه الدنيا وأهاب بها ان تغرّ غيره ، بل لقد زجر منها في صرخته : والله لو كنت شخصاً مرئياً وقالباً حسيّاً لأقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم بأماني ، وألقيتهم في المهاوي .

هكذا كانت نظرته الصادقة الى الحياة ، فلا عجب ان يمتلىء قلبه بالعطف على الناس ، وأن يدعو الى إنقاذ الضعفاء وعدم خزن المال بكلمته الرهيبة : يا ابن آدم ما كسبت فوق قوتك فأنت فيه خازن لغيرك .

إن الشعور السائد على نهج البلاغة كله هو شعور التنديد بالتهالك على الدنيا والمبادرة بانفاق المال على المعوزين ؛ فاستمع له صلوات الله عليه يوصي ولده الحسن عليه السلام : يا بني لا تخلّفن وراءك شيئاً من الدنيا ، فإنك تخلفه لاحد رجلين : إما رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت به ، وإما رجل عمل فيه بمعصية الله فكنت عوناً له على معصيته ، وليس أحد هذين حقيقاً ان تؤثره على نفسك .

هذه وصاياه ، ولكنه لا يدعو الى الزهد الذي ينافي الدين والحياة ، فهو يعمل ويحارب ، ولكن على أرض الشرف ، لغاية نبيلة ، إن ما رأينا من دعوته الى التعاون والإحسان ، ووفاء الزكاة ليس إلا بعض دعوته الى (الحب

العام) فإن قلبه النبيل قد غمر بهذه العاطفة الشريفة ، وثبّتها إيمانه القوي والصلب المنقطع النظير ، وليس غريباً على سيد الوصيين هذا اللون من الكلام ، بل هو مما نهج عليه قولاً وعملاً ، فالامام صلوات الله وسلامه عليه المعلم الاول ـ بعد الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله للاخلاق الاسلامية ، والمرشد الاكبر للآداب والتعاليم الدينية . انظر الى كلمته القيّمة في ذم الحسد : ولا تحاسدوا فإن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب ، ولا تباغضوا فإنها الحالقة .

وان يقول : صحة الجسد من قلة الحسد . ذلك القول الذي تؤيده ملاحظاتنا إصفرار الوجه ونحوله فيمن عرفوا بالحقد .

وأن يقسم لنا : والذي وسع سمعه الأصوات ما من أحدٍ ودع قلباً سروراً إلا وخلق الله من ذلك السرور لطفاً ، فإذا نزلت به نائبة جرىٰ إليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الإبل .

وأن يوصينا خيراً بجيراننا قائلاً : الله الله في جيرانكم ، فإنها وصية نبيكم ، ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم .

نعم قد عرف الصداقة في نفسه الزكية وخبرها ، وهنا علينا أن نستمع الى وصاياه بصددها ، لقد بلغ في طلبنا الحرص على الصديق الوفي حتى قال : ولا يكن على مقاطعتك أقدر منك على صلته .

وأوصى بالبحث عن الرفيق قبل الطريق ، وحمد الذين يتوصلون بالولاية ويتلاقون بالمحبة .

ودعا الى عدم الكلفة بين الأصدقاء بقوله : أحبب حبيب هوناً ما عسىٰ أن يكون بغيضك يوماً ، وما أبغض بغيضك هواناً ما على ان يكون حبيبك يوماً ما .

ولقد نتساءل كيف يشك الإنسان في صديق وفي ، خبره فيحتاط في صداقته ، وكيف تستقيم صداقة مع تحوّط ، ولكنها لا يصعب علينا ان نعرف ما حمل الامام على قول ذلك ، فقد عانى من تقلّب الأصحاب، وانشقاق

الإخوان ما عانى ، ولعل هذا العناء هو ما دفعه ، ولنقل ذلك ونحن بمعرض آرائه في الصداقة الى أن يقول : الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله ، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله .

إن هذه الكلمة الرائعة القوية ما كانت لتصدر من ذلك القلب الوادع المسالم لولا أن أصابته شظايا الغدر فثار .

دعا الامام الى القصد في الحب والبغض ، وهذه الدعوة تذكرنا بدعوات له أخر ، تحث كلها على الاعتدال وعدم الاندفاع وليس أبلغ من قوله في الحدة انها : ضرب من الجنون لأن صاحبها يندم ، فإن لم يندم فجنونه مستحكم .

وقوله : اليمين والشمال مضلة ، والطريق الوسطى هي الجادة .

وقد أنذر بأنه سيهلك فيه صنفان : محبٌّ مفرط يذهب به الحب الى غير الحق ، ومبغض مفرط يذهب به البغض الى غير الحق .

وهذه الكلمات هي بجانب دعوتها الى القصد دعوة الى الخصومة الشريفة ، ونزع الهوى الشخصي عند مناقشة أعمال الحكام والساسة .

ما كان نهج البلاغة ـ وقد ضم بين دفتيه هذه الأسرار الاجتماعية الكثيرة ـ ليغفل ، قال في المرأة : المرأة شر كلها ، وشر ما فيها أنه لا بد منها .

ثم ذهب في موضع آخر الى أن : خيار خصال النساء شرار خصال الرجال .

ثم قال : انها عقرب حلوة الليسة ، وكونوا من خيارهن على حذر . فالذي ينظر هذا القول الكبير الجميل وكأنه ينظره أنه قاسٍ تجاه النساء ، وهذا عكس ما يفهم البعض ، فهو يقول ما في النساء ليس في الرجال لأنه الذي يستحب في المرأة لا يستحب في الرجل . ودعا الناس في قوله الثالث أن يتقوا شرار النساء ، ويكونوا من خيارهن على حذر ، ولا يطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر .

ويمثل هذا نهيٌ في موضع آخر عن التمكين لهنّ ، والسماح لهن بالتشفع والرجاء في أمور الناس . لماذا ؟ والذي يعرف ويلاحظ أنه عليه السلام قد سلّم أن بين النساء خياراً بدليل القول الرابع فهو يتّهم الطبيعة النسوية على العموم ، ويخشىٰ أن تتغلب على خيار النساء فيصبحن شريرات ، فرأيه لم يصدر في النساء عن تعصّب جنسي ، فإن المعركة لم تكن قد نشبت بعد بين النساء والرجال ، وما كان علي ليتعصب وهو الذي ذم العصبية في الخطبة العاصفة ، ورد أصلها الى تعصب ابليس للنور ضد الطين : أما إبليس فتعصب على آدم لأصله ، وطعن عليه في خلقته ، فقال : أنا ناري وأنت طيني .

وأما الاغنياء من مترفة الامم فتعصبوا لآثار مواقع النعم ﴿ **وقالوا نحن اكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين** ﴾[1]، فإن كان لا بد من التعصب والعصبية فليكن تعصبكم بمكارم الخصال ، ومحامد الفعال وليس الدعوىٰ ضد العصبية دعوىٰ هينة ، فالعصبية سبب لمصائب كثيرة كان منها حروب أدّت الى كوارث في الناس ، خصوصاً لتعصب الجنس واللون والمذهب والوطن .

وهو هنا يبين كراهته للتعصب ، وهو حقيق أن يكره التعصب ، لما ذاق من التعصب الكثير من المشاكل ، لذا نجده يقول: ليس بلد أحق من بلد ، خير البلاد ما حملك .

وقد نهىٰ عليه السلام عن الغش في المكاييل ، وعن احتكار التجارة ، وقبّح الغيبة بتحليل بديع قائلاً : وإنما ينبغي لأهل العصمة والمصنوع إليهم في السلامة أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية ، ويكون الشكر هو الغالب عليهم ، والحاجز لهم عنهم ، فكيف بالعائب الذي عاب أخاً وعيّره ببلواه ، وأيم الله لئن لم يكن عصاه ـ عصى الله ـ في الكبير وعصاه في الصغير ، لجرأته على عيب الناس اكبر ، فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه ، وليكن الشكر شاغلاً له على معاناته مما ابتلى به غيره .

---

(١) سبأ / ٣٥ .

ودعا الى الاتحاد : وإياكم والتفرقة ، فإن الشاذّ من الناس للشيطان، كما أن الشاذّ من الغنم للذئب .

ونهى عن البدعة في قوله : وما أحدثت بدعة إلا ترك بها السنة ، فاتقوا البدع والزموا المهيع .

وحذر من تعلم النجوم إلا ما يهتدى به في البر والبحر فإنها تدعو الى الكهانة ، والمنجم كالكاهن ، والكاهن كالساحر ، والساحر كالكافر ، والكافر في النار .

فهو هنا دعا الى اتباع الحق ، ولكن كيف نفهم أنه أراد الحق ، وطلب أن يتبع الحق ، وما هي النظريات عند الآخرين حول الحق ، مثل أهل الشرق والغرب ـ قالوا : إن الحق هو ما جعلته الدولة حقاً . هذا رأي .

وقال غيرهم : إن الحق ليس إلا من وضع الانسان ولم يخرج الإنسان تكييفه من إرادته وهواه .

ويقول آخرون : ان اساس الحق ليس فكرة منطقية ، وإنما هو القوة .

ويقول آخرون : إن ظفر شعب هو البرهان القوي على حقوقه . هذا هو رأي فريق من العلماء في الحق ومقياسه ، وهذا في الحقيقة رأي خطر ، وتحصل منه الحروب وانهيار الحياة .

وقال البعض : الحق فكرة تتوجه نحو المستقبل ، وأساسها الضمير الانساني ، والشعور بالمساواة والحرية للجميع .

وقال آخرون : إن القوة يجب ألاّ تستعمل إلا لخدمة الحق .

وقال آخرون : علينا أن نحمل العدالة والقوة معاً ، وإنما لا نقصد إلا ما كان حقاً ، ولا نستعمل القوة إلا لتوطيد الحق .

وهذان الرأيان المتعارضان ترى الى أيهما ينتمي رأي الامام علي عليه السلام ؟ ولا شك أن رأيه هو الثاني .

قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام : حقّ وباطل ولكلٍ أهل ، فلئن أمر الحق لقديماً فعل ، ولئن كثر الباطل فربما ولعل ولعل ما أدبر شيء فأقبل .

وهذا القول قبل أقوال فلاسفة الشرق والغرب وأعلامهم وهذا النص واضح وصريح في أن الإمام لا يرى كثرة الباطل تجعله حقاً بل ينظر أن تزول دولته قائلاً : إن الشيء قد يدبر فيقبل . أي انه مؤمن بخلود الحق ،

وهو القائل في غير نهج البلاغة : دولة الظلم ساعة ، ودولة العدل الى قيام الساعة .

وقد تروىٰ : دولة الباطل ودولة الحق .

لأنهم لم يفرقوا كثيراً بين العدل والحق ، فالحق والدولة منافية لرأي الامام امير المؤمنين عليه السلام بالطبع ما دام يعتبر الحق خالداً وهو لا يفتأ ينهي الولاة عن ظلم الرعية ، ويدعو الى المساواة والشورىٰ ، والتمسك بكتاب الله ، وسنة رسوله ، أي أنه لا يرىٰ للحاكم حق اختراع الحقوق ، ولا يرىٰ الحق كما رآه الواقعيون من وضع الإنسان ، ولا يرىٰ انتصار شعب برهاناً على حقوقه ، بل يقول : إن الله لم يقصم جَباري دهر قط إلا بعد تمهيل ورخاء ، ولم يجبر عظم أحدٍ من الأمم إلا بعد ذل وبلاء .

وإذا كان اتفق مع القائلين بأن الحق أزلي ، وبأنه تراعىٰ فيه مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، فإنه اتفق مع رأي من قال باستعمال القوة لتوطيد الحق ، فالإمام امير المؤمنين عليه السلام يقول : وإني لراضٍ بحجة الله عليهم ، وعلمه فيهم ، فإن أبوا أعطيتهم حدّ السيف ، وكفىٰ به شافياً من الباطل ، وناصراً للحق ـ يعني الحق للحق بعد رفضهم كتاب الله ـ وإذا لم أجد بداً فآخر الدواء الكي . أي القتل والحرب يستعملهما حين تفشل وسائل السلم وحين يرفض خصومه الاحتكام الى الله ، وهذا دستور كامل الى الامم حيال من يتكبر ويأخذه البغي والغي .

ومن الناس من قال : إن الحق قد يتعدد فأنا أظن الأمر كذا ، وأنت

تظن نقيضه ، ولكني محق وأنت مثلي محق .

وقال آخرون : إن الحق واحد لا يتعدد .

وقد أخذ الامام بهذا الرأي الأخير فقال : ما اختلفت دعوتان إلا كانت إحداهما ضلالة .

وله سلام الله عليه آراء قيمة ومحكمة في طبيعة الحكم والسياسة والقيادة وإدارة الجند ، مهمة وعظيمة وجيدة ، الحاكم والحكومة وكيفية انتقاء القضاة ، وتقسيم العمل ، ومهمة العلماء إلى غير ذلك ، وقد جمعت في رسالته كلها الى الأشتر النخعي قائد جيشه ورئيس حكومته الدفاعية ، والمقاتل تجاه الحق والذود عن الاسلام منها قال : لا بد للناس من أمير برّ أو فاجر يعمل في إمرته المؤمنون ، ويستمتع فيها الكافر ، ويبلغ الله فيها الأجل ، ويجمع به الفيء ، ويقاتل به العدو ، وتؤمن به السبل ، ويؤخذ به للضعيف من القوي ، حتى يستريح بر ويستراح به من فاجر .

وهكذا كما نرى رأي يعاكسه الفوضيون اليوم ، وقد عاكسه الخوارج بالأمس ، ولكن ما كان لعلي الحكيم ، الذي اعتنق دين النظام صبياً أن يدعو بدعوتهم ، لقد عرف أن النظام هو كفيل النجاح ، وتألم وشكى قومه لأن : المعروف عندهم ما عرفوا، والمنكر عندهم ما انكروا، مفزعهم في المعضلات الى أنفسهم ، وتعويلهم في المهمات على آرائهم ، كان كل امرىء منهم إمام نفسه ، قد أخذ منها فيما يرى بعرى ثقات واسباب محكمات .

وكما مقت الخوارج ، كذا مقت العلماء في الفتيا قائلاً : ترد على أحدهم القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلافه ، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الامام الذي استقضاهم ، فيصوب آراءهم جميعاً ، وإلههم واحد ، ونبيهم واحد ، وكتابهم واحد . .

وهذا كله يرجع الى رغبة في القضاء والنظام الموحد بين الناس ، لذا نراه ينتقد الناس .

ثم دعا الى الشرعية ، وعدم تشعب الآراء واستقلال كلٍ برأيه فليس

معنىٰ هـذا أنه دعـا الى الاستبـداد والحكم المـطلق ، بـل عـلى العكس لا نـزال نسمعـه يلح بالـدعوة الى الشـورىٰ فيقول لنـا : من استبـد بـرأيـه هلك ، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها .

ويكرر ذلك في اماكن أخرىٰ وبـألفاظ كثيـرة ، ولذا قـال في كتاب لأحـد ولاته : وإن ظننت الرعية بك حيفـاً فاصحـر لهم بعذرك واعـدل عنك ظنـونهم باصحارك ، فإن في ذلك رياضة منك لنفسك ، ورفقـاً برعيتـك ، وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق .

وهذه الكلمات كبيرة وحكيمة فيها نوع من المسؤولية الوزاريـة كما نعـرفها ونسميها ، وفيها أيضاً بيان لحكمتها فهي تزيل شكوك الـرعية ، ثم هي ريـاضة للنفس عـلىٰ تقبل النقـد ، وعدم الإزورار منه وعلى التـدقيق في الاعمـال ، علماً بأن هناك من سيحاسب عنها ، فـالروح أو النـزعة الـديمقراطيـة في نهج البلاغـة أبـين من أن تحتاج الى بيـان ، فها هـو يأمـر الوالي بـأن يجلس لذوي الحـاجـات دون جند أو حرس لاجل قضاء حاجاتهم ؛ وقد فضل العامة عـلى الخاصـة وإن سخط الخـاصة فقـال : إن سخط العامـة يجحف برضىٰ الخـاصـة ، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضىٰ العـامة وليس أحـد أثقل عـلى الوالي من الـرعية مؤنـة في الـرخاء ، وأقـل معونـة له في البـلاء ، واكره لـلإنصاف ، وأسـأل بالالحـاف ، وأقل شكراً علىٰ الإعطاء ، وابطأ عذراً عند المنع ، واضعف جـرءاً عند ملمـات الـدهـر من أهـل الخـاصـة ، وإنمـا عمـاد الـدين ، وجمـاع المسلمـين ، والعـدة للأعداء العامة من الأمة ، فليكن صفوك لهم ، وميلك معهم .

وهـذا كلام صـريـح في تفضيلهم والاعتمـاد عليهم ، والقـارىء الكـريم أظنه يميل الى ان هذا الكلام كان له تأثير في سلوك بعض الـزعماء الـذين عرفـوا بميلهم الى امير المؤمنين عليـه السلام والتشبـه بكلامـه في اكثر من مـوضع ، ولن أطيـل في تفصيل هـذه الحياة الحـرة والعادلـة التي تسمىٰ اليوم بـالديمقـراطيـة ، ولنردد في سرور قول الامام الجـامع : إن أعـظم الخيانـة خيانـة الأمة ، وافضـع الغش غش الأئمة .

وقـوله يـذكرنـا بالقـول السائـر ـ صـوت الشعب من صـوت الله ـ : إنمـا

يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السن عبادة . إذا كان الامام قد أخذ بالديمقراطية ، كما وضح فمن الطبيعي ان نراه نصير الحرية ، يهيب بابنه : ولا تكن عبد غيرك وقد خلقك الله حراً .

وان نراه رافع لواء المساواة لا يزال يذكرها ويوصي بها ويقول لمن يولّيه : وآس - وساوِ - بينهم في اللحظة والنظر حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم .

ويقول في موضع آخر إن المال لو كان ماله لساوىٰ بين الناس ، فكيف والمال مال الأمة .

ولكن للجمهور سيئاته كما أن له حسناته ، فلنسمع كلمة امير المؤمنين في الغوغاء ، قال : الناس ثلاثة ، فعالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع اتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجؤا الى ركن وثيق .

ووصف الغوغاء في موضع آخر من أنهم إذا اجتمعوا غلبوا وإذا تفرقوا نفعوا ، لأن كل صانع ينصرف الى عمله فيحصل النفع ، وقد وضع الإمام إصبعه على آفة وطبيعة من آفات وطبائع الجماهير ، هي سرعة التقلب ، تلك الخاصة الجماهيرية التي وضحها فلاسفة الغرب والشرق وحكمائهم أبلغ إيضاح فقالوا : اجتماعها غلبة وتفرقها ضياع . وقد يكون اجماعهم بعض الأحايين مجلبة للضرر ، كما تفرقها مجلبة للنفع ، وهذا يعني لانصراف أعمالهم ، فكل عامل في عمله ليتحسن الانتاج ويزيد وتمشية أمور الحياة والناس جميعاً .

ثم تكلم حول الحكم فقال : من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه . يعني سره وعلانيته واحدة .

ثم تكلم بالنسبة الى العلماء الذين يعملون في عملهم ويعطوه الى الناس لسبيل النجاة ، وهذا يعني تحديد الرعية بين الراعي والرعية ، وبين العالم

والجاهل لئلا يبقى الجاهل مغفلاً ومريضاً فيصبح أداة لغيره : أيها الناس إن لكم عليّ حقاً ، ولي عليكم حق : فأما حقكم عليّ فالنصيحة لكم ، وتوفير فيئكم عليكم ، وتعليمكم كيلا تجهلوا ، وتأديبكم كيما تعلموا ، وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة ، والنصيحة في المشهد والمغيب ، والإجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم . هذا حق الراعي والرعية ، فهو الحاكم هكذا يقول لشعبه ، فأي حاكم هذا وأي راعٍ هو ، وأي سياسي هذا وأي قائد هو ، وأي حرية ومساواة وعدل ، حاكم يحكم لشعبه ويعترف بحقوقهم ، ويعرفهم حقوقهم عند الحاكم . هذا حقكم لا تغلبوا عليه ، ليس هناك حاكم في الدنيا لا سابقاً ولا لاحقاً قالها لشعبه ، اعترف بطعامهم واعطاء الأموال والعلم والنصيحة والمشورة ، وأن يقوموه ويعدّلوه ، هكذا كانت حكومة الله ، حكومة الأنبياء ، حكومة الرسل ، ما جاء قط مثله ولا يجيء أبداً إلا حبيبه ورسوله النبي المحبوب محمد بن عبد الله صلّى الله عليه وآله .

يا له من حاكم ما اجله ، لماذا لم تخلدك الحياة ، لماذا لا يأخذ الحكام بقوله وعمله وفعله ، هذا دستور ونظام كامل لجميع الحكام فيكون الحاكم من الرعية . فأي حاكم هذا الذي يطلب النصيحة من الشعب وهو الإمام المعصوم من الذنوب ومن الخطأ والرجس ، والذي تربى في بيت النبوة ، ثم هذا الكمال وفوقه .

ثم يقول لهم : فلا تكلموني بما تكلموا به الجبابرة ، ولا تتحفظوا منّي بما يتحفظ به عند أهل البادرة ، ولا تخالطوني بالمصانعة ، أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ، ولا أشاركهم في مكاره الدهر ، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش .

وقال : ولا يطولن احتجابك عن رعيتك ، إنه ليس شيء أدعى الى حسن ظن راعٍ برعيته من إحسانه إليهم . فالراعي حين يحسن لرعيته يطمئن قلبه ويأمن خيانتهم .

وقال : إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً ، ومن شاركهم في الآثام ، فلا يكونن لك بطانة ، فإنهم أعوان الأئمة ، إخوان الظلمة ،

وأنت واحـد منهم ، خير الخلق ممن لـه مثل آرائهم ونفـاذهم ، وليس عليه مثـل إصارهم وأوزارهم ، ثم ليكن عند آثارهم أقولهم بما لحق لك .

والحياة الإجتماعية واغراضها كثيرة . . .

الفصل الثالث عشر

علي سيد العرب والعجم في حبه المنقطع لله ورسوله

يحدثنا التاريخ عن حب الأنبياء والرسل لله عز وجل ، لكنه لم يذكر حبّه لهم ، اكثر ما يحدثنا عن حبه لرسوله ونبيّه الكريم سيد الرسل صلّى الله عليه وآله ، فهو اصطفاهم وطهّرهم وأيدهم وزكّاهم ورفعهم في درجات عالية وشريفة ، والحب شيء والدعم شيء آخر ، والحب أقسام : حب عادي ، وحب عشق ، وحب هيام فهو سبحانه دعمهم ووقف معهم ونصرهم في الشدائد ، ولم يجعل للاعداء عليهم سلطاناً ، ولم يتركهم لقمة سائغة ، بل مجدّهم أحسن تمجيد ، وعظّمهم خير تعظيم . لكن الحب الذي فرضه سبحانه لرسوله الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم شيء آخر أوصل حب الحبيب الى جميع الانبياء والرسل ، فأحبوه على وصفه سبحانه له ، فعرفوا عظمة رسول الله صلّى الله عليه وآله وأحبّوه وعظّموه قبل رؤيتهم له ، دون النظر إليه . والقرآن المجيد والتاريخ يحدثنا عن انه سبحانه خاطب وكلم الأنبياء والرسل إما عن طريق مباشر أو بواسطة ، كما انه جلّت عظمته زجرهم زجر مؤدب وعاتبهم حين صدور خلل منهم ، مثال ذلك :

قوله تعالى لسيدنا إبراهيم عليه السلام - وهو شيخ الأنبياء وخليله - **﴿ قالَ أَوَلَمْ تؤمنْ قالَ بلىٰ ولكن ليطمئن قلبي ﴾**[1]

---

(١) البقرة/ ٢٦٠ .

وقوله تعالى لسيدنا المسيح عيسىٰ بن مريم عليه السلام ﴿ وإذْ قالَ اللهُ يا عيسىٰ ابنَ مريمَ ءأنتَ قلتَ للناس اتخذوني وأمي إلهين منْ دونِ اللهِ قالَ سبحانكَ ما يكونُ لي أنْ أقولَ ما ليسَ لي بحقٍ إنْ كنتُ قلتهُ فقدْ علمتهُ تعلمُ ما في نفسي ولا أعلمُ ما في نفسكَ إنكَ أنتَ علاّمُ الغيوبِ ، ما قلتُ لهمْ إلا ما أمرتني به ﴾[1].

وقوله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام ﴿ قلنا لا تخفْ إنكَ أنتَ الأعلىٰ ﴾[2] ﴿ قالا ربّنا إننا نخافُ أنْ يفرطَ علينا أو أنْ يطغىٰ ، قالَ لا تخافا إنني معكما أسمعُ وأرىٰ ﴾[3] ﴿ إني أنا ربّكَ فاخلعْ نعليكَ إنكَ بالوادِ المقدّسِ طوىً ﴾[4] ﴿ قالَ ربِّ أرني أنظرْ إليكَ قالَ لنْ تراني ولكنْ انظرْ الى الجبلِ فإن استقرَّ مكانهُ فسوف تراني فلما تجلّى ربهُ للجبلِ جعلهُ دكاً وخرَّ موسى صعقاً فلمّا أفاق قالَ سبحانكَ تبتُ إليكَ وأنا أوّلُ المؤمنينَ ﴾[5].

وقوله تعالى لسيدنا نوح عليه السلام الرسول الكبير العظيم وأبو الرسل والبشر ﴿ ونادىٰ نوحٌ ربّهُ فقالَ ربِّ إنَّ ابني منْ أهلي وإنَّ وعدكَ الحقُّ وأنتَ أحكمُ الحاكمينَ ، قالَ يا نوحُ إنهُ ليسَ منْ أهلكَ إنّهُ عملٌ غيرُ صالحٍ فلا تسئلنِ ما ليسَ لكَ بهِ علمٌ إني اعظكَ أنْ تكونَ منَ الجاهلينَ ، قالَ ربِّ إني أعوذُ بكَ أنْ أسئلكَ ما ليسَ لي بهِ علمٌ وإلاّ تغفر لي وترحمني اكُنْ منَ الخاسرينَ ﴾[6].

وقوله تعالى في يونس عليه السلام ﴿ وذا النونِ إذْ ذهبَ مغاضباً فظنَّ أنْ لنْ نقدرَ عليهِ فنادىٰ في الظلماتِ أنْ لا إلهَ إلا أنتَ سبحانكَ إني كنتُ من الظالمين ، فاستجبنا لهُ ونجّيناه منَ الغمِّ وكذلكَ ننجي المؤمنين ﴾[7].

---

(١) المائدة /١١٦ ـ ١١٧ .

(٢) طه /٦٨ .

(٣) طه / ٤٥ ـ ٤٦ .

(٤) طه /١٢ .

(٥) الأعراف /١٤٣ .

(٦) هود /٤٥ ـ ٤٧ .

(٧) الأنبياء /٨٧ ـ ٨٨ .

وقوله تعالى في سيدنا آدم عليه السلام ﴿ وناداهما ربّهما ألمْ أنهكما عن تلكما الشجرةِ ﴾[1] ﴿ ولقدْ عهدنا الى آدمَ منْ قبلُ فنسيَ ولمْ نجدْ لهُ عزما ﴾[2].

فكلهم صلوات الله عليهم أعزّاء مكرّمون عند الله ، وكلهم أحباء له تعالى لأنهم أطاعوه من حيث لا يعصىٰ ، ولقد أُذوا مع أممهم كثيراً ، فعظّمهم الخالق وساندهم بقوته الربانية ويده الغيبية ، ولم يفرّط بأحد منهم إطلاقاً وأحبّهم ، إلا ان حبه لرسوله صلَّى الله عليه وآله اكثر من حبّه لجميع الرسل والأنبياء ، ونتائج محبته تلك واضحة في كتابه الحكيم ، فقد أخذ ميثاقه على الانبياء والرسل وعرّفهم عليه ليؤمنوا به ، وحبّه سبحانه له صلَّى الله عليه وآله عرف من عظمة الرسول وصبره وتحمله للأذىٰ وما لاقاه في جنب الله من قريش من تكذيب وظلم وحصار وحرب في سبيل إعلاء كلمة لا إله إلا الله وبناء صرح دين الإسلام القيّم الحنيف ، دون أن يدعي على أمته التي كانت جاهلة ، عكس ما حصل لباقي الأنبياء والرسل الذين قضوا على أممهم بالدعاء والفناء كإغراق نوح لقومه بدعائه عليهم ، وهود وصالح ، وإبراهيم وشعيب وموسىٰ ويونس لم يتحملوا ما تحمله رسول الله صلَّى الله عليه وآله من الإضطهاد والأذىٰ الذي لاقاه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وصبر عليه . ومع ذلك فقد أعطاهم الله عند نفوذ صبرهم ، فأنقذ سيدنا إبراهيم عليه السلام من النار ودمّر نمرود ، وأغرق لموسىٰ فرعون ، ونقل عيسىٰ الى الملكوت الأعلىٰ منقذاً إيّاه من بني إسرائيل ، أما رسول الله المصطفى صلَّى الله عليه وآله صبر على أبي سفيان وأبي جهل وأبي لهب ووائل بن العاص وغيرهم من أجلاف قريش دون دعاء ، فضربت رباعيته وجاع وضعف وصبر صبراً جميلاً ، فظهر حبّه تعالى له صلَّى الله عليه وآله في مواضع عديدة منها :

قوله تعالى : ﴿ تباركَ الذي نزّلَ الفرقانَ على عبدهِ ليكونَ للعالمينَ نذيراً ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿ سبحانَ الذي أسرىٰ بعبدهِ ليلاً من المسجدِ الحرامِ

(١) الأعراف /٢٢ .
(٢) طه /١١٥ .
(٣) الفرقان /١ .

إلى المسجدِ الأقصىٰ الذي باركنا حولهُ لنريهُ منْ آياتنا إنهُ هوَ السميعُ البصيرُ ﴾[1] نكتة عظيمة هي مباهاة وأعجاب منه تعالى بعبده تعظيماً له ، المضيف يستقبل الضيف بالترحيب .

وقوله تعالى : ﴿ قلْ إنْ كنتمْ تحبّونَ اللهَ فاتبعوني يحببكمُ اللهُ . . . ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ يٰسٓ ، والقرآنِ الحكيمِ ، إنكَ لمنَ المرسلينَ ، علىٰ صراطٍ مستقيمٍ ﴾[3] وقوله تعالى ﴿ إنّا فتحنا لكَ فتحاً مبيناً ، ليغفرَ لكَ اللهُ ما تقدّمَ منْ ذنبكَ وما تأخّرَ ويتمَّ نعمتهُ عليكَ ويهديكَ صراطاً مستقيماً ، وينصركَ اللهُ نصراً عزيزاً ﴾[4] وقوله تعالى ﴿ . . . فأنزلَ سكينتهُ على رسولِهِ ﴾[5] .

وقوله تعالى : ﴿ لقدْ صدقَ اللهُ رسولهُ . . . ﴾[6] .

وقوله تعالى : ﴿ يا أيها النبيُّ إنّا أرسلناكَ شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴾[7]

وقوله تعالى ﴿ لتؤمنوا باللهِ ورسولِهِ وتعزّروهُ وتوقروهُ . . . ﴾[8] .

وقوله تعالى ﴿ إنَّ الذينَ يبايعونكَ إنّما يبايعونَ اللهَ . . . ﴾[9] .

وقوله تعالى ﴿ محمدٌ رسولُ الله . . . ﴾[10] .

وقوله تعالى ﴿ طه ، ما أنزلنا عليكَ القرآنَ لتشقىٰ ﴾[11] .

---

(١) الاسراء /١ .
(٢) آل عمران /٣١ .
(٣) يس/ ١ ـ ٤ .
(٤) الفتح / ١ ـ ٣ .
(٥) الفتح /٢٦ .
(٦) الفتح /٢٧ .
(٧) الأحزاب / ٤٥ .
(٨) الفتح /٩ .
(٩) الفتح /١٠ .
(١٠) الفتح /٢٩ .
(١١) طه / ١ ـ ٢ .

وقوله تعالى : ﴿ وإنكَ لعلىٰ خلقٍ عظيمٍ ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ فكشفنا عنكَ غطاءكَ فبصركَ اليومَ حديدٌ ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ وهوَ بالأفقِ الأعلىٰ ، ثمَّ دنا فتدلّىٰ ، فكانَ قابَ قوسينِ أو أدنىٰ ، فأوحىٰ الى عبدهِ ما أوحىٰ ، ما كذبَ الفؤادُ ما رأىٰ ، أفتمارونَهُ على ما يرىٰ ، ولقدْ رآهُ نزلةً أخرىٰ ، عندَ سدرةِ المنتهىٰ ، عندها جنّةُ المأوىٰ ﴾[3] .

وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذينَ آمنوا لا ترفعوا أصواتكمْ فوقَ صوتِ النبيّ ولا تجهروا لهُ بالقولِ كَجَهرِ بعضكمْ لبعضٍ . . . ﴾[4] .

وقوله تعالى : ﴿ يريدونَ أنْ يطفئوا نورَ اللهِ بأفواههمْ ويأبىٰ اللهُ إلاّ أنْ يتمَّ نورهُ ولو كرهَ الكافرونَ ، هوَ الذي أرسلَ رسولهَ بالهدىٰ ودينِ الحقِّ ليظهرهُ على الدينِ كلّهِ ولو كره المشركونَ ﴾[5].

قوله تعالى : ﴿ يا أيها المزّمّل ﴾[6] .

قوله تعالى : ﴿ يا أيها المدّثرُ ﴾[7] .

قوله تعالى : ﴿ ألمْ نشرحْ لكَ صدركَ ﴾[8].

وإذا أردنا تعداد آيات الإحترام وحب الحبيب لعجزنا ، والقرآن كله تعظيم للرسول صلّى الله عليه وآله ، وهو معجزته الخالدة ، فالله العزيز كان يحب نبيّه أكثر من كل الأنبياء والرسل ، ولو نظرت الى القرآن كله ، تراه كله حب ومدح وتمنّي وإعجاب بالرسول صلّى الله عليه وآله ، ولعل كل آية من

---

(١) القلم /٤ .

(٢) ق /٢٢ .

(٣) النجم /٧ ـ ١٥ .

(٤) الحجرات /٣ .

(٥) التوبة /٣٢ ـ ٣٣ .

(٦) المزمل /١ .

(٧) المدثر /١ .

(٨) الإنشراح /١ .

الآيات التي ذكرناها تحتاج الى شرح مطول وواسع ، وأوفى وأعظم حبّه إليه أنه أشهده على جميع الأنبياء والرسل والأمم ، وهو حبيبه وعزيزه وبشيره ﴿ . . . . وما أنتَ عليهمْ بوكيلٍ ﴾[1] ﴿ لستَ عليهمْ بمصيطر ﴾[2] ﴿ فلعلّكَ باخعٌ نفسكَ على آثارهمْ . . . ﴾[3] وهكذا . . . ، وهذه كلها تعد فضائل نالها سيد البشرية صلّى الله عليه وآله عن إخوانه الانبياء ، فهو لم يدعو على أحد من الذين ظلموه وقاتلوه وآذوه وحاصروه في شعب بني هاشم ، فكل ما صنعوا معه رفع دعاءه عنهم وهو المسدد ، بل صبر على ما فعلوا معه حتى عجزت الجبال من صبره ، ولو انها صبرت كما صبر أبو القاسم صلّى الله عليه وآله لانهدّت ودكّت .

ومن تفضيله على سائر الانبياء أنه كان آخرهم وخاتمهم ، ولقد تقلّد وسام الدين الاسلامي ، في حين عجز جميع الأنبياء عن إرساء وتشييد هذا الدين بين الامم والملل ، قاد الأمة الى الهدى بعد أن كانت تعيش في ظلام دامس ، وفي ضلالة لا ضلالة بعدها ، حتى أصبح الدين الاسلامي يغزو المعمورة كلها في كافة أرجاء العالم ينادي المنادي الله اكبر وينطق بالشهادتين أعاجمهم وأعرابهم .

سلام الله عليك أيها السيد الرشيد المحمود الأحمد ، كل هذا من جهودك وأتعابك وصبرك وأخلاقك ، هكذا أحب الله نبيّه لأنه ، وجده قوي العزيمة والثبات لما قدم من جهد وطاقة في سبيل خدمة الإسلام ، والله سبحانه قيّم أتعابه ، ومن أصحابه ممن بني الاسلام على جماجمهم وبذلوا طاقاتهم ، وعلى رأس هؤلاء ابو طالب الذي وقف كالجبل الأشم والطود يذب عن الدين ورب الدين ونبي الدين ، وهو أول من دخل الاسلام بعد علي وخديجة وأبو بكر ، حتى بدأوا بالتكاثر واحداً بعد آخر ، حتى جمعوا شملهم وكان جمعهم قوة كبيرة لا يستهان بها ، وكلٌ منهم قدم للإسلام خدمة خاصة وللنبي صلّى الله عليه وآله ، ولقد تفضّل كل واحد منهم في عمله ، ونحن نجد أن الامام

---

(١) الأنعام /١٠٧ .

(٢) الغاشية /٢٢ .

(٣) الكهف /٦ .

أمير المؤمنين علي عليه السلام كان من أشد الصحابة قوة وحزماً وصدقاً لله ولرسوله وللدين ، وهذا إنما يدل على حبه لله وطاعته له وصدقه وإخلاصه له ، وتمسكه بعقيدته الراسخة ، وقد أحب الله سبحانه وتعالى وتفانى في حبّه ، ولم يحبّه أحد من الصحابة كحبّه .

ومن حبّه الشديد قوله : لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً .

كلمة قلّ نظيرها ولم يقلها سواه .

وهو القائل : إلهي كفى بي عزّاً أن تكون لي ربّاً ، وكفى بي فخراً أن اكون لك عبداً .

قول نادر ، لا يقدر عليه سواه ، ولا أن يتواضع عن كبريائه وفخره ويقول هذا إلا علي بن أبي طالب عليه السلام ، فهو يرى نفسه عبداً لله وفخره وشرفه وعظمته من العبودية .

وهو القائل : فهبني يا إلهي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك .

وهو القائل : وهبني يا إلهي صبرت على حرّ نارك ، فكيف أصبر عن النظر الى كرامتك . . . يا سيدي فكيف بي وأنا عبدك الضعيف الذليل الحقير المسكين المستكين ـ كلام عظيم جليل خرج من فم عرف الله وأحبّه ـ . . أقسم صادقاً لإن تركتني ناطقاً لأضجنّ إليك بين أهلها ضجيج الآملين ، ولأصرخنّ إليك صراخ المستصرخين ، ولأبكينّ عليك بكاء الفاقدين ، . . . يا حبيب قلوب الصادقين ويا إله العالمين . . . مولاي أتسلط النار على وجوه خرّت لعظمتك ساجدة ، وعلى ألسن نطقت بتوحيدك صادقة وبشكرك مادحة ، وعلى قلوب اعترفت بإلهيتك محققة . . .

إلهي قرعت باب رحمتك بيد رجائي ، وهربت إليك لاجئاً من فرط أهوائي ، وعقلت بأطراف حبالك أنامل ولائي ، فاصفح اللهم عما كنت أجرمته من زللي وخطأي ، وأقلني اللهم من صرعة ردائي ، وعسرة بلائي ، فإنك سيدي ومولاي ومعتمدي ورجائي ، وأنت غاية مطلوبي ومناي .

ومن حبه المتفاني والمنقطع النظير نرى حبه لله في ابتهاله ليلاً يقول :

لبّيك لبّيك أنت مولاه ... فارحم عبيداً إليك ملجاه
يا ذا المعالي عليك معتمدي ... طوبى لمن كنت أنت مولاه
طوبى لمن كان نادماً أرقا ... يشكو الى ذي الجلال بلواه
وما به علّة ولا سقمٌ ... اكثر من حبّه لمولاه
إذا خلى في الظلام مبتهلاً ... أجابه الله ثم لبّاه

أما الوفاء بعهده فلم يكن هناك من الصحابة اكثر وفاءاً من علي بن أبي طالب . ومن عهده لله سبحانه وتعالى فيما أراد الله به عهده ، فكان السبّاق لذلك العهد ، ولقد أشار القرآن الكريم بهذا حيث قال ﴿ **رجالٌ لا تلهيهمْ تجارةٌ ولا بيعٌ عنْ ذكرِ اللهِ وإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ يخافونَ يوماً تتقلّبُ فيه الأبصار** ﴾[1] .

﴿ **ومنَ المؤمنينَ رجالٌ صدقوا ما عاهدوا اللهَ عليهِ ، فمنهمْ منْ قضىٰ نحبهُ ومنهمْ منْ ينتظرْ وما بدّلوا تبديلاً ، ليجزيَ اللهُ الصادقينَ بصدقهمْ ويعذّبَ المنافقين إنْ شاءَ أو يتوبَ عليهمْ إنَّ اللهَ كانَ غفوراً رحيماً** ﴾[2]

﴿ **. . . فمنْ نكثَ فإنما ينكثُ على نفسهِ ومنْ أوفى بما عاهَد عليهُ اللهَ فسيؤتيه أجراً عظيماً** ﴾[3] .

﴿ **. . . ومنْ أوفى بعهدهِ منَ اللهِ فاستبشروا ببيعكمُ الذي بايعتمْ بهِ وذلكَ هوَ الفوزُ العظيمُ** ﴾[4] .

﴿ **أوَ كلّما عاهدوا عهداً نبذهُ فريقٌ منهمْ بلْ اكثرهمْ لا يؤمنونَ** ﴾[5] ولذا جاء بما يخص أهل الكتاب الذي يؤمن بعهد الله ، ومن عهد الله الرسول والأمانة ﴿ **بلى منْ أوفىٰ بعهدهِ واتّقىٰ فإنّ اللهَ يحبُّ المتّقين ، إنَّ**

---

(١) النور /٣٧ .
(٢) الاحزاب /٢٣ ـ ٢٤ .
(٣) الفتح /١٠ .
(٤) التوبة /١١١ .
(٥) البقرة /١٠٠ .

الذينَ يشترونَ بعهدِ اللهِ وايمانهمْ ثمناً قليلاً أولئكَ لا خلاقَ لهمْ في الآخرةِ ولا يكلمهمُ اللهُ ولا ينظرُ إليهمْ يومَ القيامةِ ولا يزكيهمْ ولهمْ عذابٌ أليم ﴾[1].

وهناك عهد وميثاق حتى على النبيين .

ومن العهد الإسلام وتحقيقه في ربوع المعمورة ، والإخلاص له .

ومن العهود بيت الله الحرام ، وعدم التفريط فيه في المناسك .

ومن العهود الفرائض التي ثبّتها الرسول صلّى الله عليه وآله لهذه الأمة ، عدم زيادتها ونقصانها .

ومن العهد البيعة لله ولرسوله .

ومن العهود إطاعة أوامر الله ، والعمل بها ، وبما جاء به الرسول صلّى الله عليه وآله .

والعهود كثيرة ولا يمكن إحصاؤها .

أجل لقد أخذ الله ميثاقه وعهده على الأنبياء ، وأخذه على جميع الأمم والأديان والملل .

ومن العهود بيع النفس ، والمحافظة على الرسالة والرسول ، والمبايعة والإيمان والأمانة ، والموالاة لله ورسوله ووليّه صاحب العهد وعترته ، وتنفيذ الأوامر بما هي ، فلا يجوز تغييرها والإضافة عليها والأخذ بأوامر الرسول وما أمر به ، والإنتهاء عما نهىٰ عنه ، والحدود والقصاص والعلم والحكمة ومعرفتها والمحافظة على الشريعة وقانونها ، والقرآن وعدم التفريط به ، أو حرقه أو دفنه كما حصل لبعض من ادعى خلافة الله ورسوله ، لأنه قرآن كريم ، قانون سماوي وأرضي .

ومن العهد الحكم والخلافة ومعرفة الحكم وقدرة الحاكم ، والقضاء ، وسياسة الأمة ، والمحافظة على الأمة والعباد لأنهم عباد الله .

---

(١) آل عمران / ٧٦ ـ ٧٧ .

ومن العهود المحافظة على العدل والمساواة والحرية ، والحلال والحرام فحلال محمد حلال الى يوم القيامة وحرامه حرام الى يوم القيامة ، فلا يجوز لإنسان تحريم هذا وتحليل ذاك .

ومن العهود النصوص الربانية ، والسنة النبوية ، وعدم الاجتهاد في مقابل النص والسنّة ، وحذف شيء من الإسلام ، وادخال شيء في الاسلام كما جاء في القرآن الكريم ، وفي بعض الآيات ، آيات العهود والمواثيق . والذي يعمل علىٰ تطبيق العهود أجره عظيم عند الله ، أما الذي ينكثها ولا يفي بها وينكرها فموقفه عند الله شديد ، وهذا يشمل جميع البشر دون فرق بين نبي أو رسول أو أي إنسان عادي ، سلطان أو حاكم أو خليفة ، فليس عند الله قريب ولا صديق ولا محسوبية ولا منسوبية بل عدالة مطلقة ، لذا نلاحظه سبحانه في بعض العهود يخاطب بعض الرجال بالصادقين لأنهم أوفوا بالعهود وصدقوا بها ، ومنهم من ذهب في عمله وصدقه ، ومنهم من ينتظر عمله وهم في الحقيقة ثبتوا على العهد والعهود ، ولم يفرطوا إطلاقاً ، فأعطاهم أعظم الدرجات العالية ، أما المنافقين فأمرهم الى الله إما أن يتوب عليهم وإما يعذبهم ، ومنهم الذين نكثوا البيعة فلا يقبل لهم عمل ، وهذه تخص أهل الكتاب وغيرهم ، والإشارة واضحة الذين باعوا العهد والإيمان بثمن قليل كيف وصفهم الله بأنهم لا خلاق لهم ، وليس عند الله لهم وزن ولهم عذاب أليم ، والعهد لا يختص بأحد دون آخر ، بل هو عام شامل ، وسيد من حفظ العهود النبي محمد صلى الله عليه وآله حيث انه أخلص عهود الله كلها ، ولم يفرط بها ، بل طبقها علىٰ نفسه وذريته وآل بيته ، وليس هناك من الصحابة وغيرهم من نهج على نهجه سوىٰ أمير المؤمنين عليه السلام في ترتيب المحافظة على الدين والشريعة والرسالة والرسول والبيعة والعلم والحكمة والقصاص والقضاء والموعظة والنصوص والايمان والعقيدة ، فلم يأخذ بيضاً ولا صفراً ، فكان صريحاً صادق مخلص حتى أفنىٰ عمره الشريف في سبيل الله ونبيه ودينه ، وطبق جميع الأوامر حلوها ومرّها ، ولم يفرط بشيء منها قط ، ولم يطلعنا التاريخ على غيره أبداً إلا هو وابناؤه ، حتى سفكت دماؤهم الزكية على مذبح الاسلام من أجل عهد الله وميثاقه ، وتطبيق حكمه في ملكه .

ونحن نقتصر على حادث حدث في الاسلام ، فهدم الاسلام وأركانه وثلم الإسلام ثلمة ليس يسدّها شيء ، وهو انتقال الرسول الاكرم صلّى الله عليه وآله الذي أسس هذا الدين وضحّى من أجله ـ الى الملكوت الأعلىٰ ـ فترك جميع الصحابة الرسول صلّى الله عليه وآله مسجّى علىٰ مسجاة التغسيل ، وهم في سقيفتهم يعملون من أجل الحكم والسلطة والزعامة ، ومتى تكون ولمن تكون ، وعلي عليه السلام لحبّه الشديد لله ورسوله أخذ بتغسيله وتكفينه ودفنه ، والباقون نقضوا العهد وأعظم العهود ـ رسول الله ـ .

أجل لقد تركوه وذهبوا الى المؤامرة ، لكن صادق العهد لم يترك عهده قط حتى أوفى وفاءاً بعهده ، أما الذين اتخذوا الدين وسيلة لغاية الوصول الى الحياة التي هي همّهم ومتاعهم ولغرض الوصول الى دفة الحكم فهؤلاء سرعان ما نقضوا العهد والميثاق ، وتركوا كتاب الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وتكالبوا على الحكم ، حيث كانت نظرتهم للدين نظرة خرافية ، وما الدين عندهم إلا خرافات وخيال نسجه ابن كبش كما كانوا يعبرون بقولهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، منهم من يريد الاسلام سيطرة وغش وتسلط وانحراف ، وهؤلاء كانوا ينتظرون الفرصة ، فلما حصل لهم ما أرادوا قدموا علىٰ ما كانوا يريدون ، لذا تركوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو منهم حسباً ونسباً ، ولم تأخذهم الغيرة عليه مع أنه منهم أباً وجداً وعمّاً .

أجل تركوه وعلي ، وهم تحت سقف السقيفة المشؤومة، سقيفة المؤامرة ، وإلا فكيف الآية ﴿ **إنَّ اللهَ اشترىٰ منَ المؤمنينَ أنفسهمْ وأموالهمْ بأنَّ لهم الجنّةَ يقاتلون في سبيلِ اللهِ فيَقتُلُونَ ويُقتَلُونَ وعداً عليه حقاً في التوراةِ والإنجيلِ والقرآنِ ومَن أوفىٰ بعهدِهِ منَ اللهِ فاستبشروا ببيعكمُ الذي بايعتمْ بهِ وذلكَ هوَ الفوزُ العظيمُ** ﴾[1]

فالأنفس والأموال ملك لله وحده لا يحق للإنسان أن يتصرف بنفسه وماله إذا أقرّ بهذه الآية ، لأن الآية للقراءة والعمل بها، لا للقراءة وحدها، بل عمل وتطبيق ، والشراء هنا مختص بالله سبحانه ، والبائع هو الإنسانَ ، ومن

---

(١) التوبة /١١١ .

هم مشتروا البضاعة الله ورسوله صلّى الله عليه وآله ، لذا وجدنا أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام واظب على بيع نفسه وماله لربه ونبيه ، أما الآخرون فقد هربوا من مضمون هذه الآية من بيع نفس ومال ، وخانوا العهد بعد صمت طويل ، والصمت هذا هو ذهاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم صاحب البيعة .

ومن هؤلاء معاوية وأتباعه لأن الجنة بدل بذل النفس والمال في سبيل الله والعقيدة والحفاظ على الدين ، والدين هو محمد صلى الله عليه وآله ، فالآية لا تخص الجهاد وحده بل جميع الأعمال ، كما أن البيع لا يخص النفس والمال فحسب ، بل اللسان والقلم وكل ما يتعلق بالبدن ، وليس الغرض من الآية مقاتلة الكافر الذي يريد هدم الدين والانحراف وترك أحد ضروريات الدين للطعن بالدين أو تغييره عن أهدافه أو رفع ضرورية ووضع بدعة ، أو اضلال الناس عن الدين ، بل على البائع أن يقتل .

ما الفرق بين الكافر والمنحرف والمتقمّص ؟ إنما أعطيت الجنة للقاتل والمقتول الذي يذب عن بيضة الاسلام وعن رسول الله صلى الله عليه وآله الذي شيد هذا الدين ولم يقدر سواه على أمر تشييده ، والعهد هذا جاء ذكره في التوراة والإنجيل من قبل لموسى وعيسى عليهما السلام ، وجاء نصّه في القرآن ، أليس النبي صلّى الله عليه وآله من العهد والميثاق ، أوليس الاسلام والواجبات والتكاليف الربانية والأمانة من العهد والميثاق ؟ فأين العهد عند معاوية وأصحابه ؟ وقد كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته الطاهرين من أفضل مصاديق هذه الآية ، وكانوا أفضل الناس عملاً بالعهد والميثاق ، فكان الإمام إذا أرسل جابيه يقول له : انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له ، ولا تروعنّ مسلماً ، ولا تجتازنّ عليه كارهاً ، ولا تأخذن منه اكثر من حق الله في ماله ، فإذا قدمت على الحيّ ، فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم ، ثم امضي إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلّم عليهم ، ولا تخدج بالتحية لهم ، ثم تقول : عباد الله أرسلني إليكم وليّ الله وخليفته لآخذ منكم حق الله في أموالكم ، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه الى وليّه ، فإن قال قائل لا ، فلا تراجعه ، وإن أنعم لك منعم فانطلق معه

من غير أن تخيفه وتوعده أو تعسفه أو ترهقه ، فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة ، فإن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلاّ بإذنه ، فإن اكثرها له ، فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول تسلّط عليه ، ولا عنيف به ، ولا تنفرن بهيمة ولا تفزعنّها ، ولا تسوءن صاحبها فيها ، واصدع المال صدعين ، ثم خيّره فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره ، ثم اصدع الباقي صدعين ، ثم خيّره ، فاذا أختار فلا تعرضن لما اختاره ، فلا تزال كذلك حتى يبقىٰ ما فيه وفاء لحق الله في ماله ، فاقبض حق الله منه .

هذا حكمه ، فأين حكم عثمان ومعاوية الذي اغتلس من بيت المال لابني أبيه وآل أمية وآل معيط حتى جعل مال الله دولاً . وأين حكومته عليه السلام حكومة رسول الله صلى الله عليه وآله وحكومة الانبياء عليهم السلام وحكومة الله ، وعدل السماء من حكومة أبي بكر حينما أرسل خالد لجلب الزكاة حتى قتل مالك بن نويرة ووطأ زوجته وأراد عمر أن يقيم الحد على خالد ومنعه أبو بكر ، فهكذا كانت حكومة الله عن حكومة الناس وحكومة الخلفاء الثلاثة .

أم عهده وميثاقه من حيث العبادة ، فكان أفضل الناس بعبادته ، وحبه لله كان عبادة ممزوجة بالخوف والبكاء ، وهذا يدل على معرفته لربّه اكثر من الآخرين ، وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله : لا يعرف الله إلا أنا وأنت . فهو يرىٰ أن العبادة يجب أن تكون مهذبة للضمير ، مقوّمة للخلق الإنساني ، آخذة بالقلوب الى الله سبحانه ، مطهرّة بحق للنفس ، مغسلة للأدران التي تصدأ القلوب ، تأخذ الإنسان من الأنانية والكبرياء والتجبر والخيلاء والفخر الى الخضوع ونكران الذات .

لذا كان يصنف أهل العبادة والمتعبّدين الى ثلاثة أصناف : صنف يعبد الله تجارة ، والآخر يعبده عبودية ، والصنف الثالث يعبد الله حباً . وأصحاب التجارة أما لمقايضة أو غاية أو هدف أو مجرد انتساب الى الدين ، وهذا ما هو حاصل اليوم وأمس وغداً ، فالدين ما هو عند الكثير إلا كلام ولقلقة لسان ، والتسبيح والذكر أمام الناس رياءاً ، أما هو سلام الله عليه فيمزج عبادته

بدموعه ويقول : آهٍ إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها ، فتقول خذوه ، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته ولا تنفعه قبيلته ، آهٍ من نار تنضج الأكباد والكلى ، آهٍ من نار نزاعة للشوىٰ ، آهٍ من غمرة من لهبات لظى ـ ثم يقول في صلاة الليل ـ : ربِّ أسأت وظلمت نفسي ، وبئس ما صنعت فهذه يداي يا ربّ جزاءاً بما كسبت ، وهذه رقبتي خاضعة لما أتيت ، وها أنا ذا بين يديك ، فخذ لنفسك من نفسي الرضا حتى ترضىٰ ، لك العتبىٰ لا أعود .

لماذا يفعل ذلك ؟ لأنه يعلم ويعرف أن الحول والرزق والقوة والضعف والحياة والموت والصحة والمرض والشقاء والدواء والصول والجول كلها من الله ، فلا نصر ولا كسب ولا مال ولا جاه إلا من الله سبحانه وتعالى .

وهو عليه السلام القائل في سجدة الشكر : يا من لا يزيده الحاح الملحين إلّا جوداً وكرماً ، يا من له خزائن السماوات والارض، يا من له خزائن ما دقّ وما جل ، ولا تمنعك اساءتي من احسانك ، اسألك ان تفعل بي ما أنت أهله وأنت أهل الجود والكرم والعفو ، يا رب وأنت القادر على العقوبة يا رب وقد استحققتها ، لا حجّة لي ولا عذر لي عندك ، اليك الجأت أموري كلها ، أعترفت بها كي تعفو عني وأنت أعلم بها مني ، بؤت اليك من كل ذنب أذنبته ، وكل خطيئة أخطأتها ، وبكل سيئة عملتها ، فاغفر وارحم وتجاوز عمّا تعلم إنك أنت الاعز الاكرم .

يقول هذا وهو علي بن أبي طالب عليه السلام سيد الوصيين ، وأبو الأئمة الهداة الأحد عشر من ولده ، كلهم أئمة هداة ، مصابيح ، قادة هذه الأمة ، وشفعاء كل مذنب ، جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأمهم الزهراء البتول عليها السلام ، وجدّتهم خديجة أم المؤمنين .

باب مدينة العلم والفقه ، والصادق الذي يحاسب الله الناس على ولايته ، يا لك من علي ، يا لك من إمام معصوم مفترض الطاعة ، طاعتك من طاعة الله ورسوله ، ثم هكذا تخاف !! إذا ماذا أقول أنا وغيري ، أجل نحن جهّال لا نعرف من هو الله ، وأنت كنت قد عرفته حق المعرفة ، ألست

أنت القائل : بنا عرف الله ، وبالله عرفنا ؟

كيف لا وأي شيء أنا قدّمت للإسلام ؟ وأنت مؤسس هذا الدين بسيفك حتى شهد الله لك بقوله ﴿ . . . . **وكفى اللهُ المؤمنينَ القتالَ** . . . ﴾[1] كفاهم الله يوم الأحزاب القتال بسيفك .

أجل . . وهو المنادى على لسان جبرائيل :

لا فتىً إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار

وهذا شيء لا ينكره ولا يشك فيه أحد قط .

وقد شهد فيه رسول الله صلى الله عليه وآله حين قال : والله ما شيّدت هذا الدين إلا بسيف علي بن أبي طالب ومال خديجة بنت خويلد .

لا بزيد ولا بعمر شيّد الدين ، بل بك حين هشّمت خياشم العرب ، وفلقت جماجمهم .

قال في العبادة : إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار ، وإن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد ، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة .

وقد كنت أنت صاحب عبادة الشكر ، وأنت الحرّ وسيد الوصيين عبادتك خير العبادات وأشدّها ، لا يطيقها سواك حيث قلت : ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنّتك ، ولكن رأيتك أهلاً للعبادة فعبدتك .

هذه أعلى مراتب العبادة ، عبادة الأحرار ، هذا سبيله عليه السلام وسبيل أبناءه الكرام البررة ، وهو الذي علّم وأعد أناساً لعبادة الله عبادة زاهدين ، وخاشعين ، وخاضعين ، ومتصوفين مثل ابنيه الإمامين الحسن والحسين عليهما سلام الله وتحياته ورضوانه ، حيث نرى الحسين عليه السلام أقام الصلاة في تلك الساعات العسرة ، الساعات الرهيبة ، ساعة الحق والفضيلة والعزّ والشرف والجهاد وتقويم الدين عن اعوجاجه والاستقامة

---

(١) الأحزاب / ٢٥ .

بالدين عن انحرافه ، ساعة آدم ونوح وهود وصالح وإبراهيم وموسى وعيسىٰ ومحمد بن عبد الله عليهم صلوات الله جميعاً ، ضد ساعة الكفر والشرك والإلحاد والإنحراف والضلالة ، ساعة قابيل وفرعون ونمرود وأبو سفيان ومعاوية ويزيد ومروان . ساعة آل هاشم وآل عبد المطلب وآل محمد صلّى الله عليه وآله مع ساعة آل عبد شمس وأمية وصخر بن حرب ، ساعة آل معاوية آل الشجرة الملعونة في القرآن مع ساعة الشجرة الطيبة ، ساعة الإسلام كله والإيمان كله والعقيدة كلها ، ساعة الحسين عليه السلام ضد يزيد الخمور والفجور ، ساعة جبرائيل حيث وقف في ساحة كربلاء يحمل لواء الحمد ، ووقف في المقابل الظلم والاستبداد والجور ، والفجور يحمل لواءه الشيطان ، ساعة الحق والفتح والظفر والنصر ، ساعة شيّد فيها الاسلام برأس الحسين وصحبه الكرام سلام الله عليه وعليهم ، ووقف النصر يرفرف فوق رأس الحسين ، ورفضه سيد الشهداء وأبو الأئمة لأن دين جدّه صلى الله عليه وآله لا ينتزع من بني أمية إلا بقتله ، إلا بشهادته ؛ ساعة الوحيد العطشان المكروب الغريب المظلوم المهموم المغموم ضد راية الذل والإنكسار والهزيمة راية الشرك والنفاق فوق رأس بني أمية وسليلهم يزيد الذل والعار .

هناك وفي تلك الساعة وقف المحبّ لله يصلي بالجند وصحبه الكرام في يوم العاشر من شهر محرم الحرام عام ستين للهجرة المصادف للعاشر من تموز يوم السبت على اكثر الروايات ، حيث أنه قال لملائكة الله الذين جاءوا لنصرته في مكة المكرمة : موعدي معكم السبت .

أجل صلّى صلاة القوة ، لا صلاة الخوف والمطاردة ، وهو ابن علي والزهراء ، صلى صلاة العزّ والعظمة ، صلاة الشكر ، تلك الصلاة التي كان الله ينظر إليها في عرشه ، ينظر اليها بعين الرحمة والكرامة والقبول ، وهي اكثر صلاة قبولاً واعظمها صلاة عند الله من الحسين وأصحابه ، فكل صلاتهم كانت مقبولة ، لكن صلاة الجهاد والدم والدفاع عن دين الله القويم كانت اكثر قبولاً واكثر قرباً من الله سبحانه ، صلّوها سلام الله عليهم لله ، وهم مصابيح شعلة نور الإسلام الوضاءة . جند الله الذين لم يسبقهم جند ، ولا يلحقهم جند قط ، ما خلا في صدر الاسلام ولا عند ظهور الاسلام على يد

المصلح الكبير الإمام المنتظر عجل الله له الفرج ، جند فوق جنود بدر وأحد والخندق ، وفوق جنود صفين والجمل والنهروان ، أولئك كانوا جند الله الذين انتصر بهم للاسلام ، وقد مضىٰ على انتصاره بهم ألف وثلاثماية ونيّف من السنين وما زال متّقداً بنور دمائهم الزكية التي سفكت تقرباً له سبحانه ، وبقي اسمه سلام الله عليه وأصحابه حاملين لراية الحق وإعلاء كلمته وإظهار الشاهدين في ربوع المعمورة ، وخسرت بنو أمية وأحلافهم ، وخسر نغلهم يزيد وخسرت معه السقيفة وأهل العهد وباءوا بالفشل والخذلان والهزيمة والإنكسار ، وانتصرت نهضة الحسين الشهيد عليه السلام وخسرت أمية كلها حيث قال زنيمها يزيد : إن سلطنة الحسين خير لي من هذا المقام الذي رفع آل علي وبني هاشم .

يزيد يحسد الحسين عليه السلام على قتله ، لأن في قتل الحسين قتلت المؤامرة التي حيكت في صدر الاسلام ، وثارت الدنيا على عرش بني أمية ، لهذا حسده وقال لو كان الحسين حاكماً لكان خير لأهل الحلف ، لكن قتله فضح الحلف وأهله ويزيد .

وكان يزيد يريد أن يعيد الإسلام الى الصنم والوثن ، ولكن البيت الهاشمي المطلبي المحمدي العلوي الحسني الحسيني هتك هذا البيت وكشف أنيابه وسوءته أمام جماهير المسلمين .

إن كان دين محمد لن يستقم ... إلا بقتلي يا سيوف خذيني
ما كان قربان الخليل نظير ما ... قربته ، كلّا ولا ذي النونِ

* * *

اليوم منه أمية في كربلا ... كالت له في صاع بدر صوعا
اليوم دحرجت الدباب وأظهرت ... بالطفّ كامن خطبهن شنيعا
اليوم من هي عن سآمة خلفت ... قادت الى حرب الحسين جموعاً
اليوم جردت السقيفة سيفها ... فغدا به رأس الحسين قطيعا
عجباً لمن قد كان نوراً محدقاً ... بالعرش يغدو في التراب صريعا
ومن ارتبى طفلاً بحجرِ محمدٍ ... حتى اغتدىٰ وحي الإله رضيعا

فتضعج أملاك السماء لموته اليوم مات الأنبياء جميعا
اليوم حقُّ محمدٍ في آلهِ ما بين ناكثةِ العهود اضيعا
اليوم قد قتلوا النبي وغادروا الاسلام يبكي ثاكلاً مفجوعا

* * *

أجل وعلي بن الحسين ، الإمام زين العابدين أخذ من عبادة جدّه علي عليه السلام ، فكان يصلي ألف ركعة في اليوم والليلة ، وهو يبكي بكاء جدّه أمير المؤمنين ، وزينب بنت علي السيدة الطاهرة الحوراء نهجت نهج أبيها أمير المؤمنين علي عليه السلام، عبادة لم تثنيها عنها وتنهكها مصيبة أخوها سيد الشهداء والأحرار ، ولم تهدّها عن عبادة ربّها ، بل كانت تصلي صلاة الليل حتى في نفس الليلة التي قتل فيها أخوها الإمام الحسين سلام الله عليه ، حتى أن الامام علي بن الحسين زين العابدين قال : كنت أنظر الى عمتي زينب كانت تصلي من جلوس صلاة الليل .

تصليها من جلوس لما ألمّ بها من ضعف بسبب أهوال ذلك اليوم ، ومع أن صلاة الليل مستحبة وغير واجبة .

هؤلاء أطاعوا الله من حيث لا يعصى ، وعملوا بعهده وحافظوا على العهد والميثاق خير محافظة ، فأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يصلي ويبكي في المحراب ودمه الزكي يفيض على لحيته من ضربة الكافر الخارجي ابن ملجم ، ولسانه يسبّح الله .

شخصية كلها أسرار ، لا يعرفها أحد ، وحق أن لا تعرف ، ولئن جلّها عميان القلوب من الناس فذهبوا يتخبطون هنا وهناك ، فحل بهم ما حلّ ، فعضّهم الدهر عضاً ، ونكّل بهم تنكيلاً ، وأصبحت الأمة كالعبيد تباع وتشرى نتيجة تركها امير المؤمنين علي وأبناءه من العترة الطاهرة ، فصارت هذه الأمة التي أراد الله لها العز أصبحت تحت سيطرة اليهود الأذلاء ، تسير بأمرهم ذليلة خاسئة ، تتقاذفها الأهواء هنا وهناك ، ويتخطفها الناس من حولها ومن فوقها .

يا له من عابد ويا له من عبد لمعبود ، من مخلوق لخالق ، من قائل :

لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً .

والله إنه غاية اليقين وكماله ، فكيف به رجلاً يصلي ألف ركعة في اليوم والليلة ، صلاة مستحبّة لمدة ستة عشر ساعة وأربعين دقيقة ، إذاً كيف بالصلاة الواجبة اليومية ، وكيف يزاول عمله ، وكيف الحروب التي بنى فيها بسيفه الإسلام وشيّد أركانه ، فكل ذلك في الساعات الثمانية الباقية لعمله وحروبه وبيته وحكمه وقضائه .

وأما حبّه لله المنقطع النظير في حكمه وقضائه ، وهذا عامل مهم في الاسلام ، فالقضاء والعدالة والخوف من الله سبحانه ، فكان عليه السلام خير أمين وخير حاكم وخير قاضٍ في عباد الله ، يظهر العدل بأنواعه ، والمساواة بأساليبها والحرية بمفهومها ، والقضاء بما أمر به الله ، حتى على أهله ، ومراقبة نفسه وغيره من رجاله وصحبه ، وهذا يعني شدته في دين الله ، الأمانات كثيرة ، ونحن نأخذ الشيء اليسير منها ، وخير الامانات وجلّها هي التي تكون عند الحاكم لأنه السلطة ، وليس فوقه سلطة ، القوة عنده وهو المنفذ الأعلى في الشعب ، سلطة شرعية وتنفيذية وكل قدرة الشعب تحت تصرفه ورحمته وتحت عطائه ، هذا علاوة على القوى والجند الذي يحيط به ، فهو يعزل ويقصي وينصب كما هي اليوم السلطة لدى الحكام والشعوب .

أما الذي يعمل في أمانة الله في شعبه ، فيأخذ به نحو شاطىء السلام والعيش الرغيد ، فالشعوب بحاجة لرجل كأمير المؤمنين عليه السلام مخلص لله ومتخلص من الشهوات والملذات والنزوات ، فهو الحاكم والولي المرضي عنه لأنه لما حكم كان أهم ما عنده أن يساوي بين الضعيف فيجعله عزيزاً مكرماً ، لا يشعر بنقص في الشخصية والذلة ، فكان لا يسمح لأحد أن يسلب حريته ، والحرية أهم شيء عند الانسان ، فالإنسان بدون حرية يفقد إنسانيته ، فيصبح عبداً ذليلاً ، بل حيوان لا يعرف إلا علفه أو صعلوك يتسكع على اعتاب الناس .

أمير المؤمنين عليه السلام يتحدث عن مفهوم الإنسان فيقول : إنه صورة الله وروحه .

لـذا قال ان حـاول محاول أن يسلبـك الحريـة فمعنى ذلك انـه يحـاول أن يعتـدي عـلى روح الله وصـورة الله في انسـانيتـك . وإن الـواجب يـدعـوك أن تدافع عن هـذه الهيبة المقـدسة التي لا قيمـة للحياة بـدونها ، إنها هي الشرف ، والشرف أثمن من الحياة .

قـال : الذليـل عندي عـزيز حتىٰ آخـذ الحق له ، والعـزيز عنـدي ذليـل حتى آخذ الحق منه .

هذه من أعظم الأمانات وأعـظم ركائـز الحكم ، وهل في الحيـاة أشد من الظلم وهضم الحقوق والإعتداء على الآخرين ، والتصـرف بحياتهم ومقتضياتهم قال : إياك والاستئثار بما الناس فيه إسوة ، إن هذا المال ليس لي وليس لك .

لا يسعنا أن نعطي أمراً اكثر من حقه .

الفقراء أمانة بين الناس وخاصة عند الأغنياء .

الله الله في الفقراء المساكين ، أشركوهم في معايشكم .

وكـان يقـول عليـه السـلام : انصفـوا النـاس من أنفسكم ، واصبـروا لحـوائجهم ، فإنـه خزّان الـرعية ، ولا تحبسـوا احداً عن حـاجته ، ولا تحبسـوه عن طلبـه ، ولا تبيعنَّ للناس في الخـراج كسـوة شتـاء ولا صيف ، ولا دابـة يعتملون عليها ، ولا عبداً ، ولا تضربنّ أحداً سوطاً لمكان درهم .

وهذه الأمانـات التي يجب على الحكـام تطبيقهـا أمام الشعـوب والله كانت نبـراس حكم أمير المؤمنـين عليـه السـلام والمحـافـظة عليهـا ، لأنـه كـان يـرىٰ الشعب ليس وسيلة للوصـول الى الكرسي والمنصب والسيـطرة ، بـل هـو غـايـة وعنصر فعّـال في الحيـاة ، يعلم ان الحـاكم والحكـام وجميـع من هو بصنف الحكومة هم خـدم تحت خدمـة الرعيـة ، لأن السلطة كلها تستـوفي مرتبـاتها من قوة الشعب وعرق جبينـه ، وليسوا هم أسيـاد ، فهذه هي نـظرية عـلي ، بل لا يرىٰ نفسه حاكماً ، بل محكوماً والشعب هو الحاكم ، وكل هذه المبادىء مبادىء الانبياء ومحمد بن عبد الله صلّى الله عليـه وآله ، وكلهـا سار عليهـا امير المؤمنـين عليـه السلام في أمـانة الحكم وأمـانة النـاس وحقوقهم ، فكـان يراقب نفسـه ،

ويراقب ولاته وقضاته خير مراقبة .

ومن الأمانات انه عندما استولى على البصرة بعد الذي حدث من قبل المنحرفين الذين أرادوا ان يقسموا الاسلام والناس الى طبقات ويوقعون بين العباد الفتنة والضغينة والحروب ، أمر عمّار بن ياسر رضوان الله عليه ، قال يا عمّار إذهب الى بيت المال وقسّم على كل جندي ستة دنانير ، وكان لنفسه وقواده ستة دنانير ، ولقد حاسب شريح القاضي - وهو قاضيه - حينما بنىٰ له داراً بثمانين ديناراً .

ويذكر التاريخ أن راتب شريح خمسة دراهم في كل شهر ، وكان الإمام نفسه في عهد حكمه - وهو الخليفة على نصف المعمورة ، تقريباً خمسين دولة من دول اليوم - لم يملك داراً ولا عقاراً ، بل كان يسكن في دار قرب جامع الكوفة لابن أخت له ، وهي من الطين ، هذا الإمام تربىٰ في حجر الرسالة وسلك منهج الرسول ، ولم يغادرها شيء قط ، كان اخلاقه أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وحكمه حكم رسول الله ، فكان يحذو حذو رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : يا أيها الناس لا تشكو علياً ، فوالله إنه لأخشن في ذات الله عز وجل .

وقال صلى الله عليه وآله : علي مخشوشن في ذات الله .

فهذا الطراز من علي غير موجود قط لا في صدر الإسلام ولا بعده ، ولا في كل الحكام مهما ادّعت الناس الديمقراطية والاستقرار والعدالة والحرية فهو كذب وبهتان . أجل فالحكام لا يعرفون مثل هذا الإنسان ، الإنسان له كرامة عظيمة عند الله ، وحريته لا يجوز سلخها ، بل كبيرة ولا يعرفها إلا الإنسان الكامل ، والانسان الكامل هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فهو يأخذ معيار الإنسان من الله ، ويعلم أنه أمانة ، وكل إنسان عنده أمانة ، ويحمل في جسده أمانة ، والإنسان نفسه لا يعرف ذلك ، فلا يعرفها إلا الله والراسخون في العلم ، والذين هم الانبياء والأوصياء ، وعلي سيد الأوصياء .

أجل فكان ناصراً للحق ، عاملاً به ، يوزّع المال بالسوية ، الكبير عنده صغير ، والصغير عنده كبير ، والعزيز على غيره عنده ذليل ، والذليل عنده

عزيز . هذه الشخصية عجز عنها التاريخ وجهلها ولا يقدر أن يجد مثلها ، ولذا تكالب عليها قوى الشر والبغي هنا وهناك لتطفىء حكم الله في أرضه ، وتهضم حق هذا الإنسان المسكين الذي أصبح سلعة يباع في أسواق الجرامقة ويحرق لحمه ، فحكومة الإسلام التي أسسها وأرساها رسول الله صلى الله عليه وآله على العدل والحب والتآخي والمساواة والحرية والشرف والنبل والشورى ، وشخصية أمير المؤمنين عليه السلام هي الامتداد للرسول صلى الله عليه وآله والرسل عليهم السلام .

وهو القائل : لاأداهن في ديني ، ولا أعطي الدنية في أمري .

وهكذا قال من بعده ولده الامام الحسين عليه السلام : لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً ، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق . يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولكن قوة الشر عملت في الخفاء والملاء لإزالة حكومة الله في أرضه ، لم يسمحوا لها أن تسير في المعمورة ، وأن يعيش فيها أبناء الأرض بسعادة وعدل اجتماعي ، يرفع عنها سياط الظالمين ، وكابوس الخوف والقتل ، كما شيّدوا بين دولة الحق وعامة البشر والأمة سوراً من حديد لئلا يبصرها الناس ويسعون من أجلها وتوطيدها ، ولو بسفك الدماء وزهق الأرواح ، فلقد نجحت قوة الشر ، وحالت دونها ودون الناس ، فالأوائل الذين حكموا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فقد حكموا بالقوة والبطش وتوزيع الأموال على الأقارب ، قتلوا السّنة وحاربوا من يعمل بها أو يقول بها ، حتى قال أحدهم : حسبنا كتاب الله . لكنه لم يعمل بكتاب الله ـ وقد كان كتاب الله يأمره باتباع سنة الرسول وإطاعته ـ فكان لا يسمح بتفسيره ولا دراسة معانيه ومفاهيمه ، وسبب ذلك أنه استدل على قول ان العرب من أبناء إسماعيل هم قوم أناجيلهم في صدورهم ينطقون بالحكمة . وهذا سؤال عمر بن الخطاب لليهودي كعب الأحبار الذي كان من القراء ـ كما قيل ، وأصله يهودي ـ ينقل هذه الحادثة لعمر ، قال له : بأن موسى بن عمران قال يا رب إني أجد في

التوراة أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤنها ، وكان من قبلهم يقرؤن كتبهم نظراً ولا يحفظونها ، فاجعلهم أمتي . قال تلك أمة محمد .

ولقد قبل الخليفة الثاني هذه النظرية من كعب الأحبار الذي كان مقرباً لديه لحسن ظنّه به أو لسبب آخر لأنه رأس اليهود ، واليهود أرسلوه ليعلن إسلامه حتى يضع في الاسلام ، ولو نظرنا الى القاعدة اليهودية لوجدنا أن كعب الأحبار هذا كان يطبق شريعة اليهود في الاسلام ، وقد أخذ من أفكاره التي كان يقول بها ، كما كان سرجون الصليبي في الدولة الأموية ، فاليهود كانوا على فرقتين فرقة تؤمن بالكتاب والتدوين وفرقة تؤمن بوجوب الحفظ وعدم جواز كتابة شيء غير التوراة ـ ويقال لهم القرّاء ـ وكعب هذا كان من القراء الذين كثروا بعد ضعف أمر القرشيين ، وهذا يثبت جوابه لعمر .

وقد حصل مثل ذلك في عهد أبي بكر أيضاً حين جمع الأحاديث وحرّقها ، بل حرف اكثر من خمسماءة حديث كان قد جمعها من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهكذا اشتد الأمر في عهد عمر ، حيث انه منع من الحديث عن النبي إلا بشاهد ، وحبس كبار الصحابة في المدينة ، وصار يستعمل على الأمصار من لا معرفة ولا إطلاع له ، ولم يسمح بالتحديث إلا لأعوان الحكم ومؤيديه من أمثال : أبي هريرة ، وأنس ، وكعب الأحبار ، وعائشة . حتى أن مروان كان يقول : كيف يسأل أحد وفينا أزواج نبيّنا وامهاتنا . كلمة يراد بها الحق وباطنها الباطل .

وهذا يعني أنهم أرادوا إبعاد الأمة عن عترة رسول الله صلى الله عليه وآله أهل البيت عليهم السلام الذين هم أدرى بالنبي ، وهم أعلم الأمة وأسيادها وأفقهها ، ثم إن عمر جمع ما كتبه الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأحرقه ، وهذا ما قاله هو بنفسه حين كثرت الأحاديث على عمر بن الخطاب ، فأنشد الناس أن يأتوه بها ، فلما أتوه بها أمر بحرقها ، ثم قال : مشنأة أهل الكتاب ، أو قال ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً ، فأكبّوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً ، ولكنه لم يسمح لأحد أن يفسر القرآن أو يعرف معناه ، فهم حصروا كل شيء في

الأشخاص الذين ذكرناهم آنفاً ، وهذا إذا أردت حقيقته اليوم يقال في كل مصر وإقليم عبر المحطات والمجالس والإذاعات انه قال أبو هريرة ، وقال كعب ، وقال أنس ، وقالت عائشة . وكأن ليس في الاسلام غير هؤلاء ، وكأنه ليس هناك من هو أعلم من هؤلاء ، ولا أقرب ولا أفضل ، وكأن علم رسول الله صلى الله عليه وآله اقتصر على هؤلاء . وهذه القاعدة أسست في عهد عمر بن الخطاب ، وكل الذين اتبعوه أو جاءوا بعده سلكوا طريقته وساروا على نهجه في المنع عن الحديث والأحاديث ، إلا حديثاً كان على عهد عمر[1]. وبهذا نتج عن سياسة الأمويين وسياسة المنع عن الحديث وكتابته ، فلم يبق من الدين إلا اسمه كما أرادوا ، ومن القرآن إلا رسمه كما شاءوا ، حتى قال مالك عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال : ما أعرف شيئاً مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة[2].

فهم تارة يقولون حسبنا كتاب الله ويحرقون الأحاديث ، والمنع عنها وعن القول بها والأخذ ، ثم يأمرون الناس بالقرآن وحفظه في الصدور وعدم القول به وعدم تفسيره ومعانيه ، ثم قالوا ان الناس والهاشميين معاً في زمن الإمام السجاد عليه السلام كانوا لا يعرفون كيف يصلّون ولا كيف يحجّون ، وذكروا أن الشيعة ما كانت تعرف الحلال من الحرام ومسائل الحج ، إلا ما نقل هؤلاء ، وهذا يعني علماء الجمهور عن علي عليه السلام ، وإذا كانت الصلاة التي هي الركن الأعظم في الإسلام وعمود الدين ، ويؤديها كل مسلم خمس مرات يومياً ، وهي صلته مع ربه كان لا يعرف حدودها وأحكامها أقرب الناس الى مهبط الوحي والتنزيل الذين يفترض فيهم أن يكونوا أعرف الناس بالشريعة وأحكام الدين ، فكيف تكون حال غيرهم من أبناء الأمة ، وما هو مقدار معرفتهم بالشريعة والدين ، وما هي معرفة الأمة ، وبالأخص من هم أبعد عن مصدر العلم والمعرفة بالاحكام ، وخصوصاً ما يقل التعرض له والإبتلاء به ؟ وهذا مما لا شك فيه ان الذي حفظ عن رسول الله صلى الله

---

(١) أضواء على السنة المحمدية ص ٤٧ .

(٢) جامع بيان العلم ج ٢ ص ٢٤٤ ، والموطأ المطبوع مع تنوير الحوالك .

عليه وآله الأحاديث ثلاثين وأربعين حديثا ، أو عرف بعض الاحكام يعتبر أعلم الناس وأعظمهم في عصره ، ونحن اليوم يظهر أعلم من أولئك لأنهم ما كانوا يعرفون الشريعة لا فقهاً ولا حديثاً ولا نصوصاً ربانية ولا من حيث السنّة النبوية ، ولا من حيث الاحكام ولا القضاء، وهذا ثابت وليس هناك مكابر يستطيع القول أن الحكام الذين جاؤا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لديهم القدرة على أحكام الشريعة ولذا نراهم لما وجدوا أنفسهم عاجزين عن معرفة علم وفقه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله حاولوا أن يقفلوا أفواه الناس الذين يعرفون ذلك العلم والفقه والحديث أو تلاوة القرآن امام الناس أو معرفة القرآن وتفسيره ومعناه ، فهم من هذه الناحية حقهم أن يقفلوا أفواه الناس من أهل العلم ، لئلا يفتضحوهم وهذا ليس تقصيراً منهم ، بل لأن إسلامهم كان حديثاً ، وقد تصرمت أيامهم كلها في الحروب ، فما كان لهم وقت لتحصيل العلم ومعرفته من رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأن الأيام كلها كانت عبارة عن إحدىٰ عشر سنة ، كان النبي صلى الله عليه وآله معهم وكانت كلها حروب وغزوات .

وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله لم تكن هذه الفترة القصيرة التي قضوها الى جانبه كافية لإتاحة الفرصة لهم للإطلاع ، إذاً من أين يعرفون العلم ، ومن الذي يدرسهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويعطيهم العلم .

ثم هناك قاعدة عامة ، كل إنسان إذا كبر سنّه لا يستطيع الحفظ أو التعلم ، لأنه يستحي طلب العلم من غيره ، خاصة إذا كان حاكماً ، فكيف يخضع الى معلم ، خاصة إذا كان من كبار وجوه قريش ، ومن ذا الذي يجرؤ على تدريس حاكم أو خليفة ، لذا أغلق باب الحديث ، وحرق الأحاديث ، وكان هذا خير له من افتضاح أمره ، ثم قال حسبنا كتاب الله حتى لا يفهم الناس ما في كتاب الله ، وبعد أن أحس بأن هناك من يحفظ القرآن ويعرف تفسيره ومعانيه ، طلبوا من الناس قراءة القرآن وعدم تفسيره ، ومنعوا من تعلم تفسيره ، وهذا ما حصل في عهد معاوية ، فقد كان همهم الحكم والمحافظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وآله لأنه ابن عمّهم ، وقريش

أولى بذلك ، لكيلا يأخذ باقي العرب الحكم منهم أو باقي المسلمين من غير العرب الذين تعلموا الاسلام بحديثه وسنته وكتابه .

لذا اقتصروا على أبي هريرة وعائشة وأنس وكعب الأحبار والمغيرة وزياد ابن أبيه وابن العاص ، كما انهم إذا عجزوا عن معرفة العلم أمام اليهود أو النصارىٰ أو باقي العرب والمسلمين لجأوا الى ابن عمٍ لهم ، فيأتونه ليفتي بين الناس ويحكم بينهم وهم حكام ، ويجيب على كل الأسئلة والقضاء ، ولذا كان كل ما اجتهد عمر أصلح له علي عليه السلام .

ومن هنا نجد أن كثيراً من الأحكام والحدود والقضاء التي حصلت في زمن عمر وأبي بكر وعثمان وكانوا لا يستطيعون حل معضلاتها فيرجعون أمر ذلك الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لأنه ابن عمّهم ، فكان عمر يأتي علياً عليه السلام ليقضي ويحكم له ، وكذا كان أبو بكر لم يعرف تفسير كلمتين صغيرتين ﴿ **وفاكهةً وأبّاً** ﴾[1]، فيقول حينما سئل عن « أبّا » أيُّ سماء تظلني ، وأيُّ أرض تقلّني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم .

وأما الخليفة الثاني سألوه عن هذه الآية ﴿ **يستفتونكَ قلِ اللهُ يفتيكمْ في الكلالةِ إنِ امرؤٌا هلكَ ليسَ لهُ ولدٌ ولهُ أختٌ فلها نصفُ ما تركَ** ﴾[2]فلم يعرف تفسيرها كأنه لم يقرءها ولم يسمعها من قبل ، فقال : سأقول فيها برأيي ، فإن يكُ صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأً فمن الشيطان ، والله ورسوله بريئان منه .

ولما استخلف عمر قال : إني لأستحي الله أن أرد شيئاً قاله أبو بكر . والآية التي سئل عنها تخص الإرث ، ولقد كان عمر كثيراً ما يفتي ويتردد .

يقول عبد الحميد بن أبي الحديد : كان عمر يفتي كثيراً بالحكم ثم ينقضه ويفتي بضدّه وخلافه ، قضىٰ في الجد مع الإخوة قضايا كثيرة مختلفة ، ثم خاف من الحكم في هذه المسألة ، فقال : من أراد أن يتفحم جراثيم

---

(١) عبس ٣١ .

(٢) النساء ١٧٦ .

جهنم فليقل في الجد برأيه . هذه هي فتاوىٰ الخليفة وأحكامه ، حكم بحكم ثم نقضه وأفتىٰ بضده ، هكذا يصنع بالفتيا ، كما ان الفتيا التي كان يفتيها عمر بن الخطاب ، ليس للإسلام فيها رأي ولا حكم .

وأما عثمان فحدّث بما شئت ، فما كان يعرف شيئاً من القرآن علّمه إياها اليهودي كعب الأحبار المستشار للدولة الإسلامية ، لذا أخذ يعطي بيت المال الى بني أبيه يكيله إليهم كيلاً ، أجل والسبب كله يرجع الى حداثتهم في الإسلام ، وليس لهم قدرة على أحكامه وعلى مفاهيمه ، ثم الأيام التي تصرفت في عهد سيد الرسل ما كان همّهم الوصول لمعرفة العلم ، وإنما الوصول الى سدّة الحكم ، وكيفية الوصول إليه ، وعندما وصلوا الى الحكم ، استعانوا بأمير المؤمنين عليه السلام خوفاً علىٰ سمعة الاسلام وسمعتهم الخاصة في مقابل ما كان يعرضه عليهم أتباع بقية الأديان السماوية كالنصارىٰ واليهود وعلمائهم وأحبارهم من الأسئلة الدقيقة العلمية والعقلية ، وكانوا عاجزين عن الإجابة عنها ، فكان أمير المؤمنين علي عليه السلام يحضر ويحل المشاكل المستعصية عليهم ، ويرد كيد أعداء الإسلام ، ولقد حل بعض المسائل التي كانت تعالج بطرق نفسية ، واستطاع أن يكشف أسرار النفس ويسيطر عليها ، فدخول النفس والوصول الى طيّاتها أمر صعب يحتاج الى قدرة فائقة ، وعلم تصحبه فطنة ، بعبقرية هائلة ، وحكمة مشبّعة بالعلم والفكر والعدل والنظر البعيد ، وهذه دوماً وأبداً توجد عند الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام لأنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وتلميذه الذي ترقى درجات العلم ، والذي قال : سلوني قبل أن تفقدوني .

ولقد كشف النبي صلى الله عليه وآله لهذه الأمة عن الحاكم من بعده ، ومن يجب الأخذ بأمره ورأيه عندما قال صلى الله عليه وآله : علي أقضاكم .

وأمير المؤمنين عليه السلام قال : أنا باب علم مدينة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله .

قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا مدينة العلم وعلي بابها .

وقال عليه السلام : علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من

العلم ، ويفتح من كل باب ألف باب .

حكم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في قضية نفسية هي قضية الغلام الذي خرج أبوه مع جمع من الناس في سفر ، ثم عادوا كلهم ، ولم يعد معهم أبو الغلام ، وادعوا أنه مات ، فشكى الغلام أمره الى شريح القاضي ، فأتى بهم ، واستحلفهم ، ثم تركهم طلقاء ، وبقي الشاب المظلوم لا يعرف السبب الذي أودى بحياة أبيه ، والمال الذي كان بحوزته أين ذهب . وكانت قضية كبيرة ومعقدة ، لا يستطيع القضاء فيها في عصرنا هذا ولا عصر أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم أحد قط ، علماً أن شريح كان قد مارس القضاء وتفنن فيه ، وكانت عنده قدرة القضاء ، لكن تنقصه الرؤيا الكاملة والعلم والفكر والحكمة والعقل الذي كان عند أمير المؤمنين دون غيره ، ليكشف به القضية من أفواه الشهود والجناة ، ليحصل منهم على الدلائل والإمارات ، ثم الإعتراف . وهنا جاء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فبدأ مع الشهود والجماعة الذين كانوا مع الميّت ، متى تم السفر ، الى أين ، كم المدّة ، اليوم الذي مات فيه ، غسله ، كفنه ، الأشياء التي كفّن بها ، الصلاة عليه كيف ومن صلّى ، ومن أنزله القبر ، من لقّنه الشهادة ، وهذا كله كان مع واحد منهم منفرداً، وهم لا يعرفون ماذا صنع بصاحبهم ، وحينما كبّر الإمام وكبّر الناس جميعاً ، فارتاب الباقون ، وهكذا بدء يأخذ واحداً بعد واحدٍ ، وكلٌ يظن أن صاحبه أباح الأمر وكشف القضية ، حتى حصل منهم على كل شيء ، وأقرّ الجميع باشتراكهم في القتل ، فألزمهم المال والدم، فدفعت دية الرجل ، وعاد الحق الى أهله .

وأما حبّه للنبي صلى الله عليه وآله فكان منقطع النظير ، لا يصل إليه أحد ، هذا مع الفضل والشرف الفضائل التي كانت لأمير المؤمنين عليه السلام ، فهو الوصي أبو الأوصياء ، الإمام أبو الأئمة ، الطاهر أبو الأطهار ، وأشرف فضله كان حبّه لرسول الله صلى الله عليه وآله ، ومعرفته لرسول الله صلى الله عليه وآله حق المعرفة ، ومن حبّه أنه شارك المولى والرسول بالإطاعة ، وآية الطاعة ، وآية الولاية ، وشارك رسول الله بآيات النفس

والشكر والمباهلة والصدق والتصديق والنور والتطهير والصلاة والهداية والهدىٰ .

لذا أصبح لرسول الله صلى الله عليه وآله خليفة ووصياً ووزيراً ، ولله حجة في أرضه ، قائماً بحكمه وحكم رسوله صلى الله عليه وآله ، حكومة بلا منازع ، فكان أصدق إنسان وأحب إنسان لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو الذي وقى رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه وروحه ، وبات على فراشه صلى الله عليه وآله ، وكان مبلّغ سورة براءة عنه صلى الله عليه وآله ، وصاحب آية الإنذار ، والمجيب لرسول الله صلى الله عليه وآله حين كذّبه أبو لهب وغيره ، وكان جوابه لرسول الله صلى الله عليه وآله دائماً : بأبي أنت وأمي يا رسول الله .

وكان الجندي والقائد والخادم لنصرة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وموقفه الجريء أمام تيارات قريش وطغيانها ، والذود والدفاع عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جميع الهزاهز والبلايا ، وكان يطبّق جميع أوامره صلى الله عليه وآله ، تولّى تجهيز رسول الله صلى الله عليه وآله وتكفينه ، والصحابة كلهم في سقيفة بني ساعدة ، كفنه وصلى عليه ودفنه .

وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي حين وفاتي غسّلني وكفّني وحنطني وكبّر عليّ سبعاً ، حتى فاضت روحه الكريمة صلى الله عليه وآله بيد علي ، ومسح علي وجهه بها ، من طيب تلك الروح الزكية .

الفصل الرابع عشر
علي سيد العرب والعجم بزهده

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أزهد خلق الله ، وقد وضع بسيرته أعظم الدروس والأسس التي عليها نشأت أعظم الأفكار وأعلاها في دنيا الزهد والتقشف ، لكن زهده زهد إسلامي ، وليس زهد تصوف وتقوقع يزيل أصحابه عن جادة الحق والهدىٰ والصواب وتخيّل ، أمور الله ورسوله بريئون منها ، كمن يدعي أن الله في جبّته ، أو انه تعالى حل فيه ، أو غير ذلك من الزور والبهتان والإدعاءات الباطلة التي تدلّ على سفه أهلها وضلالهم ، يلبسون الأخضر ويضعون المسابيح في أعناقهم ويلهجون بالذكر ، كَلٌّ على الناس ، والدين ليس يحبُ الكَلَّ ولا المتسوّل ، بضاعتهم قليلة في طاعة الله ورسوله ، بل هم عالة على المجتمع ، وضريبة ثقيلة ممقوتة ، وجراثيم فساد ، حتى انهم يتركون الصلاة والصوم مدّعين الأخذ بهذه الآية ﴿ واعبدْ ربكَ حتى يأتيكَ اليقينُ ﴾[1] فهم يرون أنه يجب ترك العبادة لأنهم وصلوا الى اليقين ، أي وصلوا الى درجة عباد الله الذين لا يجوز لهم الصلاة والصيام ، وهل هناك عبد من عباد الله رفعت عنه العبادة ، وحتى الأنبياء والرسل ، وخاتمهم رسول الله صلى الله عليه وآله لم يتركوا العبادة مع أنهم وصلوا اليقين ، وانكشف لهم ما لم ينكشف منه ذرة لأولئك المدّعين .

وهذا العبد الصالح أمير المؤمنين عليه السلام يقول : لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً . إن أمير المؤمنين عليه السلام كان مثل الزهد

---

(١) الحجر ٩٩ .

الإسلامي الشريف الذي حضّ عليه الشارع ، خصوصاً من كانوا في مركز القيادة العليا للدولة الإسلامية الواسعة قابضاً بيده زمام أمور القوة والمعاش والإسلام . فكان عليه السلام قادراً ، مبسوط اليد لتناول الطيبات ، سواء من حكومته أو راتبه ، أو ما يملك ، وهو القادر على ما تشتهيه نفسه أو تلذ له عينه .

أجل إن زهد أمير المؤمنين وسيد العرب والعجم والناس أجمعين هو الباب الواسع والمدخل الرئيسي الذي يستطيع الإنسان سلوكه دون أن ينحرف عقائدياً ، أو يضل فكرياً وسلوكياً . إنها دعوة للحد من الإسراف في الطيبات ، وتوفير بعضها ، إنها دعوة للإقتصاد في الملبس من أجل غاية هي أسمىٰ ، كما يسموها اليوم بالتقشف ، وتحاول به الدول التي تصاب بالتضخم الاقتصادي حل معضلاتها ، لكنها تفشل في معظم الأحيان في تقشفها ، إنها غاية أجل وأسمىٰ من الطعام والشراب والملبس ، إنها غاية من أجل جعل النفس شفافة متريّضة تنظر الى الناس ، وخاصة المعدمين منهم ، فتلمس نفوسهم ببعض تلك المتع ، وتدق على قلوبهم بأوتار المحبة التي تدفع هذا الإنسان ليعيش آلامهم ويتحسس واقعهم ، فيرفق بهم ما أمكنه ذلك وسمحت له الظروف .

إن هذا الزهد الإسلامي هو مفتاح الخير لجعل الإنسان يحس بحاجة أخيه الإنسان ، فيؤثره على نفسه ، فيجوع ليُشبع غيره ، ويسغب من أجل رفع حاجة إنسان آخر ، يلبس ما خشن ليوفر لأخيه شيئاً من متع الحياة .

وهذا ما أمر الله به حيث قال سبحانه ﴿ . . . **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنهُ لا يحبُ المسرفين** ﴾[1] فلا إسراف ولا إقتار . أجل إن عملية الزهد هي ترفّع عن حطام الدنيا ولذّاتها وقباحتها من أجل الآخرة ونعيمها وسعادتها فهو يملك كل الأشياء ولا يملكه شيء ، إن من يملك بعض حطام الدنيا ، ثم لا تسخو نفسه بها على الفقراء والمساكين ، مثل هذا الإنسان ليس مالكاً للمال ، بل المال هو المالك له ، لذا لا تسخو نفسه بشيء منه ، ولا يستطيع

---

(١) الاعراف ٣١ .

إخراج درهم من جيبه إلا وتكاد أن تخرج نفسه معه ، إن مثل هذا الإنسان لا يستحق أن يقال له إنسان ، ولا يستحق العيش في الحياة ، لأنه عبد مملوك للدرهم والدينار وحطام هذه الدار .

لقد وضع أمير المؤمنين عليه السلام أسس الزهد والتنسّك بسلوكه وسيرته وحياته اليومية ، ولعل أبلغ نقطة نكتشف بها شخصيته ما نثر في نهجه من خطبه فوق منبره ، زهّد فيها أهل عصره ، فاسمعه واملأ نفسك من حديثه ، وعش معه بضع دقائق أو ساعات من الحياة ، وفكر في هذه الكلمات التي ما قالها غيره قط ، لترى عظمة هذا الرجل المثالي وسرّ عظمة شخصيته .

إن خطب الامام تمثّل الروح التي تعيش فيه فكرياً وعقائدياً وسمّواً وسلوكاً ، وقد انعكس ذلك على سلوكه ، فلم يكن هناك أدنى انفصال بين الفكرة والسلوك ، بين الشعار والتطبيق ، بين القول والعمل ، إنها الوحدة المنسجمة مع ذاتها وصفاتها ، فإلىٰ جولة من زهد أمير المؤمنين كما في نهجه ، وهو السيد الكريم ، والسلطان العظيم ، والملك الكبير ، امبراطور الدولة الإسلامية الكبرىٰ التي تعد اكثر من خمسين دولة من أفريقيا الى آسيا والشرق الأوسط مع الجزيرة العربية .

قال عليه السلام : ألا وإنَّ لكلِّ مأمومٍ إماماً .

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته لابن حنيف عامله على البصرة ، وقد دعي إلى مأدبة طعام أقامها له رجل من فتية أهل البصرة في العراق ، فسمع أمير المؤمنين بذلك ، وعلم أن هذه الوليمة لم يدع لها أهلها من الفقراء والمساكين ـ وهو أبو المساكين ـ وإنما دعي إليها الاغنياء والوجهاء وأهل الدنيا دون أن يشاركهم فيها غيرهم ، فقد كان لهذه الوليمة شأن كبير عند الإمام عليه السلام ، استدعت منه أن يكون كاتباً أخلاقياً لعماله ولكل الناس على مر العصور ، بيّن فيها أعظم الأسس التي يقام عليها الزهد والتقشف وتضع أعلاماً واضحة ودلالات ظاهرة على نسك علي وزهده ، فيقول عليه السلام في كتابه له :

أما بعد يا ابن حنيف ، فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك الى مأدبة ، فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان ، وتنقل إليك الجفان ، وما ظننت أنك تجيب الى طعام قوم عائلهم مجفو ، وغنيّهم مدعو ، فانظر الى ما تقضمه من هذا المقضم ، فما اشتبه عليك علمه فالفظه ، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه .

هذه فقرات من نظرة الإمام الكبيرة التي يتطلع فيها الى اليوم الذي يعيش فيه المجتمع بأفراده مع الضعفاء الفقراء المساكين ، ويحس فيه الأغنياء بآلام من هم دونهم ، يحس الوجهاء وأصحاب المسؤولية بحاجة المستضعفين والفقراء ، فيوجهون كل طاقاتهم وجهدهم لرفع الإضطهاد عنهم ، وإعانتهم في حياتهم . إنه الإحساس الداخلي والمسؤولية التي ألقاها الله على كاهل أمير المؤمنين عليه السلام الحاكم ، فكيف يرىٰ هذا المجتمع بما فيه من فقر وفاقة ومسكنة ، ثم يغمض عينيه ، سادلاً دونه ستراً وحجاباً ، بل نفس أمير المؤمنين عليه السلام الكبيرة والشريفة لا يمكنها قبول ذلك ، بل تتحرىٰ كل فرد في المجتمع لتؤمن له متطلباته واحتياجاته .

أجل . . فلما سمع الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام بهذه الوليمة انها دعوة لواليه الذي نصّبه على البصرة ، وللوالي في نظر خير البرية شأن غير شؤون باقي الناس ، فالتفت الى الأمر من زاوية المسؤولية التي تحمّل ثقلها ، ورشّح نفسه لرفعها ، فتصفّح وجوه المدعوّين ليرىٰ هل من المناسب أن يستجيب عامله للدعوة الموجهة إليه أو عليه رفض الدعوة ؟ فإن كانت وليمة عامة شاملة ذات طابع إنساني إسلامي ، تجمع الفقير والغني ، تنظر الى عباد الله من المحتاجين ، فهي الوليمة التي يرغب أمير المؤمنين عليه السلام في إقامتها ويجيب دعوتها ، أما إذا كانت وليمة تتضمن خلفيات وأهداف ممقوتة ، إن كانت لأجل الأغنياء والوجهاء وذوو المكانة والرئاسة العالية ، دون أن يكون للعامة فيها موطن وللمساكين مغنم وحظ وفير ، فتلك وليمة يترفع الإمام عليه السلام عنها ويمقتها ويحاسب واليه عليها ، طالباً منه البعد عنها ، مانعاً له من الاشتراك فيها والاقتراب منها .

لم يشرح الإمام وضعه وهو في منصب الخلافة والقيادة الرفيعة منصب الأنبياء ، منصب رسول الله صلى الله عليه وآله ، منصب حكومة الله ، فيقول لابن حنيف لكي لا يغتر واليه وكل والٍ ويغتنم فرصة المنصب في الحصول على الملذات والشهوات والنزوات التي يوفرها له منصبه كوالٍ ، يقول :

ألا وان لكل مأموم اماماً يقتدي به ، ويستضيء بنور علمه ، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ، ومن طعمه بقرصيه ، ألا وانكم لا تقدرون على ذلك ، ولكن اعينوني بورع واجتهاد ، وعفّة وسداد ، فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً ، ولا أدخرت من غنائمها وفراً ، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً ، ولا حزت من أرضها شبراً ، ولا أخذت منه إلا كقوت اتان دبرة ، ولهي في عيني أهون من عفطة عنز .

أجل طمرية وقرصيه ، كان يأكل كما أكل رسول الله صلى الله عليه وآله ، وسلك الحياة كما سلكها رسول الله صلى الله عليه وآله ، يأكل يوماً ويجوع يوماً . كان يقول : قال حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله : ما من أحد طاب مطعمه ومشربه إلا طال موقفه بين يدي الله .

هذه هي القاعدة العامة عند الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، إمام الحياة والآخرة ، المربي لأن الأئمة كثر ومختلفة ومتنوعة ، فمنهم أئمة حق وهدىٰ ومصابيح مضيئة للناس كالأنبياء والرسل والعظماء من خدمة البشر ، ومنهم أئمة كفر وضلالة كمعاوية ويزيد ونمرود وفرعون وهارون والمأمون والوليد وعبد الملك ومروان وغيرهم من أئمة بني أمية وبني العباس .

منهم أئمة خير يدعون الى إعانة المحرومين والضعفاء والفقراء والمساكين والمضطهدين ، ومنهم أئمة شر وباطل وضلالة يدعون لسحق الفقراء والطبقات الضعيفة المعوزة .

منهم أئمة عدل واستقامة ومساواة ، ومنهم أئمة انحراف وظلم وجور .

ومن الأئمة من يأكل ويشرب ويفتح جوفه لكل ما يشتهيه ، فلا يهمّه إلا نفسه ، ولا يشعر أنه مسؤول وهو محاسب على عيال الله وعباده الذين

خلقهم وله فيهم شؤون ، ومن الأئمة لا يأكل ولا يشرب ، بل يشارك الناس في جشوبة العيش .

إمام كعلي وإمام كمعاوية ، وإمام كمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وابراهيم الخليل وموسى وعيسىٰ عليه السلام ، وإمام كفرعون ونمرود وقارون وأمثالهم .

منهم من يريد الدنيا وزينتها فيشبع فيها كمعاوية وأمثاله ، ومنهم من يريد الآخرة ، ويسعىٰ لها سعيها ولا ينسى نصيبه من الدنيا فلا يشبع منها كعلي عليه السلام .

وما اكثر الذين هم اليوم وبالأمس من أتباع معاوية ، وما أقل أتباع علي ، والناس اليوم منهم من ينظر الى الفقير فلايقدم له مساعدة ولا يعينه ويود إزالته من الحياة ، ومنهم من ينظر الى الفقير المعوز فتذوب نفسه عليه ويود مشاركته بما يملك ، ويحاول سد عوزه ، ألا قاتل الله أئمة الجور وقاتل الله الدينار والدرهم الذي هو سبب قتل الدين ، وسبب كبرياء هذا الإنسان .

لذا نرىٰ الامام قد صور الخليفة الذي كان قبله بقوله : إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثليه ومعتلفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع إلى أن انتكث عليه فتله ، واجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته .

إنها الصورة المعبرة عن تمتع هذا الإنسان بمأكله ومشربه دون أن يكون له اتجاه أو همة غير ذلك ، وتبعاً له سار أتباعه بنو أمية كما سار إمامهم ، فكانت النتيجة الطبيعية التي يتوصل إليها حسب هذه المقدمات .

ومن هنا أراد الامام أن يبيّن لابن حنيف طريقته في الحياة ، وزهده في الملذات ، وإن اكبر همّه ليس إلا توفير رغد الحياة لجميع المسلمين ، فلذا تراه يعرض صورة لنفسه وهو خليفة المسلمين ، يعرضها على ابن حنيف ليقتدي به ويسير على منهاجه ، عاذراً له إن لم يستطع العيش مثله في أعماله وتصرفاته

وزهده ، فليس معنى ذلك أن يترك ما يتمكن من الإقتداء به فعليه أن يقتدي حسب الامكان وبقدر ما تتحمله قدرته وتطيقه نفسه .

إنها صورة معبرة عن واقع الامام المعاش ، إنها صورة رسمت بريشة الإمام نفسه ، وهو أعلم الناس بها ، فهو يقول : ألا وإن امامكم قد اكتفى من دنياه بطمرية ومن طعمه بقرصيه .

الدنيا كلها كانت ملك يديه ، فقد بسط ولايته على سائر الأقاليم الإسلامية باستثناء الشام من حيث انها كانت تحت سيطرة معاوية ، فلقد كان سلام الله عليه خليفة المسلمين وعنده الصلاحيات الواسعة التي يستطيع بها لبس أفخر الثياب وأجملها وأحسن أصنافها وأجودها ، هذه الدنيا بسعتها وما فيها من أرزاق وأموال وثياب وطعام اكتفى منها أمير المؤمنين عليه السلام بطمريه وقرصيه ، إنه منتهى الزهد والتقشف وغاية ما يمكن أن يصل إليه إنسان .

بل إنه عليه السلام أقسم في إحدى خطبه قائلاً : وأيم الله يميناً استثني فيها بمشيئة الله ، لأروضنّ نفسي رياضة تهش معها الى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً ، وتقنع بالملح مأدوماً .

ما اكبرك وأعظمك يا أمير المؤمنين ، الدنيا ملك يديك ، وأنت في أعلى منازل الحكم ، ومع هذا كله تتنازل عن متع الحياة كلها ، وترتفع عن حطام الدنيا ، إنها نفس كريمة علوية ، في مرتقى الكمال ، وأعلى منازل العروج نحو الله .

إن علياً لا يحرّم ذلك على نفسه ولا يحظره على غيره ، وإنما يريد من نفسه ومن الناس أن يكونوا أصحاب شعور جيّاش ، وإحساس بحاجة المحتاجين والفقراء والمساكين والمعوزين ، فلا يتمتعوا بطيب الحياة وحولهم البطون الغرثى والأفواه الجائعة التي تحن الى القد ، كما يقول عليه السلام : ولو شئت لأهتديت الطريق الى مصفّى هذا العسل ، ولباب هذا القمح ، ونسائج هذا القز ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ، ويقودني جشعي الى تخيّر الأطعمة ، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له بالقرص ، ولا عهد له

بالشبع ، أو أبيت مبطانا وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى .

إن علياً عليه السلام قادر أن يهتدي الى مصفّى هذا العسل ، وهو شيء طيّب للنفس ، تهواه ويروق لها ، ولباب القمح اللذيذ بدل الشعير ، وهو خير الأطعمة ، إنه يستطيع الوصول إليه ، ولكن شرف الخلافة الربانية ، والحكومة الإلهية لا تتوق نفسه لهذا ، وهو ليس محرّم عليه ، ولكن يريد أن يشارك أقل إنسان في الدولة ، ولا شك لا تخلو الدولة من الفقراء والمساكين ، امبراطورية اسلامية كبيرة وواسعة المحيط ، حتماً فيها من هو محتاج معوز ، لكن هل هذه هي سيرة الأمراء الصالحين الذين يهتمون برعيتهم ، ويسهرون من أجل مصالحهم أم لا ، تريد أن ننظر الى الامام الرباني الطاهر لنشاهده مفصحاً عن السبب الداعي لذلك ، إنه يفكر بمن هو في أطراف دولته ، وفي البلاد النائية البعيدة عن أنظاره المتوارية خلف الأفق ، لعل في أطراف تلك البلاد من لا يعرف الشبع ، ولا يطمع أن تصل يداه الى قرص يسدّ به جوعه ورمقه .

إنها نفس أمير المؤمنين علي عليه السلام وتفكيره يدفعانه دائماً الى أن يفكر بهؤلاء وأولئك البعيدين في أقصى الأرض وأدناها ، لأنهم أناس مثله ، وهو الحاكم الإلهي ، ولاّه عليهم ، والمسؤول عنهم ، يريد أن يرعىٰ رعيته ويساويها ، ولا يفوق عليها بشيء ، لأن الواجب يدعوه ليتساوىٰ مع أدناهم في المعيشة ، وهل يقنع بالمنصب فحسب ؟ لا بل يقول : أأقنع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر ، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش ، فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همّها علفها ، أو المرسلة شغلها تقمّمها ، تكترسُ من أعلافها ، وتلهو عما يراد بها ، أو أترك سدىٰ ، أو أهمل عابثاً ، أو أجر حبل الضلالة ، أو أعتسف طريق المتاهة .

ويقول : أتمتلىء السائمة من رعيها فتبرك ، وتشبع الربيضة من عشبها فتربض ، ويأكل علي من زاده فيهجع ، قرّت إذاً عينه إذا اقتدىٰ بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية .

هكذا يشرّع أمير المؤمنين عليه السلام قانون الحاكم والمحكوم ، وقانون الحياة كلها ، ويضع ميزاناً لرئيس الدولة ، صغيرة كانت أم كبيرة ، فعلىٰ الشعب أن يحاسب هذا الحاكم ، وأن يقف في وجهه عند انحرافه عن خط الحكم ، أو يبتعد عنه الى غيره إذا كان سارق أو وحش كاسر ، أو لا قدرة له على إدارة الناس .

أجل إنه خط واحد ، وهو المساواة بين الحاكم والمحكوم ، فليس للخليفة سلطة اكثر مما جعل الله له من الحق ، بل عليه المسؤولية اكبر مما جعلت على غيره ، وحسابه أشد وأعسر ، إذ بيده أسباب الرفاه ، وعليه أن يرفع الظلم والجور ، ويحقق العدل والحرية والمساواة والعيش ، فإذا كان الجور والنهم مسيطراً على نفسه وأعماله فكيف يستطيع رفعه عن غيره وفرض المساواة علىٰ الناس وتعويدهم الإيثار ، وكيف يضمن نجاح خطته في نشر مبادىء الحق والعدل وإقامة نظام الحياة الكامل .

إن علياً عليه السلام يفكر بالذين أعيتهم السبل ، فباتوا لا صفراء ولا حمراء ، صفر اليدين ، فلا يرضىٰ لنفسه إلا أن يأكل الضعفاء من الناس ، أو يأكل مما يأكلون ، ولا يلبس إلا ما يلبسون ، وهذا واضح وظاهر من خلال أقواله وأفعاله ، فها هو يقول ـ وقد طالبه البعض باستبدال مدرعته ـ : والله ولقد قال لي قائل ألا تنبذها عنك ؟ فقلت أغرب عني ، فعند الصباح يحمد القوم السرىٰ .

فكّر أيها المنصف في هذا الرجل العظيم وحلّل كلماته التي بين يديك ، وقد عبّر بها أمير المؤمنين عليه السلام عن واقعه الذي يعيشه ، وعن حاله التي هو فيها ، إنه سيد المسلمين وزعيمهم ، يحتل المرتبة الأولى بعد رسول الله في الدولة الكبيرة ، وله الحق أن يلبس كأواسط الناس إن لم يلبس كالزعماء من أفخر ملابس الحرير والحلل والسندس ، أن لا يلبس الثياب المرقعة البالية ، فعلىٰ الأقل يحق له أن يكون كالكثرة الغالبة من الرعية ، ويكون له علامة الراعي ، فلماذا كان يرفض إلا أن يكون كالضعفاء ، هل هو ممنوع ، هل محرّم عليه ، لماذا لم يملك من الملبس سوىٰ تلك المدرعة ، لماذا استحىٰ منها

ومن راقعها ، هذه المدرعة قد لفت أطهر نفس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، نفس بشرية علت وسمت وارتفعت كالملائكة ، فهي أسمىٰ روح إنسانية إنها ضمّت إمام العدل والهدىٰ والمساواة ، وأعظم الناس واكملهم، لقد لفّت المدرعة هذه شخصية إبراهيم وموسى وعيسىٰ ونوح ومحمد صلوات الله عليهم ، لأنه ممثلهم الحقيقي ، والمدرعة هذه لها شأن كبير وعظيم تعتزّ به الإنسانية ويتمنّىٰ البشر ومجتمعه اليوم وبالامس وغداً أن تعود الى الحكام لتنشر راية العدل ، وتجمع البشرية تحت خيمة الرحمة والسعادة والطمأنينة والعيش الرغيد ، ليكون هذا البشر متآخياً تحت عقيدة واحدة ، ومذهب واحد ، ليتخلص من ويلات الحروب والخوف والبطش والاستعباد والسيطرة والتزعم والكبرياء والفساد والطبقات والاقليميات .

أجل خلّدت مدرعة علي المرقعة ، بينما فنيت ثياب الأمراء وقصورهم الفخمة الشاهقة ، أين خلفاء بني أمية الذين سبحوا في الخمور ، وحرّفوا الإسلام عن أهدافه ؟ وأين بني العباس أصحاب الليالي الحمراء ، والسرادق والغواني والطرب ؟ أين الذين جاؤا بعده وقبله منه ، من سيد العرب والعجم ؟ ولقد كان حقاً سيداً يأكل أكل الضعفاء والمساكين والفقراء وحقاً كان غير معروفاً ، لأنه لم يكن عليه من شعار الحكام ، كان يحمل بيده وعاء طعامه ، وداره في عاصمة الدولة الإسلامية الكبيرة الكوفة ، بيت من القصب والقش والبردي والطين ، ولا يزال بجوار قصر الإمارة القصر الأموي هناك ، لم لم يتأثر من مدرعته المرقعة ولا تحجب تلك الرقع التي فيها ما لنفسيته الكبيرة ، نفسية البؤساء والفقراء ، سلام الله عليك يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حياً . ذلك علي بن أبي طالب ، أمير المؤمنين ، وصي رسول رب العالمين ، سيد العرب والعجم ، عليه سلام الله وتحياته وبركاته .

الفصل الخامس عشر

علي سيد العرب والعجم في أبنائه وأحفاده الكرام

فهو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي إلى إسماعيل وإبراهيم خليل الرحمٰن .

زوجته فاطمة بنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي الى إسماعيل وإبراهيم خليل الرحمٰن . وبنت خديجة أم المؤمنين .

هو إمام ، خليفة رسول الله ، سيد الوصيين ، حجة الله في أرضه ، أبو الأوصياء الإحدىٰ عشر المعصومين ، الذين هم معدن التنزيل ، شجرة النبوة ، خزّان علم الله ، سنده ، ناشري دينه الذين علموا البشرية علومهم ، وكل علم في السماء والأرض منهم ولهم ، وإليهم يعود .

أولهم وثانيهم أحفاد رسول الله ، وسبطيه ، وريحانتيه ، الإمامين الحسن والحسين ، سيدي شباب أهل الجنة من الناس أجمعين .

وثالثهم الإمام زين العابدين وسيد الساجدين علي بن الحسين .

ورابعهم الإمام محمد بن علي الباقر ، الذي قال فيه جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله : باقر علوم الأولين والآخرين .

وخامسهم الامام جعفر بن محمد الصادق ، صاحب المدارس العلمية

واللغوية والفقهية والتفسيرية والبلاغية ، معلّم الأمة بعد آبائه وأجداده .

وسادسهم الإمام الراهب الجليل موسى بن جعفر الكاظم .

وسابعهم الأمام الرضا الراضي بالقضاء والقدر علي بن موسى الرضا .

وثامنهم الإمام التقي محمد بن علي الجواد .

وتاسعهم الإمام النقي علي الهادي بن الإمام الجواد التقي .

وعاشرهم الامام الزكي الحسن بن علي العسكري .

وحادي عشرهم الإمام محمد بن الحسن ، حجة الله في أرضه ، الحي القائم المنتظر صاحب الزمان ، الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعد أن ملئت اليوم ظلماً وجوراً ، عجل الله تعالى فرجه .

هم كأسباط بني إسرائيل ، نقباء الأمة ونجباؤها ومعادنها وأشرفها وأنبلها حسباً ونسباً ، وتقى وإيماناً ، وحفظاً للشريعة ، بهم أنزل الله غيثه ، وبهم أوجد الله السماوات والأرض والمياه والجبال والنبات وجميع المخلوقات ، هم ﴿ **وعبادُ الرحمٰنِ الذينَ يمشونَ على الأرضِ هوناً وإذا خاطبَهُم الجاهلونَ قالوا سلاماً** ﴾[1] .

شفعاء الأمة ، وتحاسب الأمة من أجلهم ، قال فيهم القرآن ﴿ **قلْ لا أسألكمْ عليهِ أجراً إلا المودّةَ في القربىٰ** ﴾[2] .

ولقد شكرهم الله تعالى ولم يشكر قبلهم ولا بعدهم نبياً ولا مرسلاً ﴿ **إنَّ هذا كانَ لكمْ جزاءاً وكانَ سعيكمْ مشكوراً** ﴾[3] .

والذين فرض طاعتهم مع طاعته وطاعة رسوله ، وجعلهم أولي الأمر فقال ﴿ **يا أيها الذينَ آمنوا أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ وأولي الأمرِ**

---

(١) الفرقان ٦٣ .

(٢) الشورى ٢٣ .

(٣) الدهر ٢٢ .

منكم . . . ﴾[1].

ثم قال سبحانه فيهم وفي جدّهم الاكبر أمير المؤمنين علي عليه السلام ﴿ إنّما وليّكمُ اللهُ ورسولهُ والذينَ آمنوا الذينَ يقيمون الصلٰوة ويؤتونَ الزكٰوةَ وهمْ راكعونَ ﴾[2] فجعل ولايتهم من ولايته وولاية رسوله ونبيّه .

وهم الذين كانوا شهداء لإثبات الرسالة والرسول يوم باهل بهم جدّهم الاكبر رسول الله الأعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله حيث قال تعالى ﴿ فمنْ حاجّكَ فيهِ منْ بعدِ ما جاءكَ منَ العلمِ فقلْ تعالوا ندعُ أبناءَنا وأبناءَكمْ ونساءَنا ونساءَكمْ وأنفسنا وأنفسكمْ ثم نبتهل فنجعلَ لعنتَ اللهِ على الكاذبينَ ﴾[3].

وهم الذين نزلت بحقهم سورة كاملة في القرآن الكريم حينما قدموا طعامهم الى الفقراء والمساكين وابن السبيل ، فقال سبحانه فيهم ﴿ ويطعمونَ الطعامَ على حبّهِ مسكيناً ويتيماً وأسيراً ﴾[4].

وهم أهل النذر دون غيرهم ، وهم الذين يسأل الله العباد عن ولايتهم يوم القيامة فيقول سبحانه ﴿ وقفوهمْ إنهمْ مسؤولونَ ﴾[5].

وهم الذين طهّرهم الله خير تطهير ، وعظّمهم خير تعظيم حيث قال جل جلاله ﴿ . . . إنما يريدُ اللهُ ليذهبَ عنكمْ الرجسَ أهلَ البيتِ ويطهرّكمْ تطهيراً ﴾[6].

الذين قرن الله سبحانه وتعالى إسمهم وشرفهم باسم وشرف رسوله صلى الله عليه وآله ، وجعل الصلاة لا تقبل من المسلم إلا بالصلاة عليهم في

---

(١) النساء ٥٩ .
(٢) المائدة ٥٥ .
(٣) آل عمران ٦١ .
(٤) الدهر ٨ .
(٥) الصافات ٢٤ .
(٦) الأحزاب ٣٣ .

الشهادتين ، وجعل لهم خمسة كما لنبيّه الكريم صلى الله عليه وآله وهي قوله تعالى ﴿ طه ﴾[1] وهذا يعني يا طاهر ، وقد نزلت بهم آية التطهير .

وقال سبحانه وتعالى لنبيّه الكريم ﴿ إنَّ اللهَ وملائكتهُ يصلّونَ على النبيِّ يا أيها الذينَ آمنوا صلّوا عليهِ وسلّموا تسليماً ﴾[2] ولقد قرن الصلاة عليهم بالصلاة عليه ، والسلام عليهم بالسلام عليه .

وأعطى الله تبارك وتعالى لنبيّه الحب فقال ﴿ قلْ إنْ كنتمُ تحبّونَ اللهَ فاتبعوني يحببكمُ اللهُ ﴾ [3] وقال فيهم ﴿ قلْ لا أسألكمْ عليهِ أجراً إلا المودّةَ في القربىٰ ﴾[4] وهي آية المحبّة في أعناق كافة المسلمين .

وسلم الله سبحانه على نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على آله خير سلام حيث قال ﴿ سلامٌ على إلْ ياسينَ ﴾[5] .

وهم الذين جعل الله سبحانه اسمهم مع اسمه واسم نبيّه ، وجعل في أموال الناس سهم الخمس له ولنبيّه ولهم فقال سبحانه ﴿ واعلموا أنّما غنتمتمْ منْ شيءٍ فإنَّ للهِ خُمُسَهُ وللرسولِ ولذي القربىٰ . . . ﴾[6] .

وهم اشبال رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأمناء وحيه ، وحرّاس شريعته المقدسة وهم :

---

(١) طه ١ .
(٢) الأحزاب ٥٦ .
(٣) آل عمران ٣١ .
(٤) الشورى ٢٣ .
(٥) الصافات ١٣٠ .
(٦) الأنفال ٤١ .

الامام الحسن (ع)

١ ـ أبو محمد الحسن بن علي الزكي الشهيد ، سبط رسول الله صلى الله عليه وآله ، سيد شباب أهل الجنة ، ثاني أئمة المسلمين وخلفاء الله في العالمين ، أول السبطين ، وسيدي شباب أهل الجنة ، وريحانتي المصطفىٰ .

والده علي بن أبي طالب ، أمّه فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين بنت محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلّم ، لحمه لحم رسول الله ، ودمه دمه ، وشعره شعره .

ولد بالمدينة المنورة ليلة النصف من شهر رمضان ، وكان عمره الشريف سبعاً وأربعين سنة ، ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله كان له سبع سنين وستة أشهر ، وقام بالأمر بعد أبيه وله سبع وثلاثون سنة ، وقام الى أن وقعت الهدنة بينه وبين معاوية ، وقبض في شهر صفر سنة تسع وأربعين . وقيل وهو ابن سبع وأربعين وأشهر ، أو ستة وأربعين وأشهر . وكان متزوجاً .

وكانت مدة إمامته تسع سنين وأربعة أشهر وثمانية أيام .

وكنيته أبو محمد ، وأشهر ألقابه : التقي ، الزكي ، السبط .

ونقش خاتمه العزّة لله وحده . أو العزّة لله . أو الله اكبر وبه أستعين . أو حسبي الله . ولعل له عدة خواتم .

بوابه سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله .

وملك عصره معاوية ؛ وهو الذي دسّ له السمّ عن طريق زوجته جعدة بنت الأشعث .

له خمسة عشر ولداً ما بين ذكر وأنثىٰ وهم :

١ ـ زيد . ٢ ـ أم الحسن . ٣ ـ أم الحسين ، وأمهم أم بشير بنت أبي مسعود الخزرجية .

٤ ـ الحسن أمه خولة بنت منظور الغزارية .

٥ ـ عمر ٦ ـ القاسم ٧ ـ عبد الله ، وأمهم أم ولد .

٨ ـ عبد الرحمٰن أمه أم ولد .

٩ ـ الحسن الملقب بالأشرم ١٠ ـ طلحة ١١ ـ فاطمة ، وأمهم أم اسحاق بنت طلحة بن عبد الله التميمي .

١٢ ـ أم عبد الله ١٣ ـ فاطمة ١٤ ـ أم سلمة ١٥ ـ رقية ، وأمهاتهم شتّىٰ .

وسبب صلحه مع معاوية ان أهل الطمع والمال خذلوه ، حتى انه لم يبق له من الجند أحد ، وكان خوفه على نفسه وعلى الدين وحقناً لدماء شيعته ، ولما استتمت الهدنة ، لم يفي معاوية بعهده وميثاقه ، فكان ديدنه دائماً النكث بالعهد والميثاق .

صفاته : كان أبيضاً جميلاً ، مشرباً حمرة ، أدعج العينين ، سهل الخدّين ، دقيق المشربة ، كثّ اللحية ، ذا وفرة ، وكأن عنقه إبريق فضة ، عظيم الكراديس ، بعيد ما بين المنكبين ، ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير ، مليحاً من أحسن الناس وجهاً ، وكان يخضب بالسواد ، وكان جعد الشعر ، حسن البدن .

ولقد ذكره شيخنا المفيد (أعلا الله مقامه في الجنة) أنه أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خُلقاً وهيئة وهدياً وسؤدداً ، لأن الزهراء فاطمة عليها السلام جاءت بابنيها الحسن والحسين عليهما السلام الى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فنظر إليهما وأورثهما ، فالحسن هيبته وسؤدده ، والحسين جوده

وشجاعته ، وهو أبلغ الناس شرفاً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، كان يبسط على باب داره ، فإذا خرج وجلس انقطع الطريق ، فما يمر أحد من خلق الله اجلالاً له ، وكان إذا علم قام .

وكان إذا مرّ في طريق مكة تنزل الحجاج إجلالاً له ، فينزل عن راحلته ، فما يبقىٰ أحد إلا ونزل له ويمشي ، كما يمشي الحسن عليه السلام عليه سجايا الأنبياء وبهاء الملوك .

عبادته وزهده :

مما جاء في عبادته وزهده وفضله وفصاحته وسخائه أنه كان أعبد الناس في زمانه وأزهدهم وأفضلهم ، وكان إذا حجّ حجّ ماشياً ، وربما مشى حافياً ، وكان إذا ذكر الموت بكىٰ ، وإذا ذكر القبر بكى ، وإذا ذكر البعث والنشور بكىٰ ، وإذا ذكر الممر على الصراط بكىٰ ، وإذا ذكر العرض على الله تعالى ذكره شهق شهقة يغشى عليه منها ، وإذا قام في صلاته ترتعد فرائصه بين يدي ربه عزّ وجل ، وإذا ذكر الجنة والنار اضطرب اضطراب السليم ، وسأل الله الجنة ، وتعوّذ من النار ، كان فصيحاً حكيماً ، يجالس الفقراء والمساكين ويأكل معهم .

سئل عن المروءة ، فقال : شحّ الرجل على دينه ، وإصلاحه ماله ، وقيامه بالحقوق .

وسئل عن الكرم فقال : الإبتداء بالعطاء قبل المسألة ، وإطعام الطعام في المحل .

وسئل عن الحزم ، فقال : طول الأناة ، والإحتراس من جميع الناس .

وسئل عن الشرف فقال : موافقة الإخوان وحفظ الجيران .

وسئل عن الأدب فقال : لا أدب لمن لا عقل له ، ولا مروءة لمن لا همة له ، ولا حياء لمن لا دين له ، ورأس العقل معاشرة الناس .

لكسرةٌ من خسيس الخبز تشبعني وشربة من قراح الماء تكفيني
وطمرة من رقيق الثوب تسترني حياً، وإن متُّ تكفيني لتكفيني

كان يكرم قبل خروج المسألة من السائل ، لأنه كان يستحي أن يعطي السائل حتى تخرج منه المسألة ، وكان يكرم بالألف .

وكان الحسن والحسين أشدّ حباً الى رسول الله ، وكان يقول لفاطمة : ادعِ لي إبنيّ ، فيشمّهما ويضمّهما إليه ،ويقول : هما ريحانتاي من الدنيا .

وكان يقول صلى الله عليه وآله : هذان ابناي وابنا ابنتي ، اللهم إني احبهما فأحبهما وأحبَّ من يحبّهما .

وكان يقول : من أحب هؤلاء ـ يعني فاطمة وعلي والحسن والحسين ـ فقد أحبّني ، من أبغض هؤلاء فقد أبغضني .

وقال صلى الله عليه وآله : إن الجنّة تشتاق الى أربعة من أهل بيتي ، وقد أحبّهم الله ، وأمرني بحبّهم ، عليٌّ والحسن والحسين والمهدي المنتظر ، الذي يصلي خلفه عيسىٰ بن مريم . وكان يلثم الحسن مرة والحسين مرة .

وليس غرضي من ذلك أن آتي بسيرة الحسن ، وحبّ رسول الله له ، فهذا يحتاج الى كتاب ، وقد كتب فيها عدة كتب ، وإنما غرضي أن أذكر شيئاً عن أول أولاد أمير المؤمنين عليه السلام .

وفاته ودفنه :

استشهد كما ذكرنا مسموماً من قبل معاوية ودسّ له السمّ ، ودفن، ومنع من دفنه بالقرب من قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ، وكان قد أوصىٰ أخوه الحسين أن لا تهرق فيّ محجمة من دمٍ حتى نلقىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فنختصم إليه ونخبره بما كان من الناس إلينا ، وقد ضربت جنازته بالأسهم من قبل مروان ، وعائشة هي التي منعت من دفن الحسن مع جدّه

صلى الله عليه وآله ، حتى قال لها ابن عباس : يبغلتي وتجملتي وإن عشتي تفيلتي .

دفنه الإمام الحسين عند جدّته فاطمة بنت أسد في البقيع ، وهناك مرقده الطاهر .

كما قال فيه جدّه صلى الله عليه وآله : من زار الحسن لا تزلّ قدمه عن الصراط .

وهو السبط الأول ، والأمة ، والريحانة ، والسيد لأهل الجنة ، والإمام إن قام أم قعد ، وهو أعزّ الناس بعد أبيه وأمه ، وهو أشرف الناس بعد رسول الله .

والذي منعه عن الخلافة والحكم كالذي منع أبوه علي بن أبي طالب محاسب ، وقد اغتلسوا المنصب منه ، وهم يحاسبون حساباً عسيراً .

الامام الحسين (ع)

٢ ـ الحسين بن علي الشهيد ، سيد الشهداء ، أبو عبد الله ، سبط رسول الله ، سيد شباب أهل الجنة ، ثالث أئمة المسلمين وخلفاء الله في العالمين ، ثاني السبطين وسيدي شباب أهل الجنة وريحانتي المصطفى صلى الله عليه وآله . الشهيد في العراق بكربلاء ، الذي خرج على طاغي بني أمية يزيد عليه لعنة الله ورسوله والملائكة الشقي ابن الشقاة ، والحسين سلام الله عليه معروف وقد ألفت فيه مئات الكتب ، تناولت ثورته الخالدة ، الذي خرج على الظلم والجور والإستبداد والسيطرة والعبودية ، التي اتخذتها بنو أمية ، وجعلت الأمة عبيداً لها .

فالحسين بن علي الشهيد شعار مدرسة ، وتيار كفاح وجهاد رسالي وسياسي فريد من نوعه في تاريخ الإسلام والإنسانية ، فكان دوره كبير ، وأثره عظيم ، فقد كان قوة دافعة محركة في إحداث التاريخ الإسلامي ، وخصوصاً الجهادي منه على مدى أجيال وقرون عديدة ، ولم تزل نهضته وحركته ومبادئه تتفاعل وتؤثر في ضمير ووعي الأمة ، لا بل في العالم كله ، فكانت هناك عوامل ودواعي سياسية واجتماعية ورسالية وإنسانية دفعت الإمام الحسين عليه السلام للتحرك والثورة ومواجهة الطاغية يزيد بن معاوية لانتزاع هذه العوامل من الاحتكار والاغتصاب الأموي ، وإعادتها الى بني الإنسان ليحتضنها ويستعيد حريته .

وفي مقدمة هذه الدواعي هو انتهاك المبادىء التي يقوم على أساسها الحكم في الاسلام ، هذا الحكم الذي غصبته أمية وسرقته حتى قتلته وأضاعته من يد أهله ، والتي من أبرزها :

١ ـ احترام رأي الأمة والإنسانية كافة ، ومشاورتها في تسيير شؤونها

وشؤون حكمها ، والحكم الذي تختاره لنفسها ، وهي السلطة ، لأن الآية تقول ﴿ **وشاورهمْ في الأمرِ** ﴾[1]، فهؤلاء استبدوا وجعلوا الحكم وراثة قيصرية كسروية ، حتى جعلوا الناس عبيد لهم .

٢ ـ سيادة القانون واحترامه والقيم ، وجعلها مقياساً لقيمة الحاكم ومدى مشروعية وجوده وحقّه في ممارسة صلاحياته ، قال سبحانه : ﴿ **وانِ احكمْ بينهمْ بما انزلَ اللهُ ولا تتّبعْ أهواءهمْ . .** ﴾[2].

٣ ـ العدل والمساواة بين أبناء الأمة في الحقوق والواجبات بمختلف طبقاتهم وقوميّاتهم وأديانهم ومذاهبهم لأن الآية تقول ﴿ **إنَّ اللهَ يأمركمْ انْ تؤدّوا الأماناتِ إلى أهلها ، وإذا حكمتمْ بينَ الناسِ أنْ تحكموا بالعدلِ** ﴾[3].

٤ ـ الكفاءة والإستقامة والقدرة والإدارة والحكمة في شؤون الأمة والناس ، وفي الحرب والسلم ، والقصاص والحدود ، وتولّي شؤون الحياة وتسيير مهام الحكم والأمة والسياسة فيها ، ففي الحديث الشريف : أمرنا أن ننزل الناس منازلهم . وأمية لا تعرف منازل الناس ، بل الإنسان عندهم صعلوك ، فهم يعدّون قريش في الدين دون غيرهم ، فالذين دخلوا في الإسلام من غير قريش ما هم إلا عبيد ، أو من الطبقة الحقيرة ، والعرب تأتي بعد قريش في المرتبة ، وهذه لغة الصهيونية والتعصب ، والاسلام ليس فيه تعصب .

٥ ـ العدالة في التوزيع الإقتصادي . وأمية لا تعرف هذا ، وأنما تأخذ اموال الناس غصباً وأتاوة وجبراً وقسراً ، وتثقل كاهل الناس الضعفاء والفقراء بالضرائب دون ذمة ولا دين والآية تقول ﴿ **ما أفاءَ اللهُ على رسولِه منْ أهلِ القرىٰ فللّهِ وللرسولِ ولذي القربىٰ واليتامىٰ والمساكينِ وابنِ السبيلِ كي لا يَكونَ دولةً بينَ الأغنياءِ منكمْ وما آتاكمُ الرسولُ فخذوهُ وما نهاكمْ عنهُ فانتهوا**

---

(١) آل عمران ١٥٩ .

(٢) المائدة ٤٩ .

(٣) النساء ٥٨ .

واتّقوا الله إنّ الله شديدُ العقاب ﴾[1].

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام : لو كان هذا المال لي لسوّيت بينهم ، فكيف والمال لله .

٦ ـ حق النقد والنصح والتوجيه ومناقشة سياسة الحاكم ﴿ **ولتكنْ منكمْ أمةٌ يدعونَ الى الخيرِ ويأمرونَ بالمعروفِ وينهونَ عنِ المنكر وأولئكَ همُ المفلحونَ ﴾**[2].

وجاء عنه صلى الله عليه وآله : أفضل الجهاد كلمة حقٍ عند سلطانٍ جائرٍ .

وحين رأى الإمام الحسين عليه السلام الأوضاع والظروف التي حلّت بالأمة السياسية العامة وتوجه السلطة التي لا تلتزم بهذه المبادىء ، والأمة تعيش حالة من الحيرة والضياع السياسي ، شخّص واجبه ووظيفته الشرعية كإمام وقدوة للأمة وابن لرسول الله صلى الله عليه وآله في أن يؤدي دوره السياسي والعقائدي فقام بثورته ، ثورة غنيّة بالدروس والعبر ، فيها التضحية بالمال والنفس والأهل والمكانة الاجتماعية ، وهي تحدٍ للإرهاب والقسوة ، وتجاوز لكابوس الخوف .

لذا قطع الإمام الحسين عليه السلام مئات الأميال ، وسار الأيام والليالي ، وتحرك عبر ظرف سياسي رهيب وعصيب ، ووطّن نفسه على التضحية والفداء ، أبو الفداء والحرية ، أبو الأحرار ، أبو الشهداء ، سار هو والصفوة من آل هاشم وأبناؤه وأهل بيته وأصحابه ، النجوم الزواهر ، أمناء وحي الله ، وأشرف بني البشر ، السعداء الأبرار الذين تجاوزوا وفاقوا كل شهداء الإسلام من صدره الى يوم القيامة ، ومثّل بأجسادهم ، وحملت رؤوسهم، يطاف بها بين كربلاء والكوفة والشام ، والرؤوس تقطر دماً ، وترتّل كتاب الله العزيز من أجل إعلاء كلمة الله .

---

(١) الحشر ٧ .

(٢) آل عمران ١٠٤ .

أجـل ، ولقـد ارتفعت بهم كلمـة الله ، وبقيت تـدوي في كـل حـدب وصـوب ، وأسرت نسـاؤه ونساء أصحـابـه ، بنـات رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه ، وحملن عبـر الصحـاري والقفـار . حملت زينب زهـرة العـلى ، ريحـانـة المصطفى ، عقيلة الصفوة والنبـوة ، معدن شجـرة الحكمة ، الصّـديقة الـطاهرة عـلى أقتاب أبـل هند وميسـونة وفخـاتة ، وسيـوف الشرك والإلحـاد تحيط بهـا ، سيـوف عتبة وشيبـة والوليـد وحنضلة وأبو سفيـان ومعاويـة ، حملت أسيرة وهي المجلببة بنور الإله .

ولقد كان الإمام الحسين عليـه السلام يتـوقع كـل ذلك ، وهـو مصرٌ على التضحيـة والفـداء ، الحسـين الإبن الثـاني لعـلي وفـاطمـة ، ومن أصحـاب الكساء ، قضيته مشهورة وواضحة .

الإمام علي بن الحسين (ع)

٣ ـ الإمام علي بن الحسين زين العابدين وسيد الساجدين ، الثالث من أولاد أمير المؤمنين ، والأول من أحفاده وأحفاد رسول الله صلى الله عليه وآله ، والرابع من الأئمة البررة الكرام بعد علي والحسن والحسين عليهم السلام .

ولد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام بالمدينة المنورة ، يوم الجمعة أو الخميس أو الأحد ، لتسعٍ أو لسبعٍ أو لخمسٍ خلونَ من شهر شعبان أو منتصف جمادي الأول أو الثاني سنة ثمان وثلاثين أو سبع أو ستّ من الهجرة .

وتوفي بالمدينة يوم السبت في الثاني عشر أو الثامن عشر أو التاسع عشر أو الثاني والعشرين أو الخامس والعشرين من شهر محرم الحرام ، من سنة أربع وتسعين أو خمس وتسعين للهجرة ، وله من العمر خمس وخمسون أو ستة الى تسعة خمسون وأشهر وأيام بحسب اختلاف الروايات .

عاش مع جدّه أمير المؤمنين علي عليه السلام سنتان أو اكثر ، ومع عمّه الحسن عليه السلام اثنا عشر سنة ، ومع أبيه الحسين عليه السلام ثلاثة وعشرون سنة ، ومع أبيه بعد عمه الحسن وبعد أبيه ثلاثة وثلاثين أو أربعة أو خمسة وثلاثين ، وهي مدة إمامته ، وهي بقية ملك يزيد بن معاوية ، ومعاوية بن يزيد ، ومروان بن الحكم ، وعبد الملك بن مروان ، وتوفي في ملك الوليد ابن عبد الملك .

ودفن بالبقيع مع عمه الحسن بن علي عليه السلام في القبّة التي فيها قبر

العباس بن عبد المطلب .

أمه اسمها شهربانو أو شهربانويه بنت يزدجر آخر ملوك الفرس . وقيل غير ذلك .

وهو الإمام الذي بقي بعد وقعة كربلاء ، ومنه كان تناسل الأئمة الكرام من أولاد الحسين عليهم السلام .

قال شيخنا المفيد ، وابن الصباح في فصوله المهمّة : كان له من الأولاد خمسة عشر ، أحد عشر منهم ذكور ، وأربع بنات وهم :

١ ـ محمد الباقر وأمه فاطمة بنت الحسن السبط تكنّى أم عبد الله ، ٢ ـ عبد الله . ٣ ـ الحسن . ٤ ـ الحسين الاكبر لم يعقبا ، ٥ ـ زيد ، ٦ ـ عمر ، ٧ ـ الحسين الأصغر ، ٨ ـ عبيد الله ، ٩ ـ سليمان لم يعقب ، ١٠ ـ محمد الأصغر ، ١١ ـ علي وهو أصغر ولده ، ١٢ ـ فاطمة ، ١٣ ـ عليّة ، ١٤ ـ خديجة ، ١٥ ـ أم كلثوم .

كان يأبى أن يواكل أمه ، فقيل له : يا ابن رسول الله أنت أبرُّ الناس وأوصلهم للرحم ، فكيف لا تواكل أمك ؟ فقال : إني أكره أن تسبق يدي الى ما سبقت إليه عينها .

وكان يأكل مع اليتامى والأضرار والمساكين الذين لا حيلة لهم ، وكان يناولهم بيده ، ومن كان له عيال حمل له ولعياله من طعامه ، وكان لا يأكل طعاماً حتى يهدى فيتصدق بمثله .

وكان عظيماً مهيباً عند القريب والبعيد والولي والعدو ، حتى يزيد لما أمر أن يبايعه أهل المدينة بعد وقعة الحرة على انهم عبيد رقٍّ له لم يستثن إلا علي بن الحسين عليه السلام .

وكان يحسن الى من يسيء إليه ، ويسلّم على من كان يسيء إليه ويشتمه ، وهو المؤسس الثاني للمدرسة الإسلامية ، إذ أن جدّه أمير المؤمنين عليه السلام هو المؤسس الأول لها ، وكما اتخذ جدّه من المسجد ومن بيته مكاناً يلتف حوله فيه طلاب العلم الوافدون من كل حدب ، وكما كانت مجالس

جدّه دروساً في شتى المعارف الإسلامية ، فكان بذلك المؤسس الأول في الدروس الاسلامية ، كذلك كان الحفيد زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام ، فمنذ سنة واحد وستين الى سنة خمس وتسعين كان منزله المسجد ومدرسته يزدحم فيها الطلاب عليه ، والدولة مشغولة باستبدادها واستنزاف دماء الشعب والسلب والاضطهاد ، والإمام عليه السلام ينشر علوم محمد صلى الله عليه وآله وسلّم، وأميّة تنشر الرعب والخوف وسلب الأحرار وتغيير فكرة الإسلام وروحه عن أهدافه السماوية ، فهو يرسي الأخلاق ، وهم يعيشون الفساد .

وكان علماء الحجاز يأخذون عنه العلم منهم : الزهري ، وسفيان بن عينية ، ونافع الأوزاعي ، ومقاتل ، والواقدي ، ومحمد بن اسحاق .

وروىٰ عمن روىٰ عنه : الطبري ، وابن البيع ، وأحمد بن حنبل ، وابن بطة ، وأبو داوود ، وصاحب الحلية، وصاحب الأغاني ، وصاحب قوت القلوب ، وصاحب شرف المصطفى ، وصاحب اسباب النزول ، وصاحب الفائق ، وصاحب الترغيب والترهيب .

ومن رجاله : جابر بن عبد الله الأنصاري ، وعامر بن وائلة الكناني ، وسعيد بن المسيّب ، وسعيد بن جهان الكناني مولى أم هاني .

ومن التابعين : أبو محمد ، وسعيد بن جبير مولى بني أسد ، ومحمد بن جبير بن مطعم ، والقاسم بن عوف ، وإسماعيل بن عبد الله بن جعفر ، وإبراهيم والحسن إبنا محمد بن الحنفية ، وحبيب بن أبي ثابت ، أبو يحيىٰ الأسدي ، وأبو حازم الأعرج ، وسلمة بن دينار المدني .

ومن أصحابه : أبو حمزة الثمالي بقي الى أيام الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، وفرات بن أحنف بقي الى أيام أبي عبد الله عليه السلام ، وجابر بن محمد بن أبي بكر ، وأيوب بن الحسن ، وعلي بن رافع ، وأبو محمد القرشي السدي الكوفي ، والضحاك بن مزاحم الخرساني ، وطاووس بن كيسان ، وابو الفضل سدير بن حكيم بن سهيب الصيرفي ، وقيس بن رمانة ، وعبد الله البرقي ، والفرزدق الشاعر ، وأبو خالد الكابلي ، ويقال

اسمه وردان ، ويحيىٰ بن أم الطويل ، وسعيد بن المسيب المخزومي ، وحكيم ابن جبير وغيرهم .

ومن آثاره المدوّنة ، ومن أول التأليف تغيراً في صدر الإسلام :

١ ـ الصحيفة الكاملة السجادية ، وقد استنسخ الناس منها نسخاً كثيرة لا تعد ولا تحصىٰ بالخطوط العربية الجميلة النادرة المثيل والمزينة بجداول الذهب وطبعت في عصر الطباعة مئات الطبعات ، وشرحها علماء اللغة والكلام والفصاحة والأدب شروحاً عديدة منها : شرح الشيخ البهائي المسمّى (حدائق المقربين) ، وأحسن الشروح شرح السيد علي خان الشيرازي .

وكانت نسخة منها عند ولده زيد الشهيد ، ثم انتقلت الى أولاده وأحفاده مضافاً الى ما كان عند الامام الباقر عليه السلام ، وهي من أعلى درجات البيان العربي باسلوبها ومعانيها .

٢ ـ رسالة الحقوق ، وهي من أعظم الاعمال الفكرية السامية في الإسلام ، تحتوي على توجيهات وتعليمات وقواعد في السلوك العام والخاص ، ومن أدق ما عرفه الفكر الإنساني ، ولو أخذ بها جميع رجال الفكر والمحامات والحقوق لما تجاوز أحد على غيره ، ولما حصل ظلم وجور ، ولعرف كلٌ حقه .

حج هاشم بن عبد الملك ، فطاف بالبيت ، فجهد ليصل الى الحجر ليستلمه ، فلم يقدر لشدة الزحام ، فنصب له منبر وجلس عليه ينظر الى الناس ومعه أهل الشام ، إذ أقبل الإمام علي بن الحسين عليه السلام ، فطاف بالبيت ، فلما بلغ الحجر تنحّى له الناس ليستلمه ، فقال رجل من أهل الشام من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة ؟

فقال هشام : لا أعرفه .

مخافة أن يرغب فيه أهل الشام ، وهذه تغطية أموية اعتادوا تدليسها على الناس ، والناس لا تعرف من الذي يعمل لله ومن يعمل للدنيا ، لأنهم أبناء دنيا ، وقد حبوا الدنيا في قلوبهم فكانت لهم بمثابة الإله المعبود .

فكان الشاعر الفرزدق حاضراً فقال : لكني أعرفه .

قال الشامي : من هو يا أبا فراس ؟

فقال الفرزدق :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحلُّ والحرمُ
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلمُ
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلمُ
إذا رأته قريشٌ قال قائلها ... الى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
إن عدّ أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل هُمُ
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجدّه أنبياء الله قد ختموا
وليس قولك من هذا بضائره ... العربُ تعرف من أنكرت والعجمُ
يغضي حياءاً ويُغضىٰ من مهابته ... فما يكلّم إلا حين يبتسمُ
ينمى الى ذروة العزّ التي قصرت ... عنها الأكف وعن إدراكها القدمُ
من جدّه دان فضل الانبياء له ... وفضل أمته دانت لها الأمم
ينشق نور الهدىٰ عن صبح غرته ... كالشمس تنجاب عن إشراقها الظُلمُ
مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت عناصره والخيم والشيمُ
الله شرّفه قدماً وفضلهُ ... جرىٰ بذاك له في لوحهِ القلمُ
كلتا يديه غياثٌ عمَّ نفعهما ... يستوكفان ولا يعروهما العدمُ
سهل الخليقة لا تخشىٰ بوادره ... يزينه اثنان حسن الخلق والكرمُ
حمّال أثقال أقوامٍ إذا فدحوا ... رحب الفناء اريب حين يعتزم
ما قال لا قطُّ إلا في تشهّده ... لولا التشهد كانت لاؤه نعمُ
عمّ البرية بالإحسان فانقشعت ... عنها العماية والإملاق والظلمُ
من معشر حبهم دينٌ ، وبغضهم ... كفرٌ ، وقربهم ملجأٌ ومعتصمُ
لا يستطيع جوادٌ بعد غايتهم ... ولا يدانيهم قومٌ وإن كرموا
هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت ... والأسد أسد الشرىٰ والرأي محتدمُ
لا ينقص العسر بسطاً من أكفهم ... سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا
يستدفع السوء والبلوىٰ بحبّهم ... ويستزاد به الإحسان والنعمُ
مقدمٌ بعد ذكر الله ذكرهم ... في كل بدءٍ ومختومٍ به الكلمُ

يـأبى لهم ان يحـل الـذم سـاحتهم خيم كـريم وأيـد بـالنـدى هضمُ
أي الخـلائـق لـيـسـت في رقـابهـم لأولـيـة هـذا أولـه نـعـمُ
مـن يعـرف الله يـعـرف أوليـة ذا فـالـدين من بيت هـذا نـالـه الأممُ

فغضب حفيد آكلة الأكباد هشام ، وأمر بحبس شاعره الفرزدق الذي أنطقه الله بالحق بعد أن أراد خسيس أمية دفن الحق ودثره ، فأرسل إليه الإمام عليه السلام مبالغ ، وردّها الفرزدق وقال : إنما قلت هذا غضباً لله ولرسوله ، فما آخذ عليه أجراً .

فقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام : نحن أهل بيت لا يعود إلينا ما أعطينا .

فقبلها الفرزدق ، وهجا هشاماً فقال :

أيحـبـسـني بـين المـدينـة والـتي إليهـا قلوب النـاس يهـوى منيبها
يـقلّب رأسـاً لم يـكـن رأس سـيـدٍ وعينـاً لـه حـولاء بـادٍ عـيـوبهـا

فكـان الإمام زين العـابدين عليـه السلام يمثل الإنسانيـة في زمانـه وكـل زمـان ، وأمية تمثـل الإستبداد والـرذيلة ومـظالم العبـاد ، استـولـوا عـلى منصب رسـول الله وعلى منبـره وهم أقل من أن يكـونوا عبيـداً أو رعـاة بقـر ، بـل حتى البقر يجلّ عنهم ، لأنهم لا قدرة لهم على شؤونه ورعايته .

الامام محمد بن علي (ع)

٤ ـ الإمام محمد بن علي الباقر ، ابن الإمام زين العابدين ، من أبناء علي واحفاده ، خامس الأئمة المعصومين وخلفاء الله في العالمين .

ولد محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام بالمدينة المنورة يوم الجمعة الثالث من شهر صفر الحرام سنة سبع وخمسين للهجرة ـ على المشهور ـ وقبض بها يوم الإثنين للسابع من شهر ذي الحجة الحرام ، وقيل في شهر ربيع الأول وقيل الآخر ، سنة أربع عشرة وماءة ، أو خمسة عشر وماءة ، وعمره الشريف سبع وخمسون عاماً ، وقيل مثل عمر أبيه وجدّه ، اقام منها مع جده الحسين الشهيد ثلاث سنين وقيل أربع أو خمس ، ومع أبيه أربعاً وثلاثين سنة وعشرة أشهر ، أو تسعاً وثلاثين ، وهي بقية ملك الوليد ، وملك سليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك .

وتوفي في عهد هشام بن عبد الملك ، ودفن بالبقيع الى جانب أبيه الامام زين العابدين عليه السلام وعمه الإمام الحسن الزكي عليه السلام في القبة نفسها التي فيها قبر العباس بن عبد المطلب .

أمه فاطمة بنت الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب . قال فيها الإمام الصادق عليه السلام : كانت صدّيقة ، لم تدرك في آل الحسن إمرأة مثلها .

فهو هاشمي بين هاشميين ، وفاطمي بين فاطميين ، وعلوي بين علويين ، وأول من اجتمعت له ولادة الحسن والحسين عليهما السلام .

كنيته : أبو جعفر ، ويقال أبو جعفر الأول .

ولقبه : الباقر لأنه بقر العلم بقراً ـ أي فجره تفجيراً ـ وقيل شقّه شقاً

وأظهره إظهاراً .

وقيل في الفصول المهمة : لقب به لبقره العلم ، وهو تفجره وتوسّعه .

وفي الصحاح : لقب به لتبقره في العلم ، أي توسّعه فيه .

وفي القاموس : لقب به لتبحرّه في العلم .

وفي لسان العرب : لقب به لأنه بقر العلم ، وعرف أصله ، واستنبط فرعه ، وتوسّع فيه ، والبقر التوسّع .

شاعره : كثيرٌ ، والكميت ، وأخوه الورد ، والسيد الحميري .

بوّابه : جابر الجعفي .

ونقش خاتمه : العزة لله ، وقيل : رب لا تذرني فرداً .

وقال الثعلبي في تفسيره هذه الكلمات : ظنّي بالله حسن ، وبالنبي المؤتمن ، وبالوصي ذي المنن ، وبالحسين والحسن .

أولاده : له سبعة أولاد :

١ ـ الإمام جعفر بن محمد الصادق ، ٢ ـ عبد الله وأمهما أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر .

٣ ـ ابراهيم ، ٤ ـ عبد الله ، ٥ ـ علي ، ٦ ـ زينب لأم ولد ، ٧ ـ أم سلمة لأم ولد . وقيل بنت واحدة اسمها زينب وتكنّى أم سلمة .

ومع هذه المناقب والفضائل الإمام محمد الباقر حفيد الرسالة والرسول والمجد والعلىٰ ، خازن حكمة الله ، وعالم بوحيه ، أعلم الخلق في زمانه ، لا في الاسلام فحسب ، بل في الدنيا كلها ، وقد نحيّ غصباً عن مقامه ومرتبته من خلافة جده المصطفى ، وهو المنصوص عليه بالخلافة ، وغصب حقه كما غصب حق أجداده وأبواه ، حتى عاش جليس بيته مقتصراً على عبادة ربه ومناجاته ، وحرم الكثيرون من الإستضاءة بنور علمه لشدّة الخوف والتقيّة ، أو للحسد والعداوة ، ومع ذلك كله فقد أشرق من أنوار علمه ما جلى به

ظلمات الجهل والضلال والإنحراف ، وعمّ البر والبحر ولم يزل ، حتى قضىٰ نحبه ولقى ربّه مظلوماً مقهوراً مغصوباً صابراً محتسباً ، ومات مسموماً من قبل الأموي .

وكان قد ورث أباه الإمام زين العابدين عليه السلام جميع ما ورثه من آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله والأنبياء كافة والرسل وكان الإمام بعد أبيه ، والوصي بعد الأوصياء ، وهو خليفة الله ورسوله ، وحجته على العالمين بلا منازع ، لأنه حفيد الأسرة النبوية ، والشجرة الهاشمية المحمدية ، وهو أفضل وأعلم خلق الله ، وكان بعد أبيه خليفة على كافة بني هاشم ، كبيرهم وصغيرهم ، وكان الزاهد والسؤدد ، وكان له الجلالة والعظمة والقدرة والفضل في الخاصة والعامة ، ولم يظهر مثله من أولاد الحسن والحسين عليهما السلام من علّم الدين والآثار والسنّة وعلّم القرآن والسيرة وفنون الآداب ما ظهر عنه .

وروىٰ عنه معالم الدين بقايا الصحابة ، ووجوه التابعين ، ورؤساء فقهاء الإسلام ، وكتب عنه العلماء المغازي ، وآثروا عنه السنن ، واعتمدوا عليه في مناسك الحج التي رواها عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكتبوا عنه التفسير وعلوم القرآن ، وروت عنه الخاصة والعامة الأخبار ، وناظر من كان يرد عليه من أهل الآراء ، وحفظ الناس عنه كثيراً من علم الكلام ، وكان أول من أسس الأصول ودوّنه ، وصار بالفضل علماً لأهله تضرب به الأمثال ، وتسير بوصفه الآثار والأشعار .

قال مالك بن أعين الجهني في قصيدة يمدحه بها :

إذا طلب الناس علم القرآن ... كانت قريش عليه عيالا
وإن قيل اين ابن بنت النبي ... نلت بذاك فروعاً طوالا
نجوم تهلل للمدلجين ... جبال ثورت علماً جبالا

وقال القرضي فيه :

يا باقر العلم لأهل التقىٰ ... وخير من لبى على الاجبل

وقال ابن سعد في الطبقات : كان محمد الباقر عالماً عابداً ، ثقة روىٰ عنه الأئمة أبو حنيفة وغيره .

سئل سلام الله عليه عن الحديث يرسله ولا يسنده ، فقال : إذا حدثت الحديث ولم أسنده ، فسندي فيه أبي عن جدي عن أبيه عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرائيل عن الله تعالى .

قال عطاء المكي : ما رأيت العلماء عند أحد قط أصغر منهم عند أبي جعفر محمد الباقر بن علي بن الحسين ، ولقد رأيت الحكم بن عتيبة ـ مع جلالته في القوم ـ بين يديه كأنه صبي بين يدي معلمه .

قال سبط بن الجوزي : كان الحكم عالماً نبيلاً جليلاً في زمانه .

وكان جابر الجعفي إذا روىٰ حديثاً يقول : حدثني وصي الأوصياء ، ووارث علوم الأنبياء محمد بن علي بن الحسين .

وسأل قيس بن الربيع أبا إسحاق عن المسح على الخفّين ، فقال : أدركت الناس يمسحون حتى لقيت رجلاً من بني هاشم ، لم أر مثله قط ، محمد بن علي بن الحسين ، فسألته ، فنهاني عنه وقال : لم يكن علي أمير المؤمنين يمسح عليهما . وكان يقول : سبق الكتاب المسح على الخفّين . قال أبو إسحاق ؛ فما مسحت منذ نهاني . وقال قيس : ما مسحت منذ سمعت أبا اسحاق .

وروي عنه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ **فسألوا أهلَ الذكر إنْ كنتم لا تعلمون** ﴾[1] انه قال : نحن أهل الذكر .

وسألوا ابن عمر عن مسألة ، فلم يجب ولم يدر ، فقال : إذهب الى ذلك الغلام فسله ، وأعلمني بما يجيبك ـ وأشار الى الباقر عليه السلام ـ ، فسأله فأجابه فأخبر ابن عمر فقال : إنهم أهل بيت مفهمون .

وأرسل هشام قال اسألوا الذي مفتون به أهل العراق ما الذي يأكل

---

(١) الانبياء ٧ .

الناس ويشربون الى أن يفصل بينهم يوم القيامة ؟ فقال عليه السلام : يحشر الناس على مثل قرص النقي[1] فيها أنهار متفجرة يأكلون ويشربون حتى يفرغ من الحساب .

فرأى هشام أنه قد ظفر به ، فقال : الله اكبر ، إذهب فقل له يقول لك : ما اشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ ؟

فقال له أبو جعفر : هم في النار أشغل ، ولم يشغلوا عن أن قالوا ﴿ **افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله** ﴾[2] .

فسكت هشام وأخرس ، لأنه بهيمة لا يعرف من القرآن شيئاً ، سوى الحكم والسيطرة على الناس ، ولم يرجع كلاماً .

وسأل عمرو عن معنى قوله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يرَ الذينَ كفروا أنَّ السماواتِ والأرضَ كانتا رتقاً ففتقناهما . .** ﴾[3] ما هذا الرتق والفتق ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام : كانت السماء رتقاً لا تترك القطر ، والأرض رتقاً لا تخرج النبات .

فانقطع عمرو ولم يجد اعتراضاً ومضى ، ثم عاد إليه وسأله : أخبرني جعلت فداك عن قوله عز وجل ﴿ . . . **ومنْ يحللْ عليهِ غضبي فقدْ هوى** ﴾[4] ما غضب الله عز وجل ؟ فقال الامام عليه السلام : غضب الله هو عذابه .

---

(١) النقى كغنى الخبز الحواري ، الخبز الابيض الذي نخل مرة بعد مرة ، يعني ارضا بيضاء .

(٢) الأعراف ٥٠ .

(٣) الانبياء ٣٠ .

(٤) طه ٨١ .

الامام جعفر بن محمد (ع)

٥ ـ الامام جعفر بن محمد الصادق ، سادس أئمة المسلمين ، وخلفاء الله في العالمين ، ولد بالمدينة المنورة يوم الجمعة عند طلوع الفجر للسابع عشر من شهر ربيع الأول ، وقيل غرة شهر رجب سنة ثلاث وثمانين للهجرة ، وتوفي بها يوم الاثنين الخامس والعشرين من شوال ، سنة ثمان وأربعين ومائة ، وله خمس وستون سنة ، أو ثمان وستون ، أقام مع جدّه علي بن الحسين اثنتي عشرة عاماً ، وقيل اكثر ، وقيل أقل ، ثم عاش مع أبيه تسع عشرة سنة ، وبعده أربعاً وثلاثين سنة ، وهي مدة إمامته ، وكانت بقية ملك هشام ، وملك السّفاح من بني أمية ، وتوفي أيام المنصور العباسي الدوانيقي ، ودفن بالبقيع في قبة العباس بن عبد المطلب ، بجانب أبيه وجدّه وعمهم الزكي سلام الله عليهم أجمعين .

أمه : فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر .

شاعره : الحميري ، واجمع السلمي ، والكميت .

خاتمه : ما شاء الله .

بوابه : المفضل بن عمر .

لقبه : الصادق .

أولاده عشرة :

١ ـ اسماعيل ، ٢ ـ عبد الله ، ٣ ـ أم فروة وأمهم فاطمة بنت الحسين بن علي بن الحسين .

٤ ـ موسى بن جعفر ، ٥ ـ إسحاق ، ٦ ـ محمد ، ٧ ـ فاطمة الكبرىٰ لأم ولد إسمها حميدة .

٨ ـ العباس ، ٩ ـ علي ، ١٠ ـ أسماء ، ١١ ـ فاطمة الصغرىٰ لأمهات شتىٰ .

كان إماماً عظيماً ، إمام أهل البيت عليهم السلام في عصره ، ووارث علوم آبائه . وجدّه صلى الله عليه وآله ، وليس هناك من هو أعلم من جعفر بن محمد الصادق صاحب المدرسة العلمية التي كانت تحمل وتحوي جميع علوم الإسلام ، وكان هو منهل العلم ، وكانت مدرسته امتداد لمدرسة أبيه وجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكانت من الأحداث الخطيرة ، فهي لم تكن بأي حال من الأحوال مدرسة خاصة يلقىٰ فيها لون خاص من المعارف والعلوم ، وإنما كانت تبني عقولاً ، وتنشيء أجيالاً ، وتؤسس صروحاً من الثقافة ، ودنياً من التوجيه ، وتضع دستوراً شاملاً لإصلاح الحياة وتطويرها وتقدمها في جميع الميادين .

ونقدم الى القراء عرضاً موجزاً لبعض شؤون تلك المدرسة التي عملت على نمو الحركة الفكرية :

١ ـ سبب إنشائها : أطل الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام على العالم الإسلامي وهو يموج بالاضطراب والفتن والنزاعات الخاصة التي لا يلمس فيها أي أثر محمود ، فقد تحلل المجتمع وتفككت الروابط فيه إلى أبعد حد ، ويعود السبب في ذلك الى أن نار الحرب اشتعلت في كل حواضره ونواحيه ، وذلك لانهيار الإمبراطورية الأموية ، التي كانت أبعد ما تكون عن النظر في أمور المجتمع والتحسس معه ، وشاعت ضروب الفساد والتحلل في البلاد ، وقد قام للقضاء على تلك الدولة طائفة من المصلحين ، وكان هدفهم إعادة الحياة الإسلامية الى مجراها الصحيح ، وكانت هتافات الثوّار هو الرضا من آل محمد ، ولكن الثورة اغتصبها العبّاسيون ، فرأىٰ الإمام الصادق عليه السلام أن السارق الجديد حلّ محل السارق القديم ، ولا وسيلة لاسترداد الحق المغصوب ، فطوىٰ عنها كشحا ، وأقبل على تأسيس مدرسته مغتنماً

تلك الفرصة التي يطلب الكل فيها رضاه ، وتركه المسؤولون لينشر أهدافه وتوجيهاته لانشغالهم عنه بتركيز دولتهم وكيانهم المهتز ، فوجد الإمام الصادق عليه السلام في تلك الفترة مجالاً واسعاً لأداء رسالته ، والقيام بنشر الثقافة الإسلامية ، وإفهام المجتمع نظم الإسلام الصحيحة .

٢ ـ مركزها : اختار الإمام الصادق عليه السلام يثرب دار الهجرة ومهبط الوحي فجعل فيها معهده الكبير ومدرسته العظمىٰ ، أما محل التدريس وإلقاء المحاضرات فكان مسجد جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ، فكانت تزدحم فيه حملة الحديث وروّاد العلم لاستماع دروس الإمام ، وتسجيل أبحاثه ، وربما كان في بعض الأحيان يلقي محاضراته في بهو بيته ، وقد ازدهرت يثرب بهذه الحوزة العلمية ، واستعادت نشاطها في توجيه الركب الإسلامي نحو الخير والسعادة .

٤ ـ عدد طلابها : ولما فتح الإمام الصادق عليه السلام مدرسة لجميع المسلمين ، التحق بها جمع غفير من روّاد العلوم على اختلاف نزعاتهم وميولهم ، فكان عددهم من أضخم ما ضمته المدارس العلمية في ذلك العهد ، فقد ذكر الرواة أنهم كانوا أربعة آلاف شخص ، وفيهم كبار العلماء .

٥ ـ البعثات العلمية : وأسرع الى الإنتماء لمدرسة الامام الصادق عليه السلام جميع عشاق الفضيلة ، وتركوا بني العباس في هواهم وأعراسهم وطربهم ، والعلم من شتىٰ الأقطار الاسلامية من عرب وغير عرب ، ويحدثنا التاريخ عن مدىٰ ذلك النشاط في الالتحاق بمدرسته عليه السلام ، فقد أرسلت الكوفة والبصرة وواسط والحجاز الى جعفر بن محمد الصادق أفلاذ اكبادها من كل قبيلة أمثال : أسد ، وغنىٰ ، ومخارق ، وطي ، وسليم ، وغطفان ، وغفّار ، والأزد ، وبني ضبّه ، ومن قريش ولا سيما بني الحارث بن عبد المطلب ، وبني الحسن بن علي .

٦ ـ تدوين العلم : وأقبل أصحاب الامام عليه السلام على تدوين العلم ، والعلوم التي تلقوها وأخذوها منه عليه السلام ، فألّفوا في جميع الفنون والمعارف ، فألّف إبان بن تغلب (معاني القرآن) و (كتاب القرآن) ، وألّف

المفضل بن عمر (كتاب التوحيد) ، وألّف جابر بن حيان (كتاب علم الكيمياء) ، وألّف جمع كثير من تلاميذه في مختلف الفنون كزرارة ، وأبي بصير ، ومحمد بن مسلم ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وكثير من الأعلام ، حتى بلغ عدد المؤلفات اربعمائة كتاب لأربعمائة مؤلف ، وقد دوّن الشيخ آغا بزرك الطهراني اكثر من مؤلف في علم الحديث فقط لأصحاب الإمام عليه السلام .

٧ ـ علومها وآدابها : وتناولت محاضرات الإمام الصادق عليه السلام ودروسه جميع الفنون العلمية التي لها الأثر التام في التقدم الإجتماعي ، ومن أبرز العلوم التي تناولها عليه السلام بالبسط والتحليل : الفقه الإسلامي بجميع أنواعه من عبادات ومعاملات ، ولم يقتصر عليه السلام في أبحاثه على الناحية العلمية ، بل توسع في محاضراته الى بيان كل أصول الأدب والقيم الاجتماعية من مكارم الأخلاق والاصلاح الشامل في جميع المجالات .

٨ ـ طابعها الخاص : وكان لمدرسة الامام عليه السلام طابع خاص بها انفردت به عن بقية المدارس والمؤسسات العلمية ، فقد كان طابعها الاستقلال ، وعدم خضوعها للدولة ، فلم يكن لولاة الأمور بأي حال مجال للتدخل فيها ، فهي منفصلة عن الهيئة الحاكمة ، لأن الامتزاج بها يعني تدخل السلطة في شؤونها ، وهذا شأن كل حوزة علمية .

٩ ـ فروعها :وفتح لها عليه السلام فروعاً في اكثر من إقليم من الأقاليم الإسلامية ، أما الفروع فهي : المعهد الكبير في جامع الكوفة وقد التحق به اكثر من تسعمائة عالم ، كلهم يقول حدثنا الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام .

وهو أول من أسس المدارس الفلسفية المشهورة في الإسلام ، ولم يكن يحضر حلقته العلمية أولئك الذين أصبحوا مؤسسين لمدارس مذهبية فحسب ، بل كان يحضرها كل طلاب الفلسفة والمتفلسفون من الأنحاء القاصية .

أما تلاميذه : فممن اشتهر بالتفسير والنسب في ذلك العصر محمد بن السائب الكلبي ، والسدّي الكبير بن عبد الرحمن ، وأبو حمزة الثمالي .

رفي الفقه والحديث في عصره : أبو حنيفة إمام المذهب الحنفي ، وتلميذه أبو يوسف ، ومالك بن أنس إمام المذهب المالكي ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ وابن جريح ، وعروة بن الزبير ، وابن سيرين ، والحسن البصري ، والشعبي ، وغيرهم .

وفي علوم اللغة العربية معاذ بن مسلم الهراء الكوفي واضع علم الصرف ، وفي التاريخ والمغازي محمد بن إسحاق بن يسار ، وفي الكتابة عبد الحميد كاتب مروان الحمار آخر ملوك بني امية .

ومن الكتّاب من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام : أبو حامد إسماعيل الكوفي .

ومن أشهر الشعراء في عصره ، وبعضهم كانوا مادحيه : الحميري ، وأشجع السلمي ، والكميت ، وابنه المستهل ، وأخوه الورد .

ومن اشهر تلاميذه جابر بن حيان ، العالم الكيمياوي الكبير ، الذي بلغت مؤلفاته ثلاثة آلاف وخمسمائة كتاب .

والخلاصة قد أتيت بنبذة قليلة من حياة الإمام الصادق عليه السلام ، فهو المؤسس الأول للحوزة العلمية ، ولقد حافظ بذلك على الاسلام من الضياع بين الدولتين المخربتين الدولة الأموية ثم العباسية ، اللتان اتخذتا السلب والنهب وشرب الخمر والقمار ورقص المغنيات .

نذكر في هذه الصفحات بعض حكمه صلوات الله عليه : علامة المنافق ثلاث وإن صام وصلىٰ إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أئتمن خان .

وقال : احذر من الناس ثلاثة الخائن والظلوم والنمام ، لأن من خان لك خانك ، ومن ظلم لك سيظلمك ، ومن نمَّ لك نمَّ عليك .

وقال : ثلاث يحجزن المرء عن طلب المعالي : قصر الهمّة ، وقلّة الحياء ، وضعف الرأي .

الامام موسى بن جعفر (ع) الكاظم

٦ ـ أبو الحسن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ، وهو الإمام السابع من أئمة المسلمين وخلفاء الله في العالمين .

ولد الامام موسى بن جعفر الكاظم بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، يوم الجمعة أو الخميس من شهر رجب في ثلاث وثمانين للهجرة ، وعمره الشريف خمس وخمسون عاماً ، أو سبع وخمسون ـ وهو المشهور ـ ودفن بالجانب الغربي من بغداد في المقبرة المعروفة بمقابر قريش ، بباب التبن ، ويعرف اليوم بباب الحوائج ، وكانت المقبرة قديماً لأشراف قريش وخاصة بني هاشم .

وكانت إمامته مدة حياته بعد أبيه ، وكان في آخر أيام المنصور ، ومحمد المهدي ، وموسى الهادي ، وقسم من ملك هارون بن المهدي ، وهو الذي دسّ له السمّ ، ومات الإمام (ع) مسموماً بالرطب المسموم ، وكان هارون يخشاه لكي لا تكون الجماهير المسلمة بجانبه ، لأنه حفيد رسول الله (ص) وأصل العدالة والإنسانية ، فقتله خوفاً وهلعاً من أجل أيام تعسة قد تصرمت ، وذهب هو وبنو العباس الطغاة الذين أسسوا دولتهم على جماجم المسلمين ، وقتل أولاد النبيين ، ذهبوا الى جهنم واندثرت معهم قبورهم وآثارهم ودولتهم الجائرة بعد الدولة الأموية تلك هي الأخرى التي جاءت بلباس الإلحاد والإنحراف والشرك .

كنيته : أبو إبراهيم ، وأبو الحسن ، ويعرف بالعبد الصالح ، وينعت بالكاظم . وهما من أشهر ألقابه ، ولقّب بالكاظم لما كظمه من الغيظ وصبر

على ما فعله الظالمون به ، حتى قضى قتيلاً في حبسهم اكثر من أربعة عشر سنة ، من سجن البصرة عند عيسى العباسي ، إلى سجن بغداد عند الربيع ، وعند الشاهك السندي مدير شرطة هارون ، وقيل عشرون سنة . ومعنى الكاظم أي الممتلىء خوفاً وحزناً . والمعروف عند أهل العراق بباب الحوائج لنجح قضاء حوائج الناس الذين يتوسلون به الى الله والى جدّه المصطفى ، وقيل سمّي بالكاظم لأنه إذا بلغه من أحد كلام وسب ، بعث إليه بمال ، وهذه سجيتهم قديماً وحاضراً .

نقش خاتمه : حسبي الله ، وقيل الملك لله وحده .
شاعره : السيد الحميري .

بوابه : أبو الفضل ، أو محمد بن الفضل .
أولاده : عشرون ذكراً وعشرون انثى ، وقيل سبعة وثلاثين ، وقيل ثمان وثلاثون :

١ ـ علي الرضا . ٢ ـ إبراهيم . ٣ ـ العباس . ٤ ـ القاسم لأمهات شتى . ٥ ـ إسماعيل ، ٦ ـ جعفر ، ٧ ـ هارون ، ٨ ـ الحسن لأم ولد ، ٩ ـ أحمد ، ١٠ ـ محمد ، ١١ ـ حمزة ، ١٢ ـ عبد الله ، ١٣ ـ إسحاق ، ١٤ ـ عبد الله ، ١٥ ـ زيد ، ١٦ ـ الحسن ، ١٧ ـ الفضل ، ١٨ ـ الحسين ، ١٩ ـ سليمان ، وهؤلاء لأمهات أولاد .

٢٠ ـ فاطمة الكبرى ، ٢١ ـ فاطمة الصغرى ، ٢٢ ـ رقية ، ٢٣ ـ حكيمة ، ٢٤ ـ أم أبيها ، ٢٥ ـ رقية الصغرى ، ٢٦ ـ أم كلثوم ، ٢٧ ـ مكتوم ، ٢٨ ـ أم جعفر ، ٢٩ ـ لبابة ، ٣٠ ـ زينب ، ٣١ ـ خديجة ، ٣٢ ـ عليّة ، ٣٣ ـ آمنة ، ٣٤ ـ حسنة ، ٣٥ ـ بريهة ، ٣٦ ـ أم سلمة ، ٣٧ ـ ميمونة ، ٣٨ ـ كلثم .

وكان الامام موسى بن جعفر الكاظم وارث علوم آبائه وجده رسول الله (ص)، ينقل من سجن الى آخر ، في حبس عيسى بن جعفر ، والفضل بن ربيع ، والفضل بن يحيى ، والسندي بن شاهك ، فكان (ع) عظيم الفضل ، رابط الجأش ، واسع العطاء ، أعبد أهل زمانه ، وأزهدهم ،

وأفقههم وأعلمهم ، وأسخاهم كفاً ، وأكرمهم نفساً ، وكان حافظاً لكتاب الله ، وأجلّ الناس شأناً ، وأعلاهم في الدين مكاناً ، وأسخاهم بناناً ، وأنصحهم لساناً ، خصّه الله بشرف الولاية ، وحاز إرث النبوة ، وبوّء محل الخلافة ، سليل النبوة .

وهو المنصوص عليه بالإمامة والخلافة من جدّه رسول الله (ص) ، وكانت الشيعة تأخذ معالم دينها منه لأنه خليفة أبيه ووصيّه ، ووصيّ جميع الأئمة من قبله ، وكان من تلامذته وفقهاء زمانه وبطانته وثقاته : المفضل بن عمر الجعفي ، ومعاذ بن كثير ، وعبد الرحمٰن بن الحجاج ، والفيض بن المختار ، ومنصور بن حازم ، ويعقوب السّرّاج ، وسليمان بن خالد ، وصفوان الجمّال .

وكان الإمام حليم ، أحلم أهل زمانه ، يعفو عن الناس ، ويدعو الله بهذا الدعاء العظيم الذي يسمّىٰ بدعاء الجوشن ، وكان ذو هيبة ووقار يخشاه عدوه أمثال هارون وأتباعه .

أجل لقد عاش الامام بين ملوك الظالمين ، وهو مظلوم مكبوت ، وشيعته بين القتل والتهديد ، قال الشاعر :

إعطف على الكرخ من بغداد وابك بها ... كنزاً لعلم رسول الله مخزوناً
موسى بن جعفر سر الله والعلم ... المبين في الدين مفروضاً ومسنوناً

الامام علي بن موسى الرضا (ع)

٧ ـ الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ، ثامن أئمة المسلمين وخلفاء الله في العالمين ، وثالث العليين ، علي أمير المؤمنين ، وعلي زين العابدين .

ولد الإمام علي الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالمدينة المنّورة يوم الجمعة أو الخميس للحادي عشر من ذي القعدة أو ذي الحجة أو ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائة ، وهي سنة وفاة جدّه الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، وقبض الرضا عليه السلام يوم الجمعة وقيل الإثنين آخر صفر أو رمضان أو ذي القعدة أو ذي الحجة .

قبره الشريف المقدس بطوس من أرض خراسان إيران ، في قرية يقال لها سناباد ، توفي سنة تسع وأربعين أو إحدى وخمسين أو اثنين أو ثلاث وخمسين بعد المائتين . وسبب وفاته أن دسّ له المأمون السّم بعد أن أشخصه من المدينة الى طريق البصرة وفارس ، وهناك قتله بالسم ، ومات شهيداً مظلوماً محتسباً .

نقش خاتمه : حسبي الله وما شاء الله ولا قوة إلا بالله .

شاعره : دعبل الخزاعي .

بوابه : محمد بن الفرات .

أولاده : له من الأولاد ولد واحد على ما ذكره اكثر علماء الشيعة ومؤرخيهم ، وهو الإمام محمد الجواد ، وقيل ولدان محمد وموسىٰ ، لم يترك

غيرهما ، وكان أعلم أهل زمانه ، حافظاً القرآن ، عالماً فقيهاً حليماً سخياً كريماً جواداً ، وقد ورث من أبيه جميع مواريث الأنبياء ، وكل ما لدى رسول الله صلى الله عليه وآله من ميراث .

وكان اجتماعه كبير للخاص والعام ، علمه حيّر المأمون وجميع الفقهاء ، وكان كلما حصل للمأمون حرج أو ضيق في معرفة العلم يرجع إليه ، ليفصح له عنها ، خاصة في كتاب الله العزيز .

سأل المأمون ذات يوم عن آية في القرآن الكريم في سورة فاطر ﴿ **ثمَّ أورثنا الكتابَ الذينَ اصطفينا منْ عبادنا ، فمنهمْ ظالمٌ لنفسهِ ، ومنهمْ مقتصدٌ ومنهمْ سابقٌ بالخيراتِ بإذنِ اللهِ ذلكَ هوَ الفَضلُ الكبيرُ** ﴾[1] .

ماذا تخص الآية ، ولمن الكتاب الذي أورثه بعد النبي ، وكان هذا في مجمع من علماء المسلمين في مجلس المأمون العباسي ، والإمام عليه السلام كان جالساً لا يتكلم . فقال العلماء : الأمة التي أورثت الكتاب .

فلما سأل الإمام قال : ليس كذلك ، الأمة ثلاثة أصناف ، صنف ظالم لنفسه ، وثلث مقتصد وهذا لا يكون الكتاب أن يورث من قبل هؤلاء قط ، بل الذين ورثوا الكتاب هم الأئمة الإثني عشر الذين هم سابقوا بالخيرات : بإذن الله .

وهذا حصل احتجاج بين العلماء والإمام الرضا ، وثبت أن الأمة ظالمة ولم تورث الكتاب ، بل هي عاصية للكتاب وأهل الكتاب الأئمة البررة ، فالكتاب طاهر ونقي وعادل ، ولا يجوز لإنسان نجس ظالم يقتل ويفجر ويظلم ويستبد أن يورث هذا الكتاب ، بل الوارثون هم علي أمير المؤمنين عليه السلام وأبناءه الكرام الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي وصاحب الزمان المهدي المنتظر .

الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام لما سأله المأمون عن هذه الآية

---

(١) فاطر / ٣٢ .

بعد أن قال العلماء الذين بحضور المأمون أنها نزلت بالأمة ، وأنّ الأمة هي التي ترث الكتاب ، قال ماذا تقول يا ابن رسول الله ؟.

قال الامام : الآية واضحة كوضوح الشمس في رابعة النهار وجلية كالعين في الوجه ، الآية قد أتت بالأمة وقسّمت الأمة الى ثلاثة أقسام :

فقسم من الأمة ظالم لنفسه ، وهذا لا يجوز أن يورث الله كتابه الى الظالم والظالمين ، والله سبحانه وتعالى عادل ، والعادل مغاير للظالم ، والعقل ينفي ذلك .

والطبقة الثانية مقتصدة ، يعني انها تخلط بين الصحيح وغير الصحيح من الفضيلة والرذيلة ، وهم لا يعرفون ماذا يصنعون ، وهذا لا يجوز أن يورث الله كتابه الى أناس تخلط هذا بهذا لأنه متردد ويعمل حسب هواه وشهواته .

ونمط القسم الثالث من هذه الأمة هم الذين سبقوا الى الخير بإذن الله ، فلا يعملون إلا بما أراد الله .

كما ان الآية ذكرت صنف قليل من الأمة ، وهم الذين اصطفى الله ، فقال ﴿ **الذين اصطفينا من عبادنا** ﴾ والعباد تشمل كل الأمة وغير الأمة ، والإصطفاء يخصنا نحن وليس غيرنا ، لأن الله اصطفانا من هذه الأمة وطهّرنا عليهم بآية الاصطفاء وايضاً قد حرّم الله علينا الصدقة ، كما حرّمها على نبيّه وباقي الأنبياء ، والصدقة للأمة .

ثم ذكرنا نحن الآل ، والآل ليس الأمة ، ثم نحن جعلنا معه في السهم ، سهم الخمس ، ولم يجعل الله لهذه الأمة سهم معه ، بل هو ورسوله ونحن أخصّنا بالسهم ،

وهكذا بدأ الامام يسترسل في الحديث أمام المأمون حتى سكت جميع العلماء ، وهذا قولٌ لا يرد ، حيث الأئمة هم علماء الأمة ، ولا يمكن أن يكون الامام كالإنسان البسيط الذي يذنب مرّة ، ويستغفر أخرىٰ ، وهو ليس قادر على ترك المعصية ولا العمل بالإطاعة ، والإمام له القدرة على الإطاعة ، وله القدرة على ترك المعصية ، والإمام لا شك أنه أعلم زمانه مهما كان في

ذلك الزمان من خليفة أو سلطان أو حاكم ، حتى لو كان من ذرية النبي والأئمة ، والإمام موجود في عصره ، فالإمام هو الأعلم وليس غيره أعلم منه قط .

الامام محمد بن علي الجواد (ع)

٨ ـ الإمام أبو جعفر محمد بن علي الجواد عليه السلام ، تاسع أئمة المسلمين وخليفة الله في العالمين ، وثاني المحمدين .

ولد محمد الجواد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام بالمدينة المنوّرة ليلة الجمعة أو يومها ، في التاسع عشر من شهر رمضان أوفي النصف منه ، أو العاشر من شهر رجب ، وتدل بعض الأدعية المأثورة على ولادته في شهر رجب سنة خمس وتسعين وماءة .

وقبض شهيداً بالسمّ ببغداد يوم السبت أو الثلاثاء ، في أواخر ذي القعدة أو الحادي عشر منه ، أو لستٍ أو لخمسٍ خلون من ذي الحجة أو في أواخره ، سنة عشرين وماءتين ، وله خمس وعشرون سنة وأشهر أو شهران وثمانية عشر يوماً ، أو ثلاثة أشهر واثنان وعشرين ، أو اثنا عشر يوماً على حسب اختلاف الأقوال والروايات في تاريخ المولد والوفاة .

ودفن ببغداد في الجانب الغربي في مقابر قريش ، مع جده الامام موسى بن جعفر ، وكان عمره يوم وفاة أبيه سبع عشرة سنة أو ثمان عشرة سنة إلا عشرين يوماً ، وهي مدة إمامته وخلافته ، وهي بقية ملك المأمون وشيء من ملك المعتصم ، وتوفي في أول ملك المعتصم .

كنيته : أبو جعفر الثاني لأن جدّه محمد الباقر يكنّى أيضاً بأبي جعفر .

لقبه : الجواد والتقي والمنتجب والمرتضى والقانع وغيرها ، وأشهر ألقابه الجواد .

نقش خاتمه : نعم القادر الله .

شاعره : حمّاد .

بوّابه : عمرو بن الفرات ، وقيل عثمان بن سعيد السمّان ،

أولاده : أربعة علي الهادي وموسى وفاطمة وامامة .

وكان فاضلاً عالماً حكيماً أديباً مع صغر سنه لم يساوه في منزلته أحد من ذي الإنسان ، من السادة ، ولذا كان المأمون مشغوفاً به ، لما رأى من علوّ رتبته ، وعظيم منزلته في جميع الفضائل .

وكان هو الإمام بعد والده بنص من رسول الله (ص) ونص عليه أجداده وأبوه الى كافة الشيعة والمسلمين يأخذون منه العلم ، فاحتج بنو العباس على المأمون لما أراد أن يزوجه ابنته على انه صغير وليس لديه قدرة على ذلك ، فقال : ويحكم بعث عيسىٰ بن مريم رسولاً نبياً صاحب شريعة ، مبتدأه في أصغر من السن الذي فيه أبو جعفر .

وقد طلب منهم المأمون الأسئلة ، فخصصوا يحيىٰ بن أكتم ، فسأل أبا جعفر محمد بن علي الجواد فقال : ما تقول يا ابن رسول الله في الخبر الذي روي أن جبرائيل نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال يا محمد إن الله يقرؤك السلام ويقول لك سل أبا بكر هل هو راضٍ عنّي ، فإني راضٍ عنه .

فقال عليه السلام ـ على لطفه وأدبه ، ولشرفه ما أحب أن يرفض هذا السؤال الذي لا يكاد يطرحه الطفل الصغير ، أجاب عنه بالأخلاق الفاضلة المرضية فقال ـ : لست بمنكر فضل أبي بكر ، ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في حجة الوداع : قد كثرت عليّ الكذّابة وستكثر ، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، فإذا أتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله وسنّتي ، فما وافق كتاب الله وسنّتي فخذوا به ، وما خالف كتاب الله وسنّتي فلا تأخذوه به .

وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله ، قال تعالى: ﴿ **ولقدْ خلقنا الإنسانَ ونعلمُ ما توسوسُ بهِ نفسهُ ونحنُ أقربُ إليهِ منْ حبلِ الوريد**[1] ﴾ فالله عز وجل خفي عليه رضا أبي بكر من سخطه ، حتى سأل عن مكنون سرّه هذا مستحيل في العقول .

ثم قال يحيىٰ بن أتم : وقد روي أن مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرائيل وميكائيل في السماء .

قال الإمام عليه السلام : وهذا أيضاً يجب أن ينظر فيه ، لأن جبرائيل وميكائيل ملكان لله مقربان ، لم يعصيا الله قط ، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة ، وهما قد أشركا بالله عزّ وجل ، وإن أسلما بعد الشرك ، وكان أيامهما في الشرك بالله ، فمحال أن يشبههما بهما .

وقال يحيىٰ : وقد روي سيدا كهول أهل الجنّة .

فقال عليه السلام : وهذا محال أيضاً لأن أهل الجنة كلهم يكونون شباباً ، ولا يكون فيهم كهل ، وهذا الخبر وضعه بنو أمية لمضادة الخبر الذي قال فيه رسول الله (ص) في الحسن والحسين بانهما سيدا شباب أهل الجنة .

قال يحيىٰ : وروي أن عمر بن الخطاب سراج أهل الجنّة .

فقال عليه السلام : وهذا أيضاً محال ، لأن في الجنة ملائكة الله المقربين وآدم ومحمداً وجميع الأنبياء والمرسلين لا تضيء بأنوارهم حتى تضيء بنور عمر .

قال يحيى : وروي أن السكينة تنطق على لسان عمر .

فقال الإمام عليه السلام : لست بمنكر فضائل عمر ، لكن أبا بكر وانه أفضل من عمر قال على رأس المنبر إن لي شيطاناً يعتريني ، فإذا ملت فسددوني .

فقال يحيىٰ : قد روي أن النبي قال : لو لم أبعث لبعث عمر .

---

(١) ق /١٦ .

فقال عليه السلام : كتاب الله أصدق من هذا الحديث يقول الله في كتابه ﴿ **وإذْ أخذنا منَ النبيّينَ ميثاقهمْ ومنكَ ومنْ نوحٍ . . .** ﴾[1] فقد أخذ الله ميثاق النبيين ، فكيف يمكن ان يستبدل ميثاقه ، وكان الأنبياء لم يشركوا طرفة عين ، فكيف يبعث بالنبوّة من أشرك ، وكان اكثر أيامه مع الشرك بالله . وقال رسول الله (ص) : نبئت وآدم بين الروح والجسد .

قال يحيىٰ : وقد روي أن النبي (ص) قال : ما احتبس الوحي عنّي قط إلا ظننته قد نزل على آل الخطّاب .

فقال عليه السلام : وهذا محال أيضاً ، لأنه لا يجوز أن يشك النبي (ص) في نبوّته ، قال الله تعالى ﴿ **اللهُ يصطفي منَ الملائكةِ رسلاً ومنَ الناسِ . . .** ﴾[2] فكيف يمكن أن تنتقل النبوّة ممن اصطفاه الله الى من أشركَ بهِ .

قال يحيىٰ : روي أن النبي قال : لو نزل العذاب ما نجى منه إلا عمر .

فقال عليه السلام : وهذا محال أيضاً ، إن الله تعالى يقول : ﴿ **وما كانَ اللهُ ليعذّبهمْ وأنتَ فيهمْ وما كانَ اللهُ معذّبهمْ وهمْ يستغفرونَ** ﴾[3] فأخبر سبحانه أنه لا يعذّب أحداً ما دام فيهم رسول الله (ص) وما داموا يستغفرون الله تعالى .

هذه أسئلة وضعت من قبل آل أمية ، ولقد أجاب عنها الإمام عليه السلام من كتاب الله ، فليعقل الذين يقولون هذا ، أفتراءً على الله وعلىٰ رسوله صلى الله عليه وآله .

أجل وقد كان الإمام كما قلنا أعلم أهل زمانه مع صغر سنّه الشريف

---

(١) الأحزاب /٧ .
(٢) الحج /٧٥ .
(٣) الأنفال /٣٣ .

وقد سئل عن ثلاثين ألف مسألة فأجاب عنها ، ولا يسع المجال ذكر ما جاء في علمه وعظمته . فكان يعظ الناس ويقول للسائل : توسد الصبر ، واعتنق الفقر وارفض الشهوات .

الامام علي بن محمد الهادي (ع)

٩ ـ الإمام أبو الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام ، تاسع أولاد أمير المؤمنين في الإمامة ، وعاشر أئمة المسلمين ، وخلفاء الله في العالمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله .

ولد الامام الهادي عليه السلام بقرية من نواحي المدينة المنورة يوم الجمعة أو الثلاثاء ، الثاني أو الخامس أو الثالث عشر من رجب ، أو للنصف من ذي الحجة ، أو السابع منه أو السابع والعشرين منه ، سنة اثنتي عشرة أو أربع عشرة ومائتين ، وتدل بعض الأدعية على ولادته هو وأبوه عليهما السلام في شهر رجب .

وتوفي في (سر من رأى) يوم الثلاثاء أو الاثنين الثالث من رجب أو ربيع ، أو الخامس من جمادى الآخر ، نصف النهار ، سنة أربع وخمسين ومائتين ، ودفن في داره بسامراء .

وكان المتوكل أشخصه من المدينة إليها ، وكان عمره يوم وفاته أربعين سنة أو إحدىٰ وأربعين وسبعة أشهر ، أقام منها مع أبيه ست سنين وأربعة أشهر ، وبعد أبيه ثلاث وثلاثين سنة وستة أو سبعة أشهر ، وهي مدة إمامته ، وهي بقية ملك المعتصم ، ثم ملك الواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز . وتوفي في آخر ملك المعتمد ، وكانت مدة إقامته بسامراء عشرين سنة أو عشرين سنة وتسعة أشهر .

أمه : أم ولد يقال لها سماتة المغربية .

كنيته : أبو الحسن ، ويقال أبو الحسن الثالث .

لقبه : أشهر ألقابه الهادي ، ويلقب بالنجيب والمرتضى والنقي والمتوكل والعسكري وغيرها ، وسبب تسميته بالعسكري هو وابنه الحسن عليهما السلام ، أن المحلة التي سكناها بسامراء كانت تسمّىٰ عسكراً .

وقال سبط بن الجوزي : إنما نسب الى العسكر لأن المتوكل أشخصه الى سر من رأىٰ ، فأقام بها ، وكانت سامراء تسمّىٰ العسكر ، لأن عسكر المعتصم نزلها .

نقش خاتمه : الله ربي ، وهو عصمتي من خلقه .

بوّابه : عثمان بن سعيد .

شاعره : العوني ، والديلمي ، ومحمد بن اسماعيل الصيمري .

أولاده : له من الأولاد أربعة ذكور وانثىٰ واحدة وهم : الإمام أبو محمد الحسن ، والحسين ، ومحمد ـ توفي في حياة أبيه ـ ، وجعفر ـ الذي ادعى الإمامة بعد وفاة أخيه الحسن ، ثم تراجع بعد ظهور ابن أخيه الامام المنتظر عليه السلام ـ .

فكان الإمام الهادي عليه السلام أطيب الناس مهجة ، وأصدقهم لهجة ، وأملحهم من قريب ، واكملهم من بعيد ، إذا صمت علته هيبة الوقار ، وإذا تكلّم سماه البهاء ، وهو من بيت الرسالة والإمامة ، ومقر الوصية ، والخلافة ، شعبة من دوحة النبوّة منتضاة مرتضاة ، وثمرة من شجرة الرسالة مجتناة مجتباة ، وكنت إذا رأيته رأيت رجلاً جليلاً جزلاً نبيلا خيراً ، فاضلاً وكان فقيهاً إماماً متعبداً ، ميراث النبوة كلها عنده ، سيما ميراث الرسالة والرسول كلها عنده .

أما أدلة الإمامة عليه فقد نص عليه جدّه رسول الله (ص) ، كما نص على الذين من قبله ومن بعده ، ونص عليه أجداده وأبوه ، وهو أكمل من توجد فيه الإمامة ، لأنه يحمل كل صفات الإمامة .

سجنه المتوكل العباسي في سامراء ، وكان يجلس على حصيرة ، وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وحفيده ، وكان ما أصابه بسبب حسدهم له وحقدهم على أئمة أهل البيت ، لأنهم الحافظون على الاسلام ، ولم يشاركوا بنو العباس في استبدادهم بالناس .

يقول المتوكل : كلما اجهدت مع الهادي أن يشاركني الجلوس على مائدة الخمر كان يمتنع ويجلب الخوف الى قلبي ، ويدخل قلبي الرعب من هيبته .

وقد جلبه المتوكل من المدينة الى سامراء ليكون بجواره ، خوفاً ورعباً منه لعل المسلمين يتخذوه خليفة ، ولقد سمّه المتوكل العباسي بعد المدة الطويلة من السجن . فكان المتوكل الخبيث يريد الإيقاع في عترة الهادي لعل أحدهم يمد يده الطاهرة لينجّسها مع المتوكل ، فلم يقدر على الإمام الهادي ، فقالوا له : ابعث على أخيه موسى يأكل معك ، ويشرب ، لكن بني هاشم أجلاء يأبون ذلك ويرفضونه ، وخاصة نسب عبد المطلب الشهم شيخ البطحاء .

فارسل الى موسى من المدينة ، وقدّم له كل شيء ، ولما دخل الى هناك استقبله الهادي وقال له : أخي هذا يريد هتكك ، وإياك أن تفعل ذلك .

قال : إذا ماذا أفعل ، وقد حملني الى هذا الأمر ؟

قال عليه السلام : أنت اعرف بنفسك ، هذا والله يريد هتك آل محمد .

أجل هتك الله المتوكل ، لم يعطه موسى أخو الهادي ما يريد ، جلس في داره حتى قتل الله المتوكل ، وهو مرّة يدّعي أنه مريض ، وأخرىٰ أنه مشغول ، بقي على هذه الحال ثلاث سنين يشغل المتوكل العباسي اللا هاشمي في أفعاله وخبثه ، لأن آل هاشم ليسوا خبثاء ، بل أفعالهم كلها حميدة وطيبة ، وهكذا بقى موسىٰ حتى مات المتوكل وانجى الله آل محمد من مكره قاتله الله .

الامام الحسن بن علي العسكري (ع)

١٠ ـ الإمام أبو محمد الحسن بن علي العسكري ، الهادي عليه السلام ، هو الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم . وهو الإمام الحادي عشر من أئمة المسلمين وخلفاء الله في العالمين ، وثاني الحسنين .

ولد الإمام الحسن العسكري عليه السلام بالمدينة المنورة يوم الجمعة أو الإثنين في ربيع الأول أو في العاشر أو الرابع أو الثامن من ربيع الآخر ، سنة اثنين وثلاثين أو إحدىٰ وثلاثين ومائتين .

وشخص الى العراق بشخوص والده إليها ، وله أربع سنين وأشهر وتوفي بسر من رأىٰ يوم الجمعة مع صلاة الغداة ، أو الأحد أو الأربعاء لثمان ليالٍ خلون من ربيع الأول على المشهور ، وكانت وفاته سنة ستين ومائتين ، وله يومئذٍ ثمان وعشرون أو تسع وعشرون ، أقام فيها مع أبيه ثلاثاً وعشرين سنة وأشهر ، وبعد أبيه ست سنين أو خمس سنين ، وهي مدة إمامته وخلافته ، وهي بقية ملك المعتز أشهراً ثم ملك المهتدي . وتوفي في ملك المعتمد بعد مضي خمس سنين منه ، ودفن بسر من رأىٰ في البيت الذي دفن فيه أبوه عليهما سلام الله بجانبه في دارهما .

كنيته : أبو محمد .

وأشهر ألقابه : العسكري ، التقي ، الخالص ، الزكي .

وإنما لقّب هو وأبوه بالعسكري كما قلنا لأن المحلة كانت تسمّىٰ عسكراً أو نزلها عسكر المعتصم . وكان يعرف هو وأبوه بأبن الرضا .

نقش خاتمه : سبحان من له مقاليد السماوات والأرض ، انا لله شهيد .

بوّابه : عثمان بن سعيد العمري ، وابنه محمد بن عثمان .

شاعره : ابن الرومي ـ حسب ما جاء في الفصول المهمة ـ .

أولاده : ولده المسمّى باسم رسول الله (ص) والمكنّى بكنيته ، وليس له ولد غيره .

وكان له هدي وعفاف ونبل وكرم ، وكان متقدماً على أهل بيته ، وهو الإمام عليهم وعلى سائر الناس وكان جليلاً وعظيماً ورفيع المحل ، وجميل القول ، لم يَرَ له ولياً ولا عدواً إلا وهو يحسن القول فيه والثناء عليه ، وكان ذو فضل عالماً كبيراً ، وفقيهاً نحريراً ، وكانت له الرياسة في أهل بيته من حيث مكانة العلم والزهد ، وجميع مواريث الانبياء عنده ، وميراث رسول الله (ص) وجميع الأئمة ، وكل أعماله مقربة الى الله ، وفعاله مطابقة لأعماله ، وقد نص عليه والده الهادي بالإمامة ـ عن آبائه عن جدّه رسول الله (ص) ـ أمام المقربين من شيعته وأهل بيته من الشرفاء ، وهو صاحب الوصية من أبيه ، وكان من عادة الأئمة عليهم السلام إذا أرادوا الوصية يوصون الى الإمام أمام أولاده وأحفاده وعشيرته .

وكان من حكمه أنه قال : الكلام الله فضلاً على الكلام ، كفضل الله على خلقه ، ولكلامنا فضل على كلام الناس كفضلنا عليهم .

وقال : لا تمار فيذهب بهاؤك ، ولا تمازح فيتجرأ عليك .

وقال : حب الأبرار للأبرار ثواب للأبرار ، وحب الفجّار للأبرار فضيلة للأبرار ، وبغض الفجّار للأبرار زين للأبرار ، وبغض الأبرار للفجّار خزي على الفجّار .

وقال : من التواضع السلام على كل من تمر به ، والجلوس دون شرف المجلس .

وقال : من الجهل الضحك من غير عجب .

وفاته : جاء عن الشيخ المفيد قدس الله سرّه ، عن ابن خاقان ـ عامل السلطان ـ ولما مات الامام وشاع وذاع خبره ووفاته ، صارت سرّ من رأى ضجّة واحدة : مات ابن الرضا ، وبعث السلطان العباسي الى داره من يفتشها ، وختم على جميع ما فيها ، وطلبوا أثر ولده ، وجاءوا بنساء لهنّ معرفة بالحبل ، فدخلن على جواريه ، فنظرن إليهنّ ، فذكر بعضهن أن هناك جارية بها حمل ، فأمر بها فجعلت في حجرة ، ووكّل بها نحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم ، ثم أخذوا في تجهيزه وعطلت الأسواق ، وركب بنو هاشم والقواد ، فكانت سامراء يومئذ شبيهة بالقيامة ـ كما قيل ـ فلما فرغوا من تهيئته ، بعث السلطان الى أبي عيسىٰ بن المتوكل فأمره بالصلاة عليه ، فلما وضعت الجنازة للصلاة ، دنا عيسىٰ منه ، فكشف عن وجهه ، فعرضه على بني هاشم من العلويين والعباسيين وجميع من حضر ، وقال : هذا الحسن بن علي بن محمد بن الرضا ، مات حتف أنفه على فراشه ، ثم غطى وجهه، ثم دفن في بيته .

الامام محمد بن الحسن المهدي (ع)

١١ ـ الإمام الثاني عشر من أبناء علي عليه السلام ، وهو حجة الله صاحب الزمان عجل الله فرجه وسهّل مخرجه ليملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعد أن ملأت ظلماً وجوراً ، واستبداداً ، وتكالباً وبغياً وفساداً وفجوراً . فهو الإمام الثاني عشر من أئمة المسلمين وخليفة الله في العالمين ، وهو الذي تعيش الأرض اليوم على شرفه وإسمه الطيب ، لأنه سليل النبوة ، وأشرف الأمة ، وخازن علم الله ، وحاكم سلطة الله على أرضه ، وهو البقية الصالحة في هذه الدنيا ، وليس هناك غيره من هو بقية الله ، وليس هناك صالح إلا هو ، لأنه الإمام المعصوم الذي وعد الله به نبيّه سوف يظهره على الدين كله ولو كره الكافرون والمشركون ، وسوف يرىٰ الناس تدخل بهذا الدين أفواجاً أفواجاً .

أجل إسمه الامام محمد وهو ثالث المحمدين ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . وعمّه أخو جدّه الإمام الحسن الزكي سبط رسول الله (ص) ، ابن بنت رسول الله ، وجدّه رسول الله (ص) سيد البشر .

وقد جاء في الإخبار النهي عن اسمه الشريف بمحمد لا يحل لكم ذكر اسمه حتى يخرج ، بل اسمه المنتظر ، صاحب الزمان ، إمام العصر ، صاحب الأمر ، حجة الله المنتظر ، بقية الله في أرضه ، يخرج ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً

ولد صاحب الأمر المهدي المنتظر (عج) ليلة النصف من شعبان ، سنة خمس وخمسين ومائتين بسامراء في أيام المعتمد العباسي ، ولم يخلف أبوه ولد

ظاهر ولا باطن غيره ، وخلفه غائباً مستتراً ، وكان سنّه عند وفاة أبيه خمس .

أمـه : أم ولد اسمها نرجس كانت خير أمة ، وهي من سلالة الأنبياء من بني إسرائيل .

كنيته : ككنية رسول الله (ص) ، ويكنّى أيضاً أبا جعفر .

لقبه : الحجة ، المهدي ، الخلف الصالح ، والقائم المنتظر ، صاحب الزمان . وأشهرها المهدي .

بوابه : عثمان بن سعيد ، ثم ابنه محمد بن عثمان ، ثم حسين بن روح ، ثم علي بن محمد السمري . هؤلاء الأربعة نوابه .

نقش خاتمه : أنا حجة الله وخاصته .

شاعره : ابن الرومي .

صفته وحليته : فعن سنن أبي داوود انه شبيه رسول الله (ص) في الخلق .

وقال سيدنا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : إنه شبيه نبيّكم ، يشبه نبيّكم في الخلق والأخلاق .

بل قالوا : كأن وجهه كوكب درّي ، في خدّه الأيمن خال أسود ، أفرق الثنايا ، أجلى الجبهة .

وكانت له أرواحنا له الفدىٰ غيبتان صغرىٰ وكبرىٰ ، كما جاء بذلك الأخبار عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ، ويقال قصرىٰ وطولىٰ .

أما الغيبة الصغرى : فمن مولده الى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته بوفاة السفراء الأربع ، وعدم نصب غيرهم ، وهي أربعة وسبعون سنة ، ففي هذه المدة كان السفراء يرونه ، وربما رآه غيرهم ، ويصلون لخدمته ، وتخرج على أيديهم توقيعات منه الى شيعته في أجوبة مسائل وفي أمور شتىٰ .

وأما الغيبة الكبرى : فهي بعد الأولى .

سفراؤه : كان بينه وبين شيعته في غيبته الصغرىٰ أربعة : عثمان بن سعيد ، فهو وكيل الامام الجواد والهادي والحسن العسكري . وكان ثقة الأئمة الأربع عليهم سلام الله ، وبعده ابنه محمد بن عثمان ، وبعده الحسين بن روح ، وبعده علي السمري ، وكل هؤلاء ثقة الأئمة والإمام نفسه عجل الله له الفرج .

والأخبار التي جاءت من طريق أهل السنّة كثيرة :

صنّف أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي كتاباً سمّاه البيان في أخبار صاحب الزمان .

وجمع الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني صاحب كتاب حلية الأولياء المشهور أربعين حديثاً في أمر المهدي .

وهناك أحاديث كثيرة بهذا الشأن من علماء السنة وذكر الترمذي في جامعه ، وأبو داوود ، والأخبار كثيرة وفائضة بخصوص الإمام ، والأحاديث كثيرة من جده ، وأهل البيت ، ومنها :

يا فاطمة أما المهدي فمنك . أخرجه الحاكم .

يا فاطمة المهدي من ولدك . أخرجه الكنجي .

المهدي منّا أهل البيت ، يصلحه الله في ليلة . نقله جواهر العقدين عنه (ص) .

الخاتمة

أقول : هذا علي ، وهذه الأحاديث الشريفة صريحة في أنّ علياً إمام الأولياء ، وهو المطلوب وزيادة ، ودلّت على ان علياً نور المطيعين ، وأنه الكلمة التي ألزمها الله المتّقين ، وأن من أحبّه أحب الله ، ومن أطاعه أطاع الله . هنا صار وجوب طاعته ، وتحريم بغضه ومخالفته ، فهو كالفرض من فروض الله ، وان علياً راية الهدىٰ ، ومنار الإيمان ، وإمام الأولياء ، ونور جميع المطيعين ، وأنه أخو رسول الله (ص) ، وأنه نعمَ الأخ كان لأخيه ، وأن الملائكة أُمروا بنصره .

أقول : وإنه صاحب الولاية الذي قرن الله ولايته بولايته وولاية رسوله في آية الموالاة ﴿ **إنّما وليكمُ اللهُ ورسولهُ والذينَ آمنوا الذينَ يقيمونَ الصلاةَ ويؤتونَ الزكاةَ وهمْ راكعونَ** ﴾[1] في هذه الآية التي نزلت في إعطائه الخاتم الذي تصدّق به على الفقير ، ولاية أمر كولاية الله وولاية رسوله .

وهذا الرجل الإمام الذي جعله الله من المؤيدين لرسالة نبيّه ، والشاهد على أولئك القوم (نصارىٰ نجران) الذين أرادوا إنكار رسالة محمد بن عبد الله ، وقد خرج النبي (ص) به وبابنيه وزوجته ، وجعل هذه الصفوة الخيّرة سنداً له في المحاججة .

أجل أرسله الله ليكون شاهداً لإثبات الرسالة ، يا لك من شاهد ، ويا

---

(١) المائدة / ٥٥ .

لـك من نفس عظيمـة قرنها الله جـلّ جـلالـه بنفس رسـول الله صـلى الله عليـه وآله ، قال تعالى : ﴿ فمنْ حاجّكَ فيهِ منْ بعدِ ما جاءكَ منَ العلمِ فقلْ تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكمْ ونساءنا ونساءكمْ وأنفسنا وأنفسكمْ ثمَّ نبتهل فنجعلَ لعنتَ اللهِ على الكاذبين ﴾[1].

أقـول : وهو صـاحب الطاعـة التي قـرن الله طـاعتـه بـطاعـة رسـولـه ، والطاعة فرض ، فكما ان طـاعة الله ورسـوله فـرض ، كذلـك طاعـة علي عليـه السـلام فرض قـال عز من قـائل : ﴿ يـا أيّها الـذينَ آمنوا أطيعـوا اللهَ وأطيعـوا الرسولَ وأولي الأمرِ منكمْ ﴾[2].

أقول : وهو صاحب آية التطهير ﴿ إنّمـا يريـدُ اللهُ ليذهبَ عنكُمُ الـرجسَ أهلَ البيتِ ويطهّركمْ تطهيراً ﴾[3].

وهـو صـاحب آيـة التبليـغ التي هـدد الله بهـا نبيّـه ، وأراد منـه أن يبلّغ الناس أمر ولايته ، قال عزّ من قـائل : ﴿ يـا أيها الـرسولُ بلّغ مـا أنزلَ إليـكَ منْ رَبّـك وإنْ لمْ تفعلْ فـما بلّغتَ رسـالتـهُ واللهُ يعصمـكَ منَ النـاسِ إنَّ اللهَ لا يهدي القومَ الكافرينَ ﴾[4].

وهـو صاحب آيـة الاطعـام الـذي قـدّم طعـامـه لمسكـين ويتيم واسـير ، ولثلاثة أيام متواصلة ، فلقـد تجاوز يعسـوب الدين كـل البشريـة بهذه الآيـة من الـرسل والأنبيـاء ، يا لـه من بيت علي الـطاهر ، وولـديـه الحسنـين وزوجتـه الطاهرة فاطمة ، وخادمتهم فضة .

وهـو صاحب آيـة الشكر الـذي شكـره الله في هـذه السـورة ، ولم يشكـر غيـره قط من الـرسـل والأنبيـاء ﴿ إنَّ هـذا كـانَ لكمْ جـزاءاً وكـانَ سعيكمْ

---

(١) آل عمران / ٦١ .
(٢) النساء / ٥٩ .
(٣) الأحزاب / ٣٣ .
(٤) المائدة / ٦٧ .

مشكوراً ﴾[1].

وهو صاحب آية المودّة ﴿ قلْ لا أسألكمْ عليهِ أجراً إلاّ المودّةَ في القربى ﴾[2].

وهو صاحب إسم الصدّيق وهو صاحب إسم الفاروق ، أين ذهب هذين الإسمين ، ولمن أعطيا ، الفاروق يفرق بين الحق والباطل ، وهو الصديق الأكبر .

أقول : كيف تقدم أحد على أفقه الناس واعلمهم وأقضاهم وأصرحهم وأطيبهم واشجعهم واكرمهم وأسماهم ، وهو الصديق المصدّق ، لماذا تنحّى عن منصبه ، وهو سيدهم ، وسيد العرب والعجم بقولهم ونّصهم ، لماذا جرِّد من منصبه ؟ ولماذا لم يأخذ ميراث النبوة ؟ لقد نحوه عن منصبه ولكنهم احتاجوا اليه لكشف المهمات والمعضلات التي كانت ترد عليهم ، وللاجابة على الاسئلة التي لا يهتدون الى جوابها .

ان قريشاً لم ترض علياً حيث حاربهم حتى دخلوا الاسلام وجعلهم يسجدوا على التراب معفراً لتلك الوجوه المتجبرة المتكبرة ، دخلوا الإسلام طمعاً وخوفاً ، جاءت أضغان قريش حتى سلمتها الى عثمان ومعاوية وبني امية وبني العباس ، يعني أن هذا البيت هو سبب قتل قريش ، بل وقريش هي التي جعلت الطبقات في الاسلام ضد علي ، لأنهم لم يقدروا على قتل علي في عهد رسول الله (ص) ، فهذا هو السبب لخروجهم عليه ، وحربهم له .

أجل ، والله سبحانه ابتلى علياً باعظم ابتلاء ، مصداقاً للحديث الشريف : « اذا أحب الله عبداً ابتلاه »، كما انه صلوات الله عليه موضع الابتلاء للناس كلها ، فلا صلاة ولا صوم ولا حج ولا زكاة ولا جهاد ينفع الناس بدون ولايته .

أجل قال الله سبحانه لنبيّه (ص) : يا محمد بشّر علياً أنه إمام

---

(١) الدهر ـ الإنسان / ٢٢ .

(٢) الشورى / ٢٣ .

أوليائي ، ونور من أطاعني ، وهو الكلمة التي الزمتها المتقين .

قال : يا رب قد بشّرته فقال أنا عبد الله وفي قبضته ، فإن يعذبني فبذنوبي لم يظلمني شيئاً ، وإن يتم لي ما وعدني فالله أولى بي .

فقال الله سبحانه : قد فعلت ذلك به غير أني خصصته بشيء من البلاء لم أخص به أحداً من أوليائي .

فقلت : ربّ أخي وصاحبي .

قال : إنه قد سبق في علمي إنه مبتلىٰ ومبتلى به .

لماذا ابتليت هذه الأمة ، ويكون مصيرها الحساب والعقاب والنار ؟ لأنها تركت ولي الله ، ولم تسير في طريقه .

قال أبو بكر : سمعت رسول الله يقول : لن يجوز أحدكم الصراط إلا وبيده جواز من علي بن أبي طالب .

وقال عمر وعائشة : قال رسول الله (ص) : علي سيد العرب والعجم ومن شك بذاك كفر .

الفقير الى ربه ، والحقير له ، طالب المغفرة منه سبحانه .

عبد الجبار الربيعي

محتويات الكتاب

كلمة لا بد منها ٥
تركيبة الانسان ١٥
التركيبة ١٧
الفصل الاول :
علي سيد العرب والعجم بنص القرآن ٢٩
الفصل الثاني :
علي سيد العرب والعجم في السنة ٥٧
علي سيد العرب ٧٣
الفصل الثالث :
علي سيد العرب والعجم بالعقل وبمولده الشريف ٧٧
الفصل الرابع :
علي سيد العرب والعجم بفضله : ٨٧
الفصل الخامس :
علي سيد العرب والعجم عقلا في علمه ١٠٩
الفصل السادس :
علي سيد العرب والعجم في عدله ١٣٧
الفصل السابع :
علي سيد العرب والعجم في قضائه ولواحقه ١٦٣
الفصل الثامن :
علي سيد العرب والعجم بشجاعته ١٧٥

الفصل التاسع :
علي سيد العرب والعجم بتآخيه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ١٨٧
الفصل العاشر :
علي سيد العرب والعجم في حسبه ونسبه ٢١٣
الفصل الحادي عشر :
علي سيد العرب والعجم في زوجته ٢٢٣
الفصل الثاني عشر :
علي سيد العرب والعجم في علومه الاجتماعية ٢٥٥
الفصل الثالث عشر :
علي سيد العرب والعجم في حبه المنقطع لله ولرسوله ٢٧٧
الفصل الرابع عشر :
علي سيد العرب والعجم بزهده ٣٠٧
الفصل الخامس عشر :
علي سيد العرب والعجم في ابنائه واحفاده الكرام ٣١٧
الامام الحسن عليه السلام ٣٢١
الامام الحسين عليه السلام ٣٢٦
الامام علي بن الحسين عليه السلام ٣٣٠
الامام محمد بن علي عليه السلام ٣٣٦
الامام جعفر بن محمد عليه السلام ٣٤١
الامام موسى بن جعفر عليه السلام ٣٤٦
الامام علي بن موسى عليه السلام ٣٤٩
الامام محمد بن علي الجواد عليه السلام ٣٥٢
الامام علي الهادي عليه السلام ٣٥٨
الامام الحسن العسكري عليه السلام ٣٦١
الامام المهدي عليه السلام ٣٦٤
الخاتمة ٣٦٧

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٢٩٤٠